

خُطْبُ

مَنْبَرِ الْجُمُعَةِ

إِعْدَادُ

سُلَيْمَانُ بْنُ جَسَّالٍ الدِّينِ نَاصِرٍ كُحْرِيٍّ

خَطِيبُ جَامِعِ الْقَائِمِ بِمُحَافَظَةِ أَلَزَلْفِي

غُفِرَ اللَّهُ لَهُ وَلِوَالِدَيْهِ وَلِلْمُسْلِمِينَ

الجزء الثاني

بِإِذْنِ الْمَدِينَةِ

خطب

منبر الجمعة

٢

جميع الحقوق محفوظة
الطبعة الأولى
١٤٣٧ هـ - ٢٠١٦ م

إدارة التدریس

الرياض - ص.ب: ٢٦١٧٣ - الرمز البريدي: ١١٤٨٦

هاتف: ٤٩٢٤٧٠٦ - ٤٩٢٥١٩٢ - فاكس: ٤٩٣٧١٣٠

Email: TADMORIA@HOTMAIL.COM

المملكة العربية السعودية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف
الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين،

وبعد:

فهذا هو الجزء الثاني من كتابي المسمى (خطب منبر الجمعة)، جمعت فيه
ستا وخمسين خطبة، وهي متنوعة في الموضوعات، فبعضها في العقائد
والأحكام، وبعضها في الآداب والأخلاق، وقد قدمت في الجزء الأول
بمقدمة عن الخطيب وأهمية إعداد الخطبة، فلا حاجة لإعادتها هنا.

وأسأل الله جل وعلا أن يجعله خالصا لوجهه الكريم، وأن ينفع به إنه
جواد كريم.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

كتبه: سليمان بن خالد بن ناصر الحري

خطيب جامع الفالح بمحافظة الزلفي

محقرات الذنوب

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يضلِّل فلا هاديَّ له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه، ومن سار على نهجه، واقتفى أثره، إلى يوم الدين، وسلم تسليماً كثيراً.

أَمَّا بَعْدُ:

فَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ، ﴿يَتَأْتِيَ النَّاسُ اتِّقُوا رَبَّكُمْ وَأَخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدُ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾ [لقمان: ٣٣].

إخوتي في الله: لقد اختار الله لنا ديناً كاملاً فيه صلاحُ القلوب والأبدان والأموال والمجتمعات على اختلاف الزمان والمكان، ديناً أكمله الله، وفرضه الله، فلا يأتيه الباطل ولا النقص، هذا الدين هو الصالح لعقولنا وأبداننا، والله تعالى يقول: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾ [الأحزاب: ٣٦]، وقال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا

يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ [النساء: ٦٥]، ولهذا تجد المؤمنين بالله المستسلمين لأمره والمُعظمين لحدوده أهدأ الناس نفسًا، وأصفاهم سريرةً، وأكثرهم خشيةً لله وأشدَّهم طمأنينةً.

إن الإنسان مهما عَظُمَ علمه وكثرت تجاربه، لا يمكن أن يعيش في هذه الحياة بطمأنينة وراحة إلا إذا استمسك بأوامر الله، واجتنب نواهيه، إن تعظيم الرب تعالى وتمجيده مستلزمٌ لتعظيم أحكامه ومراعاة حدوده، فعلامَةُ الإيمان الصادق هو تعظيمُ أمره ونهيه والتمسك به.

قال ابن القيم رحمته الله: (أولُّ مَرَاتِبِ تَعْظِيمِ الْحَقِّ ﷻ تَعْظِيمُ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ، وذلك المؤمنُ يعرف ربه ﷻ برسالته التي أُرْسِلَ بها رسولُ الله ﷺ إلى الناس كافة، ومقتضاها الانقيادُ لأمره ونهيه وإنما يكون ذلك بتعظيم أمر الله ﷻ واتباعه، وتعظيم نهيه واجتنابه، فيكون تعظيمُ المؤمن لأمر الله تعالى ونهيه دالًّا على تعظيمه لصاحب الأمر والنهي، ويكون بحسب هذا التعظيم من الأبرار المشهود لهم بالإيمان والتصديق، وصحة العقيدة والبراءة من النفاق الأكبر) ^(١). ا.هـ.

ألا وإنَّ من أعظم منغصات الحياة ومجلبة الهموم والغموم هي المعصية، آه لهذه المعصية! ما أشدَّ مرارتها على القلب! وما أبأس عوائدها على النفس! والحسرة تزداد حينما تُقنِعَ نفسك بصغر الذنب وحقارته، أو صغر الواجب وعدم أهميته. بَوَّب البخاري في صحيحه فقال: بَابُ مَا يُتَّقَى مِنْ مُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ. ثم روى عَنْ أَنَسٍ رحمته الله قَالَ: «إِنَّكُمْ لَتَعْمَلُونَ أَعْمَالًا هِيَ

(١) الوابل الصيب (١/ ١٥).

أَدَقُّ فِي أَعْيُنِكُمْ مِنَ الشَّعْرِ إِنْ كُنَّا نَعُدُّهَا عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مِنَ الْمَوَبَقَاتِ^(١). قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ: يَغْنِي بِذَلِكَ الْمُهْلِكَاتِ.

قال ابن الجوزي: (المعنى تعملون أعمالا ليس لها عندكم كثير وقع احتقارا لها، وهي من الموبقات؛ أي المهلكات، وهذه الأعمال مثل قول الرجل للرجل: كنت على نية قصدك، ونحو ذلك مما يكذب فيه، أو مدح الرجل الرجل بالشيء الذي ليس فيه، وربما كان ذلك لسلطان جائر، وقد يكون ذلك في المعاملات بالربا، وعقوق الوالدين، وقذف المحصنة، وعيبة المسلم، وأشياء يحتقرها الإنسان ويجري فيها مع العادات وهي مهلكة)^(٢).

روى ابن ماجه، عن عائشة قالت: قال لي رسول الله ﷺ: «يَا عَائِشَةُ إِيَّاكَ وَمُحَقَّرَاتِ الْأَعْمَالِ؛ فَإِنَّ لَهَا مِنَ اللَّهِ طَالِبًا»^(٣).

قال الطحاوي: (فيه تحذير رسول الله ﷺ أهل الإيمان من مُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ، فَذَلْ ذَلِكَ أَنَّهُمْ مَاخُذُونَ بِهَا مَعَ إِيْمَانِهِمْ، مُعَاقِبُونَ عَلَيْهَا إِلَّا أَنْ يَغْفُوَ اللَّهُ عَنْهُمْ)^(٤).

وكذلك تحقير بعض الأوامر والواجبات والتساهل فيها هو من هذا الباب، فيقول هذا مختلف فيه، وهذا تركه يسير ونحو ذلك.

تأملوا امتحان أبي بكر مع أمر من أوامر رسول الله ﷺ كما في الصحيحين، أَنَّ عَائِشَةَ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَخْبَرَتْهُ أَنَّ فَاطِمَةَ - عَلَيْهَا السَّلَامُ - ابْنَةَ

(١) أخرجه البخاري (٥/ ٢٣٨١، رقم ٦١٢٧).

(٢) كشف المشكل (١/ ٨٦٥).

(٣) أخرجه ابن ماجه (٢/ ١٤١٧، رقم ٤٢٤٣).

(٤) شرح مشكل الآثار (١٠/ ١٧٢).

رسول الله ﷺ سَأَلْتُ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ بَعْدَ وَفَاةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَقْسِمَ لَهَا مِيرَاثَهَا، مَا تَرَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْهِ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَا نُورَثُ مَا تَرَكَنَا صَدَقَةً» فَغَضِبْتُ فَاطِمَةُ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَهَجَرْتُ أَبَا بَكْرٍ فَلَمْ تَزَلْ مُهَاجِرَتُهُ حَتَّى تُوفِّيَتْ، وَعَاشَتْ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ سِتَّةَ أَشْهُرٍ. قَالَتْ: وَكَانَتْ فَاطِمَةُ تَسْأَلُ أَبَا بَكْرٍ نَصِييَهَا مِمَّا تَرَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ خَيْرٍ وَفَدَكٍ، وَصَدَقَتُهُ بِالْمَدِينَةِ، فَأَبَى أَبُو بَكْرٍ عَلَيْهَا ذَلِكَ وَقَالَ: لَسْتُ تَارِكًا شَيْئًا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَعْمَلُ بِهِ إِلَّا عَمِلْتُ بِهِ؛ فَإِنِّي أَخْشَى إِنْ تَرَكْتُ شَيْئًا مِنْ أَمْرِهِ أَنْ أَزِيغَ^(١).

أيعجز أبو بكر أن يعمل المصالح للتأليف، أيعجز عن تفسيرات العقل التي لا تنتهي لإخضاع النصوص على ما يريد كلا أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون.

بَارَكَ اللَّهُ لِي وَلَكُمْ فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، وَنَفَعَنِي وَإِيَّاكُمْ بِمَا فِيهِ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ، أَقُولُ مَا سَمِعْتُمْ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ لِي وَلَكُمْ وَلِسَائِرِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ وَخَطِيئَةٍ، فَاسْتَغْفِرُوهُ، وَتَوَبُوا إِلَيْهِ، إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ.

(١) أخرجه البخاري (٣/١١٢٦، رقم ٢٩٢٦)، ومسلم (٣/١٣٨٠، رقم ١٧٥٩).

الخطبة الثانية:

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله تعظيماً لشانه، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الداعي إلى جنته ورضوانه، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأعوانه.

أَمَّا بَعْدُ:

مَعَشَرَ الإِخْوَةِ: تأملوا هذا الحديث العظيم في شأن المعصية، فوالله هو موعظة لقلوبنا، جاء في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه يَقُولُ: افْتَتَحْنَا خَيْرَ فَلَمْ نَغْنَمْ ذَهَبًا وَلَا فِضَّةً إِنَّمَا غَنِمْنَا الْبَقَرِ وَالْإِبِلَ وَالْمَتَاعَ وَالْحَوَائِطَ ثُمَّ انْصَرَفْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى وَادِي الْقُرَى وَمَعَهُ عَبْدٌ لَهُ يُقَالُ لَهُ مِدْعَمٌ أَهْدَاهُ لَهُ أَحَدُ بَنِي الضَّبَابِ، فَبَيْنَمَا هُوَ يَحْطُ رَحَلَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِذْ جَاءَهُ سَهْمٌ عَائِرٌ حَتَّى أَصَابَ ذَلِكَ الْعَبْدَ فَقَالَ النَّاسُ: هَنِيئًا لَهُ الشَّهَادَةُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «بَلْ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّ الشَّمْلَةَ الَّتِي أَصَابَهَا يَوْمَ خَيْبَرَ مِنَ الْمَغَانِمِ لَمْ تُصِبْهَا الْمَقَاسِمُ لَتَشْتَعِلَ عَلَيْهِ نَارًا». فَجَاءَ رَجُلٌ حِينَ سَمِعَ ذَلِكَ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ بِشْرَاكِ أَوْ بِشْرَاكِينَ فَقَالَ: هَذَا شَيْءٌ كُنْتُ أَصْبَتُهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «شِرَاكٌ أَوْ شِرَاكَانِ مِنْ نَارٍ»^(١).

خادمٌ لرسول الله ﷺ وفي الجهاد، وتوفي وهو يصلح شأن رسول الله ﷺ ومع هذا أخذ شملة فعلت به ما فعلت، إنها مخالفة أمر الله إنها المعصية.

(١) أخرجه البخاري (٤/١٥٤٧، رقم ٣٩٩٣)، ومسلم (١/١٠٨، رقم ١١٥).

روى عبد الرزاق، عن ابن مسعود، قال: «مَثَلُ الْمُحَقَّرَاتِ كَمَثَلِ قَوْمٍ سَفَرُوا تَرَكُوا بِأَرْضٍ قَفْرٍ، مَعَهُمْ طَعَامُهُمْ لَا يُصْلِحُهُمْ إِلَّا النَّارُ، فَتَفَرَّقُوا فَيَجِيءُ هَذَا بِالرَّوْثَةِ، وَيَجِيءُ هَذَا بِالْعَظْمِ، وَيَجِيءُ هَذَا بِالْعُودِ، حَتَّى جَمَعُوا مِنْ ذَلِكَ مَا أَصْلَحُوا بِهِ طَعَامَهُمْ، قَالَ: فَكَذَلِكَ صَاحِبُ الْمُحَقَّرَاتِ، يَكْذِبُ الْكَذْبَةَ، وَيُذْنِبُ الذَّنْبَ، وَيَجْمَعُ مِنْ ذَلِكَ مَا يَكْبُثُهُ اللَّهُ عَلَى وَجْهِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ»^(١).

وروى البيهقي عن أبي هريرة، قال: «أَحْذَرُكُمْ مُحَقَّرَاتِ هَذِهِ الْأَعْمَالِ، وَإِنَّهَا تُحْصَى عَلَيْكُمْ، وَتُرَدُّ عَلَيْكُمْ»^(٢).

ولهذا شَرَعَ كَثْرَةُ الْإِسْتِغْفَارِ، وَنُبِيَّ الْمَرْءِ عَنِ الْإِصْرَارِ عَلَى الْمَعْصِيَةِ، وَشَرَعَ كَثْرَةُ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ وَمَجَاهِدَةُ النَّفْسِ.

قال أبو أيوب الأنصاري: «إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ الْحَسَنَةَ، يَتَكَلَّمُ عَلَيْهَا، وَيَعْمَلُ الْمُحَقَّرَاتِ حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهَ وَقَدْ أَخْطَرَتْهُ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ السَّيِّئَةَ فَيَفَرِّقُ مِنْهَا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهَ آمِنًا»^(٣).

فإذا رأيتَ من نفسك تعذيراً لمعاصيك المحقرة ونسياناً لها، فتداركُ نفسك من أكل أو شرب محرَّم، أو عمل محرَّم أو قول محرَّم، وتظن أنه عند الله هيئاً وهو عند الله عظيمٌ، ولا تنظر إلى صِغَرِ المعصية ولكن انظر إلى عظمة من عصيتَ، ولا يكن الله أهون الناظرين عندك.

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإبان (٥/ ٤٥٥، رقم ٧٢٦٢).

(٢) أخرجه البيهقي في شعب الإبان (٥/ ٤٥٦، رقم ٧٢٦٥).

(٣) أخرجه البيهقي في شعب الإبان (٥/ ٤٥٦، رقم ٧٢٦٦).

﴿رَبَّنَا فَاعْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ﴾ (١١٣) رَبَّنَا وَءَاثِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴿ [آل عمران: ١٩٣ - ١٩٤].

ثُمَّ صَلُّوا وَسَلِّمُوا عَلَى رَسُولِ الْهُدَى، وَإِمَامِ الْوَرَى، فَقَدْ أَمَرَكُمُ رَبُّكُمْ فَقَالَ - جَل وَعَلَا -: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ، وَارْضَ اللَّهُمَّ عَنِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ، وَالْأَئِمَّةِ الْمُهَدِّينَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَلِيٍّ، وَعَنِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ، وَعَنَّا مَعَهُمْ بِعَفْوِكَ وَكَرَمِكَ يَا أَكْرَمَ الْأَكْرَمِينَ.

اللَّهُمَّ اعْزِزْ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَانصِرْ عِبَادَكَ الْمُوَحِّدِينَ الَّذِينَ يَجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِكَ فِي كُلِّ مَكَانٍ، اللَّهُمَّ انصِرْهُمْ عَلَى عَدُوِّكَ وَعَدُوِّهِمْ، اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِالْيَهُودِ الْمُعْتَدِينَ، وَالنَّصَارَى الْمُحَارِبِينَ، اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِهِمْ؛ فَإِنَّهُمْ لَا يَعْجِزُونَكَ، اللَّهُمَّ أَحْصِهِمْ عَدَدًا.

اللَّهُمَّ آمِنَّا فِي أَوْطَانِنَا، وَأَصْلِحْ أَيْمَنَتَنَا وَوُلاةَ أُمُورِنَا، اللَّهُمَّ وَفِّقْهُمْ لِمَا يَرْضِيكَ، وَجَنِّبْهُمْ مَعَاصِيكَ.

اللَّهُمَّ تَبْ عَلَى التَّائِبِينَ، وَاهْدِ ضَالَّ الْمُسْلِمِينَ، اللَّهُمَّ رُدِّهِمْ إِلَيْكَ رَدًّا جَمِيلًا، اللَّهُمَّ ارْفَعْ مَا نَزَلَ مِنَ الْفِتَنِ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِينَا.

عِبَادَ اللَّهِ! ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠]،

فاذكروا الله العلي العظيم يذكركم، واشكروه على نعمكم يزدكم، ﴿وَلَذِكْرُ
اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

لقاء الله وتكليمه لعبده

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه، ومن سار على نهجه، واقتفى أثره، إلى يوم الدين، وسلم تسليماً كثيراً.

أَمَّا بَعْدُ:

فأوصيكم ونفسي بتقوى الله ﷻ، ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٨١].

إخوتي في الله: رأيتم رجلاً من أحد الرعية وله ملكٌ عظيمٌ، قويٌّ له من الملك والسلطان ما يجعل الرعية تخشاه وترجوه، وهذا الملكُ يُجْزَلُ لهذا الرجل العطايا في كل يوم ويُحوَّلُ عليه، ولكنَّ هذا الرجل لا يرعوي عن النكران والجحود لملكه، بل ويقابل هذا بتفريطه في شؤون وظيفته، والأشد من هذا أن هذا الملك على علمٍ بأعمال هذا الرجل، وعلى اطلاع بنكرانه وجحوده وتقصيره، ومع هذا ما زال يعطيه ولا يقطع عنه أعطياته، فكيف بربكم إذا علمنا أن هذا الجاحد يعلم أن هذا الملك مطلعٌ على حاله وعلى دراية بفعاله؟

وفي يوم من الأيام جاءه الحرس وطرقوا عليه الباب ليخبروه أن الملك يستدعيه ويحاسبه.

فما هو الشعور الذي يخيم على نفسه؟
وأيُّ خوفٍ سينزل على كاهله؟
وأيُّ حُجَّةٍ يبحث عنها ليخلص نفسه؟

فالتفت يمينًا فلا يرى إلا سرقة من دولة الملك، ولبتفت يسارًا فلا يرى إلا ظلمه وتعديده، ولا يرى أمامه إلا الحرس ليحمله قسرا إلى السلطان، لا مفر، وأين المفر؟ فبينما هو كذلك إذ به يحمل إلى الملك فيقف أمامه، ويرى سلطانه بعينه، ويطلع على قوته وجنوده، ويرى الوزراء والوجهاء والسادة مطرقين رؤوسهم هيبةً من السلطان وقوته، لا يتكلم أحد، بل ولا يرفع طرفه، ويرى الجنود الأقوياء ذوي البأس الشديد ينتظرون أوامر السلطان، لينفذوا أوامره بلمح البصر، فعلاه الخوفُ والرهبَةُ، وغشاه العَرَقُ، وهذا الخوف صار أشدَّ عليه من الموت، بل أصبح يتمنى الموت على أن لا يعيش هذه الحال، فنفسه ما عادت تتحمل، وقلبه يكاد يطير من الرهَق، أرأيتم حال هذا الرجل؟

تصور حالك مع ربك -جل وعلا- مع ملك الملوك؟

سنُستدعى في يوم من الأيام، سنقف بين يدي الله جل وعلا، سيكلمنا ربنا، سيخاطبنا الملك العظيم، سنرى عظمة الأحوال وعظمة المخلوقات، جاء في الصحيحين عن عدي بن حاتم قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا مِنْكُمْ

مِنْ أَحَدٍ إِلَّا سَيَكَلِّمُهُ رَبُّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تَرْجُمَانٌ، فَيَنْظُرُ أَيَّمَنَ مِنْهُ فَلَا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ مِنْ عَمَلِهِ، وَيَنْظُرُ أَشْأَمَ مِنْهُ فَلَا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ، وَيَنْظُرُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَلَا يَرَى إِلَّا النَّارَ تَلْقَاءَ وَجْهِهِ، فَاتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، فَإِنْ لَمْ يَحْذُ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ»^(١).

قال العلماء: نظر اليمين والشمال لأن الإنسان من شأنه إذا دهمه أمر أن يلتفت يميناً وشمالاً يطلب الغوث. ويحتمل أن يكون سبب الالتفات أنه يترجى أن يجد طريقاً يذهب فيها ليحصل له النجاة من النار، فلا يرى إلا ما يُفْضِي به إلى النار، كما في رواية: «ثُمَّ يَنْظُرُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَتَسْتَقْبِلُهُ النَّارُ»^(٢)، والسبب في ذلك أن النار تكون في ممره فلا يمكنه أن يحيد عنها؛ إذ لا بد له من المرور على الصراط.

قال السعدي رحمه الله: (هذا حديثٌ عظيمٌ تَضَمَّنَ من عظمة الباري ما لا تحيط به العقول، ولا تعبر عنه الألسن، أخبر فيه أن جميع الخلق سيكلّمهم الله مباشرةً من دون تَرْجَمَانٍ ولا واسطةٍ، ويسألهم عن جميع أعمالهم، خيرها وشرها، دقيقها وجليلها، سابقها ولأحقها، ما علمه العباد وما نسوه منها، وذلك أنه لعظمته وكبريائه كما يخلقهم ويرزقهم في ساعة واحدة، ويبعثهم في ساعة واحدة، فإنه يحاسبهم جميعاً في ساعة واحدة، فتبارك مَنْ له العظمةُ والمجد، والملك العظيم والجلال. وفي هذه الحالة التي يحاسبهم فيها ليس مع العبد أنصار ولا أعوان ولا أولاد ولا أموال، قد جاءه فرداً كما خلقه أول

(١) أخرجه البخاري (٦/٢٧٢٩، رقم ٧٠٧٤)، ومسلم (٢/٧٠٣، رقم ١٠١٦).

(٢) أخرجه البخاري (٥/٢٣٩٥، رقم ٦١٧٤).

مرة، قد أحاطت به أعماله تطلب الجزاء بالخير أو الشر، عن يمينه وشماله، وأمامه النار لا بد له من ورودها، فهل إلى صدوره منها سبيل؟ لا سبيل إلى ذلك إلا برحمة الله، وبما قدمت يداه من الأعمال المنجية منها^(١).

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ (٣٨) ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ مَتَابًا ﴿٣٩﴾ إِنَّا أَنْذَرْنَكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَلَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا ﴿النَّبَا: ٣٨-٤٠﴾.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفَعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول ما سَمِعْتُمْ، وأستغفرُ الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنبٍ وخطيئةٍ، فاستغفروه، وتوبوا إليه، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله تعظيماً لشانه، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الداعي إلى جنته ورضوانه، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأعوانه.
أَمَّا بَعْدُ:

مَعَشَرَ الإِخْوَةِ: إن تذكر وقوفك بين يدي الله ﷻ في كل لحظة هو أعظم

(١) بهجة قلوب الأبرار وقرّة عيون الأخبار (١/ ١٦٢-١٦٣).

حصنٍ ومانعٍ من كثرة تسلط الشيطان عليك، ومن كثرة الوقوع في الحرام وغشيانها وترك الفرائض والواجبات، إن الوقوف بين يدي الله كلما تذكرته أضعف عندك داعي الشهوة وداعي الشبهة وداعي التقصير، كلما أكثر التذكر أصبح حقيقة ماثلة في قلبك، تتذكر أنه سيسألك عن كل شيء، جاء عند الترمذي وصححه عن أبي هريرة، وعن أبي سعيد، قالاً: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يُؤْتَى بِالْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ: أَلَمْ أَجْعَلْ لَكَ سَمْعًا وَبَصَرًا وَمَالًا وَوَلَدًا، وَسَخَّرْتُ لَكَ الْأَنْعَامَ وَالْحَرْثَ، وَتَرَكْتُكَ تَرَأْسَ وَتَرْبَعٍ فَكُنْتَ تَظُنُّ أَنَّكَ مُلَاقِي يَوْمَكَ هَذَا؟ فَيَقُولُ: لَا، فَيَقُولُ لَهُ: الْيَوْمَ أَنْسَاكَ كَمَا نَسِيتَنِي»^(١).

فكيف إذا علمت أن الله -جل وعلا- في ذلك اليوم قد غضب غضباً يوجل منه الأنبياء والملائكة، جاء في الصحيحين، أن الناس في الموقف يذهبون إلى آدم «فَيَأْتُونَهُ فَيَقُولُونَ يَا آدَمُ أَنْتَ أَبُو الْبَشَرِ خَلَقَكَ اللَّهُ بِيَدِهِ وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ وَأَمَرَ الْمَلَائِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ وَأَسْكَنْكَ الْجَنَّةَ أَلَا تَشْفَعُ لَنَا إِلَى رَبِّكَ؟ أَلَا تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ وَمَا بَلَّغْنَا؟ فَيَقُولُ: رَبِّي غَضِبَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ وَلَا يَغْضَبُ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَنَهَانِي عَنِ الشَّجَرَةِ فَعَصَيْتُهُ، نَفْسِي نَفْسِي أَذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي أَذْهَبُوا إِلَى نُوحٍ، فَيَأْتُونَ نُوحًا فَيَقُولُونَ يَا نُوحُ أَنْتَ أَوَّلُ الرُّسُلِ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ وَسَمَّاكَ اللَّهُ عَبْدًا شَكُورًا أَمَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلَا تَرَى إِلَى مَا بَلَّغْنَا؟ أَلَا تَشْفَعُ لَنَا إِلَى رَبِّكَ؟ فَيَقُولُ: رَبِّي غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ وَلَا يَغْضَبُ بَعْدَهُ مِثْلَهُ نَفْسِي نَفْسِي»^(٢). وكل نبي يقول مثل هذا.

(١) أخرجه الترمذي (٤/٦١٩، رقم ٢٤٢٨).

(٢) أخرجه البخاري (٣/١٢١٥، رقم ٣١٦٢)، ومسلم (١/١٨٤، رقم ١٩٤).

فكيف إذا اجتمع مع هَؤُلِ الموقف وغضب الجبار -جل وعلا-
التقصيرُ والغفلة والخزايا والذنوب، نسأل الله اللطف والعافية والستر، ولا
حول ولا قوة إلا بالله.

ثُمَّ صَلُّوا وَسَلِّمُوا عَلَى رَسُولِ الْهُدَى، وإمام الورى، فقد أمركم ربكم
فقال -جل وعلا-: ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا
صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٥٦]، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى نَبِيِّنَا
مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ، وَارْضَ اللَّهُمَّ عَنِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ،
وَالْأَئِمَّةِ الْمُهَدِّينَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَلِيٍّ، وَعَنِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ، وَعَنَّا
مَعَهُمْ بِعَفْوِكَ وَكَرَمِكَ يَا أَكْرَمَ الْأَكْرَمِينَ.

اللَّهُمَّ اعِزَّ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَانصِرْ عِبَادَكَ الْمُوَحِّدِينَ الَّذِينَ يَجَاهِدُونَ
فِي سَبِيلِكَ فِي كُلِّ مَكَانٍ، اللَّهُمَّ انصِرْهُمْ عَلَى عَدُوِّكَ وَعَدُوِّهِمْ، اللَّهُمَّ عَلَيْكَ
بِالْيَهُودِ الْمُعْتَدِينَ، وَالنَّصَارَى الْمُحَارِبِينَ، اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِهِمْ؛ فَإِنَّهُمْ لَا
يَعْجِزُونَكَ، اللَّهُمَّ أَحْصِهِمْ عَدَدًا.

اللَّهُمَّ آمِنَّا فِي أَوْطَانِنَا، وَأُصْلِحْ أُمَّتَنَا وَوُلاةَ أُمُورِنَا، اللَّهُمَّ وَفِّقْهُمْ لِمَا
يَرْضِيكَ، وَجَنِّبْهُمْ مَعَاصِيكَ.

اللَّهُمَّ تَبْ عَلَى التَّائِبِينَ، وَاهْدِ ضَالَّ الْمُسْلِمِينَ، اللَّهُمَّ رُدِّهِمْ إِلَيْكَ رَدًّا
جَمِيلًا، اللَّهُمَّ ارْفَعْ مَا نَزَلَ مِنَ الْفِتَنِ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِينَا.

عِبَادَ اللَّهِ! ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ
الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [النحل: ٩٠]،

فاذكروا الله العلي العظيم يذكركم، واشكروه على نعمكم يزدكم، ﴿وَلَذِكْرُ
اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

قطع الرحم

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه، ومن سار على نهجه، واقتفى أثره، إلى يوم الدين، وسلم تسليماً كثيراً.

أَمَّا بَعْدُ:

فَاتَّقُوا اللَّهَ مَعْشَرَ الْمُؤْمِنِينَ، ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آلِ عِمْرَانَ: ١٠٢].

مَعَشَرَ الإِخْوَةِ: إن من اللافت في كتاب الله -جل وعلا- كثرة تكرارِ حَقِّ الأَقَارِبِ، فما من حَقٍّ ولا وصايةٍ إلا وذو القربى يأتي متقدماً، قال تعالى: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَنًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ﴾ [النساء: ٣٦]، وَقُرْنَتْ مع أفراد الله بالعبادة والصَّلاة والزَّكاة، كما جاء في الصحيحين عن أَبِي أَيُّوبَ الأنصاريؓ قال: جاء رجلٌ إلى النبيِّ فقال: أخبرني بعمل يدخلني الجنة، قال: «تَعْبُدُ اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصِلُ الرَّحِمَ»^(١).

(١) أخرجه البخاري (٢/ ٥٠٥، رقم ١٣٣٢)، ومسلم (١/ ٤٢، رقم ١٣).

وقد أُمِرَت الأمم قبلنا بِصلة أرحامها، قال سبحانه: ﴿وَإِذَا أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَيَالِ الَّذِينَ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ﴾ [البقرة: ٨٣]، ودعا إلى صلتها نبينا محمدٌ في مطلع نبوته، روى مسلم في صحيحه عن عمرو بن عبسة قال: قدمت مكة أول بعثة النبي، فدخلت عليه فقلت: ما أنت؟ قال: «نبي»، قلت: وما نبي؟ قال: «أرسلني الله»، قلت: بِمَ أرسلك؟ قال: «بِصلة الأرحام وكسر الأوثان، وَأَنْ يُوحَّدَ اللَّهُ»^(١).

وفي الصحيحين حينما سأل هرقل أبا سفيان عن النبي: ما يقول لكم؟ قال: يقول: «اعْبُدُوا اللَّهَ وَحْدَهُ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا»، ويأمرنا بالصلاة والصدق والعفاف والصلة^(٢).

وأمر بها ﷺ أول مقدمه إلى المدينة، كما جاء عند الترمذي عن عبد الله بن سلام قال: لما قدم النبي المدينة أنجفل الناس إليه -أي: ذهبوا إليه- فكان أول شيء سمعته تكلم به أن قال: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَفْشُوا السَّلَامَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَصَلُّوا الْأَرْحَامَ، وَصَلُّوا بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ، تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِسَلَامٍ»^(٣).

نعم، أهل الجنة والإيمان هم الواصلون غير المؤذنين والقاطعين لأقاربهم، روى مسلم في صحيحه عن النبي ﷺ قال: «أَهْلُ الْجَنَّةِ ثَلَاثَةٌ: ذُو سُلْطَانٍ مُّقْسِطٌ، وَرَجُلٌ رَحِيمٌ رَفِيقُ الْقَلْبِ بِكُلِّ ذِي قُرْبَى وَمُسْلِمٍ، وَرَجُلٌ

(١) أخرجه مسلم (١/٥٦٩، رقم ٨٣٢).

(٢) أخرجه البخاري (١/٧، رقم ٧)، ومسلم (٣/١٣٩٣، رقم ١٧٧٣).

(٣) أخرجه الترمذي (٤/٦٥٢، رقم ٢٤٨٥).

عَنِّي عَفِيفٌ مُتَصَدِّقٌ»^(١).

ولهذا جعل الله لأقارب رسول الله حقاً، فقسم لهم في الغنيمة ولو لم يشاركوا في الحرب، وجعل لهم حقاً في المحبة والموالة أكثر من غيرهم، وأوجب الله على الناس أن يؤتوا أقاربهم وينفقوا عليهم، ﴿وَأَتِذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ﴾ [الإسراء: ٢٦].

وأوجب الله على أقارب القاتل خطأ الدية عليهم وهم لم يعملوا شيئاً، وجعل لهم مالكَ الذي تملكه بعد وفاتك، ولا تستطيع أن تمنعهم منه، يقول الشعبي رحمه الله: «ما مات ذو قرابة لي وعليه دينٌ إلا وقضيت عنه دينه»^(٢).

كل هذا وغيره يوجب أن ننظر إلى الأقارب نظرةً مختلفةً عن بقية العلاقات، وبعد هذا إنه لمن العجب أن ترى من يقطع رحمه، ويؤذي أقاربه، ويتسلط عليهم بكل ما يستطيع، وتناسى وصية الله بالأقارب، والله يقول في أول وصية في سورة النساء: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]، أي واتقوا الله في أرحامكم، ثم فصل في هذه السورة العظيمة حقوق الأقارب وكرر الوصية بهم.

ألا يخاف قاطع الرحم ومؤذي أرحامه من لعنة الله؟ نعم، قاطع الرحم ملعونٌ مطرودٌ، قال الله تعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقْطِعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾ [محمد: ٢٢]، فما هو جزاء عملهم؟ ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَرَهُمْ﴾ [محمد: ٢٣].

(١) أخرجه مسلم (٤/٢١٩٧، رقم ٢٨٦٥).

(٢) سير أعلام النبلاء (٤/٢٩٨-٢٩٩).

وتأمل كيف جمع الله بين القطيعة والإفساد في الأرض، فإن من أعظم الفساد في الأرض قطع الأرحام وإيذاءهم، وقد ذكر الله هذا أيضا في كتابه، كما قال: ﴿وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٥].

قاطع الرحم مقطوع من الله، هكذا حكم الله -جل وعلا- جاء في الصحيحين من حديث أبي هريرة، «أَنَّ اللَّهَ قَالَ لِلرَّحِمِ: أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكَ وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكَ؟ قَالَتْ: بَلَى. قَالَ فَذَاكَ لَكَ». ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «اقْرَءُوا إِن شِئْتُمْ: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾ (٢٢) أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَرَهُمْ (٢٣) أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ أَلَمْ يَأْتِ الْفُرَّانَ أَمْرًا عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمد: ٢٢-٢٤]» (١).

أي دين هذا الذي تحرص به على حب الأبعدين وتلمس حاجاتهم وأنت قاطع لرحمك مؤذ لأقاربك؟! أي دين وقريبك يتلوى من ظلمك له ومن فجورك؟! أي دين هذا الذي يجعلك تتمنى الأذية له وشماتة الناس به؟!.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، ﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَنْذَرُ أَتُؤَلِّمُوا الْبُيُوتَ﴾ (١٩) الَّذِينَ يُؤْفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْعَيْثَ (٢٠) وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ﴾ [الرعد: ١٩-٢١].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفَعني وإياكم بما فيه من الآياتِ

(١) أخرجه البخاري (٤/ ١٨٢٨، رقم ٤٥٥٢)، ومسلم (٤/ ١٩٨٠، رقم ٢٥٥٤).

والذكر الحكيم، أقول ما سمعتم، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنبٍ وخطيئة، فاستغفروه، وتوبوا إليه، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله تعظيماً لشانه، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الداعي إلى جنته ورضوانه، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأعوانه.
أَمَّا بَعْدُ:

مَعَشَرَ الإِخْوَةِ: إن الرحم تَتَنُّ في زماننا بسبب فظاعة صور القطيعة، وتُتَوَارَثُ عبر الأجيال، جيلاً بعد جيل، ومن تَسَبَّبَ بها فعلية وزررها ووزر من تبعه بالهجر والقطيعة إلى يوم القيامة؛ لأنه هو من دعا إلى القطيعة والهجر، كيف يرضى المرء أن يُورث لأبنائه وإخوانه وأهله قطيعة الأقارب وبغضهم والتضييق عليهم وتكدير صفوهم؟ كيف يرضى بهذا وهو يؤمن بالله ويؤمن بقدرة الله على إنفاذ وعيده؟! والنبي ﷺ يقول - كما في الصحيحين -: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَاطِعٌ رَحِمٍ»^(١).

قال ابن حجر: (القاطع للرحم منقطع من رحمة الله)^(٢).

(١) أخرجه البخاري (٥/ ٢٢٣١، رقم ٥٦٣٨)، ومسلم (٤/ ١٩٨١، رقم ٢٥٥٦).

(٢) فتح الباري (١٠/ ٤١٨).

وعقوبتها معجّلة في الدنيا قبل الآخرة، يقول النبي ﷺ كما في الترمذي من حديث أبي بكرَةَ عن النبي ﷺ: «مَا مِنْ ذَنْبٍ أَجْدَرُ أَنْ يُعَجَّلَ اللَّهُ لِصَاحِبِهِ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا مَعَ مَا يَدَّخِرُهُ لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْبُغْيِ -أي: الظلم- وَقَطِيعَةِ الرَّحِمِ»^(١).

وهي سببٌ للذلّة والصغار والضعف والتفرّق، مجلبةٌ للهمم والغمّ. قاطعُ الرَّحِم لا يثبت على مؤاخاة، ولا يُرجى منه وفاء، ولا صدقٌ في الإخاء، يشعر بقطيعَةِ الله له، ملاحقٌ بنظرات الاحتقار مهما تلقى من مظاهر التبجيل.

لقد كان الصحابة -رضي الله عنهم- يستوحشون من الجلوس مع قاطعِ الرَّحِم، يقول أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أُخْرِجُ عَلَى كُلِّ قَاطِعِ رَحِمٍ لَمَّا قَامَ مِنْ عِنْدِنَا»^(٢).

وكان ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ جالساً في حلقةٍ بعدَ الصبح فقال: «أَنْشُدُ اللَّهَ قَاطِعِ رَحِمٍ لَمَّا قَامَ عَنَّا فَإِنَّا نُرِيدُ أَنْ نَدْعُو رَبَّنَا، وَإِنَّ أَبْوَابَ السَّمَاءِ مُرْتَجَّةٌ -أي: مغلقة- دُونَ قَاطِعِ الرَّحِمِ»^(٣).

ومن كان بينه وبين رحم له عداوةٌ فليبادِرْ بالصّلة، وليعْفُ وليصفحْ، فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ، إِنَّ ذَوِي الرَّحِمِ غَيْرُ مُعْصِمِينَ، يتعرّضون للزلل، ويقعون في الحلل، وتصدّر منهم الهفوة، ويقعون في الكبيرة، فإن بَدَرَ

(١) أخرجه الترمذي (٤/٦٦٤، رقم ٢٥١١).

(٢) الأدب المفرد (١/٣٥، رقم ٦١).

(٣) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٩/١٥٨، رقم ٨٨١٢).

منهم شيء من ذلك فالزم جانبَ العفوِ معهم، فإنَّ العفوَ من شيمِ المحسنين، وما زاد الله عبدًا بعفوٍ إلا عزًّا، وقابلِ إساءتهم بالإحسان، واقبل عذرهم إذا أخطؤوا، لقد فعل إخوة يوسفَ مع يوسفَ ما فعلوا، وعندما اعتذروا قبل عذرهم وصفح عنهم الصفح الجميل، ولم يوبِّخهم، بل دعا لهم وسأل الله المغفرةَ لهم، قال: ﴿ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ [يوسف: ٩٢].

غُضَّ عن الهفواتِ، واعفُ عن الزَّلَّاتِ، وأقلِّ العثراتِ، تجنِّ الوُدَّ والإخاء واللينَ والصفاءَ، وتتحقَّق فيك الشهامةُ والوفاء. داوم على صلة الرَّحم ولو قطعوا، وبادر بالمغفرة وإن أخطؤوا، وأحسن إليهم وإن أساؤوا، ودع عنك محاسبة الأقربين، ولا تجعل عتابك لهم في قطع رحمتك منهم، وكُن جوادَ النفسِ كريمَ العطاء، وجانبِ الشُّحَّ فإنَّه من أسباب القطيعة، كما جاء في مسند أحمد أن النبي ﷺ قال: «إِيَّاكُمْ وَالشُّحَّ؛ فَإِنَّ الشُّحَّ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ؛ أَمَرَهُمْ بِالْبُخْلِ فَبَخِلُوا، وَأَمَرَهُمْ بِالظُّلْمِ فَظَلَمُوا، وَأَمَرَهُمْ بِالْقَطِيعَةِ فَقَطَعُوا»^(١).

واعلموا أن الصَّلَاةَ دَرَجَاتٌ بَعْضُهَا أَرْفَعُ مِنْ بَعْضٍ، وَأَدْنَاهَا تَرَكُّ الْمُهَاجِرَةِ، وَصِلَتُهَا بِالْكَلامِ وَلَوْ بِالسَّلَامِ، وَيَخْتَلِفُ ذَلِكَ بِاخْتِلَافِ الْقُدْرَةِ وَالْحَاجَةِ، فَمِنْهَا وَاجِبٌ، وَمِنْهَا مُسْتَحَبٌّ، وَلَوْ وَصَلَ بَعْضُ الصَّلَاةِ وَلَمْ يَصِلْ غَايَتُهَا لَا يُسَمَّى قَاطِعًا.

(١) أخرجه أحمد (٢/ ١٩١، رقم ٦٧٩٢).

ثُمَّ صَلُّوا وَسَلِّمُوا عَلَى رَسُولِ الْهُدَى، وَإِمَامِ الْوَرَى، فَقَدْ أَمَرَكُمْ رَبُّكُمْ
فَقَالَ - جَل وَعَلَا -: ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٥٦]، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى نَبِيِّنَا
مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ، وَارْضَ اللَّهُمَّ عَنِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ،
وَالْأَئِمَّةِ الْمُهَدِّينَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَلِيٍّ، وَعَنِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ، وَعَنَّا
مَعَهُمْ بِعَفْوِكَ وَكَرَمِكَ يَا أَكْرَمَ الْأَكْرَمِينَ.

اللَّهُمَّ أَعِزَّ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَانصِرْ عِبَادَكَ الْمُوَحِّدِينَ الَّذِينَ يَجَاهِدُونَ
فِي سَبِيلِكَ فِي كُلِّ مَكَانٍ، اللَّهُمَّ انصِرْهُمْ عَلَى عَدُوِّكَ وَعَدُوِّهِمْ، اللَّهُمَّ عَلَيْكَ
بِالْيَهُودِ الْمُعْتَدِينَ، وَالنَّصَارَى الْمُحَارِبِينَ، اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِهِمْ؛ فَإِنَّهُمْ لَا
يَعْجِزُونَكَ، اللَّهُمَّ أَحْصِهِمْ عَدَدًا.

اللَّهُمَّ آمِنَّا فِي أَوْطَانِنَا، وَأَصْلِحْ أَيْمَتَنَا وَوُلاةَ أُمُورِنَا، اللَّهُمَّ وَفِّقْهُمْ لِمَا
يَرْضِيكَ، وَجَنِّبْهُمْ مَعَاصِيكَ.

اللَّهُمَّ تَبْ عَلَى التَّائِبِينَ، وَاهْدِ ضَالَّ الْمُسْلِمِينَ، اللَّهُمَّ رُدِّهِمْ إِلَيْكَ رَدًّا
جَمِيلًا، اللَّهُمَّ ارْفَعْ مَا نَزَلَ مِنَ الْفِتَنِ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِينَا.

عِبَادَ اللَّهِ! ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ
الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [النحل: ٩٠]،
فَاذْكُرُوا اللَّهَ الْعَلِيَّ الْعَظِيمَ يَذْكُرْكُمْ، وَاشْكُرُوهُ عَلَى نِعَمِكُمْ يَزِدْكُمْ، ﴿ وَلَذِكْرُ
اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

فتنة اللسان

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يضلِّل فلا هاديَّ له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه، ومن سار على نهجه، واقتفى أثره، إلى يوم الدين، وسلم تسليمًا كثيرًا.

أَمَّا بَعْدُ:

فأوصيكم ونفسي بتقوى الله -جَلَّ وَعَلَا- فقد قال تبارك وتعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الحشر: ١٨].

إخوتي في الله: قد لا يتصور المرء أن هناك علاقة وثيقة بين الكلام وبين العمل، فمتى صلح المنطق والقول صلح العمل، تأملوا هذه العلاقة في آية تكشف هذا المعنى وتبينه، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ۖ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

فتأمل قوله: ﴿وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾، فالأمر بالقول السديد، والنتيجة صلاح العمل، فقال: ﴿يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ﴾ فجعل صلاح العمل متوقفًا على سداد القول.

قال النسفي في تفسيره: (والمعنى راقبوا الله في حفظ ألسنتكم وتسديد قولكم، فإنكم إن فعلتم ذلك أعطاكم ما هو غاية الطلبة من تقبل حسناتكم والإثابة عليها، ومن مغفرة سيئاتكم وتكفيرها)^(١).

كم هي نتيجة عظيمة حينما تحافظ على لسانك، فلا يقول إلا خيرًا سديدًا، ثم ينتج عنه صلاح العمل، والتوفيق في قبوله، وهذا معنى قول النبي ﷺ في الحديث الذي رواه الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ»^(٢).

وهذا المعنى وهو أن صلاح العمل مشروط بصلاح القول والسداد فيه متوافر عند السلف، قال يونس بن عُبيد: «ما رأيت أحدًا لسانه منه على بالٍ إلا رأيت ذلك صلاحًا في سائر عمله»^(٣).

وقال يحيى بن أبي كثير: «ما صلح منطق رجلٍ إلا عرفت ذلك في سائر عمله، ولا فسد منطق رجلٍ قطُّ إلا عرفت ذلك في سائر عمله»^(٤).

وقال المبارك بن فضالة، عن يونس بن عُبيد: «لا تجد شيئًا من البرِّ واحدًا يتبعه البرُّ كله غير اللسان، فإنك تجد الرجل يصومُ النهار، ويفطر على حرام، ويقومُ الليل ويشهد بالزور بالنهار - وذكر أشياء نحو هذا - ولكن لا تجده لا يتكلم إلا بحق فيُخالف ذلك عمله أبدًا»^(٥).

(١) تفسير النسفي (٣/ ٣١٧).

(٢) أخرجه البخاري (٥/ ٢٢٤٠، رقم ٥٦٧٢)، ومسلم (١/ ٦٨، رقم ٤٧).

(٣) جامع العلوم والحكم (١/ ٢٧٥).

(٤) حلية الأولياء (٣/ ٦٨).

(٥) صفوة الصفوة (٢/ ١٨٠).

وقال الحسن: «اللسانُ أميرُ البدنِ، فإذا جَنَى على الأعضاء شيئاً جَنَتْ، وإذا عَفَّ عَفَّتْ»^(١).

هذا يدلُّ على أنَّ كَفَّ اللسان أو ضبطه بصلاح القول هو أصلُ الخير كُلِّه، وأنَّ من ملكَ لسانه، فقد ملكَ أمره وأحكمه وأصلحَ عمله.

وقد جاء هذا صريحاً في مسند الإمام أحمد من حديث أنس، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: «لَا يَسْتَقِيمُ إِيْمَانُ عَبْدٍ حَتَّى يَسْتَقِيمَ قَلْبُهُ، وَلَا يَسْتَقِيمُ قَلْبُهُ حَتَّى يَسْتَقِيمَ لِسَانُهُ»^(٢).

بل تأملوا ما جاء في جامع الترمذي عن أبي سعيد الخدري مرفوعاً وموقوفاً: «إِذَا أَصْبَحَ ابْنُ آدَمَ، فَإِنَّ الْأَعْضَاءَ كُلَّهَا تُكْفَرُ اللِّسَانَ، فَتَقُولُ: اتَّقِ اللَّهَ فِينَا، فَإِنَّا نَحْنُ بِكَ، فَإِنْ اسْتَقَمَّتْ اسْتَقَمْنَا، وَإِنْ اعْوَجَجَتْ اعْوَجَجْنَا»^(٣).

فتأمل قوله: «الأعضاء كلها»، شمولٌ لجميع الأعضاء، «تكفر اللسان» أي تذلل وتخضع له من قولهم كفر اليهودي إذا خضع وطأ رأسه وانحنى لتعظيم صاحبه.

قال ابنُ بُرَيْدَةَ: «رَأَيْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ آخِذاً بِلِسَانِهِ وَهُوَ يَقُولُ: وَيُحْكُ، قُلْ خَيْرًا تَغْنَمُ، أَوْ اسْكُتْ عَنْ سُوءٍ تَسْلَمُ، وَإِلَّا فَاَعْلَمْ أَنَّكَ سَتَنْدَمُ، قَالَ: فَقِيلَ لَهُ: يَا ابْنَ عَبَّاسٍ، لِمَ تَقُولُ هَذَا؟ قَالَ: إِنَّهُ بَلَّغَنِي أَنَّ الْإِنْسَانَ - أَرَاهُ قَالَ - لَيْسَ

(١) جامع العلوم والحكم (١/ ٢٧٥).

(٢) أخرجه أحمد (٣/ ١٩٨، رقم ١٣٠٧١).

(٣) أخرجه الترمذي (٤/ ٦٠٥، رقم ٢٤٠٧).

عَلَى شَيْءٍ مِنْ جَسَدِهِ أَشَدُّ حَنْقًا أَوْ غَيْظًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْهُ عَلَى لِسَانِهِ، إِلَّا مَنْ قَالَ بِهِ خَيْرًا، أَوْ أَمَلَى بِهِ خَيْرًا^(١).

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، ﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرْكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ضِعْفًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [النساء: ٩].

بَارَكَ اللَّهُ لِي وَلَكُمْ فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، وَنَفَعَنِي وَإِيَّاكُمْ بِمَا فِيهِ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ، أَقُولُ مَا سَمِعْتُمْ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ لِي وَلَكُمْ وَلِسَائِرِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ وَخَطِيئَةٍ، فَاسْتَغْفِرُوهُ، وَتَوَبُوا إِلَيْهِ، إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ.

الخطبة الثانية:

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله تعظيماً لشانه، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الداعي إلى جنته ورضوانه، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأعوانه.

أَمَّا بَعْدُ:

أيها المسلمون: إن فتنة القول داءٌ قاتلٌ مميتٌ، فكيف إذا كان المرء غارقاً في القول وإكثار التنظير، والذي يكون على حساب صلاح العمل، ولهذا قال النبي ﷺ كما في صحيح ابن حبان: «إِنَّ أَبْغَضَكُمْ إِلَى اللَّهِ وَأَبْعَدَكُمْ مِنِّي

(١) جامع العلوم والحكم (١/ ٢٧٥).

الْثَّرَّارُونَ الْمُتَفَيِّهُونَ الْمُتَشَدِّقُونَ»^(١).

ولهذا جاء في صحيح البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ اللَّهَ كَرِهَ لَكُمْ ثَلَاثًا قِيلَ وَقَالَ...»^(٢) الحديث.

ومعنى قيل وقال: هو التوسع بالكلام وكثرته، ومن صفاته صلى الله عليه وسلم أنه يتكلم بما يحصل به البلاغ.

وجاء في الصحيحين في وصفه أنه: لَوْ عَدَّهُ الْعَادُّ لَأَحْصَاهُ^(٣)، وَكَانَتْ خُطْبَتُهُ قَصْدًا^(٤)، كما في صحيح مسلم.

فبينما المتكلم منشغل بحديثه وجداله المبني على الظنون وعلى الهوى، إذا هو قد حُجِبَ عن العمل الصالح وقبوله ومغفرة الذنوب، قال الحسنُ البَصْرِيُّ واصفاً لهم: «هَؤُلَاءِ قَوْمٌ مَلَّوْا الْعِبَادَةَ، وَخَفَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ، وَقَلَّ وَرَعُهُمْ فَتَكَلَّمُوا»^(٥).

إن واقعنا المعاصر امتلأ بالحديث الباطل، فمرة لَمَّازًا ومرة هَمَازًا، ومرة مُفْتِيًا بالباطل ومرة مُفْسِدًا بين الناس، ماشيًا بالفساد بين الإخوة والأقارب، أو بين الأمة وعلماؤها، أترى هذا يُصْلِحُ اللهُ له العملَ ويقبله منه، وينال مغفرة الذنوب، لا يجتمعان.

(١) أخرجه ابن حبان (٢/٢٣١، رقم ٤٨٢).

(٢) أخرجه البخاري (٢/٥٣٧، رقم ١٤٠٧).

(٣) أخرجه البخاري (٣/١٣٠٧، رقم ٣٣٧٤)، ومسلم (٤/٢٢٩٨، رقم ٢٤٩٣).

(٤) أخرجه مسلم (٢/٥٩١، رقم ٨٦٦).

(٥) حديث أبي الفضل الزهري (٢/١٦، رقم ٥١٥).

ومن المفارقات العجيبة أن السلف كانوا يخافون من فتنة القول أكثر مما يخافون من فتنة الصمت والسكوت، بينما واقعنا ليس فقط يعكسها بل أحياناً يعلم أن السكوت أنفع وأسلم، ولكنه لا يقدر على ذلك وكأنه يؤزُّ أزا على القول غير السديد.

فدعوة إلى ترشيد القول والكلام بما ينفع، جاء عند ابن حبان في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «الْبَيَانُ مِنَ اللَّهِ، وَالْعِيُّ مِنَ الشَّيْطَانِ، وَلَيْسَ الْبَيَانُ بِكَثْرَةِ الْكَلَامِ، وَلَكِنَّ الْبَيَانَ الْفَصْلُ فِي الْحَقِّ، وَلَيْسَ الْعِيُّ قِلَّةُ الْكَلَامِ، وَلَكِنَّ مِنْ سَفَهَةِ الْحَقِّ»^(١).

ثُمَّ صَلُّوا وَسَلِّمُوا عَلَى رَسُولِ الْهُدَى، وإمام الورى، فقد أمركم ربكم فقال -جل وعلا-: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]، اللهم صل وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وارض اللهم عن الخلفاء الراشدين، والأئمة المهديين أبي بكر وعمر وعثمان وعلي، وعن الصحابة أجمعين، وعننا معهم بعفوك وكرمك يا أكرم الأكرمين.

اللهم أعز الإسلام والمسلمين، وانصر عبادك الموحدين الذين يجاهدون في سبيلك في كل مكان، اللهم انصرهم على عدوك وعدوهم، اللهم عليك باليهود المعتدين، والنصارى المحاربين، اللهم عليك بهم؛ فإنهم لا يعجزونك، اللهم أحصهم عدداً.

(١) أخرجه ابن حبان (١٣/١١٣)، رقم (٥٧٩٦).

اللَّهُمَّ آمِنًا فِي أَوْطَانِنَا، وَأَصْلِحْ أَيْمَتَنَا وَوُلَاةَ أُمُورِنَا، اللَّهُمَّ وَفِّقْهُمْ لِمَا يَرْضِيكَ، وَجَنِّبْهُمْ مَعَاصِيكَ.

اللَّهُمَّ تَبْ عَلَى التَّائِبِينَ، وَاهْدِ ضَالَّ الْمُسْلِمِينَ، اللَّهُمَّ رُدِّهِمْ إِلَيْكَ رَدًّا جَمِيلًا، اللَّهُمَّ ارْفَعْ مَا نَزَلَ مِنَ الْفِتَنِ.

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِينَا.

عباد الله! ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَنِ وَإِيتَايِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠]،
فاذكروا الله العلي العظيم يذكركم، واشكروه على نعمكم يزدكم، ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

سلامة الصدر

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه، ومن سار على نهجه، واقتفى أثره، إلى يوم الدين، وسلم تسليماً كثيراً.

أَمَّا بَعْدُ:

فأوصيكم ونفسي بتقوى الله - جَلَّ وَعَلَا -، ﴿وَيَحْذَرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ [آل عمران: ٣٠].

معشر الإخوة: إذا أراد أهل الجنة دخول الجنة - نسأل الله أن يجعلنا منهم - أعطاهم الله نعمة عظيمة؛ لِيَتِمَّ لَهُمُ الْهَنَاءُ وَالسَّعَادَةُ، قال الله تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ﴾ [الأعراف: ٤٣]، وقال تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾ (٤٧) لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿ [الحجر: ٤٧-٤٨]، فتبقى قلوبهم سالمة من كل دغل^(١) وحسد، متصافية متحابّة، فبهذا يأمنون من التّحاسد والتّباغض؛

(١) عيب. المعجم الوسيط (دغل).

لأنَّ اللهَ قد نزع من قلوبهم الغِلَّ، وما أَجْمَلَ هذا التَّعْبِيرَ في الموضعين بقوله: ﴿وَنَزَعْنَا﴾، والنَّزْعُ: هو استِخْرَاجُ الحَقْدِ الكامنِ في الصدر، ولهذا وصفهم بأنهم متقابلون، فقال: على سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ مِنْ شِدَّةِ حُبِّهِمْ وصفاء قلوبِهِمْ وَحُسْنِ أَدَبِهِمْ فيما بينهم في كَوْنِ كُلِّ مِنْهُمْ مقابلاً للآخر لا مستدبراً له.

فلا أَرْوَحَ للمرء ولا أَطْرَدَ لهُمُومِهِ، وَلَا أَقَرَّ لِعَيْنِهِ مِنْ أَنْ يَعِيشَ سَلِيمَ الْقَلْبِ مُبْرَأً مِنْ وَسَاوِسِ الضَّغِينَةِ وَثَوَرَانِ الْأَحْقَادِ، وبذلك يحيا المسلمُ ناصعَ الصفحة، مُسْتَرِيحَ القلب والنفس من نَزَغَاتِ الحقد الأعمى، فَإِنَّ فَسَادَ القلب بالضَّغَائِنِ دَاءٌ مُعِ عُضَالٌ^(١)، وَمَا أَسْرَعَ أَنْ يَتَسَرَّبَ الإِيْمَانُ مِنَ القلب المغشوش كما يتسرب الماء من الإناء المثلوم، والقلبُ الْأَسْوَدُ يُفْسِدُ الْأَعْمَالَ الصالحة، وَيَطْمِسُ بَهْجَتَهَا، وَيَعَكِّرُ صَفْوَهَا.

وأما قلوب المؤمنين فهي رقيقة مألوفة كما جاء في صحيح مسلم عن أبي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «يَدْخُلُ الْجَنَّةَ أَقْوَامٌ أَفْنَدْتُهُمْ مِثْلُ أَفْنَدَةِ الطَّيْرِ»^(٢). قال شُرَاحُ الحديث: وَتَشْبِيهُهُ بِأَفْنَدَةِ الطَّيْرِ بِسَبَبِ رِقَّتِهَا وَعَدَمِ انْزِعَاجِ النَّاسِ مِنْهَا، وَإِنَّ مِنْ دُعَاءِ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ ﷺ: ﴿وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ﴾^(٣) يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ^(٤) إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿[الشعراء: ٨٧-٨٩].

وكان من دُعَاءِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ دُبُرِ الصلاة، كما عند أحمد في مسنده: «أَسْأَلُكَ قَلْبًا سَلِيمًا»^(٥).

(١) لا طب له. المعجم الوسيط (عضل).

(٢) أخرجه مسلم (٤/٢١٨٣، رقم ٢٨٤٠).

(٣) أخرجه أحمد (٤/١٢٣، رقم ١٧١٥٥).

وقد امتدَحَ الله تعالى الأنصار بأنهم لا يجدون في صدورهم حاجةً مما أُوتِيَ غيرهم، لا حسداً ولا غيرهً ولا غلاً.

قال الفضيل بن عياض رحمه الله: «مَا أَدْرَكَ عِنْدَنَا مَنْ أَدْرَكَ بِكَثْرَةِ نَوَافِلِ الصَّلَاةِ وَالصَّيَامِ، وَإِنَّمَا أَدْرَكَ عِنْدَنَا بِسَخَاءِ الْإِنْفُسِ وَسَلَامَةِ الصُّدُورِ وَالنُّصْحِ لِلْأُمَّةِ»^(١).

وروى ابن ماجه وغيره، أَنَّهُ قِيلَ لِلنَّبِيِّ: أَيُّ النَّاسِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «كُلُّ مُحْمُومٍ الْقَلْبِ صَدُوقِ اللِّسَانِ»، قَالُوا: صَدُوقُ اللِّسَانِ نَعْرِفُهُ، فَمَا مُحْمُومُ الْقَلْبِ؟ قَالَ: «هُوَ التَّقِيُّ النَّقِيُّ، لَا إِثْمَ فِيهِ وَلَا بَغْيٍ، وَلَا غِلٍّ وَلَا حَسَدٍ»^(٢).

إِنَّ سَلَامَةَ الصَّدْرِ وَصَلَاحَ ذَاتِ الْبَيْنِ أَمْرٌ مِنْ لَوَازِمِ التَّقْوَى؛ وَهَذَا قَرَنَ اللَّهُ ﷻ بَيْنَهُمَا فِي قَوْلِهِ: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ [الأنفال: ١].

إِنَّ الْخُصُومَةَ إِذَا نَمَتْ وَغَارَتْ جَدُورَهَا وَتَفَرَّعَتْ أَشْوَاقُهَا شَلَّتْ شَجَرَةَ الْإِيمَانِ الْغَضُّ، وَعِنْدُئذٍ لَا يَكُونُ فِي أَدَاءِ الْعِبَادَاتِ الْمَفْرُوضَةِ خَيْرٌ، وَلَا تَسْتَفِيدُ النَّفْسُ مِنْهَا، وَكَثِيرًا مَا تَطْيِشُ الْخُصُومَةُ بِالْبَابِ ذَوِيهَا فَتَسَدُّ لَهُمْ إِلَى اقْتِرَافِ الصَّغَائِرِ الْمُسْقِطَةِ لِلْمُرُوءَةِ، وَالْكِبَائِرِ الْمَوْجِبَةِ لِلْعَنَةِ، وَعَيْنُ السُّخْطِ تَنْظُرُ دَائِمًا مِنْ زَاوِيَةِ مُظْلَمَةٍ؛ فَهِيَ تَعْمَى عَنِ الْمَحَاسِنِ وَتُضَخِّمُ الرِّذَائِلَ، وَقَدْ يُذْهِبُهَا الْحِقْدُ إِلَى التَّخِيلِ وَافْتِرَاضِ الْأَكَاذِيبِ، وَقَدْ رَوَى التِّرْمِذِيُّ فِي جَامِعِهِ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلِ مَنْ دَرَجَةِ الصَّيَامِ وَالصَّلَاةِ

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان، رقم (١٠٨٩١).

(٢) أخرجه ابن ماجه (٢/١٤٠٩)، رقم (٤٢١٦).

وَالصَّدَقَةُ؟ قَالُوا: بَلَى، قَالَ: «إِصْلَاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ؛ فَإِنَّ فَسَادَ ذَاتِ الْبَيْنِ هِيَ الْحَالِقَةُ، لَا أَقُولُ تَخْلُقُ الشَّعْرَ وَلَكِنْ تَحْلُقُ الدِّينَ»^(١).

وَرُويَ فِي الْأَثَرِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «أَلَا أُنبِئُكُمْ بِشَرِّ أَرْكَمٍ؟ قَالُوا: بَلَى، قَالَ: «إِنَّ شَرَّ أَرْكَمٍ الَّذِي يَنْزِلُ وَخَدُهُ، وَيَجْلِدُ عَبْدَهُ، وَيَمْنَعُ رِفْدَهُ، أَفَلَا أُنبِئُكُمْ بِشَرِّ مِنْ ذَلِكَ؟ قَالُوا: بَلَى، قَالَ: «مَنْ يُبْغِضُ النَّاسَ وَيُبْغِضُونَهُ»، ثُمَّ قَالَ: «أَفَلَا أُنبِئُكُمْ بِشَرِّ مِنْ ذَلِكَ؟ قَالُوا: بَلَى، قَالَ: «الَّذِينَ لَا يَقْبَلُونَ عَثْرَةً وَلَا يَقْبَلُونَ مَعْدِرَةً، وَلَا يَغْفِرُونَ ذَنْبًا»، قَالَ: «أَفَلَا أُنبِئُكُمْ بِشَرِّ مِنْ ذَلِكَ؟ قَالُوا: بَلَى، قَالَ: «مَنْ لَا يُرْجَى خَيْرُهُ وَلَا يُؤْمَنُ شَرُّهُ»^(٢). إِنَّهَا أَطْوَارُ الْحَقْدِ عِنْدَمَا تَتَضَاعَفُ عِلَّتُهُ وَتَقْتَضِحُ سَوَاءُهَا.

بَارَكَ اللَّهُ لِي وَلَكَ فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، وَنَفَعَنِي وَإِيَّاكُمْ بِمَا فِيهِ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ، أَقُولُ مَا سَمِعْتُمْ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ لِي وَلَكُمْ وَلِسَائِرِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ وَخَطِيئَةٍ، فَاسْتَغْفِرُوهُ وَتُوبُوا إِلَيْهِ، إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ.

الخطبة الثانية:

الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى إِحْسَانِهِ، وَالشُّكْرُ لَهُ عَلَى تَوْفِيقِهِ وَامْتِنَانِهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، تَعْظِيمًا لَشَأْنِهِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، الدَّاعِي إِلَى جَنَّتِهِ وَرِضْوَانِهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَأَعْوَانِهِ.

(١) أخرجه الترمذي (٤/٦٦٣، رقم ٢٥٠٩).

(٢) أخرجه الطبراني في معجمه الكبير (١٠/٣١٨، رقم ١٠٧٧٥).

أَمَّا بَعْدُ:

معشر الإخوة: وصف ابن القيم رحمته الله القلبَ السليم فقال: (القلبُ السليمُ هو الذي سَلِمَ من الشُّركِ والغِلِّ والحِقْدِ والحَسَدِ والشُّحِّ، والكِبَرِ وحبِّ الدنيا والرئاسة)^(١).

إن سلامة القلب والصدر ليست السداجة والضعف، ليست القلب الذي يسهل غشه وخداعه والضحك عليه، ولا يعرف الخير من الشر، إن سلامة القلب كما قال ابن تيمية رحمته الله: (القلب السليم المحمود هو الذي يريد الخير لا الشر، ومأل ذلك بأن يعرف الخير والشر، فأما مَنْ لا يعرف الشر فذاك نقص فيه لا يمدح به)^(٢).

إن ديننا الحنيف ليتحسس نفوس الناس بين الفينة والأخرى ليغسلها بالماء الزلال من أدران الغشش ودخنه، وليذكي فيها مشاعر الزكاء والنقاء تجاه الناس والمجتمع، ومن أعظم هذا التحسس المقرر هي تلك المتابعة المتكررة في كل أسبوع مرتين، والتي تجعل من المرء حكماً على نفسه؛ ليصحح ما به من خلل، ويتدارك ما بقي أمامه من شعور، يتمثل ذلكم في قول النبي، كما في صحيح مسلم: «تُعْرَضُ الْأَعْمَالُ فِي كُلِّ اثْنَيْنِ وَخَمِيسٍ، فَيَغْفِرُ اللَّهُ ﷻ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ لِكُلِّ امْرِئٍ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا إِلَّا أَمْرًا كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ شَحْنَاءٌ، فَيَقُولُ: اتْرُكُوا هَٰذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا»^(٣).

(١) الجواب الكافي (١/ ٨٤).

(٢) الفتاوى الكبرى (٥/ ٢٦٤).

(٣) أخرجه مسلم (٤/ ١٩٨٧، رقم ٢٥٦٥).

ومن أعظم أسباب سلامة الصدر أن يُروّض المسلم نفسه على الرضا بما قسم الله وما رزق وقضى وقدر، وإذا تذكّر المسلم ثواب الله ورفعة الدرجات لمن طهر قلبه، وأدرك ما يعود عليه من الخير في العاجل والآجل هان عليه ما يلقيه وتحمل وصبر، ولا شك أن هذا يحتاج إلى ترويض نفس ومجاهدة، والله تعالى يقول: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت: ٦٩].

ومن أعظم أسبابه العفو والصفح ومقابلة الإساءة بالإحسان، فإنها تعود على قلب صاحبها بالسكينة والطمأنينة وهدأة النفس وراحة البال، وقد قال الله ﷻ في وصف أهل الجنة: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٣٤]، وقال سبحانه: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت: ٣٤].

ومن أعظم أسبابه الاعتياد على البشر وطلاقة الوجه والتبسم في وجه أخيك المسلم، ومع أنه صدقة فإنه أيضا يطيب النفوس ويقارب الأرواح ويشيع روح الإخاء والمحبة وينشر الثقة والأمان،

أليق أن يعظم الحقد بين الابن ووالده أو والدته، أتستحق هذه الحياة الدنية أن توغر الصدور بين الإخوة والأخوات وأبناء الأعمام.

ثم صلّوا وسلّموا على رسول الهدى وإمام الورى، فقد أمركم ربكم فقال جلّ وعلا: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ، وَارْضَ
اللَّهُمَّ عَنِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ وَالْأَئِمَّةِ الْمُهَدِّينَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعِثْمَانَ وَعَلِيٍّ،
وَعَنِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ، وَعَنَّا مَعَهُمْ بِعَفْوِكَ وَكَرَمِكَ يَا أَكْرَمَ الْأَكْرَمِينَ.

اللَّهُمَّ أَعِزِّ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَانصُرْ عِبَادَكَ الْمُوَحِّدِينَ الَّذِينَ يَجَاهِدُونَ
فِي سَبِيلِكَ فِي كُلِّ مَكَانٍ، اللَّهُمَّ انصُرْهُمْ عَلَى عَدُوِّكَ وَعَدُوِّهِمْ، اللَّهُمَّ عَلَيْكَ
بِالْيَهُودِ الْمُعْتَدِينَ وَالنَّصَارَى الْمُحَارِبِينَ، اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِهِمْ فَإِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَكَ،
اللَّهُمَّ أَحْصِهِمْ عَدَدًا.

اللَّهُمَّ آمِنَّا فِي أَوْطَانِنَا وَأَصْلِحْ أُمَمَتَنَا وَوُلاةَ أُمُورِنَا، اللَّهُمَّ وَفِّقْهُمْ لِمَا
يُرْضِيكَ، وَجَنِّبْهُمْ مَعَاصِيكَ، اللَّهُمَّ ثُبْ عَلَى التَّائِبِينَ، وَأَهْدِ ضَالَّ الْمُسْلِمِينَ،
اللَّهُمَّ رُدَّهُمْ إِلَيْكَ رَدًّا جَمِيلًا، اللَّهُمَّ ارْفَعْ مَا نَزَلَ مِنَ الْفِتَنِ.

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا وَلِوَلَدِنَا.

عِبَادَ اللَّهِ، إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى، وَيَنْهَى عَنِ
الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ، يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ، فَادْكُرُوا اللَّهَ الْعَلِيِّ الْعَظِيمَ
يَذْكُرْكُمْ، وَاشْكُرُوهُ عَلَى نِعَمِكُمْ يَزِدْكُمْ، وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا
تَصْنَعُونَ.

سحرة موسى

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضِلِّ اللهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه، ومن سار على نهجه، واقتفى أثره، إلى يوم الدين، وسلم تسليمًا كثيرًا.

أَمَّا بَعْدُ:

فأوصيكم ونفسي بتقوى الله ﷻ فهي العروة الوثقى، والوصية الأقوى، وهي الفوز الحقيقي في الأولى والأخرى.

إخوة الإسلام: من أكثر المواقف التي كررها الله في كتابه موقفُ سحرة فرعون مع موسى وفرعون، هو حقيقٌ أن يتأمل وأن يعتبرَ منه، كانوا في مكانتهم بين قومهم وشهرتهم بين الناس، وغناهم في قصورهم وممتلكاتهم، وكانوا أخصَّ السحرة وأعلمهم بالسحر في مملكة اشتهرت بالسحر والشعوذة، حتى إن فرعون أرسل في المدائن والأقاليم ليحشروا السحرة إليه، وقال ايتوني بكل سحارٍ عليم؛ أي البالغ في سحرة مبلغًا عظيمًا.

فلما جاء السحرة وهم لا يترددون أن سحرهم هو الغالب المنتصر، بل

وصف الله ذلك بقوله: ﴿وَجَاءُوا بِسِحْرِ عَزِيمٍ﴾ [الأعراف: ١١٦]، فلما جاءوا فمن ثقتهم بأنفسهم أنهم شارطوا فرعون على الأجرة، ووعدهم أنهم إن غلبوا موسى ليشينهم وليعطينهم عطاءً جزيلاً، وعدهم ومنّاهم أن يعطيهم ما أرادوا ويجعلهم من جلسائه والمقربين عنده.

فلما جاء موعد المغالبة والمبارزة، واحتشد الناس لها، وانتشرت الأخبار بموعدها، وصارت حديث الناس حتى علّمها الصغير والكبير، وفي ضحى يوم الزينة تلاقى الحق والباطل، والناس محتشدة متطلعة؛ رجلٌ واحدٌ أمام فِئام من السحرة المشعوذة، رجلٌ واحدٌ يقف أمام قوى الشر الإنسية والشیطانية.

فاجتمع الإنس والجن ليرَوْا حقيقة موسى، فقالوا بكل تكبرٍ وتغطرسٍ وتألٍ وعدم مبالة: هل نلقى أو تكون أول من ألقى؟ فلا فرق عندنا، فقال لهم موسى ﷺ: ألقوا أنتم أولاً، وقد قيل بأن الله حكمة في هذا، والله أعلم، ليرى الناس صنيعهم ويتأملوا، فإذا فرغوا من بهرجهم وسحرهم جاءهم الحق الواضح الجلي بعد التطلب له والانتظار منهم لمجيئه، فيكون أوقع في النفوس، وكذا كان، ولهذا قال تعالى: ﴿قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ﴾ وقال تعالى: ﴿قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِجَابُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى﴾ (١٦) فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةُ مُوسَى ﴿[طه: ٦٦-٦٧].

فلما امتلأت نفوس الناس خوفاً وخشيةً من هؤلاء وسحرهم ألقى موسى عصاه، فإذا هي تَلْقَفُ حِجَابَهُمْ وَعِصِيُّهُمْ لَقْفًا والناس ينظرون.

قال ابن عباس: «فَجَعَلْتُ لَا تَمُرُّ بِشَيْءٍ مِنْ حِبَالِهِمْ وَلَا مِنْ خَشَبِهِمْ إِلَّا التَّقَمُّتُهُ، فَعَرَفَ السِّحْرَةَ أَنَّ هَذَا شَيْءٌ مِنَ السَّمَاءِ، لَيْسَ هَذَا بِسِحْرٍ، فَخَرُوا سُجَّدًا وَ﴿قَالُوا أَمَّا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (٤٧) رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ﴿[الشعراء: ٤٧-٤٨]﴾»^(١).

وقالوا لو كان هذا ساحرًا ما غلبنا، فسجدوا لله رب العالمين أمام الناس وأمام فرعون.

فغضب فرعون ووقعت له هزائم عدة، فالناس ينظرون ولا يقدر على الانتصار، والسحرة الأقوياء أصبحوا مؤمنين، وتلاشت شعارات الربوبية والقوة والسطوة له، ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكْرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ (١٢٣) لَأُفْطِنَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خَلْفٍ ثُمَّ لَأُصْلِبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٢٤﴾ قَالُوا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا نُنْقِمُ مِنْهَا إِلَّا أَنْ ءَامَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْ رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴿[الأعراف: ١٢٣-١٢٦]﴾.

فتأمل عتاب فرعون، لم يقل كيف آمنتم وهو على باطل، بل لهول المصيبة قال قبل أن آذن، فهددهم بالقتل والتعذيب.

قال السعدي رحمه الله معلقًا على قوله: ﴿قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ﴾: (كان الخبيث حاكمًا مستبدًا على الأبدان والأقوال، قد تقرر عنده وعندهم أن قوله هو المطاع، وأمره نافذ فيهم، ولا خروج لأحد عن قوله وحكمه، وبهذه الحالة تَنَحَّطُ الأُمَمُ وتضعف عقولها ونفوذها، وتعجز عن المدافعة عن حقوقها،

(١) تفسير ابن كثير (٢/ ٣١٧).

ولهذا قال الله عنه: ﴿فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ، فَأَطَاعُوهُ﴾ [الزخرف: ٥٤]، وقال هنا: ﴿ءَامَنُتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ﴾ [الأعراف: ١٢٣]، أي: فهذا سوء أدب منكم وتجروؤٌ عليّ^(١).

وقالوا لفرعون: ﴿فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ (٧٢) إِنَّا ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطِيئَتَنَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى (٧٣) إِنَّهُ، مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ، مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى (٧٤) وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى ﴿طه: ٧٢-٧٥﴾، فكانوا في أول النهار سحرةً، فصاروا في آخره شهداءً بَرَّةً.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، ﴿قَالُوا لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ﴾ (٥٠) إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطِيئَتَنَا أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿الشعراء: ٥٠-٥١﴾.

بَارَكَ اللَّهُ لِي وَلَكُمْ فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، وَنَفَعَنِي وَإِيَّاكُمْ بِمَا فِيهِ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ، أَقُولُ مَا سَمِعْتُمْ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ لِي وَلَكُمْ وَلِسَائِرِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ وَخَطِيئَةٍ، فَاسْتَغْفِرُوهُ، وَتُوبُوا إِلَيْهِ، إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ.

الخطبة الثانية:

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله تعظيماً لشانه، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الداعي إلى جنته ورضوانه، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأعوانه.

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (١/ ٣٠٠).

أَمَّا بَعْدُ:

مَعَشَرَ الإِخْوَةِ: إِنَّ مِنْ أَعْظَمِ الْفَوَائِدِ الَّتِي نَسْتَخْلَصُهَا مِنْ هَؤُلَاءِ السَّحَرَةِ هِيَ ثَبَاتُهُمْ وَتَسْلِيمُهُمْ فِي أَوَّلِ امْتِحَانٍ، وَمَعَ هَذَا يَقِفُونَ هَذَا الْمَوْقِفَ الَّذِي يَعْجِزُ عَنْهُ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ أَمَامَ فِتْنٍ هِيَ أَقْلٌ بِكَثِيرٍ مِنْ هَذَا الْإِبْتِلَاءِ، كَمِنْ النَّاسِ أَصْبَحَ يَتَكَسَّرُ أَمَامَ فِتْنَةِ الْمَالِ! فَأَصْبَحَ يَأْكُلُ الرِّبَا وَالْحَرَامَ وَأَمْوَالَ الْيَتَامَى وَالْأَمْوَاتِ، وَيَأْكُلُ مَالَ إِخْوَتِهِ وَأَخَوَاتِهِ وَأَبْنَائِهِ وَبَنَاتِهِ وَزَوْجَتَهُ، فَلَا يَقْدِرُ عَلَى الْوُقُوفِ أَمَامَ هَذِهِ الْفِتْنَةِ، وَكَمِنْ النَّاسِ يَقِفُ عَاجِزًا أَمَامَ فِتْنَةِ الشَّهْوَةِ! فَيَأْتِي الْحَرَامَ مِنَ الزَّنا وَاللُّوَاطِ وَتَكْشِفُ الْعُورَاتِ، وَلَا يَقْدِرُ أَنْ يَقُولَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ، وَكَمِنْ النَّاسِ يَقِفُ عَاجِزًا أَمَامَ سَطْوَةِ نَفْسِهِ عَنِ الْإِنْتِقَامِ! فَيُظْلَمُ وَيَبْغَى وَيُؤْذِي عِبَادَ اللَّهِ دُونَ وَجَلٍّ أَوْ خَوْفٍ.

قال الحسن: «سُبْحَانَ اللَّهِ! الْقَوْمُ كَفَّارٌ، وَهُمْ أَشَدُّ الْكَافِرِينَ كَفْرًا، ثَبَتَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانُ فِي طَرْفَةِ عَيْنٍ، فَلَمْ يَتَعَاضَمْ عَنْدهُمْ أَنْ قَالُوا: ﴿فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ﴾ [طه: ٧٢]، فِي ذَاتِ اللَّهِ تَعَالَى، وَاللَّهُ إِنْ أَحَدَكُمُ الْيَوْمَ لِيَصْحَبَ الْقُرْآنَ سَتِينَ عَامًا ثُمَّ إِنَّهُ يَبِيعُ دِينَهُ بِثَمَنِ حَقِيرٍ»^(١).

هَذَا فِي زَمَانِهِ فَكَيْفَ بِزَمَانِنَا، وَمِنْ أَعْظَمِ الْفَوَائِدِ أَنْ فَرُّوا إِلَى أَعْظَمِ الْأَسْبَابِ فِي التَّثْبِيتِ وَهُوَ الدَّعَاءُ، نَعَمْ الدَّعَاءُ وَالتَّذَلُّلُ لِلَّهِ وَطَلَبُ مَعُونَتِهِ وَتَوْفِيقِهِ فِي الثَّبَاتِ، فَهَمَّ قَالُوا ﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٦].

(١) مفاتيح الغيب (١٠ / ٤٤١).

عليكم بهذا الدعاء في كل وقت وحين، واسألوا الله الثبات، وإذا كان رسولنا ﷺ يسأل هذا فكيف بغيره، روى الإمام أحمد في مسنده بإسناد صحيح من حديث أنس قال: كان النبي ﷺ يُكثِرُ أَنْ يَقُولَ: « يَا مُقَلَّبَ الْقُلُوبِ ثَبَّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ » قال فقلنا يَا رَسُولَ اللَّهِ: آمَنَّا بِكَ وَبِمَا جِئْتَ بِهِ فَهَلْ نَخَافُ عَلَيْنَا؟ قال فقال: « نَعَمْ إِنَّ الْقُلُوبَ بَيْنَ إِضْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللَّهِ ﷻ يُقَلِّبُهَا »^(١).

وقد كان أكثر قسمه ﷺ كما في صحيح البخاري: « لَا وَمُقَلَّبَ الْقُلُوبِ »^(٢).

من أجل أن يذكر نفسه بفقره وحاجته إلى مولاه، وأنه مهما بلغ العبد فإنه معرض للبلاء والفتنة، مهما بلغ علمه وارتفعت مكانته، رحماك يا الله، لئن كان رسول الله ﷺ يشفق على نفسه وهو أمين الله على وحيه ومصطفاه، فماذا نقول؟ ولم لا نخاف كخوفه؟ كان رسولكم ﷺ كما في صحيح مسلم يقول في دعائه: «اللَّهُمَّ مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَى طَاعَتِكَ»^(٣).

واسمعوا إلى دعائه ﷺ مع أنه أتقى الخلق وأبر الخلق وأخشع الخلق، فقد روى مسلم عن ابن عباس -رضي الله عنهما- أن رسول الله ﷺ كان يقول: «أَعُوذُ بِعَزَّتِكَ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَنْ تُضِلَّنِي»^(٤).

(١) أخرجه أحمد (١١٢/٣)، رقم (١٢١٢٨).

(٢) أخرجه البخاري (٢٤٤٠/٦)، رقم (٦٢٤٣).

(٣) أخرجه مسلم (٢٠٤٥/٤)، رقم (٢٦٥٤).

(٤) أخرجه مسلم (٢٠٨٦/٤)، رقم (٢٧١٧).

ومن فوائد موقفهم هو تذكركم لما عند الله، وأن ثوابه أعظم مما يخسرونه، وأن عقابه أشدُّ مما يحذرونه، تأمل قولهم: ﴿إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطِئَنَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ [طه: ٧٣]، ثواباً وأعظم عقاباً منك، وخيره أبقي وأدوم من خيرك؛ لأنه باقٍ، وخيرك وشرك زائلٌ، والخير الباقي خير من الفاني، والشر الفاني أهون من الباقي، وهذه الجملة بمقابلة ﴿إِنَّا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى﴾ [طه: ٧١].

فَاللَّهُمَّ ثَبِّتْنَا عَلَى دِينِكَ وَلَا تَضِلَّنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا، وَأَعِزَّنَا مِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ فَلَا نَهْلِكَ، وَأَنْتَ رَجَاؤُنَا يَا عَظِيمَ.

ثُمَّ صَلُّوا وَسَلِّمُوا عَلَى رَسُولِ الْهُدَى، وَإِمَامِ الْوَرَى، فَقَدْ أَمَرَكُمُ رَبُّكُمْ فَقَالَ -جَل وَعَلَا-: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ، وَارْضَ اللَّهُمَّ عَنِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ، وَالْأَئِمَّةِ الْمُهَدِّينَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَلِيٍّ، وَعَنِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ، وَعَنَّا مَعَهُمْ بِعَفْوِكَ وَكَرَمِكَ يَا أَكْرَمَ الْأَكْرَمِينَ.

اللَّهُمَّ أَعِزِّ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَانصِرْ عِبَادَكَ الْمُوَحِّدِينَ الَّذِينَ يَجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِكَ فِي كُلِّ مَكَانٍ، اللَّهُمَّ انصِرْهُمْ عَلَى عَدُوِّكَ وَعَدُوِّهِمْ، اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِالْيَهُودِ الْمُعْتَدِينَ، وَالنَّصَارَى الْمُحَارِبِينَ، اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِهِمْ؛ فَإِنَّهُمْ لَا يَعْجِزُونَكَ، اللَّهُمَّ أَحْصِهِمْ عَدَدًا.

اللَّهُمَّ آمِنَّا فِي أَوْطَانِنَا، وَأَصْلِحْ أُمَّتَنَا وَوُلَاةَ أُمُورِنَا، اللَّهُمَّ وَفِّقْهُمْ لِمَا يَرْضِيكَ، وَجَنِّبْهُمْ مَعَاصِيكَ.

اللَّهُمَّ تب على التائبين، واهد ضالَّ المسلمين، اللَّهُمَّ رُدَّهُمْ إِلَيْكَ رَدًّا
جَمِيلًا، اللَّهُمَّ ارفع ما نزل من الفتن.
اللَّهُمَّ اغفر لنا ولوالدينا.

عباد الله! ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَنِ وَإِيتَايِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ
الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠]،
فاذكروا الله العلي العظيم يذكركم، واشكروه على نعمكم يزدكم، ﴿وَلَذِكْرُ
اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

داء التجربة

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يضلِّل فلا هاديَّ له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه، ومن سار على نهجه، واقتفى أثره، إلى يوم الدين، وسلم تسليمًا كثيرًا.

أَمَّا بَعْدُ:

فَاتَّقُوا اللَّهَ، أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ، ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

معشر الناس: يقف المرء متأملًا ومتعجبًا من قصة أبينا آدم ﷺ أول ما خلقه الله ثم أدخله الجنة، تيك الدار العظيمة الجميلة، وقال له جل وعلا: ﴿فَقُلْنَا يَتَادُمُ إِنَّ هَذَا عَدُوُّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى ﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَى﴾ [طه: ١١٧-١١٩]، ضَمِنَ لَهُ استمرار الطعام والشراب، والكسوة، والماء، وعدم التعب والنصب، وذلك أن الإنسان بحاث متطلع لأكله وصحته ولباسه وراحته، وهذه الأشياء هي النفقات الواجبة من الزوج على زوجته، ولهذا خصه الله

فقال: ﴿فَلَا يُخْرِجَنَّكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى﴾ [طه: ١١٧]، ولم يقل فتشقيان؛ لأن الزوج هو الموكل بالنفقة، لكن إبليس جاءه من طريق، للأسف ما زال يستخدمه معنا حتى الآن.

ونحن لم نستفد من قصة أبينا عليه السلام، ألا وهو التصور الكاذب والاعتقاد الفاسد، وهو أن تُقبل على المعصية وفي نفسك تصور غير صحيح، أتدرون ماذا قال إبليس لأبينا عليه السلام؟ قال له: ﴿يَتَّكَدُمُ هَلْ أَذُكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى﴾ [طه: ١٢٠].

أتاه بمنطقي كاذب، فمن قال إن هذه الشجرة تورث الخلد؟ ولكنها إحدى كذبات إبليس الطريد، ولو أن آدم ﷺ تذكر أنه في نعيم عظيم، وأن الأكل من هذه الشجرة فيه مخالفة لأمر الله، وأنه سيبدله بعد الراحة شقاء لما أكل، ولكن كما قال الله: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسَىٰ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾ [طه: ١١٥]، أي: ولقد وصينا آدم وأمرناه، وعهدنا إليه عهداً ليقوم به، فالتزمه، وأذعن له وانقاد، وعزم على القيام به، ومع ذلك نسي ما أمر به، وانتقضت عزمته المحكمة، فجرى عليه ما جرى، فصار عبرة لذريته، ومعنى ﴿وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾، قال ابن السائب: «أي حزمًا»، وقال قتادة: «صبرًا»^(١).

فذكر الله لنا في هذه القصة العجيبة أمرين؛ الأول: سبب الوقوع في المعصية، والثاني: كيفية التخلص منها، أما سبب الوقوع في المعصية فهو التخیل الكاذب عند الوقوع في المعصية، فجلساء السوء مثلاً يقولون لصاحبهم لم لا تأكل هذه الحبة من المخدرات مرة واحدة وتجرب مفعولها؟

(١) زاد المسير في علم التفسير (٣/ ١٧٩).

فهي تشرح الصدر وتؤنس الخاطر، وإذا لم تعجبك فلا تأكلها مرة ثانية، هنا بدأ التصوير الكاذب، من قال إنك إذا أكلتها مرة سيكون بيدك القرار لعدم أكلها مرة ثانية؟ أبداً الأمر إلى حد كبير خرج عن سيطرتك وإرادتك، فالجسم إذا دخلته مثل هذه السموم بدأ بطلبها، ولو لم يكن كذلك لما رأيت الشباب يتهافتون عليها مع علمهم بضررها.

إنها آفة التجربة، كم أسقطت من عفيف! وكم أسقطت من شاب! أكثر الشباب كان محصناً نفسه عن الدخان سنين طويلة، ولا تفكر نفسه، بل لم تحدّثه بشربه، فإذا ما دخل عليه سرطان التجربة، إذا به يسقط سقوطاً، ويتهافت كما يتهافت العود في النار، أرايتم الشاب العفيف الذي عاش حيناً من الدهر وهو لم يعرف المواقع الإباحية والصور الفاضحة ولا المعاكسات الهاتفية، ويأتيه الشيطان والنفس من هذا المدخل لم لا تجرب؟ جرب مرة واحدة وكفى، انظر ثم فارقتها، والسؤال من قال لك ومن كذب عليك أنك بعد التجربة ستستطيع أن تتخلص منها ولن ترجع إليها؟

ما أصعبها! والله لو تذكر هذا الشاب أنه الآن يعيش بنعمة عظيمة وهي راحة القلب، وأن النظر ولو مرة واحدة إلى مثل هذه المواقع هي السقطة الكبيرة، لا تمتنع كثير من الناس عن رؤية هذه الصور، ولهذا قال الرسول ﷺ فيما راو الحاكم وصححه من حديث حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «النَّظَرُ سَهْمٌ مِنْ سِهَامِ إِبْلِيسَ مَسْمُومَةٌ، فَمَنْ تَرَكَهَا مِنْ خَوْفِ اللَّهِ أَثَابَهُ - جَلَّ وَعَزَّ - إِيْمَانًا يَجِدُ حَلَاوَتَهُ فِي قَلْبِهِ»^(١).

(١) أخرجه الحاكم (٤/٣٤٩، رقم ٧٨٧٥).

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [النور: ٢١].

بَارَكَ اللَّهُ لِي وَلَكُمْ فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، وَنَفَعَنِي وَإِيَّاكُمْ بِمَا فِيهِ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ، أَقُولُ مَا سَمِعْتُمْ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ لِي وَلَكُمْ وَلِسَائِرِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ وَخَطِيئَةٍ، فَاسْتَغْفِرُوهُ، وَتَوَبُوا إِلَيْهِ، إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ.

الخطبة الثانية:

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله تعظيماً لشانه، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الداعي إلى جنته ورضوانه، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأعوانه.
أَمَّا بَعْدُ:

مَعَشَرَ الْإِخْوَةِ: مَنْ تَأَمَّلَ أَحْوَالَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ فِيَمَا ابْتُلُوا بِهِ، وَيَجَاهِدُونَ أَنْفُسَهُمْ فِي تَرْكِهِ مِنَ الْمَعَاصِي، وَجَدَ أَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ كَانَ يَعْرِفُ حُرْمَةَ هَذِهِ الْمَعْصِيَةِ، وَيَعْرِفُ أَثَرَهَا النَّفْسِي وَالْاجْتِمَاعِي، وَلَكِنْهَا كَانَتْ غُلْطَةً تَصَوُّرٍ وَآفَةٌ تَجْرِبَةٍ، وَتَأَمَّلُوا قَوْلَ الرَّسُولِ ﷺ فِيَمَا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه إِنَّ نَاسًا مِنَ الْأَنْصَارِ سَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَأَعْطَاهُمْ، ثُمَّ سَأَلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ، ثُمَّ سَأَلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ، حَتَّى نَفِدَ مَا عِنْدَهُ، فَقَالَ:

«مَا يَكُونُ عِنْدِي مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ أَدَّخِرَهُ عَنْكُمْ، وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللَّهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللَّهُ، وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللَّهُ، وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنْ الصَّبْرِ»^(١).

قال ابن حجر في الفتح: (أَيُّ فَإِنَّهُ يُقَوِّيه وَيُمَكِّنُهُ مِنْ نَفْسِهِ حَتَّى تَقَادَ لَهُ وَيُذْعِنَ لِتَحْمَلِ الشَّدَّةَ، فَعِنْدَ ذَلِكَ يَكُونُ اللَّهُ مَعَهُ فَيُظْفِرُهُ بِمَطْلُوبِهِ)^(٢).

وَقَالَ ابْنُ الْجَوَازِيِّ: (لَمَّا كَانَ التَّعَفُّفُ يَقْتَضِي سَرَ الْحَالِ عَنِ الْخَلْقِ وَإِظْهَارِ الْغِنَى عَنْهُمْ، فَيَكُونُ صَاحِبِهِ مُعَامِلًا لِلَّهِ فِي الْبَاطِنِ، فَيَقَعُ لَهُ الرِّيحُ عَلَى قَدْرِ الصَّدَقِ فِي ذَلِكَ، وَإِنَّمَا جُعِلَ الصَّبْرُ خَيْرَ الْعَطَاءِ؛ لِأَنَّهُ حَبَسُ النَّفْسِ عَنْ فِعْلِ مَا تُحِبُّهُ، وَإِلْزَامُهَا بِفِعْلِ مَا تَكْرَهُهُ فِي الْعَاجِلِ مِمَّا لَوْ فَعَلَهُ أَوْ تَرَكَهُ لَتَأَذَى بِهِ فِي الْآجِلِ)^(٣).

فنداءً إلى كل شابٍّ لم يسقط في برائن الدُّخَانِ والمخدرات والسموم، وإلى كل رجلٍ لم يقع في واقع الشهوة المحرمة، وإلى كل شابٍّ حَفِظَ بصره عن النظر إلى الحرام، حافظ على نفسه، وإياك أن تكون فريسةً للشيطان كما وقع غيرك، واعلم أن كل هؤلاء لو سألتهم عن واقعهم لقالوا لك بحرف واحد نحن في بلاء وحسرة، وأنت في نعمة ومنحة، أفلا يكفي هذا دافعاً لك ومونساً لك، وشافعاً لأن تبقى على استقامتك ومحافظتك على حياتك، فكيف إذا كان مع هذا الأجر الجزيل والثواب العظيم لمن ترك الحرام إجلالاً

(١) أخرجه البخاري (٢/٥٣٤)، رقم (١٤٠٠)، ومسلم (٢/٧٢٩)، رقم (١٠٥٣).

(٢) فتح الباري (١١/٣٠٤).

(٣) المصدر السابق.

لله واحتساباً في ثواب الله؟ فإياك وداء التجربة؛ فإنها في أول الأمر تجربة، ثم تكون مهلكة، وأنا الذي جلب المنية طرفه، فمن المطالب والقتيل القاتل؟

ثُمَّ صَلُّوا وَسَلِّمُوا عَلَى رَسُولِ الْهُدَى، وإمام الورى، فقد أمركم ربكم فقال - جل وعلا -: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]، اللهم صل وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وارض اللهم عن الخلفاء الراشدين، والأئمة المهديين أبي بكر وعمر وعثمان وعلي، وعن الصحابة أجمعين، وعننا معهم بعفوك وكرمك يا أكرم الأكرمين.

اللهم أعز الإسلام والمسلمين، وانصر عبادك الموحدين الذين يجاهدون في سبيلك في كل مكان، اللهم انصرهم على عدوك وعدوهم، اللهم عليك باليهود المعتدين، والنصارى المحاربين، اللهم عليك بهم؛ فإنهم لا يعجزونك، اللهم أحصهم عدداً.

اللهم آمناً في أوطاننا، وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا، اللهم وفقهم لما يرضيك، وجنبهم معاصيك، اللهم تب على التائبين، واهد ضال المسلمين، اللهم رُدِّهم إليك رداً جميلاً، اللهم ارفع ما نزل من الفتن، اللهم اغفر لنا ولوالدينا.

عباد الله! ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠]، فاذكروا الله العلي العظيم يذكركم، واشكروه على نعمكم يزدكم، ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

بر الوالدين

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يضلِّل فلا هاديَّ له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه، ومن سار على نهجه، واقتفى أثره، إلى يوم الدين، وسلم تسليماً كثيراً.

أَمَّا بَعْدُ:

فَاتَّقُوا اللَّهَ أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ، ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [النساء: ٣٦].

مَعَشَرَ الْإِخْوَةِ: حينما نقرأ آيات الله -جل وعلا- وهي تتكلم عن القلب الكبير تَحُور القوى وينهزم التماسك، إنه قلب الوالدين، في كلام الله عنهما تتدفق مشاعر النفس، وتتضارب الأفكار، ﴿إِنَّمَا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا آفٍ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ (٣٣) وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذِّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٣- ٢٤]، ﴿قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمَنْتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ فَأَلَّهْ خَيْرٌ حَفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [يوسف: ٦٤]، ﴿قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بَنِي وَحُرْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ

اللَّهُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿ [يوسف: ٨٦]، ﴿ فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَلَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَنْسِيًّا ﴿ [مريم: ٢٣]، ﴿ وَالَّذِي قَالَ لَوْلَاذِيهِ أَفِي لَكُمْ أَتَعْدَانِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَفِihanِ اللَّهُ وَبِكَ ءَامِنٌ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ﴿ [الأحقاف: ١٧].

لم يعرف المرء في حياته كلها من يهتم به كاهتمام أبويه به، فمند صغره وهما يطعمانه ويحملانه وينظفانه ويحفظانه، إذا بكى أرضياه، وإذا خاف أَمَّناه، وإذا جاع أطعماه، وإذا انتهى شيئاً جلباه، هذا قدرهما رحمة لا يمكن أن تُصوَّرَ، ولا تُوصَفَ، فما باله حينما يبلغ مبلغ الرجال، ويشد تعلقهما به، ما باله طوى كشحاً، وأعرض عنهما؟!!

مشاهد من العقوق نراها من بعض الشباب، والله إنها مشاهد محزنة في تعامل الابن مع والديه، ما أكثر نماذج الخذلان التي يصاب بها الوالدان في أبنائهم! كأي بحسرة الوالدين ولوعتهما حينما يريان ثمرة فؤادهما كلما كبر كلما ابتعد وقلت طواعيته، كم من نظرة أغنت عن مئات الكلمات! كم من دهشة عنوانها الأسى والأحزان! ألا ما أشد وأقسى قلوب بعض الأولاد! يعيشون بأنانية وعدم مُبالاة.

متى تستيقظ هذه الضمائر تجاه آبائهم وأمهاتهم، إن أعظم مصيبة على الوالدين أن يريا ابنهم في طريق الشر وأهله، هي صدمة كبرى وعظمى، كثيراً ما نسمع أنين الآباء والأمهات ممن يشتكي من صلافة وجلافة ابنه معه وعدم احترامه، كم من أبٍ ما عرف مراكز الشرطة ولا دخلها، فلما كبر ابنه جرَّ عليه الوليات والحسرات، فهو في كل يوم في مركز شرطة أو في مجلس

حكم القاضي، عاش كريماً متعافاً فَجَرَّهَ ولده إلى ما لا يريد، من استجداء الناس وطلب الشفاعات، بسبب مصائب ولده، كم نسمعهم يتجرعون الأسى حين يقف ابنهما خلف قضبان الحديد في السجون بسبب المخدرات أو جنوح الشهوات، وتأملوا في أبيات ذاك الأب المكلوم في ولده حينما تنكر له بعد كبره فقال:

عَدُوَّتُكَ مَوْلُودًا وَمُتُّكَ يَافِعًا	تُعَلُّ بِنَا أَجْنِي عَلَيْكَ وَتَهْلُ
إِذَا لَيْلَةٌ ضَافَتُكَ بِالسُّقْمِ لَمْ أَبْتَ	لِسُقْمِكَ إِلَّا سَاهِرًا أَتَمَلُّ
كَأَنِّي أَنَا الْمَطْرُوقُ دُونَكَ بِالَّذِي	طُرِقْتَ بِهِ دُونِي فَعَيْنَايَ تَهْمُلُ
تَخَافُ الرَّدَى نَفْسِي عَلَيْكَ وَإِنَّهَا	لَتَعْلَمُ أَنَّ الْمَوْتَ وَقْتُ مُوجَلُ
فَلَمَّا بَلَغْتَ السَّنَّ وَالْغَايَةَ الَّتِي	إِلَيْهَا مَدَى مَا فِيكَ كُنْتُ أَوْمَلُ
جَعَلْتَ جَزَائِي غِلْظَةً وَفَظَاظَةً	كَأَنَّكَ أَنْتَ الْمُتَعِمُّ الْمُتَفَضِّلُ
فَلَيْتَكَ إِذْ لَمْ تَرَعْ حَقَّ أَبَوَيَّ	فَعَلْتَ كَمَا الْجَارُ الْمُجَاوِرُ يَفْعَلُ ^(١)

أيها الأبناء، اتقوا الله في والديكم وارحموهم كما ربياكم صغاراً، ادفعوا عنهم أذاكم المعنوي؛ فقد كانا يدفعان عنكم الأذى الحسي والمعنوي، روى البخاري ومسلم من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص قال: أقبل رجل إلى رسول الله ﷺ فقال أبايعك على الجهاد والهجرة، أبتغي بذلك وجه الله، فقال النبي ﷺ: «فهل من والدك أحد حيٌّ» قال نعم بل كلاهما. فقال ﷺ: «فتبتغي الأجر من الله؟» قال: نعم، قال: «ارجع إلى والدك فأحسن صحبتها»^(٢).

(١) النفقة على العيال (١/١٥٨، رقم ١٥١).

(٢) أخرجه البخاري (٣/١٠٩٤، رقم ٢٨٤٢)، ومسلم (٤/١٩٧٥، رقم ٢٥٤٩).

جهاد وفي زمن رسول الله ﷺ ومع أفضل راية وأسمى هدف ومع ذلك قدم والديه على هذا الجهاد.

وصف الله أنبياءه بأنهم بَرَّةٌ، فقال عن نبيه يحيى: ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَوْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا﴾ [مريم: ١٤]، وقال عن عيسى عليه السلام: ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا﴾ [مريم: ٣٢]، بل أوصى الله بالأبوين الكافرين، فكيف بمن عاش على الصلاة والصيام والخوف من الله؟ أفلا يستحق بَرَك؟

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَمْرًا وَلَا نَهْرَهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ [الإسراء: ٢٣].

بَارَكَ اللهُ لِي وَلَكُمْ فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، وَنَفَعَنِي وَإِيَّاكُمْ بِمَا فِيهِ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ، أَقُولُ مَا سَمِعْتُمْ، وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ الْعَظِيمَ لِي وَلَكُمْ وَلِسَائِرِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ وَخَطِيئَةٍ، فَاسْتَغْفِرُوهُ، وَتُوبُوا إِلَيْهِ، إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ.

الخطبة الثانية:

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله تعظيماً لشانه، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الداعي إلى جنته ورضوانه، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأعوانه.

أَمَّا بَعْدُ:

أيها الإخوة في الله: إِنَّ الْعَارَ وَالشَّنَارَ وَالْوَيْلَ وَالشُّبُورَ أَنْ يُفَاجَأَ الْوَالِدَانِ بِالتَّنَكُّرِ لِلْجَمِيلِ، كَانَا يَتَطْلَعَانِ لِلْإِحْسَانِ، وَيُؤَمِّلَانِ الصَّلَاةَ بِالْمَعْرُوفِ، فَإِذَا بِهَذَا الْمَخْذُولِ قَدْ تَنَاسَى ضَعْفَهُ وَطُفُولَتَهُ، وَأَعْجَبَ بِشَبَابِهِ وَفُتُوتهِ، وَغَرَّهَ تَعْلِيمُهُ وَثِقَاتُهُ، وَتَرَفَّعَ بِجَاهِهِ وَمُرْتَبَتِهِ، يُؤْذِيهِمَا بِالتَّأَفُّفِ وَالتَّبَرُّمِ، وَيَجَاهِرُهُمَا بِالسُّوءِ وَفُحْشِ الْقَوْلِ، يَقْهَرُهُمَا وَيَنْهَرُهُمَا، تَتَنُّ لَهَا الْفَضِيلَةُ، وَتَبْكِي مِنْ أَجْلِهَا الْمَرْوَةِ.

سؤالي: هل حينما كبرنا فاحتاجا إليك جعلتهما أهونَ الأشياءِ عليك؟! قد عَمَّمتَ غيرهما بالإحسان، وقابلتَ جميلهما بالنسيان. شَقَّ عَلَيْكَ أَمْرُهُمَا، وَطَوَّلَ عَمْرُهُمَا. أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ مَنْ بَرَّ بِوَالِدَيْهِ بَرَّ بِهِ بَنُوهُ، وَمَنْ عَقَّهْمَا عَقَّوهُ، وَلَسَوْفَ تَكُونُ مُحْتَاجاً إِلَى بَرِّ أَبْنَائِكَ، وَسَوْفَ يَفْعَلُونَ مَعَكَ كَمَا فَعَلْتَ مَعَ وَالِدَيْكَ، وَكَمَا تَدِينُ تُدَانُ، وَالْجُزْءُ مِنْ جِنْسِ الْعَمَلِ. وَمَا مِنْ ذَنْبٍ أَجْدَرُ أَنْ تُعَجِّلَ لِصَاحِبِهِ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا مَعَ مَا يُدَّخِرُ لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْبَغْيِ وَقَطِيعَةِ لِرَحِمٍ، وَإِنْ أَكْبَرَ الْكِبَائِرُ الشَّرْكَ بِاللَّهِ وَعَقُوقُ الْوَالِدَيْنِ، بِهَذَا صَحَّ الْخَبَرُ عَنِ الصَّادِقِ الْمَصْدُوقِ.

وفي حديث عن عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما- عند أحمد في مسنده قال: قال رسول الله: «ثَلَاثَةٌ لَا يَنْظُرُ اللَّهُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: الْعَاقُّ لِوَالِدَيْهِ وَالْمَرْأَةُ الْمُتَرَجِّلَةُ الْمُتَشَبِّهَةُ بِالرِّجَالِ وَالِدِّيُّوثُ، وَثَلَاثَةٌ لَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ: الْعَاقُّ لِوَالِدَيْهِ وَالْمُدْمِنُ الْخَمْرَ وَالْمُنَانُ بِمَا أُعْطِيَ»^(١).

(١) أخرجه أحمد (٢/١٣٤)، رقم (٦١٨٠).

وعن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ رِيحَ الْجَنَّةِ لَتُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَلْفِ عَامٍ، وَاللَّهِ لَا يَجِدُ رِيحَهَا عَاقٌ وَلَا قَاطِعٌ رَحِمٌ»^(١).

أخي الموقّق، ها هما عندك أو أحدهما فما أنت صانع؟ كن بجانبها ما استطعت وأحسن رعايتها بالكلمة الطيبة، وسد حاجتها، تودّد إليها أرضهما وطيب خاطرهما، فما من والد إلا وله الفضل بعد الله على ابنه، ما من أحد توفي والداه إلا وتحسر أشد التحسر على تضييع باب من أبواب الجنة مفتوح بين يديه، ومع هذا فلا شيء فات، والبر يكون بعد الوفاة بالدعاء لهما، والصدقة عنهما، وإكرام صديقيهما، والقيام بشؤون أبنائهما، ذلك من أعظم البر بعد الوفاة.

وتذكر كل يوم أن الدنيا قصيرة جداً، وما فائدتها إذا فشلت في أعظم علاقة وصلة بينك وبين غيرك من البشر، ما فائدة الحياة إن رضي الناس عنك وسخط والداك؟ وما فائدتها إن أعجب بك أصدقاؤك ودعا عليك والداك؟ وتذكر إسماعيل عليه السلام فهو قدوة عظيمة في الامتثال والطوعية والتضحية، لم يُضَحَّ في ساعة بعد العصر، ولم يُضَحَّ بألف أو ألفين من المال، بل ضحى بحياته وقدمها لوالده المكّلوم، فكيف بك؟ فهنيئاً لمن ضربوا المثل في برهما، هنيئاً لمن كانوا قدوة واقعية لنا في برهم لوالديهم.

اللهم أصلح نياتنا وذرياتنا، واغفر لأبائنا وأمهاتنا، ربنا اغفر لهم وارحمهم كما ربيانا صغارا.

(١) صفة الجنة لأبي نعيم (١/٢٣٣، رقم ١٩٤).

ثُمَّ صَلُّوا وَسَلِّمُوا عَلَى رَسُولِ الْهُدَى، وَإِمَامِ الْوَرَى، فَقَدْ أَمَرَكُمْ رَبُّكُمْ
فَقَالَ - جَل وَعَلَا -: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى نَبِيِّنَا
مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ، وَارْضَ اللَّهُمَّ عَنِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ،
وَالْأَئِمَّةِ الْمُهَدِّينَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَلِيٍّ، وَعَنِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ، وَعَنَّا
مَعَهُمْ بِعَفْوِكَ وَكَرَمِكَ يَا أَكْرَمَ الْأَكْرَمِينَ.

اللَّهُمَّ أَعِزَّ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَانصِرْ عِبَادَكَ الْمُوَحِّدِينَ الَّذِينَ يَجَاهِدُونَ
فِي سَبِيلِكَ فِي كُلِّ مَكَانٍ، اللَّهُمَّ انصِرْهُمْ عَلَى عَدُوِّكَ وَعَدُوِّهِمْ، اللَّهُمَّ عَلَيْكَ
بِالْيَهُودِ الْمُعْتَدِينَ، وَالنَّصَارَى الْمُحَارِبِينَ، اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِهِمْ؛ فَإِنَّهُمْ لَا
يَعْجِزُونَكَ، اللَّهُمَّ أَحْصِهِمْ عَدَدًا.

اللَّهُمَّ آمِنَّا فِي أَوْطَانِنَا، وَأَصْلِحْ أُمَمَتَنَا وَوُلاةَ أُمُورِنَا، اللَّهُمَّ وَفِّقْهُمْ لِمَا
يَرْضِيكَ، وَجَنِّبْهُمْ مَعَاصِيكَ.

اللَّهُمَّ تَبْ عَلَى التَّائِبِينَ، وَاهْدِ ضَالَّ الْمُسْلِمِينَ، اللَّهُمَّ رُدِّهِمْ إِلَيْكَ رَدًّا
جَمِيلًا، اللَّهُمَّ ارْفَعْ مَا نَزَلَ مِنَ الْفِتَنِ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِينَا.

عِبَادَ اللَّهِ! ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ
الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠]،
فَاذْكُرُوا اللَّهَ الْعَلِيِّ الْعَظِيمَ يَذْكُرْكُمْ، وَاشْكُرُوا عَلَى نِعْمَتِهِمْ يَزِدْكُمْ، ﴿وَلَذِكْرُ
اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

اهدنا الصراط المستقيم

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه، ومن سار على نهجه، واقتفى أثره، إلى يوم الدين، وسلم تسليماً كثيراً.

أَمَّا بَعْدُ:

فأوصيكم ونفسي بتقوى الله -جَلَّ وَعَلَا-، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [الأحزاب: ٧٠].

مَعَشَرَ الْإِخْوَةِ: إن ضلالَ الإنسان وغوايته وفجوره واستكباره ليس له حَدٌّ ولا منتهى، وإن هداية الإنسان واستقامته على دين الله هي أعزُّ وأعلى هبة وفضل، ولهذا فلا عجب ولا غرابة حينما توحيد الدعاء بأعظم سورة في القرآن بسؤال الهداية؛ ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦]، سورة عظيمة فرضها الله في كل ركعة من الصلاة، هذه السورة انقسمت إلى قسمين فقط: تعظيم الله وتمجيده وحقه في العبادة، ثم سؤال الهداية.

هكذا قال الله تعالى في الحديث القدسي الذي رواه مسلمٌ في صحيحه، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «قَالَ اللَّهُ تَعَالَى قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ

عَبْدِي نِصْفَيْنِ فَنِصْفُهَا لِي وَنِصْفُهَا لِعَبْدِي، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى حَمْدِي عَبْدِي وَإِذَا قَالَ ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى أَتْنِي عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾، قَالَ مَجْدُنِي عَبْدِي - وَقَالَ مَرَّةً فَوْضَ إِلَيَّ عَبْدِي - فَإِذَا قَالَ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، قَالَ هَذَا بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ (١) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ، قَالَ هَذَا لِعَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ» (١).

لنسأل أنفسنا سؤال صدق، ماذا نستشعر حينما نقول هذا الدعاء المتكرر في كل صلاة ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾؟ هل نستشعر حاجتنا للهداية أم نستشعر أننا اهتدينا؟ وهل سألت نفسك ما حقيقة الهداية إلى الصراط المستقيم الذي يقع في نفسك وقت السؤال بهذا الدعاء؟ لا بد وأنت تسأل نفسك ما هو السبب في اختياره من بين الأدعية التي يجب تكرارها في اليوم سبع عشرة مرة على الأقل، وفي ست مرات يجهر الإمام به في الصلاة، ونؤمن عليه جميعاً؟

قال السعدي: (وهو معرفة الحق والعمل به، فاهدنا إلى الصراط واهدنا في الصراط. فالهداية إلى الصراط: لزوم دين الإسلام، وترك ما سواه من الأديان، والهداية في الصراط، تشمل الهداية لجميع التفاصيل الدينية علماً وعملاً، فهذا الدعاء من أجمع الأدعية وأنفعها للعبد ولهذا وجب على

(١) أخرجه مسلم (١/٢٩٦)، رقم (٣٩٥).

الإنسان أن يدعو الله به في كل ركعة من صلاته، لضرورته إلى ذلك»^(١).

إذن الإنسان في كل أحواله وأوقاته بأمس الحاجة إلى هذا الدعاء وذلك لأنه في كل لحظاته بين أمر ونهي، فهو بحاجة إلى ربه في معرفة المأمور، وبحاجة إلى ربه في فعله، وبحاجة إلى ربه في معرفة المنهي، وبحاجة إليه أيضا في ترك النهي واجتنابه، ولهذا تأملوا ما جاء في صحيح مسلم من حديث عَنْ عَلِيٍّ قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «قُلِ اللَّهُمَّ اهْدِنِي وَسَلِّدْنِي وَادْكُرْ بِالْهُدَى هِدَايَتَكَ الطَّرِيقَ، وَالسَّدَادَ سَدَادَ السَّهْمِ»^(٢).

قال النووي: (وَمَعْنَى «ادْكُرْ بِالْهُدَى هِدَايَتَكَ الطَّرِيقَ وَالسَّدَادَ سَدَادَ السَّهْمِ»؛ أَي: تَذَكَّرْ فِي حَالِ دُعَايِكَ بِهِذَيْنِ اللَّفْظَيْنِ، لِأَنَّ هَادِيَ الطَّرِيقِ لَا يَزِيغُ عَنْهُ، وَمُسَدَّدَ السَّهْمِ يَحْرِصُ عَلَى تَقْوِيمِهِ، وَلَا يَسْتَقِيمُ رَمِيهِ حَتَّى يَقْوَمَهُ، وَكَذَا الدَّاعِي يَنْبَغِي أَنْ يَحْرِصَ عَلَى تَسْدِيدِ عِلْمِهِ وَتَقْوِيمِهِ، وَلِزُومِهِ السَّنَةِ، وَقِيلَ: لِيَتَذَكَّرَ بِهَذَا لَفْظِ السَّدَادِ وَالْهُدَى لِيُتْلَى يَنْسَاهُ)^(٣).

وقال ابن الجوزي: (المعنى أن سالك الطريق إنما يؤمُّ سَمْتَ الطريق ولا يفارق الجادة، فالمراد أخطر بقلبك هداية الطريق، وسل الله الهدى والاستقامة، كما تتحراه في هداية الطريق، وكذلك الرامي يسدد نحو الغرض، فأخطر هذا المعنى بقلبك حين تسأل الله السداد ليكون ما تنويه من ذلك على شاكلة ما تستعمله من الرمي)^(٤).

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (١/٣٩).

(٢) أخرجه مسلم (٤/٢٠٩٠، رقم ٢٧٢٥).

(٣) المنهاج شرح صحيح مسلم (١٧/٤٣-٤٤).

(٤) كشف المشكل (١/١٤٨) لابن الجوزي.

فالله المستعان، كم نكرر هذا الدعاء المرة تلو الأخرى ونحن لا نستشعر سداد الطريق وهدايته! بل ولا حول ولا قوة إلا بالله، البعض قد يظن أنه تجاوز هذه المرحلة، وأنه في عداد المنافسين على المنازل العلية في الجنة.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾ ① لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ② وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ﴿[الفتح: ١-٣].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفَعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول ما سمعتم، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب وخطيئة، فاستغفروه، وتوبوا إليه، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله تعظيماً لشانه، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الداعي إلى جنته ورضوانه، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأعوانه.

أَمَّا بَعْدُ:

مَعشَرَ الإِخْوَةِ: والعَجَبُ لا يتوقف عند الدعاء بهذا الدعاء عند الفاتحة، بل انظر إلينا ونحن في كل وتر ندعو بهذا الدعاء، الذي علمه رسول الله ﷺ للحسن، وهو أن يقول: «اللَّهُمَّ اهْدِنَا فِيمَنْ هَدَيْتَ»^(١).

(١) أخرجه ابن حبان (٢/٤٩٨، رقم ٧٢٢).

وقد استحب الأئمة الأربعة هذا الدعاء في الوتر ليزكروا بهذه الحاجة؛ حاجة الهداية، ولو عَرَفَ الداعي قدر هذا السؤال لجعله هجيرًا وقرنه بأنفاسه؛ فإنه لم يدع شيئًا من خير الدنيا والآخرة إلا تضمنه.

فحصول الهداية أهم من حصول الرزق والنصر وغيره من المحبوبات الدنيوية، قال ابن تيمية: (إِنَّ حَاجَةَ الْعِبَادِ إِلَى الْهُدَايَةِ أَعْظَمُ مِنْ حَاجَتِهِمْ إِلَى الرِّزْقِ، بَلْ لَا نِسْبَةَ بَيْنَهُمَا، فَلِهَذَا كَانَ هَذَا الدُّعَاءُ هُوَ الْمَفْرُوضُ عَلَيْهِمْ، وَأَيْضًا فَإِنَّ الدُّعَاءَ يَتَضَمَّنُ الرِّزْقَ وَالنَّصْرَ؛ لِأَنَّهُ إِذَا هُدِيَ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ كَانَ مِنَ الْمُتَّقِينَ، ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾ ٢) وَيَرْزُقُهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴿[الطلاق: ٢-٣]، وَكَانَ يَمُنُّ بِنَصْرِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَمَنْ نَصَرَ اللَّهَ نَصْرَهُ، وَكَانَ مِنْ جُنْدِ اللَّهِ، وَجُنْدُ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ، فَالْهُدَى التَّامُّ يَتَضَمَّنُ حُصُولَ أَعْظَمِ مَا يَحْصُلُ بِهِ الرِّزْقُ وَالنَّصْرُ) (١).

وما أحوجنا في هذا الزمن العصيب وفي خضم هذا الواقع المعقد، الذي جمع أنواعًا من الخلافات العقدية والفكرية والثقافية والنوازل العصرية، وتلاطمت فيها الفتن من كل جانب، والتبس الحق بالباطل على كثير من الناس، وفي زمن كثرت فيه أنواع الشرور، وانفتحت عليهم أبواب الشهوات والفتن، مما لا يقوى على دفعه إلا من هدى الله.

فدعوة إلى إيقاظ ضمائرنا حين قولنا في صلاتنا: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾، أَنْ نَسْتَشْعِرَ وَنَحْنُ فِي طَرِيقِنَا إِلَى اللَّهِ هُدَايَةَ الطَّرِيقِ وَسَدَادَ الْجَادَّةِ، ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدًا فَمُلِّقِيهِ﴾ [الانشقاق: ٦].

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية (٢٢/٤٠٢).

وهذا رسول الله يدعو في صلاته ويستفتح صلاة الليل بسؤال الهداية، كما جاء في صحيح مسلم، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف قال: سألت عائشة أم المؤمنين بأي شيء كان نبي الله ﷺ يفتتح صلاته إذا قام من الليل؟ قالت: كان إذا قام من الليل افتتح صلاته: «اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهديني لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم»^(١).

فاللهم اهدنا فيمن هديت، وعافنا فيمن عافيت.

ثم صلُّوا وسلِّموا على رسول الهدى، وإمام الورى، فقد أمركم ربكم فقال -جل وعلا-: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]، اللهم صلِّ وسلِّم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وارض اللهم عن الخلفاء الراشدين، والأئمة المهديين أبي بكر وعمر وعثمان وعلي، وعن الصحابة أجمعين، وعنَّا معهم بعفوك وكرمك يا أكرم الأكرمين.

اللهم أعز الإسلام والمسلمين، وانصر عبادك الموحدين الذين يجاهدون في سبيلك في كل مكان، اللهم انصرهم على عدوك وعدوهم، اللهم عليك باليهود المعتدين، والنصارى المحارِبين، اللهم عليك بهم؛ فإنهم لا يعجزونك، اللهم أحصهم عددًا.

(١) أخرجه مسلم (١/٥٣٤، رقم ٧٧٠).

اللَّهُمَّ آمِنَّا فِي أَوْطَانِنَا، وَأَصْلِحْ أَيْمَنَتَنَا وَوُلاةَ أُمُورِنَا، اللَّهُمَّ وَفِّقْهُمْ لِمَا يَرْضِيكَ، وَجَنِّبْهُمْ مَعَاصِيكَ.

اللَّهُمَّ تَبْ عَلَى التَّائِبِينَ، وَاهْدِ ضَالِّ الْمُسْلِمِينَ، اللَّهُمَّ رُدِّهِمْ إِلَيْكَ رَدًّا جَمِيلًا، اللَّهُمَّ ارْفَعْ مَا نَزَلَ مِنَ الْفِتَنِ.

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِينَا.

عباد الله! ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠]،
فاذكروا الله العلي العظيم يذكركم، واشكروه على نعمكم يزدكم، ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

النصر الحقيقي هو الأخروي

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه، ومن سار على نهجه، واقتفى أثره، إلى يوم الدين، وسلم تسليمًا كثيرًا.

أَمَّا بَعْدُ:

فَاتَّقُوا اللَّهَ، أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ، ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عِمْرَانَ: ١٠٢].

معشر الاخوة: كرر الله -جل وعلا- في كتابه المفهوم الحقيقي للغلبة والانتصار، وأن النصر ليس منحصرًا في أن ينتقم الله من العدو الحاضر، وينصر هذا المظلوم، فيعيش المظلوم النصر في وقته، كلا، ليس منحصرًا في ذلك، إن الانتصار الحقيقي الذي لا يضيع ولا بد أن يعيشه المؤمن حينما يرى نفسه في جنات النعيم، ويرى ظالمه يعذب بظلمه، إن هذا المعنى هو الانتصار الحقيقي، فحينما تَحْتَزِلُ معنى النصر في أن ترى عدوك يعذبه الله أمام عينيك، فإن لم تَرَ ذلك فإنك لم تنصر، فهذا من أعظم الجهل بالله وبقدره وشرعه.

تأملوا قصة أصحاب الأخدود، قُتِل أصحابُ الأخدود، شقَّ الكافرون أخذودًا في الأرض، وقذفوا فيها النار، وقعدوا حولها، وقتلوا المؤمنين، بأطفالهم، ونسائهم وشيوخهم، وعرضوهم عليها، فمن استجاب لهم أطلقوه، ومن استمر على الإيمان قذفوه في النار، وهذا في غاية المحاربة لله ولحزبه المؤمنين، ومع ذلك لم يخبرنا الله - جل وعلا - أنه انتقم منهم في تلك الساعة، وأنه أنجى هؤلاء المؤمنين، ولكن النصر الحقيقي جاء بعد هذه الآيات بقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ ۝ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ ۝﴾ [البروج: ١٠-١١]، سمَّاه فوزًا ونصرًا وفلاحًا، فمن أكبر الأخطاء أن نخترل النصر بنصر الدنيا العاجل، بل النصر العظيم هو نصر الآخرة.

وهذا المعنى تكرر كثيرًا في كتاب الله قال الله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يَضْحَكُونَ ۝ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ۝ وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ ۝ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَضَالُّونَ ۝ وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَفِظِينَ ۝ فَالْيَوْمَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ۝ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ ۝ هَلْ تُؤَبُّ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ۝﴾ [المطففين: ٢٩-٣٦]، وقول الله تعالى: ﴿لَا يَغُرُّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ ۝ مَتَّعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ۝ لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ ۝﴾ [آل عمران: ١٩٦-١٩٨].

وقد كان رسولنا ﷺ يستشعر ويستحضر هذا المعنى غاية الاستحضار، قال الله: ﴿قُلْ رَبِّ إِمَّا تُرِيْنِي مَا يُوعَدُونَ ۝ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي

الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١٤﴾ وَإِنَّا عَلَيَّ أَنْ تُرِيكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَدِيرُونَ ﴿١٥﴾ [المؤمنون: ٩٣-٩٥]،
 فيها هو يقول إن أريتني عذابك بهم فعجلته فلا تجعلني معهم، فهو يستحضر
 أن الله قد يعجل العقوبة والنصر لحزبه فيراه الحاضرون أو قد يؤخره عنه،
 ولهذا قال: ﴿وَإِنَّا عَلَيَّ أَنْ تُرِيكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَدِيرُونَ ﴿١٥﴾ [المؤمنون: ٩٥]، فلم يجعله
 لازماً للنصر بأن يُريه العقوبة العاجلة، ولكن الله قادرٌ على ذلك، وإنما
 الانتصار هو في النهاية والمآل.

وهذا ما أدركه عمر وأبو سفيان -رضي الله عنهما- عندما كان أبو
 سفيان كافراً في غزوة أُحُدٍ، كما جاء في صحيح البخاري ومسلم وغيرهما، أنه
 بعدما حدث في أُحُدٍ ما حدث، وقُتِلَ أناسٌ من المؤمنين، نادى أبو سفيان أفي
 القوم محمد؟ ثلاث مرّاتٍ، فنهاهم النبي ﷺ أَنْ يُجِيبُوهُ، ثُمَّ قَالَ أفي القوم ابنُ
 أبي قحافة؟ ثلاث مرّاتٍ، ثُمَّ قَالَ أفي القوم ابنُ الخطّاب؟ ثلاث مرّاتٍ، ثُمَّ
 رَجَعَ إِلَى أَصْحَابِهِ فَقَالَ أَمَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ قُتِلُوا، فَمَا مَلَكَ عُمَرُ نَفْسَهُ فَقَالَ: كَذَبْتَ
 وَاللَّهِ يَا عَدُوَّ اللَّهِ، إِنَّ الَّذِينَ عَدَدْتَ لِأَخِيَاءِ كُلُّهُمْ وَقَدْ بَقِيَ لَكَ مَا يَسُوءُكَ، قَالَ
 يَوْمَ يَوْمٍ بَدْرٍ وَالْحَرْبُ سِجَالٌ، قَالَ فَقَالَ عُمَرُ: لَا سَوَاءٌ؛ قَتَلْنَا فِي الْجَنَّةِ
 وَقَتَلَاكُمْ فِي النَّارِ، فَقَالَ: إِنَّكُمْ لَتَزْعُمُونَ ذَلِكَ لَقَدْ خَبْنَا إِذْنٌ وَخَسِرْنَا^(١).

تأمل قول أبي سفيان: خَبْنَا إِذْنٌ وَخَسِرْنَا، نعم هذه هي الهزيمة الحقيقية
 إذا كنا ندفع بأنفسنا للقتل ونُجازي بالنار والعقوبة، وإن كنا منتصرين، وأنتم
 تجازون بالنعيم في الآخرة فهذه هي الخسارة وهذه هي الحسرة، وأنتم إذن
 المنتصرون، هذا الذي أدركه أبو سفيان المنتصر في المعركة عند نفسه، ولهذا لم

(١) أخرجه البخاري (٣/ ١١٠٥، رقم ٢٨٧٤).

يُسَمِّ الله ما حدث في أحد هزيمة، وإنما قال: ﴿وَمَا أَصْبَحْتُمْ يَوْمَ التَّتَى الْجَمْعَانِ﴾ [آل عمران: ١٦٦]، الآية. وقال في غزوة حنين: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ﴾ [التوبة: ٢٥].

فالفنوسُ الضعيفةُ هي التي تحصر انتصارها فيما تشاهده بعينها، كلاً، وإنما النصر هو الثبات عند الشدائد، والسكينة واليقين بما أنت عليه من المبادئ، وأما النصر الدنيوي العاجل المرئي، فهو غير مشروط في حقيقة النصر الإلهي، وإنما النصر الذي لا ريبة فيه ولا تأخر هو يوم الحساب، ﴿أَفَجْعَلُ الْمُتْسِلِينَ كَالْمُجْرِمِينَ﴾ [القلم: ٣٥]، ﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ﴾ (١٨) ﴿أَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (١٩) ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ﴾ [السجدة: ١٨-٢٠].

هذه هي الحقيقة التي عاش عليها الأنبياء، الأنبياء الذين قُتلوا وما تبعهم أحد، والمؤمنون الذين هُزموا وما نجا منهم أحد، ولكن العاقبة للمتقين، أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، ﴿وَلَكِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٍ مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٍ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [آل عمران: ١٥٧].

بَارَكَ اللَّهُ لِي وَلَكُمْ فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، وَنَفَعَنِي وَإِيَّاكُمْ بِمَا فِيهِ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ، أَقُولُ مَا سَمِعْتُمْ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ لِي وَلَكُمْ وَلِسَائِرِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ وَخَطِيئَةٍ، فَاسْتَغْفِرُوهُ، وَتَوَبُوا إِلَيْهِ، إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ.

الخطبة الثانية:

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله تعظيماً لشانه، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الداعي إلى جنته ورضوانه، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأعوانه.

أَمَّا بَعْدُ:

مَعَشَرَ الْإِخْوَةِ: حينما يضيع معنى الانتصار تطيش عقول العَجَلَى وتتحير الألباب، ولا نعجب حينما يحكي الله لنا قَصَصَ أولئك ويردُّ عليهم ويذكرهم بمعنى النصر، هل تعلم أن الله قد يؤخر عقوبة الظالمين من أجل أن يتوب الظلمة أنفسهم، الله أكبر، هؤلاء الذين أذاقوا المؤمنين العذاب والظلم والقتل والتشريد قد يؤخرهم ليتوب عليهم أو على بعضهم، نعم، قال الله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ﴾ [البروج: ١٠]، فهو يقول: ﴿ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا﴾، فهو يعرض التوبة عليهم، ونوح ﷺ حينما آذاه قومه وكفروا بالله، قال لهم مع ذلك: ﴿وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ﴾ [هود: ٣٤]، فهو يستشعر أن بعض قومه الذين آذوه قد يتوب الله عليهم.

وقال الله: ﴿قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٥٦]، ولهذا كم هم الصحابة الذين وقفوا أمام رسول الله وحاربوه وقتلوا بعض أصحابه، وبعد ذلك أدركتهم رحمة الله فنشروا الإسلام وقويت شوكته، فهذا المعنى مستقرٌّ في نفوس أولياء الله، فلا تذهب نفوسهم حينما يتأخر النصر، وحينما يبتلى المؤمنون بقتل الأطفال والشيوخ

والنساء، ولا بد أن نتذكر قول الله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ﴾ [التوبة: ٥٢]، هل سمعت لفظة: ﴿أَوْ بِأَيْدِينَا﴾، سبحان الله! يعلمون أن عذاب الله قد يجعله على أيديهم أو يؤخره إلى أمد دنيوي، أو أن يؤخره للآخرة، لكن كل هذا ليس قضيتهم، وإنما قضيتهم هي ثباتهم على مبادئهم وموتهم عليها، وهم ينتظرون النصر الحقيقي وهو الشهادة في سبيل الله أو الانتصار، وكلاهما واقع لا محالة.

هزيمتك حينما ترى هؤلاء وتتأثر بذلك، لكنك لا تزال منهزماً مع نفسك مُضَيِّعاً للحدود، فلا تزال مضيعاً للصلاة، أو قاطعاً لوالديك ورحمك، أو أكلاً للحرام ومضيعاً للأمانة، أو ظالماً لأهلك وولدك أو أحد من الناس، أو سباباً شتاماً بذي اللسان، هذا هو الذي يجب أن تتأثر منه وأن يزعجك، وأن تحشى من عَوَائِلِهِ، وأن تكون نفسك أخرى بالرحمة من أولئك، فهم منتصرون وأنت المهزوم.

وختاماً ثقوا بالله وبنصره، واستعملوا أنفسكم في طاعة الله، ونصر وتأييد أولياء الله وحزبه، ﴿وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا﴾ [النساء: ١٠٥]، ولا للكافرين والمجرمين ظهيراً.

ثم صلُّوا وسلِّموا على رسول الهدى، وإمام الورى، فقد أمركم ربكم فقال -جل وعلا-: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]، اللهم صلِّ وسلِّم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وارض اللهم عن الخلفاء الراشدين،

وَالْأَيْمَةَ الْمَهْدِيِّينَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَلِيًّا، وَعَنِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ، وَعَنَّا
مَعَهُمْ بِعَفْوِكَ وَكَرَمِكَ يَا أَكْرَمَ الْأَكْرَمِينَ.

اللَّهُمَّ أَعِزَّ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَانصِرْ عِبَادَكَ الْمُوَحِّدِينَ الَّذِينَ يَجَاهِدُونَ
فِي سَبِيلِكَ فِي كُلِّ مَكَانٍ، اللَّهُمَّ انصِرْهُمْ عَلَى عَدُوِّكَ وَعَدُوِّهِمْ، اللَّهُمَّ عَلَيْكَ
بِالْيَهُودِ الْمُعْتَدِينَ، وَالنَّصَارَى الْمُحَارِبِينَ، اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِهِمْ؛ فَإِنَّهُمْ لَا
يَعِجْزُونَكَ، اللَّهُمَّ أَحْصِهِمْ عَدَدًا.

اللَّهُمَّ آمِنَّا فِي أَوْطَانِنَا، وَأُصْلِحْ أَيْمَتَنَا وَوُلاةَ أُمُورِنَا، اللَّهُمَّ وَفِّقْهُمْ لِمَا
يَرْضِيكَ، وَجَنِّبْهُمْ مَعَاصِيكَ.

اللَّهُمَّ تَبْ عَلَى التَّائِبِينَ، وَاهْدِ ضَالَّ الْمُسْلِمِينَ، اللَّهُمَّ رُدِّهِمْ إِلَيْكَ رَدًّا
جَمِيلًا، اللَّهُمَّ ارْفَعْ مَا نَزَلَ مِنَ الْفِتَنِ.
اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِينَا.

عباد الله! ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ
الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠]،
فاذكروا الله العلي العظيم يذكركم، واشكروه على نعمكم يزدكم، ﴿وَلَذِكْرُ
اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

المحكم والمتشابه

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يضلِّل فلا هاديَّ له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه، ومن سار على نهجه، واقتفى أثره، إلى يوم الدين، وسلم تسليماً كثيراً.

أَمَّا بَعْدُ:

فَاتَّقُوا اللَّهَ، ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آلِ عِمْرَانَ: ١٠٢].

معشر المصلين: لقد أخبر الله -جل وعلا- أن هذا القرآن وهذا الوحي فيه أمورٌ مُحْكَمَاتٌ وَاضِحَاتٌ بَيِّنَاتٌ، يفهمها الناس ويعقلها القارئون، وفيه ما هو من المتشابه الذي لا يعلمه إلا أهل العلم وأهل الذكر، وكم صارت هذه المتشابهات فتنةً لبعض الناس في الانتكاسة عن الدين، بل ووصل ببعضهم إلى الإلحاد -عبادًا بالله- وقد أخبرنا الله بهذا بأوضح بيان وأصدق وأجمله، فقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ ءَايَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا

يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿[آل عمران: ٧].

فبين الله - جل وعلا - أنَّ في الوحي المحكم والمتشابه، ولكنه وصف المحكمات بأنها أُمُّ الكتاب، ليتبادر إلى الذهن مباشرة أنَّ المتشابه يُرَدُّ إلى أصله وهو المحكم، فهو أُمُّ الكتاب، وأُمُّ الشيء مرجعه وأصله، كما قال تعالى: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ ۖ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ [الرعد: ٣٩].

تأملوا في انقسام الناس مع هذه المتشابهات إلى قسمين:

قسم يتبعون المتشابه وهو تفكيرهم وهَجَرَاهُمْ، بل يضعونه أمام الناس فيقولون كيف كذا ولم كذا؟ وهؤلاء وصفهم الله في الآية: ﴿الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾ [آل عمران: ٧]؛ أي مِيلٌ عَنِ الْحَقِّ، وهم يفعلون ذلك ابتغاء الفتنة في أنفسهم وابتغاءها على غيرهم، فهم يصدون عن سبيل الله، ويميلون عن الاستقامة، ففسدت مقاصدُهم، وصار قصدُهم الغي والضلال، وانحرفت قلوبهم عن طريق الهدى والرشاد، فيتركون المحكم الواضح ويذهبون إلى المتشابه، فإن المتشابه تحصل به الفتنة بسبب الاشتباه الواقع فيه، وإلا فالمحكم الصريح ليس محلا للفتنة، لوضوح الحق فيه لمن قصده اتباعه.

والقسم الآخر وهم الذين وصل العلم واليقين إلى أفئدتهم، ﴿يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران: ٧]، فهو لا يتناقض ولا يتخالف، فنرد المتشابه إلى المحكم، فيكون جميعه محكماً.

وتأمل شيئاً آخر، وهو بَمَ ختم الله هذه الآية العظيمة؟ فقال: ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [آل عمران: ٧]، ما يتعظ بمواعظ الله ويقبل نصحه

وتعليمه إلا أولو الألباب؛ أهل العقول الرزينة، وهم لبُّ العالم وخلاصة بني آدم، فيتذكرون ما ينفعهم فيفعلونه، وما يضرهم فيتركونه، وأما من عداهم فهم القُشور الذي لا حاصل له ولا نتيجة تحته، لا ينفعهم الزجر والتذكير لخلوهم من العقول النافعة.

ثم اعجب من الآية التي بعدها مباشرة، قال الله تعالى عن الراسخين في العلم أنهم يدعون ويقولون: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ [آل عمران: ٨]، هذا دعاء الراسخين في العلم، وليس المتذبذبين في دينهم، يقولون: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ [آل عمران: ٨]، أي: لا تُمِلِّهَا عن الحق جهلاً وعناداً منا، بل اجعلنا مستقيمين هادين مهتدين، فثبتنا على هدايتك وعافنا مما ابتليت به الزائغين، ﴿وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ [آل عمران: ٨].

وهذه إشارة واضحة إلى أن أعظم أسباب الانتكاسات والإلحاد هو الدوران حول الأحكام والأمور المتشابهة مع ثبوتها في القرآن والسنة، ولهذا كم هم المنتكسون الذين يُدْنِدُونَ حول حكم قتل المرتد وهو أمر مجمع عليه، وكم هم الذين انتكسوا بسبب آيات حكم الجهاد في سبيل الله، وقُلْ مثل ذلك في حكم البراءة من الكافرين، وكذلك تحريم العلاقات المحرمة بين الرجل والمرأة، إلى غير ذلك، كلهم كانت بدايتهم الفكرة الشيطانية، وهي الاعتراض وعدم التسليم والقبول، حتى بدأ هذا المارد يكبر ويكبر، حتى أصبح عملاقاً لا يردعه إيمان ولا خوف من الله تعالى؛ لأنه ترك أصلاً عظيماً وهو التسليم لحكم الله.

وقوله: ﴿كُلُّ مَنْ عِنْدَ رَبِّنَا﴾ [آل عمران: ٧]، قال الإمام الطحاوي - رحمه الله تعالى - في عقيدته: (ولا تُثَبِّتُ قَدَمُ الْإِسْلَامِ إِلَّا عَلَى ظَهْرِ التَّسْلِيمِ وَالِاسْتِسْلَامِ) (١).

وقال الإمام ابن أبي العز الحنفي: (ولهذا كان سلف هذه الأمة التي هي أَكْمَلُ الْأُمَمِ عَقُولًا وَمَعَارِفَ وَعُلُومًا لَا تَسْأَلُ نَبِيَهَا: لِمَ أَمَرَ اللَّهُ بِكَذَا؟ وَلِمَ نَهَى عَنْ كَذَا؟ وَلِمَ قَدَّرَ كَذَا؟ وَلِمَ فَعَلَ كَذَا؟ لَعَلَّهُمْ أَنْ ذَلِكَ مُضَادٌّ لِلْإِيْمَانِ وَالِاسْتِسْلَامِ، وَأَنَّ قَدَمَ الْإِسْلَامِ لَا تَثْبُتُ إِلَّا عَلَى دَرَجَةِ التَّسْلِيمِ) (٢).

وروى ابن جرير الطبري عن التابعي الجليل المفسر ابن زيد رحمته: «مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ الْبَلَاءَ وَالضَّلَالَةَ يَقُولُ: مَا شَأْنُ هَذَا لَا يَكُونُ هَكَذَا، وَمَا شَأْنُ هَذَا لَا يَكُونُ هَكَذَا؟» (٣).

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾ [الأحزاب: ٣٦].

بَارَكَ اللَّهُ لِي وَلَكُمْ فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، وَنَفَعَنِي وَإِيَّاكُمْ بِمَا فِيهِ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ، أَقُولُ مَا سَمِعْتُمْ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ لِي وَلَكُمْ وَلِسَائِرِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ وَخَطِيئَةٍ، فَاسْتَغْفِرُوهُ، وَتَوَبُوا إِلَيْهِ، إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ.

(١) الطحاوية (١/ ٤٣).

(٢) شرح العقيدة الطحاوية (١/ ٣٤١).

(٣) تفسير الطبري (٦/ ١٧٩).

الخطبة الثانية:

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله تعظيماً لشانه، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الداعي إلى جنته ورضوانه، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأعوانه.

أَمَّا بَعْدُ:

معاشر الإخوة: لقد وصف الله حال الذين يتبعون المشابه وصفاً بديعاً، وكيف يعمل الشيطان على هذه الطبيعة الإنسانية وهذه النفس المتسائلة، وكيف يستغلها إبليس الطَّريدُ، وصف الله هذا المشهد بأجمل بيان وأروع مقال، فقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى﴾ [الحج: ٥٢] - أي قرأ، وهذا هو الوحي المنزل - ﴿أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [٥٢] لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ [٥٣] وَلَيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادٍ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الحج: ٥٢-٥٤].

فانظر إلى عمل الشيطان ومحاولته لزرع الشك والفتنة في قلوب المرضى ومن قست قلوبهم، وأما الذين أُوتوا العلم فهو سببٌ لإخبات قلوبهم وزيادة إيمانهم، إذا هو ابتلاءٌ وامتحانٌ، وهذا هو أعظم سبب لوجود المحكم والمتشابه في القرآن من أجل الاختبار والتمييز، ممن يقول ﴿كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران: ٧]، ومن يكون سبباً لانتكاسته وإلحاده.

وقد بين الله - سبحانه - في عدة مواضع من كتابه أنه ينزل بعضاً من القرآن؛ اختباراً وفتنة للناس، وتمييزاً للمؤمن الصادق من المنافق المرتاب، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَنُزِّلَ مِنَ الْفُرْقَانِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾ [الإسراء: ٨٢]، وقوله - جل جلاله - : ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَرَادَتْهُمْ ءِيمَنَّا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ۝١٢٤ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ ﴾ [التوبة: ١٢٤-١٢٥].

وقال ابن القيم عند قول الله تعالى في الآية السابقة: ﴿ لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم ﴾ [الحج: ٥٣]، (قوله: ﴿ لِيَجْعَلَ ﴾)، اللام هي لام التعليل، وهذا الاختبار والامتحان مظهر لما في القلوب الثلاثة، فالقاسية والمريضة ظهر خبؤها من الشك والكفر، والقلوب المخبئة ظهر خبؤها من الإيمان والهدى وزيادة محبته وزيادة بغض الكفر والشرك والنفرة عنه، وهذا من أعظم حكم هذا الإلقاء^(١).

وقد حذر النبي ﷺ من الذين يتبعون المتشابه، ففي الصحيحين عن عائشة قالت: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ سَمَّى اللَّهُ فَاحْذَرُوهُمْ»^(٢).

قال النووي رحمه الله: (وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ التَّحذِيرُ مِنْ مُحَاظَةِ أَهْلِ الزَّيْغِ، وَأَهْلِ الْبِدْعِ، وَمَنْ يَتَّبِعِ الْمَشْكِلَاتِ لِلْفِتْنَةِ. فَأَمَّا مَنْ سَأَلَ عَمَّا أَشْكَلَ عَلَيْهِ مِنْهَا

(١) شفاء العليل (١/١٩٣).

(٢) أخرجه البخاري (٤/١٦٥٥، رقم ٤٢٧٣)، ومسلم (٤/٢٠٥٣، رقم ٢٦٦٥).

لِاسْتِرْشَادٍ، وَتَلَطَّفَ فِي ذَلِكَ، فَلَا بَأْسَ عَلَيْهِ، وَجَوَابُهُ وَاجِبٌ. وَأَمَّا الْأَوَّلُ فَلَا يُجَابُ، بَلْ يُزَجَرُ، وَيُعْزَرُ^(١).

ونحنُ عبادُ الله في زمن الانفتاح واختلاطِ الشعوب، وأجهزة التواصل الاجتماعي، أصبح التشابهُ هو حديثُ الناس والأغلوطنات والمأمرات والجدال، وهو السائد، فعليك نفسك، وحافظ على تديّنك وصلحك ومعتقدك، وإياك والعُجبَ بالنفس؛ فهي القاصِمةُ، فإن الله يبتلي عباده في تسليمهم لأوامره ونواهيه.

ثُمَّ صَلُّوا وَسَلِّمُوا عَلَى رَسُولِ الْهُدَى، وَإِمَامِ الْوَرَى، فَقَدْ أَمَرَكُم رُبُّكُمْ فَقَالَ -جل وعلا-: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ، وَارْضَ اللَّهُمَّ عَنِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ، وَالْأَئِمَّةِ الْمُهَدِّينَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَلِيٍّ، وَعَنِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ، وَعَنَّا مَعَهُمْ بِعَفْوِكَ وَكَرَمِكَ يَا أَكْرَمَ الْأَكْرَمِينَ.

اللَّهُمَّ أَعِزِّ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَانصِرْ عِبَادَكَ الْمُوَحِّدِينَ الَّذِينَ يَجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِكَ فِي كُلِّ مَكَانٍ، اللَّهُمَّ انصِرْهُمْ عَلَى عَدُوِّكَ وَعَدُوِّهِمْ، اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِالْيَهُودِ الْمُعْتَدِينَ، وَالنَّصَارَى الْمُحَارِبِينَ، اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِهِمْ؛ فَإِنَّهُمْ لَا يَعْجِزُونَكَ، اللَّهُمَّ أَحْصِهِمْ عَدَدًا.

اللَّهُمَّ آمِنَّا فِي أَوْطَانِنَا، وَأُصْلِحْ أَمْتَنَا وَوَلَاةَ أُمُورِنَا، اللَّهُمَّ وَفِّقْهُمْ لِمَا

(١) المنهاج شرح صحيح مسلم (١٦/٢١٨).

يرضيك، وجنبهم معاصيك.

اللَّهُمَّ تب على التائبين، واهد ضالَّ المسلمين، اللَّهُمَّ رُدَّهُمْ إِلَيْكَ رَدًّا
جَمِيلًا، اللَّهُمَّ ارفع ما نزل من الفتن.

اللَّهُمَّ اغفر لنا ولوالدينا.

عباد الله! ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ
الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠]،
فاذكروا الله العلي العظيم يذكركم، واشكروه على نعمكم يزدكم، ﴿وَلَذِكْرُ
اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

المال العام

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه، ومن سار على نهجه، واقتفى أثره، إلى يوم الدين، وسلم تسليمًا كثيرًا.

أَمَّا بَعْدُ:

فَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ، ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عِمْرَانَ: ١٠٢].

معشر المصلين: تتناقل أجهزة التواصل مشاهدَ مخزنة ومؤلة من مظاهر إتلاف المال العام وأملاك الدولة فمن ذلك عُبْتُ الطلاب في مدارسهم، وتكسير الأجهزة والنوافذ والمرافق، وتمزيق الكتب وإهانتها بما فيها من علمٍ نافع، ومن ذلك ما نراه من عبث بسيارات الدولة ومكاتبها وأجهزتها، وما نراه من سאתخفاف في محتوبات المستودعات الحكومية ونحوها، إن هذه الوقائع عكست خللاً وتقصيراً تربوياً، وقصوراً في نظام وتشريع العقوبات والتجريم، والسؤال معشر الإخوة، هل هؤلاء الالناس والشباب

يستشعرون حرمة هذه الأعمال وأنها كبيرة من كبائر الذنوب؟ هل يستشعرون أن التعدي على المال العام الذي هو ملك للجميع أشد من التعدي على المال الخاص، وأشد إثماً من التعدي على مرافق بيت مملوك لشخص معين؟ الجواب: كلا، لا يستشعرون، إن الشريعة جاءت بتعظيم الأموال تعظيماً ظاهراً، وحرمت التعدي على المال الخاص فضلاً عن المال العام، فالسارق تُقطع يده.

وأخبر الرسول ﷺ أن «مَنْ قَتَلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ»^(١)، كما في الصحيحين، وأما المال العام فقد حرم الرسول ﷺ التعدي عليه، وضرر منه أشد التحذير، إذا كان قد أخذه لنفسه، ولو كان أقل القليل.

تأملوا هذه القصة العظيمة لنعلم حرمة المال العام في رجل مع رسول الله ﷺ وفي خدمته، ومع هذا انظروا إلى عقوبته، جاء في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه يَقُولُ: افْتَتَحْنَا خَيْبَرَ وَلَمْ نَغْنَمْ ذَهَبًا، وَلَا فِضَّةً، إِنَّمَا غَنِمْنَا الْبَقَرِ وَالْإِبِلَ وَالْمَتَاعَ وَالْحَوَائِطَ، ثُمَّ انْصَرَفْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى وَادِي الْقُرَى وَمَعَهُ عَبْدٌ لَهُ يُقَالُ لَهُ مِدْعَمٌ، أَهْدَاهُ لَهُ أَحَدُ بَنِي الضَّبَابِ، فَبَيْنَمَا هُوَ يَحْطُ رَحَلَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِذْ جَاءَهُ سَهْمٌ عَائِرٌ حَتَّى أَصَابَ ذَلِكَ الْعَبْدَ، فَقَالَ النَّاسُ: هَنِيئًا لَهُ الشَّهَادَةُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «بَلَى، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّ الشَّمْلَةَ الَّتِي أَصَابَهَا يَوْمَ خَيْبَرَ مِنَ الْمَغَانِمِ لَمْ تُصِبْهَا الْمَقَاسِمُ لَتَشْتَعِلَ عَلَيْهِ نَارًا». فَجَاءَ رَجُلٌ حِينَ سَمِعَ ذَلِكَ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ بِشْرَاكِ، أَوْ بِشْرَاكِينِ فَقَالَ هَذَا شَيْءٌ

(١) أخرجه البخاري (٨٧٧/٢)، رقم ٢٣٤٨، ومسلم (١/١٢٤)، رقم ١٤١.

كُنْتُ أَصْبَتْهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «شِرَاكٌ، أَوْ شِرَاكَانِ مِنْ نَارٍ»^(١).

والغنيمة من المال العام، فبيت المال له فيها حظٌ، والغزاة لهم حظٌ، والفقراء والمساكين وغير ذلك، فإذا كان هذا مجاهداً في سبيل الله، ويخدم رسول الله ﷺ ومع هذا ناله ما ناله عندما غلّ من الغنيمة، والعبد لا سهم له فيها، ولكن يرضخ له، فلهذا وقعت عليه هذه العقوبة الشديدة، وتذكروا أنه أخذ هذا المال لينتفع منه لا ليفسده ويتلفه، فكيف بربكم من أفسد المال وأتلفه وأهلكه دون أي حاجة إلا الفساد؟ فهو جمع مع التعدي على المال العام الإفساد في الأرض.

وروى البخاري في صحيحه، عَنْ خَوْلَةَ الْأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ رِجَالًا يَتَخَوَّضُونَ فِي مَالِ اللَّهِ بِغَيْرِ حَقٍّ فَلَهُمُ النَّارُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(٢).

ورواه الترمذي بلفظ: «وَرُبَّ مُتَخَوِّضٍ فِيمَا شَاءَتْ بِهِ نَفْسُهُ مِنْ مَالِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ لَيْسَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا النَّارُ»^(٣).

قال الحافظ ابن حجر: (قوله: «يَتَخَوَّضُونَ» بالمعجمتين، «فِي مَالِ اللَّهِ بِغَيْرِ حَقٍّ» أي يتصرفون في مال المسلمين بالباطل، وهو أعم من أن يكون بالقسمة وبغيرها)^(٤).

(١) أخرجه البخاري (٤/١٥٤٧، رقم ٣٩٩٣)، ومسلم (١/١٠٨، رقم ١١٥).

(٢) أخرجه البخاري (٣/١١٣٥، رقم ٢٩٥٠).

(٣) أخرجه الترمذي (٤/٥٨٧، رقم ٢٣٧٤).

(٤) فتح الباري (٦/٢١٩).

وقال ابن الجوزي: (أي يتصرفون فيه ويتقحمون في استحلاله)^(١).

نسأل أنفسنا بكل صدق هل ربينا أولادنا على احترام المرافق العامة من الحدائق والمدارس والشوارع وممتلكات الدولة؟ الكثير منا لم يفعل ذلك، بل إن البعض منا إذا عبث أولاده في المنزل أو كسروا قال لهم: (هل أنتم في الشارع)، وما هذا القول إلا رسالة مغلفة بفك الخناق في الشوارع وإطلاق لليد العابثة فيه، لا بد من تصور الأبناء لحرمة الأموال العامة والتخويف من مغبة إفسادها، وأن الله ﷻ سائلكم عنها، وأنها مملوكة للفقير والمسكين المحتاج والمريض والصغير والكبير، وكما أنهم يستشعرون حرمة التعدي على المال الخاص، فلا بد من استشعارهم لحرمة المال العام.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، ﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ﴾ (٢٥) وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَيْسَ الْمِهَادُ ﴿[البقرة: ٢٠٥-٢٠٦].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول ما سمعتم، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب وخطيئة، فاستغفروه، وتوبوا إليه، إنه هو الغفور الرحيم.

(١) كشف المشكل من حديث الصحيحين (١/ ١٢٩١).

الخطبة الثانية:

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله تعظيماً لشانه، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الداعي إلى جنته ورضوانه، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأعوانه.

أَمَّا بَعْدُ:

مَعَشَرَ الإِخْوَةِ: إن من مستفزاتِ مناظر مظاهر العبث والفساد بالمال العام أن الكثير يشارك في مثل هذا الإفساد حتى ممن لا يُتَصَوَّرُ منهم ذلك، والسبب في هذا هو طبيعة التقليد عند الأبناء، مما يدل على ضعف زرع الثقة بالنفس وضبط السلوك والاعتداد بالرأي.

إن من أهم مقومات التربية أن تربي ولدك على التحصين الذاتي، فلا يؤثر عليه كثرة الأقران في فعل شيء، لا يرتضيه ولا يقتنع منه، لا بد من كسر طبيعة التَّبَعِيَّةِ المطلقة والتقليد الأعمى، فالأطفال بحاجة إلى تربيتهم على معرفة الخير والصواب، والقدرة على عمله، ومعرفة الشر والخطأ، والقدرة على اجتنابه، دون أن يؤثر عليهم الآخرون، كثير من الطلاب يجامل أقرانه على حساب أخلاقه وتربيته، فأين دور الوالدين في زرع الثقة وعدم المجاملة في الباطل؟ وليعلم أنه لا خلاف بين الفقهاء في أنَّ مَنْ أَتْلَفَ شيئاً من أموال بيت المال بغير حقٍّ، كان ضامناً لما أَتْلَفَهُ، وأنَّ مَنْ أَخَذَ منه شيئاً بغير حقٍّ لَزِمَهُ رَدُّهُ، أو رَدُّ مِثْلِهِ إنْ كان مثلياً، وقيمته إنْ كان قيمياً، وإنما الخلاف بينهم في قَطْع يد السارق من بيت المال، فقد اختلفوا فيه على قولين، فالمسألة كبيرة

وعظيمة، فالضمان لا بد منه، والإثم يوم القيامة كبيرٌ.

تذكروا هذا الحديث، واحذروا العقوبة العظيمة، روى الشيخان عن أبي هريرة، رضي الله عنه، قال قام فينا النبي ﷺ فذكر الغُلُولَ فَعَظَّمَهُ وَعَظَّمَ أَمْرَهُ قَالَ: «لَا أَلْفَيْنَ أَحَدَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رَقَبَتِهِ شَاةٌ لَهَا تُغَاءٌ، يَقُولُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَغْنِنِي فَأَقُولُ لَا أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا قَدْ أَبْلَغْتُكَ، وَعَلَى رَقَبَتِهِ فَرَسٌ لَهُ حِمَحِمَةٌ، يَقُولُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَغْنِنِي فَأَقُولُ لَا أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا قَدْ أَبْلَغْتُكَ، وَعَلَى رَقَبَتِهِ بَعِيرٌ لَهُ رُغَاءٌ يَقُولُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَغْنِنِي فَأَقُولُ لَا أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا قَدْ أَبْلَغْتُكَ، وَعَلَى رَقَبَتِهِ صَامِتٌ فَيَقُولُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَغْنِنِي فَأَقُولُ لَا أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا قَدْ أَبْلَغْتُكَ، أَوْ عَلَى رَقَبَتِهِ رِقَاعٌ تَخْفُقُ فَيَقُولُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَغْنِنِي، فَأَقُولُ لَا أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا قَدْ أَبْلَغْتُكَ»^(١).

ثُمَّ صَلُّوا وَسَلِّمُوا عَلَى رَسُولِ الْهُدَى، وإمام الورى، فقد أمركم ربكم فقال -جل وعلا-: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]، اللهم صل وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وارض اللهم عن الخلفاء الراشدين، والأئمة المهديين أبي بكر وعمر وعثمان وعلي، وعن الصحابة أجمعين، وعننا معهم بعفوك وكرمك يا أكرم الأكرمين.

اللهم أعز الإسلام والمسلمين، وانصر عبادك الموحدين الذين يجاهدون في سبيلك في كل مكان، اللهم انصرهم على عدوك وعدوهم، اللهم عليك

(١) أخرجه البخاري (٣/ ١١١٨، رقم ٢٩٠٨)، ومسلم (٣/ ١٤٦١، رقم ١٨٣١).

باليهود المعتدين، والنصارى المحارين، اللهم عليك بهم؛ فإنهم لا يعجزونك، اللهم أحصهم عددًا.

اللهم آمنا في أوطاننا، وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا، اللهم وفقهم لما يرضيك، وجنبهم معاصيك.

اللهم تب على التائبين، واهد ضال المسلمين، اللهم ردهم إليك ردًا جميلًا، اللهم ارفع ما نزل من الفتن.

اللهم اغفر لنا ولوالدينا.

عباد الله! ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَنِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠]،
فاذكروا الله العلي العظيم يذكركم، واشكروه على نعمكم يزدكم، ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

الفواحش

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يضلِّل فلا هاديَّ له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه، ومن سار على نهجه، واقتفى أثره، إلى يوم الدين، وسلم تسليماً كثيراً.

أَمَّا بَعْدُ:

فَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ، ﴿وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الحشر: ١٨].

معشر الإخوة: لقد نهى الله -جل وعلا- عن الفواحش في كثير من الآيات، وذكر هذا النهي في أعظم الوصايا، قال تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّي عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ أَمْلَقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ [الأنعام: ١٥١].

ما أَجْمَلَ هذا التعبير: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا﴾ والنهي عن قربان الفواحش أبلغ

من النهي عن مجرّد فعلها، فإنه يتناول النهي عن مقدماتها ووسائلها الموصلة إليها، ثم عمم في النهي عن الفواحش الظاهرة والباطنة، الظاهر منها والخفي، ويشمل المتعلّق منها بالظاهر، والمتعلّق بالقلب والباطن، لقد امتدح الله - جل وعلا - الذين يجتنبون الفواحش ولا يقربونها، قال تعالى: ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ (٣٦) وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿[الشورى: ٣٦-٣٧].

نحن في زمنٍ سهّلت فيه أسباب إتيان الفواحش من الزنا واللواط ومقدماتها، خطفٌ وابتزاز ومعاكسات وتحرشات، وأطفال منبذون عند المساجد وبيوت الناس، كله بسبب هذه الفواحش، أف لفاحشة أفسدت قانون الحياة؟ أف لزوجة ساعة، وشهوة عارمة غير محسوبة ولا مسؤولة، عقابها العار والنار.

الزنا كبيرة من كبائر الذنوب، من أبشع الجرائم، وفاحشة من أكبر الفواحش، وموبقة من أخطر الموبقات، تتجلى فيها هذه البهيمية المغرقة. جريمة تُفقد فيها الشهامة، وتذهب بالمروءة، يحل مكان العفاف فيها الفجور، وتقوم فيها الخلاعة مقام الحشمة، وتطرد فيه الوقاحة جمال الحياء. إنها جريمة الزنا؛ كم جرّعت من غصة، وكم أزالّت من نعمة، وكم جلبت من نقمة، وكم خبأت لأهلها من آلام متظرة، وغموم متوقّعة، وهموم مستقبلية.

وفي الصحيحين عن الرسول ﷺ: «زَنَا الْعَيْنِ النَّظَرُ، وَزَنَا اللِّسَانِ الْمُنْطَقُ، وَالنَّفْسُ تَمْنَى وَتَشْتَهِي، وَالْفَرْجُ يُصَدِّقُ ذَلِكَ أَوْ يُكَذِّبُهُ»^(١).

(١) أخرجه البخاري (٢٤٣٨/٦)، رقم (٦٢٣٨)، ومسلم (٢٠٤٦/٤)، رقم (٢٦٥٧).

عقوبته وخيمته في الدنيا والآخرة، بل إن الرسول ﷺ قال كما في الصحيحين، عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: «لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ»^(١).

زاد النسائي في رواية: «فَإِذَا فَعَلَ ذَلِكَ خَلَعَ رِبْقَةَ الْإِسْلَامِ مِنْ عُنُقِهِ، فَإِنْ تَابَ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ»^(٢).

لقد اقترن حال الزاني بحال المشرك في كتاب الله: ﴿الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور: ٣].

الزنا مُحَرَّمٌ بقواطع الأدلة؛ في محكم القرآن وصحيح السنة وإجماع أهل الملة، بل إجماع أهل الملل. وفي صحيح البخاري في حديث المنام الطويل، وفيه أنه ﷺ جاءه جبريل وميكائيل عليهما السلام قال: «فَانْطَلَقْنَا فَأَتَيْنَا عَلَى مِثْلِ التَّنُّورِ -أَعْلَاهُ ضَيْقٌ وَأَسْفَلُهُ وَاسِعٌ- فِيهِ لَغَطٌ وَأَصْوَاتٌ قَالَ فَاطْلَعْنَا فِيهِ فَإِذَا فِيهِ رِجَالٌ وَنِسَاءٌ عُرَاةٌ وَإِذَا هُمْ يَأْتِيهِمْ هُبٌّ مِنْ أَسْفَلٍ مِنْهُمْ فَإِذَا أَتَاهُمْ ذَلِكَ ضَوْضُوا -أَيُّ صَاحُوا مِنْ شِدَّةِ الْحَرِّ- فَقُلْتُ: مَنْ هَؤُلَاءِ يَا جِبْرِيلُ؟! قَالَ: هَؤُلَاءِ الزُّنَاةُ وَالزَّوَانِي»^(٣).

فهذا عذابهم إلى يوم القيامة، عياداً بالله، ولهذا تأملوا قول الله تعالى:

(١) أخرجه البخاري (٢/ ٨٧٥، رقم ٢٣٤٣)، ومسلم (١/ ٧٦، رقم ٥٧).

(٢) أخرجه النسائي (٨/ ٦٥، رقم ٤٨٧٢).

(٣) أخرجه البخاري (٦/ ٢٥٨٣، رقم ٦٦٤٠).

﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور: ٢].

أليس من السرّ الذي يُلفتُ نظرَ العقلاء أن دينَ الإسلام -وهو دينُ الرحمةِ والرأفةِ حتى مع الحيوان- وقف هذا الموقفَ الشديد مع هؤلاء الزناة والزواني؟! أليس هذا الدينُ الذي يحب الستر ويدعو إليه يقيم هذا الحد على مشهد من المؤمنين؟! لماذا كل ذلك أيها الإخوة؟! إن الرأفة بالزناة ممن ثبت زناهم وتحققت جنائيتهم إنما هي قسوةٌ على المجتمع، وقسوةٌ على الآداب الإنسانية، وقسوةٌ على الضمير البشري، بل قسوةٌ على حقوق الإنسان. إنَّ القسوةَ في الحدِّ أَرَأْفُ ثم أَرَأْفُ بالمجتمع مما ينتظره من شيوع الفواحش لتفسدَ الفطرة، وترتكس في حماة الرذيلة ويعيش في بيئة الأدوية والأمراض.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، ﴿وَلَا تَقْرُبُوا الزَّانِيَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٣٢].

بَارَكَ اللَّهُ لِي وَلَكُمْ فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، وَنَفَعَنِي وَإِيَّاكُمْ بِمَا فِيهِ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ، أَقُولُ مَا سَمِعْتُمْ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ لِي وَلَكُمْ وَلِسَائِرِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ وَخَطِيئَةٍ، فَاسْتَغْفِرُوهُ، وَتَوَبُوا إِلَيْهِ، إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ.

الخطبة الثانية:

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله تعظيماً لشانه، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الداعي إلى جنته ورضوانه، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأعوانه.

أَمَّا بَعْدُ:

مَعَشَرَ الإِخْوَةِ: ما الذي صنعناه لحماية بناتنا وأبنائنا من هذه الفواحش؟ هل إذا منع الوالد الابن أو البنت من الخروج ظن أنه قد أدى الواجب الذي عليه والأمانة التي سيُسأل عنها؟ وهل علم الأب والأم أهم الأسباب المانعة بإذن الله من سلوك طريق الفاحشة من النصيح والتوجيه، والدلالة على النافع المفيد، وبذل الجهد في ذلك.

عبادَ الله: لنعلم أن من أعظم أسباب انتشارِ الفواحش رَدُّ الأزواج الأكفَاءِ، «وَإِذَا أَتَاكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ فَرَوْجُوهُ، إِلَّا تَفْعَلُوا تَكُنْ فِتْنَةً فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ»^(١).

مَعَشَرَ الإِخْوَةِ: ومن أعظم أسباب إتيان الفواحش السفر إلى بلاد يكثر فيها الانحلال والفساد، كم من عاقلٍ ما عَرَفَ الفواحشَ ولا أتاها، وحينما سافر مرة سقط في بَرَاثِنِ هذا الداء، لقد أصبحت الأمهات تصرخُ من كثرة سفر أولادهن وتغيَّرَ أخلاقهم، والزوجات يعانين من علاقات أزواجهن المحرمة، ما الذي أصاب هؤلاء؟ أين خوف الله جل وعلا؟ أين الاستعداد

(١) الترمذي.

للقائه؟ أين تهرب؟ إلى أين تفر يوم تُكشف لك أعمالك وترى النار ولا ترى إلا ما قدمت؟ عجباً ثم عجباً من هؤلاء! ألا يتذكرون القبر والقيامة وشدة العذاب؟

وإن مما انتشر من الأمور المحرمة أن بعض الناس يسافر ليتزوج بِنِّة الطلاق، ثم يذهب إلى مكاتب خاصة ومسوقين معروفين ليزوجوه ويوهموه بعقد صوري، وهو يعرف أن هذه المرأة قد تزوجت قبل أيام ولم تُنِّه عِدَّة طلاقها، وأنها غير عفيفة، أو على الأقل يغلب على ظنه، وليعلم أن هذا كبيرة من كبائر الذنوب، فلا يجوز الزواج بالفاجرة الزانية، قال تعالى: ﴿الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور: ٣].

قال السعدي: (وأما الفاجراتُ غيرُ العفيفاتِ عن الزنا فلا يُباح نكاحهنَّ، سواء كن مسلمات أو كاتبات، حتى يتبن لقوله تعالى: ﴿الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً﴾ [النور: ٣]، ومعنى الآية: أن من اتصف بالزنا، من رجل أو امرأة، ولم يَثْبُ من ذلك، أن المُقْدِم على نكاحه، مع تحريم الله لذلك، لا يخلو إما ألا يكون ملتزماً لحكم الله ورسوله، فذاك لا يكون إلا مشركاً، وإما أن يكون ملتزماً لحكم الله ورسوله، فأقدم على نكاحه مع علمه بزناه، فإن هذا النكاح زناً، والناكح زانٍ مسافح، فلو كان مؤمناً بالله حقاً، لم يُقدِّم على ذلك، وهذا دليلٌ صريحٌ على تحريم نكاح الزانية حتى تتوب، وكذلك إنكاح الزاني حتى يتوب^(١)).

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (١/ ٢٢١).

وسُئِلَ الشيخ ابن عثيمين رحمته الله السؤال التالي: فضيلة الشيخ نحن لا نقدر على الزواج، ونريد أن نذهب إلى بعض البلدان ونزوجه بنية الطلاق، فما حكم هذا الفعل؟

الجواب: (هؤلاء ذهبوا للزنا، فإذا فعلوا ذلك فهم زناة؛ لأن الذين أجازوا النكاح بنية الطلاق من أهل العلم إنما أرادوا الرجل الغريب الذي ذهب لغير هذا القصد، ذهب لتجارة، أو لطلب علم، أو لعلاج وبقوا هناك، فهنا اختلف العلماء: هل له أن يتزوج بنية الطلاق أم لا يجوز؟ فمنهم من جَوَّزه، ومنهم من منعه، وأما أن يذهب لهذا الغرض فلا شك أن هذا زنا، وأنه لا يقول به أحدٌ من الناس أبدًا، ولو أن هؤلاء اتقوا الله لجعل لهم فرجًا ومخرجًا، لو أنهم فعلوا ما أرشدهم إليه الرسول ﷺ حيث قال: «يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ! مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، فَإِنَّهُ أَغْضُ لِلْبَصَرِ وَأَخْصَنُ لِلْفَرْجِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ»^(١)، لكان خيرًا. هؤلاء ذهبوا بتذكرة ورجعوا بتذكرة، ونزلوا فنادق هناك قد تكون من أعلى الفنادق وأكثرها ثمنًا، وتزوجوا على شيء، ثم سيعودون، فهم في الحقيقة ذهبوا للزنا، فعليهم أن يتوبوا إلى الله ﷻ وأن يتقوا الله تعالى، وأن يسترشدوا بإرشاد الرسول ﷺ وأبلغهم هذا عني)^(٢).

وإني أذكرُ الشباب والرجال بأن يتقوا الله في بنات المسلمين وأبنائهم، فإن الله لك بالمرصاد، وتذكر أن لك أسرةً وعورةً تخاف عليها، فلك زوجة

(١) أخرجه البخاري (٢/٦٧٣)، رقم ١٨٠٦، ومسلم (٢/١٠١٨)، رقم ١٤٠٠.

(٢) لقاء الباب المفتوح (١٣٣).

ولك أبناء ولك أخت، فاتق الله فيهن، ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَزْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لَعُنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: ٢٣].

ثُمَّ صَلُّوا وَسَلِّمُوا عَلَى رَسُولِ الْهُدَى، وإمام الورى، فقد أمركم ربكم فقال -جل وعلا-: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]، اللهم صلّ وسلّم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وارض اللهم عن الخلفاء الراشدين، والأئمة المهديين أبي بكر وعمر وعثمان وعلي، وعن الصحابة أجمعين، وعنّا معهم بعفوك وكرمك يا أكرم الأكرمين.

اللهم أعز الإسلام والمسلمين، وانصر عبادك الموحدين الذين يجاهدون في سبيلك في كل مكان، اللهم انصرهم على عدوك وعدوهم، اللهم عليك باليهود المعتدين، والنصارى المحاربين، اللهم عليك بهم؛ فإنهم لا يعجزونك، اللهم أحصهم عددًا.

اللهم آمنا في أوطاننا، وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا، اللهم وفقهم لما يرضيك، وجنبهم معاصيك.

اللهم تب على التائبين، واهد ضال المسلمين، اللهم رُدّهم إليك ردًا جميلاً، اللهم ارفع ما نزل من الفتن.

اللهم اغفر لنا ولوالدينا.

عباد الله! ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠]،

فاذكروا الله العلي العظيم يذكركم، واشكروه على نعمكم يزدكم، ﴿وَلَذِكْرُ
اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

الفرور - ربي أكرم من

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يضلِّل فلا هاديَّ له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه، ومن سار على نهجه، واقتفى أثره، إلى يوم الدين، وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد:

فأوصيكم ونفسي بتقوى الله -جلَّ وعلا-، ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ [آل عمران: ٣٠].

معشر الإخوة: من تناقضات الإنسان التي لا تنتهي ولا تنقطع أن يسعى إلى الآخرة وتكون همه ورجاءه، وتكون قناعته بأن هذه الدار دارُ ممر وليست دار مَقَرٍّ، ومع ذلك هو يتعامل مع ربه بما أعطاه في الدنيا وما يلقاه منه من حسن القضاء والقدر، وهو يزعم أنه يريد الله والدار الآخرة، وقد ذكر الله في كتابه -جلَّ وعلا- هذا التناقض الإنساني في قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ، وَنَعَّمَهُ، فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ، فَيَقُولُ رَبِّي أَهْنَنِ﴾ [الفجر: ١٥-١٦].

فأخبر الله عن طبيعة الإنسان من حيث هو، وأنه جاهلٌ ظالم، لا عِلْمَ له بالعواقب، يظن الحالة التي تقع فيه تستمر ولا تزول، ويظن أن إكرام الله في الدنيا وإنعامه عليه يدل على كرامته عنده وقربه منه، وأنه إذا ضيق عليه رزقه، أن هذا إهانة من الله له، فرد الله عليه هذا الحسبان: بقوله: ﴿كَلَّا﴾، أي: ليس كل من نعمته في الدنيا فهو كريم علي، ولا كل من قدرْتُ عليه رزقه فهو مهانٌ لدي، وإنما الغنى والفقر، والسَّعة والضيق، ابتلاءٌ من الله، وامتحانٌ يمتحن به العباد، ليرى من يقوم له بالشكر والصبر، فيثبته على ذلك الثواب الجزيل، ومن ليس كذلك فينقله إلى العذاب الوَبِيل.

قال القرطبي رحمه الله: (الخاسرُ لقصورِ نظره وسوءِ فكره يرى أن الكرامة عند الله والهوان بكثرة الحظ في الدنيا وقلته، فأما المؤمنُ فالكرامة عنده أن يكرمه الله بطاعته وتوفيقه، المؤدي إلى حظ الآخرة، وإن وسع عليه في الدنيا حمده وشكره)^(١).

كثيرٌ من المسلمين يظن أن ما أعطاه الله لكرامته وفضيلته عند الله، وربما يقول بجهله: لو لم أستحق هذا لم يعطني الله، وكذا إن ضيق عليه يظن أن ذلك لهوانه على الله، إن هذا الشعور وهذا الوارد من الغرور الذي حذرنا الله في كتابه كثيرًا، كما في قوله تعالى: ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾ [لقمان: ٣٣]، فمن أخبرك أن الله أعطاك ليكرمك؟ ومن الذي أخبرك أن الله ضيق عليك ليهينك؟ ولهذا قال الله بعدها: ﴿كَلَّا﴾، نعم كلا ليس لهذا ولا هذا، قال الحسن: «كَذَّبُهَا جَمِيعًا بقوله:

(١) تفسير القرطبي (٢٠/٤٧).

﴿كَلاَّ﴾، يقول: ليس هذا بإكرامي ولا هذا بهواني، ولكن الكريم من أكرمه بطاعتي غنيًّا كان أو فقيرًا، والمُهان من أهنته بمعصيتي غنيًّا كان أو فقيرًا^(١).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية حول هذه الآية: (الفقر والغنى ابتلاءٌ من الله لعبده، أي ليس كل من وسعت عليه وأعطيته، أكون قد أكرمته، ولا كل من ضيقت عليه وقُتِرَتْ، أكون قد أهنته، فالإكرام أن يكرم الله العبد بطاعته والإيمان به ومحبه ومعرفته، والإهانة أن يسلبه ذلك، ولا يقع التفاضل بالغنى والفقر بل بالتقوى، قال يحيى بن معاذ: لا يوزن غدا الفقر ولا الغنى وإنما يوزن الصبر والشكر)^(٢).

فالمغرور إذا أقبلت عليه الدنيا ظن أنها كرامةٌ من الله، وإذا صُرف عنه ظن أنها هوانٌ، ومنشأ هذا الغرور الجهل بالله وبصفاته؛ فإن من عرف ربه لا يأمن مكره، ولا هو يغتر بأمثال هذه الخيالات الفاسدة والأحوال الطارئة، بل ينظر إلى فرعون وهامان وقارون وإلى ملوك الأرض وما جرى لهم، كيف أحسن الله إليهم ابتداءً ثم دمرهم تدميرًا، قال تعالى: ﴿هَلْ نُنَبِّئُ مِنْهُمْ مَنْ أَحَدٍ أَوْتَسَمِعُ لَهُمْ رِكْزًا﴾ [مريم: ٩٨].

وقد حذر الله تعالى من مكره واستدراجه، فقال: ﴿فَلَا يَأْمَنْ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [الأعراف: ٩٩]، وقال تعالى: ﴿وَمَكْرُوا مَكْرًا وَمَكْرَنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [النمل: ٥٠]، وقال ﷺ: ﴿وَمَكْرُوا وَمَكْرَ

(١) إحياء علوم الدين (٣/ ٣٧٢).

(٢) مدارج السالكين (٢/ ٤٤٢).

اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرَ الْمَكْرِينِ ﴿[آل عمران: ٥٤]، وقال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا﴾ (١٥) وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾ فَهَلْ الْكَافِرِينَ أَمَهُلُهُمْ رُودًا ﴿[الطارق: ١٥-١٧].

فكما لا يجوز للعبد الممهل أن يستدلّ بأمهال السيد إياه وتمكينه من النعم على حب السيد، بل ينبغي أن يحذر أن يكون ذلك مكرًا منه وكيدًا، مع أن السيد لم يحذره مكر نفسه، فكيف بحق الله الخالق، ومع تحذيره استدراجه أيضًا، فإنه من باب أولى، قال أبو حامد الغزالي: (ومنشأ هذا الغرور أنه استدلّ بنعم الدنيا على أنه كريمٌ عند ذلك المنعم، والهوى يميل بالقلب إلى ما يوافقه، وهو التصديق بدلالته على الكرامة)^(١).

قال بعض السلف: (رُبَّ مُسْتَدْرَجٍ بنعم الله عليه وهو لا يعلم، ورُبَّ مفتونٍ بثناء الناس عليه وهو لا يعلم، ورُبَّ مغرورٍ بستر الله عليه وهو لا يعلم)^(٢).

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، ﴿يَأْتِيهَا الْإِنْسَنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ (٦) الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴿[الانفطار: ٦-٨].

بَارَكَ اللَّهُ لِي وَلَكُمْ فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، وَنَفَعَنِي وَإِيَّاكُمْ بِمَا فِيهِ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ، أَقُولُ مَا سَمِعْتُمْ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ لِي وَلَكُمْ وَلِسَائِرِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ وَخَطِيئَةٍ، فَاسْتَغْفِرُوهُ، وَتَوَبُوا إِلَيْهِ، إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ.

(١) إحياء علوم الدين (٣/ ٣٨٤).

(٢) الداء والدواء (١/ ٧٩).

الخطبة الثانية:

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله تعظيماً لشانه، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الداعي إلى جنته ورضوانه، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأعوانه.

أَمَّا بَعْدُ:

معشر الإخوة: حينما تختصر علاقتك بربك بما في يدك ومسكنك ومركبك وبما في بدنك فقد أصبت بمقتل، تأمل قصة الثلاثة من بني إسرائيل كما في الصحيحين، «أَنَّ ثَلَاثَةً فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ، أَبْرَصَ وَأَقْرَعَ وَأَعْمَى، أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَبْتَلِيَهُمْ بِالنَّعَمِ وَالتَّكْرِيمِ، فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ مَلَكًا»، فَرَدَّ إِلَيْهِمْ عَافِيَتَهُمْ، فَذَهَبَ الْبَرَصُ عَنِ الْأَبْرَصِ، وَالْقَرَعُ عَنِ الْأَقْرَعِ، وَالْعَمَى عَنِ الْأَعْمَى، وَأُعْطِيَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ مَا اشْتَهَاهُ مِنَ الْمَالِ، ثُمَّ بَوْرِكَ فِي مَاشِيَتِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ، «ثُمَّ إِنَّهُ أَتَى الْأَبْرَصَ فِي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ، فَقَالَ: رَجُلٌ مِسْكِينٌ، قَدْ انْقَطَعَتْ بِيَ الْحِبَالُ فِي سَفَرِي، فَلَا بَلَاغَ لِي الْيَوْمَ، إِلَّا بِاللَّهِ ثُمَّ بَكَ، أَسْأَلُكَ بِالَّذِي أَعْطَاكَ اللَّوْنَ الْحَسَنَ، وَالْجِلْدَ الْحَسَنَ وَالْمَالَ، بَعِيرًا أَتَبْلُغُ عَلَيْهِ فِي سَفَرِي، فَقَالَ الْحُقُوقُ كَثِيرَةٌ، فَقَالَ لَهُ كَأَنِّي أَعْرِفُكَ، أَلَمْ تَكُنْ أَبْرَصَ يَقْدُرُكَ النَّاسُ، فَقِيرًا فَأَعْطَاكَ اللَّهُ، فَقَالَ، إِنَّمَا وَرِثْتُ هَذَا الْمَالَ، كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ، فَقَالَ، إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا فَصَيِّرْكَ اللَّهُ إِلَى مَا كُنْتَ، قَالَ وَآتَى الْأَقْرَعَ فِي صُورَتِهِ، فَقَالَ لَهُ مِثْلَ مَا قَالَ لِهَذَا، وَرَدَّ عَلَيْهِ مِثْلَ مَا رَدَّ عَلَى هَذَا، فَقَالَ: إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا فَصَيِّرْكَ اللَّهُ إِلَى مَا كُنْتَ، وَآتَى الْأَعْمَى فِي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ، فَقَالَ: رَجُلٌ مِسْكِينٌ وَابْنُ سَبِيلٍ، انْقَطَعَتْ بِيَ الْحِبَالُ فِي سَفَرِي، فَلَا بَلَاغَ لِي الْيَوْمَ، إِلَّا بِاللَّهِ ثُمَّ بَكَ أَسْأَلُكَ بِالَّذِي رَدَّ عَلَيْكَ

بَصْرَكَ، شَاءَ أَتَبْلُغَ بِهَا فِي سَفَرِي فَقَالَ، قَدْ كُنْتُ أَعْمَى فَرَدَّ اللَّهُ إِلَيَّ بَصْرِي، فَخُذْ مَا شِئْتَ وَدَعْ مَا شِئْتَ، فَوَاللَّهِ لَا أَجْهَدُكَ الْيَوْمَ شَيْئًا أَخَذَتْهُ اللَّهُ، فَقَالَ: أَمْسِكْ مَالَكَ، فَإِنَّهَا ابْتُلِيتُمْ، فَقَدْ رُضِيَ عَنْكَ وَسُخِطَ عَلَى صَاحِبَيْكَ»^(١).

وقد روى أحمد في مسنده عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ قَسَمَ بَيْنَكُمْ أَخْلَاقَكُمْ، كَمَا قَسَمَ بَيْنَكُمْ أَرْزَاقَكُمْ، وَإِنَّ اللَّهَ ﷻ يُعْطِي الدُّنْيَا مَنْ يُحِبُّ وَمَنْ لَا يُحِبُّ، وَلَا يُعْطِي الدِّينَ إِلَّا لِمَنْ أَحَبَّ، فَمَنْ أَعْطَاهُ اللَّهُ الدِّينَ، فَقَدْ أَحَبَّهُ»^(٢).

فلا صاحبُ الكرامة هو الكريم، ولا صاحبُ البلاء هو المحبوب أو المهان، وإنما التفاضلُ بالتقوى، فانظر في تعظيمك لحدودِ الله تعرفُ منازلَكَ، فلا تنظر إلى غناكَ أو عافيتكَ، ولا تنظر إلى فقرِكَ ولا مرضِكَ، بل انظر إلى علاقتك بربك، وتعظيم حق والديك، وتعظيم أمر الصلاة وواجبات الدين، وانظر إلى معاملتك مع الخلق وتعظيمك لحرمتهم وأموالهم وأعراضهم، وكفَّ أذاك عنهم، هنا التقوى، هنا تعرف منزلتك عند الله، ودَعْ عَنْكَ شَرَّ النَّفْسِ وَهَوَاجِسَ الْعُرُورِ.

ثُمَّ صَلُّوا وَسَلَّمُوا عَلَى رَسُولِ الْهُدَى، وإمام الورى، فقد أمركم ربكم فقال -جل وعلا-: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ، وَارْضَ اللَّهُمَّ عَنِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ،

(١) أخرجه البخاري (٣/ ١٢٧٦، رقم ٣٢٧٧)، ومسلم (٤/ ٢٢٧٥، رقم ٢٩٦٤).

(٢) أخرجه أحمد (١/ ٣٨٧، رقم ٣٦٧٢).

وَالْأَيْمَةَ الْمَهْدِيِّينَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَلِيًّا، وَعَنِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ، وَعَنَّا
مَعَهُمْ بِعَفْوِكَ وَكَرَمِكَ يَا أَكْرَمَ الْأَكْرَمِينَ.

اللَّهُمَّ أعزِّ الإسلام والمسلمين، وانصر عبادك الموحدين الذين يجاهدون
في سبيلك في كل مكان، اللَّهُمَّ انصرهم على عدوك وعدوهم، اللَّهُمَّ عليك
باليهود المعتدين، والنصارى المحاربين، اللَّهُمَّ عليك بهم؛ فإنهم لا
يعجزونك، اللَّهُمَّ أحصهم عددًا.

اللَّهُمَّ آمِنَّا في أوطاننا، وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا، اللَّهُمَّ وفقهم لما
يرضيك، وجنبهم معاصيك.

اللَّهُمَّ تب على التائبين، واهد ضالَّ المسلمين، اللَّهُمَّ رُدِّهم إليك ردًّا
جميلًا، اللَّهُمَّ ارفع ما نزل من الفتن.
اللَّهُمَّ اغفر لنا ولوالدينا.

عباد الله! ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ
الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠]،
فاذكروا الله العلي العظيم يذكركم، واشكروه على نعمكم يزدكم، ﴿وَلَذِكْرُ
اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

الشكر دبر العبادات

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضِلِّ اللهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه، ومن سار على نهجه، واقتفى أثره، إلى يوم الدين، وسلم تسليماً كثيراً.

أَمَّا بَعْدُ:

فَاتَّقُوا اللَّهَ أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ فَإِنَّهَا وَصِيَّةُ اللَّهِ لِلأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ، ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ﴾ [النساء: ١٣١].

إخوة الإسلام: إن من أحبِّ الأعمال إلى الله تعالى بعد العبادات شكره وحمده والثناء عليه بما هو أهله، فالعبادة هو من هدى إليها، وهو من وفق لأدائها، وهو من يقبلها ويثب عليها، وهو من يتجاوز عن التقصير في أدائها، يتكرر الشكر بشكل لافت في دُبر العبادات، ففي الحج قال الله تعالى: ﴿وَأَذْكُرُوهُ كَمَا هَدَيْتُكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الضَّالِّينَ﴾ [البقرة: ١٩٨].

وقال إبراهيم بعد بنائه للبيت: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بُوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْنِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْعَدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ

وَأَرْزُقْهُمْ مِّنَ الشَّمَرِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾ [إبراهيم: ٣٧]، وبعد الهدي والأصاحي قال الله تعالى: ﴿وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُم مِّنْ شَعِيرٍ اللَّهُ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافٍ فَإِذَا وَجِئْتُ جُنُوبَهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِيعُوا أَلْقَانِعَ وَالْمُعْتَرِّكَ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُم لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾ [الحج: ٣٦].

وبعد آيات الصيام قال الله: ﴿وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَيْتَكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾ [البقرة: ١٨٥]، وبعد آية أحكام الوضوء والطهارة قال: ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَٰكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾ [البقرة: ١٨٥]، وفي صيغة التكبير التي نكررها في هذا الوقت في آخرها الحمد، بل شرع أن يدعو المصلي بعد كل صلاة أن يعينه على شكره، كما جاء في وصية النبي ﷺ لمعاذ، وهي له ولأصحابه، كما روى أبو داود، أن الرسول ﷺ قال له: «يَا مُعَاذُ، وَاللَّهِ إِنِّي لَأُحِبُّكَ، فَلَا تَدَعَنَّ أَنْ تَقُولَ دُبْرَ كُلِّ صَلَاةٍ: اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَىٰ ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ»^(١).

فهذه العبادة ملازمة للعبادات ملازمة واضحة، بل قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (تَأَمَّلْتُ أَفْضَلَ الدُّعَاءِ إِذَا هُوَ: اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَىٰ ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ)^(٢).

بل جاء الأمر بالشكر مع العبادة مطلقاً دون تخصيص لعبادة، تأمل قول الله تعالى: ﴿بَلِ اللَّهِ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٦٦﴾ [الزمر: ٦٦]، وكن على

(١) أخرجه أبو داود (١/ ٥٦١، رقم ١٥٢٤).

(٢) مدارج السالكين (١/ ٧٨).

بال أن الآية التي قبلها: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٥]، ولهذا قال السعدي رحمه الله: ﴿وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٦]، لله على توفيق الله تعالى، فكما أنه تعالى يُشكّر على النعم الدنيوية، كصحة الجسم وعافيته، وحصول الرزق وغير ذلك، كذلك يُشكّر ويشنّى عليه بالنعم الدينية، كالتوفيق للإخلاص، والتقوى، بل نعم الدين، هي النعم على الحقيقة، وفي تدبر أنها من الله تعالى والشكر لله عليها، سلامة من آفة العُجب التي تعرض لكثير من العاملين، بسبب جهلهم، وإلا فلو عرف العبد حقيقة الحال، لم يعجب بنعمة تستحق عليه زيادة الشكر^(١).

إن استحضار نعمة الله على العبد بعد العبادات من أجل النعم وأزكاها عند ربنا.

يَا مَنْ صُمْتُمْ يَوْمَ عَرَفَةَ، وَهُوَ يَوْمٌ يُكَفِّرُ ذُنُوبَ سِتِّينَ، اشْكُرُوا اللَّهَ تَعَالَى حِينَ هَدَاكُمْ لَهُ، وَأَعَانَكُمْ عَلَى صِيَامِهِ.

وَيَا مَنْ ذَبَحْتُمْ أَصَاحِيَكُمْ، اشْكُرُوا اللَّهَ تَعَالَى عَلَى مَا وَسَّعَ عَلَيْكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنْ أَثْمَانِهَا، وَمَا هَدَاكُمْ لِتَعْظِيمِهِ سُبْحَانَهُ بِذَبْحِهَا، وَمَا تَمَتَّعْتُمْ بِهِ مِنْ لَحْمِهَا.

وَيَا مَنْ أَقَمْتُمْ أَيَّامَ الْعَشْرِ تَرْتَعُونَ فِي طَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى، اشْكُرُوا اللَّهَ تَعَالَى إِذْ هَدَاكُمْ وَأَعَانَكُمْ عَلَى الصَّوَارِفِ وَالشَّوَاعِلِ، وَعَلَى النَّفْسِ الْأَمَّارَةِ بِالسُّوءِ.

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (١/ ٧٢٩).

وَيَا مَنْ حَجَجْتُمْ بَيْتَ اللَّهِ الْحَرَامَ، اشْكُرُوا اللَّهَ تَعَالَى حِينَ اخْتَارَكُمْ لِحَجِّ بَيْتِهِ، وَوَفَّقَكُمْ لِإِدَاءِ فَرَضِهِ، وَقَدْ حُرِّمَ ذَلِكَ مَلَائِينَ الْمُسْلِمِينَ، وَمِلياراتِ الْبَشَرِ.

والله تَأَذَّنْ لِمَنْ شَكَرَ بِالزِّيَادَةِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧]، فهو يَزِيدُ مِنَ الْخَيْرِ وَالصَّلَاحِ لِمَنْ تَعَبَّدَ رَبَّهُ وَشَكَرَهُ.

وَتَأَمَّلُوا حَالِ رَسُولِنَا ﷺ مَعَ الشُّكْرِ، فِيمَا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ، مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا صَلَّى قَامَ حَتَّى تَفْطُرَ رِجْلَاهُ، قَالَتْ عَائِشَةُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَتَصْنَعُ هَذَا وَقَدْ غُفِرَ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ، فَقَالَ: «يَا عَائِشَةُ أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا»^(١).

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل: ٧٨].

بَارَكَ اللَّهُ لِي وَلَكُمْ فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، وَنَفَعَنِي وَإِيَّاكُمْ بِمَا فِيهِ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ، أَقُولُ مَا سَمِعْتُمْ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ لِي وَلَكُمْ وَلِسَائِرِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ وَخَطِيئَةٍ، فَاسْتَغْفِرُوهُ، وَتَوَبُوا إِلَيْهِ، إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ.

(١) أخرجه البخاري (٤/ ١٨٣٠، رقم ٤٥٥٧)، ومسلم (٤/ ٢١٧٢، رقم ٢٨٢٠).

الخطبة الثانية:

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله تعظيماً لشانه، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الداعي إلى جنته ورضوانه، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأعوانه.

أَمَّا بَعْدُ:

معشر الإخوة! حريٌّ بنا أن نُلحِظَ نِعَمَ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْنَا فِيهِ، وَفِيَا شَرَعٍ فِيهِ مِنَ الشَّعَائِرِ وَالْمَنَاسِكِ، وَفِي كُلِّ أَحْكَامِ الشَّرِيعَةِ وَأَبْوَابِهَا وَتَفْصِيلِهَا؛ فَإِنَّا إِذَا اسْتَشْعَرْنَا ذَلِكَ لَهْجَنَّا لِلَّهِ تَعَالَى حَامِدِينَ شَاكِرِينَ، وَآتَيْنَا مَوَاطِنَ الْحَمْدِ وَالشُّكْرِ، وَجَانِبَنَا مَوَاضِعَ الْجُحُودِ وَالْكَفْرِ.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: ٢٤٣]، هذا هو حكم الله تعالى أن أكثر الناس لا يشكرون، فمن أدى شكر جوارحه ومن أدى شكر النعم الدينية والدنيوية عليه؟ ولهذا قال الله: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرُونَ﴾ [سبأ: ١٣]، فما أعظمه من خطب وما أشده! أكثر العباد لم يشكر الله تعالى على ما أولاه من النعم ودفع عنه من النقم؛ ولهذا لما علم الخبيث إبليس أن العباد ضعفاء قد تغلب الغفلة على كثير منهم، وكان جازماً ببذل مجهوده على إغوائهم ظن وصدق ظنه فقال: ﴿ثُمَّ لَا يَأْتِيَنَّهُمْ مِّنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٧].

روى الإمام أحمد في مسنده، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يَقُولُ اللَّهُ ﻋَﻠَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: يَا ابْنَ آدَمَ حَمَلْتُكَ عَلَى الْخَيْلِ وَالْإِبِلِ،

وَزَوَّجْتُكَ النِّسَاءَ، وَجَعَلْتُكَ تَرْبِعُ وَتَرَأْسُ، فَأَيْنَ شُكْرُ ذَلِكَ؟»^(١).

فاللهم أوزعنا شكر نعمتك.

ثُمَّ صَلُّوا وَسَلِّمُوا عَلَى رَسُولِ الْهُدَى، وَإِمَامِ الْوَرَى، فَقَدْ أَمَرَكُم رُبُّكُمْ فَقَالَ - جَل وَعَلَا -: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ، وَارْضَ اللَّهُمَّ عَنِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ، وَالْأَئِمَّةِ الْمُهَدِّينَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَلِيٍّ، وَعَنِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ، وَعَنَّا مَعَهُمْ بِعَفْوِكَ وَكَرَمِكَ يَا أَكْرَمَ الْأَكْرَمِينَ.

اللَّهُمَّ أَعِزَّ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَانصِرْ عِبَادَكَ الْمُوَحِّدِينَ الَّذِينَ يَجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِكَ فِي كُلِّ مَكَانٍ، اللَّهُمَّ انصِرْهُمْ عَلَى عَدُوِّكَ وَعَدُوِّهِمْ، اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِالْيَهُودِ الْمُعْتَدِينَ، وَالنَّصَارَى الْمُحَارِبِينَ، اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِهِمْ؛ فَإِنَّهُمْ لَا يَعْجِزُونَكَ، اللَّهُمَّ أَحْصِهِمْ عَدَدًا.

اللَّهُمَّ أَمِنَّا فِي أَوْطَانِنَا، وَأَصْلِحْ أَيْمَتَنَا وَوُلاةَ أُمُورِنَا، اللَّهُمَّ وَفِّقْهُمْ لِمَا يَرْضِيكَ، وَجَنِّبْهُمْ مَعَاصِيكَ.

اللَّهُمَّ تَبْ عَلَى التَّائِبِينَ، وَاهْدِ ضَالَّ الْمُسْلِمِينَ، اللَّهُمَّ رُدِّهِمْ إِلَيْكَ رَدًّا جَمِيلًا، اللَّهُمَّ ارْفَعْ مَا نَزَلَ مِنَ الْفِتَنِ.

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِينَا.

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٤٩٢)، رقم (١٠٣٨٣).

عباد الله! ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَنِ وَإِيتَايِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ
 الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠]،
 فاذكروا الله العلي العظيم يذكركم، واشكروه على نعمكم يزدكم، ﴿وَلَذِكْرُ
 اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

السجين والمجتمع

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يضلِّل فلا هاديَّ له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه، ومن سار على نهجه، واقتفى أثره، إلى يوم الدين، وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد:

فَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ، ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۖ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: ٢-٣].

معشر الإخوة: إن شريعة الإسلام جاءت موافقة لطبيعة خلق الله لها، جاءت لتحرِّر الإنسان من رِقِّ النفوس والأهواء وتكْبَح جماح الجهل والظلم والطغيان الذي هو طبع النفوس وديْدْنُهَا، وإن من أعظم ما جاءت به الشريعة هو نظام الحبس في الإسلام، وقد روى أبو داود بإسناد جيد، عن معاوية بن حَيْدَةَ، أن النبي ﷺ حَبَسَ رَجُلًا فِي ثُمَّةٍ ثُمَّ خَلَى سَبِيلَهُ^(١).

(١) أخرجه أبو داود (٣/ ٣٥٠، رقم ٣٦٣٢).

وروى البخاري في صحيحه مُعَلَّقًا، أن نافع بن الحارث، وكان عاملاً لعمر بن الخطاب في مكة، اشترى داراً للسجن^(١).

وكذلك مضى الأمر في خلافة عثمان وعلي بن أبي طالب.

وحكمة مشروعية السجن ظاهرة، وفائدته راجعة للسجين وللمجتمع، أما المجتمع فإن السجن يمنع المجرم من تَسْلُطِهِ على الناس وظلمهم، ويردعه عن إلحاق الضرر بهم، فهو تخويف وعقوبة؛ لكي يعيش الناس آمنين مطمئنين، ومن المعلوم أن السجن عذاب تَصْطَلِيهِ الأنفس ولا تتحمله، وتأمل قول امرأة العزيز: ﴿مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٢٥]، فجعلت السجن والعذاب الأليم عقوبة يُرَدَّعُ بها ويُهَدَّدُ بها، ولهذا جاء في الصحيحين، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَرْحَمُ اللَّهُ لَوْ طَأَ لَقَدْ كَانَ يَأْوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ، وَلَوْ لَبِثْتُ فِي السِّجْنِ مَا لَبِثَ يُوسُفُ لَأَجَبْتُ الدَّاعِيَ»^(٢).

قال القرطبي رحمه الله: (يعني به الداعي الذي دعاه إلى الخروج من السجن، وهو المذكور في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ أَرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسَأَلَهُ مَا بَأَلُ النَّسْوَۃِ الَّتِي قَطَعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾ [يوسف: ٥٠]، يصف يوسف عليه السلام بالتثبت والصبر على المحنة، وأنه أقام في السجن والتضييق عليه مدة طويلة، والنفوس متشوقة إلى الخروج من الضيق، والحبس الطويل، لا سيما إذا بُشِّرَ بالتخلص، ودُعِيَ إليه. فمقتضى الطبع: المبادرة إلى أول دعوة، والانفلات

(١) البخاري (٢/٨٥٣).

(٢) أخرجه البخاري (٣/١٢٣٩، رقم ٣٢٠٧)، ومسلم (١/١٣٣، رقم ١٥١).

بمرة، لكنه لما جاءه الداعي لم يبادر لإجابته، ولا استخفه الفرح بالتخلص من محنته، لكنه سكن وثبت إلى أن ظهرت براءته وعُلمت منزلته. ثم إن نبينا ﷺ تأدّب معه غايةً الأدب، واعترف له بأنه من الثبت والصبر في أعلى الرتب، ومجّده على ذلك، وقدّر أنه: لو امتُحن بذلك لبادر إلى التخلص من ذلك لأول داع، هذا مع أن النبي ﷺ قد أُعطي من الثبت في الأمور، والصبر على المكّاره الحظّ الأوفر، والنصيب الأكبر، لكنه تواضع لله، وتأدّب مع أخيه نبي الله^(١).

وأما السجّن بالنسبة للسجين ففيه ملحظٌ قل أن يُتنبه له؛ ألا وهو تطهير المجرم وتكفير ذنوبه، ووقايته من عذاب الآخرة إذا تاب وعزم على عدم الرجوع لجنحته، سواء كانت في حقّ الله أو حقّ العباد، وكذلك هو تأديب للمسجون يعتزل فيه الصّحبة السيئة، ويراجع فيه نفسه ومسير حياته، فالسجن وسيلة استصلاح وتأهيل لإعادة ترتيب نفسه وطريقة حياته وعيشه، إلا أن من أعظم وسائل استصلاحه هو أهله ومجتمعه، فهذا السجين أخ لنا وبيننا روابط الأخوة، فمن حقه علينا الوقوف معه عند خروجه وإحسان الظن به، ورؤية الجوانب الإيجابية فيه وتعزيزها، كما فعل رسول الله ﷺ مع من اقترف ما يوجب العقوبة في الحديث الذي رواه البخاري، عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، أَنَّ رَجُلًا عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ كَانَ اسْمُهُ عَبْدَ اللَّهِ، وَكَانَ يُلَقَّبُ حِمَارًا، وَكَانَ يُضْحِكُ رَسُولَ اللَّهِ: وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ قَدْ جَلَدَهُ فِي الشَّرَابِ، فَأُتِيَ بِهِ يَوْمًا فَأَمَرَ بِهِ فَجُلِدَ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: اللَّهُمَّ الْعَنَّهُ، مَا

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (١٤٢/٢٣).

أَكْثَرَ مَا يُؤْتَى بِهِ! فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا تَلْعَنُوهُ، فَوَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ إِلَّا أَنَّهُ يُحِبُّ اللَّهُ وَرَسُولَهُ»^(١).

فانظر إلى عظم الجُرم، وانظر إلى عظم التزكية، فلم تمنعه هذه التزكية من العقوبة، ولم تمنعه العقوبة من هذه التزكية.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا الذُّنُوبَ بِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوْا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (١٣٥) أُولَئِكَ جَزَاءُهم مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهم وَجَنَّتْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعَمَ أَجْرُ الْعَمِلِينَ ﴿[آل عمران: ١٣٥-١٣٦].

بَارَكَ اللَّهُ لِي وَلَكُمْ فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، وَنَفَعَنِي وَإِيَّاكُمْ بِمَا فِيهِ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ، أَقُولُ مَا سَمِعْتُمْ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ لِي وَلَكُمْ وَلِسَائِرِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ وَخَطِيئَةٍ، فَاسْتَغْفِرُوهُ، وَتَوَبُوا إِلَيْهِ، إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ.

الخطبة الثانية:

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله تعظيماً لشانه، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الداعي إلى جنته ورضوانه، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأعوانه.

(١) أخرجه البخاري (٦/٢٤٨٩، رقم ٦٣٩٨).

أَمَّا بَعْدُ:

معشر الإخوة: إن السجين حينما يخذله أقرابه ومجتمعه، فسيحتويه ويؤويه رفقاء السوء، فأئى جُرم يرتكبه المجتمع والأقارب حينما يتسببون بإرغام هذا السجين إلى طريق الفساد والجريمة، بسبب نظرة المجتمع وخذلانه، والرسول ﷺ يقول كما في صحيح مسلم، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تَحَاسِدُوا وَلَا تَنَاجَشُوا وَلَا تَبَاغَضُوا وَلَا تَدَابَرُوا وَلَا يَبِغْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا. الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ وَلَا يَحْقِرُهُ. التَّقْوَى هَاهُنَا». وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ «بِحَسَبِ أَمْرٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ وَمَالُهُ وَعَرْضُهُ»^(١).

فالتخلي عنه إعانة للشيطان عليه، وجاء في صحيح البخاري، واللفظ لأحمد، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أُتِيَ بِرَجُلٍ قَدْ شَرِبَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اضْرِبُوهُ». قَالَ: فَمِنَّا الضَّارِبُ بِيَدِهِ، وَمِنَّا الضَّارِبُ بِنَعْلِهِ، وَالضَّارِبُ بِثَوْبِهِ، فَلَمَّا انْصَرَفَ قَالَ بَعْضُ الْقَوْمِ: أَخْزَاكَ اللَّهُ. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تَقُولُوا هَكَذَا، لَا تُعِينُوا عَلَيْهِ الشَّيْطَانَ، وَلَكِنْ قُولُوا: رَحِمَكَ اللَّهُ»^(٢).

ما أعظمها من رحمة! نعم، بسببه وطرده والدعاء عليه إعانة للشيطان عليه.

(١) أخرجه مسلم (٤/١٩٨٦، رقم ٢٥٦٤).

(٢) أخرجه البخاري (٦/٢٤٨٨، رقم ٦٣٩٥).

ومن أعظم حقوق السجين متابعة أهله وأولاده، فمن واجب الأخوة أن تتابع أسر السجناء، وأن تقضي حاجاتهم وتسهل أمورهم، بل لهم حق في الضمان الاجتماعي، فيصرف لكل عائلة سجين مبلغ من المال لأهله وولده، وكذلك جمعية البر وغيرها، وكذلك المجتمع لا بد أن يساهم في إعانة أسر السجناء؛ فإنهم في حكم الأيتام.

ثُمَّ صَلُّوا وَسَلِّمُوا عَلَى رَسُولِ الْهُدَى، وإمام الورى، فقد أمركم ربكم فقال -جل وعلا-: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى نَبِيِّنا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ، وَارْضَ اللَّهُمَّ عَنِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ، وَالْأَئِمَّةِ الْمُهَدِّينَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَلِيٍّ، وَعَنِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ، وَعَنَّا مَعَهُمْ بِعَفْوِكَ وَكَرَمِكَ يَا أَكْرَمَ الْأَكْرَمِينَ.

اللَّهُمَّ اعْزِزْ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَانصِرْ عِبَادَكَ الْمُوَحِّدِينَ الَّذِينَ يَجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِكَ فِي كُلِّ مَكَانٍ، اللَّهُمَّ انصِرْهُمْ عَلَى عَدُوِّكَ وَعَدُوِّهِمْ، اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِالْيَهُودِ الْمُعْتَدِينَ، وَالنَّصَارَى الْمُحَارِبِينَ، اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِهِمْ؛ فَإِنَّهُمْ لَا يَعْجِزُونَكَ، اللَّهُمَّ أَحْصِهِمْ عَدَدًا.

اللَّهُمَّ آمِنَّا فِي أَوْطَانِنَا، وَأَصْلِحْ أُمَمَتَنَا وَوَلَاةَ أُمُورِنَا، اللَّهُمَّ وَفِّقْهُمْ لِمَا يَرْضِيكَ، وَجَنِّبْهُمْ مَعَاصِيكَ.

اللَّهُمَّ تَبْ عَلَى التَّائِبِينَ، وَاهْدِ ضَالَّ الْمُسْلِمِينَ، اللَّهُمَّ رُدِّهِمْ إِلَيْكَ رَدًّا جَمِيلًا، اللَّهُمَّ ارْفَعْ مَا نَزَلَ مِنَ الْفِتَنِ.

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِينَا.

عباد الله! ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ
الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠]،
فاذكروا الله العلي العظيم يذكركم، واشكروه على نعمكم يزدكم، ﴿وَلَذِكْرُ
اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

الرزق والبركة

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضِلِّهِ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه، ومن سار على نهجه، واقتفى أثره، إلى يوم الدين، وسلم تسليمًا كثيرًا.

أَمَّا بَعْدُ:

فَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ، ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ﴾ [النساء: ١٣١].

أيها المسلمون: حينما يطغى حبُّ المال والغنى، ويصبح تَمَلُّكُ الثروة والزيادة منها هاجسَ المرء وتفكيره وبغيته، فلا تسأل عن النكد والتعب واحتقار النعمة التي هو فيها، فمهما أُعطي وملك وأُغني، فإنه لا يزال في عدم الرضا والقناعة.

لقد اختلطَ مفهومُ الغنى بمفهوم الرزق عند بعض الناس، فإذا لم تكن الملايين في حسابه ظن أنه لم يُرزق ولم يُغدَّق عليه، وينسى الرزق الذي هو فيه، والنعم التي يتقلب فيها، فكيف إذا صاحب ذلك تَعَلُّقٌ بالمخلوق؟!

وأصبحت الرقاب إليه ممدودة والنواظر إليه مُشْرِبَّة! فيا حسرةً على التوحيد والتعلق بالله، أين الله؟! أين الكريم الرزاق؟! كيف يتعلق بمخلوق مرزوق؟!

إن من أعظم ما يجب على المرء استحضاره في كل لحظة وآن أمرين اثنين: الأول: هو أن الرازق هو الله، وأن ما يفتح الله من رحمةٍ ورزقٍ فلا تُمسِكَ له، وهو يقول عن نفسه: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود: ٦]، ويقول: ﴿وَكَايْنٍ مِنَ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ﴾ [العنكبوت: ٦٠].

الله أكبر! هذه الدابة ضعيفة القوى ضعيفة العقل لا تستطيع أن تحمل رزقها، ولا تستطيع ادخاره، بل لم تزل لا شيء معها من الرزق، ولا يزال الله يُسَخِّرُ لها من الرزق في كل وقت وبوقته، فالله موصوفٌ بكمال الرحمة وسعة البرِّ والإحسان وكثرة المواهب والحنان والرأفة، فجميع ما في العالم العلوي والسفلي من حصول المنافع والمحاب والمसार والخيرات، فإن ذلك منه ومن رحمته وجوده وكرمه وفضله، كما أن ما صُرفَ عنهم من المكاره والنقم والخاوف والأخطار والمضار، فإنها من رحمته وبره، فإنه لا يأتي بالحسنات إلا هو، ولا يدفع السيئات إلا هو.

تأمل ما قال عن نفسه فيما يرويه النبي المعصوم عن ربه -جل وعلا- فيما رواه مسلم، «قال الله تعالى: يَا عِبَادِيَ لَوْ أَنَّ أُولَئِكَمْ وَآخِرُكُمُ وَإِنْسُكُمُ وَجَنَّكُمُ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبٍ رَجُلٍ وَاحِدٍ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا يَا عِبَادِيَ لَوْ أَنَّ أُولَئِكَمْ وَآخِرُكُمُ وَإِنْسُكُمُ وَجَنَّكُمُ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ

فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمَخِيطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرُ»^(١).

فتعالى الله رب العالمين، تأمل كمال قدرته سبحانه وكمال ملكه، وأن ملكه وخزائنه لا تنفذ ولا تنقص بالعطاء، كما قال تعالى: ﴿مَاعِنْدَكُمْ يُنْفَذُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ﴾ [النحل: ٩٦]، ولو أعطى الأولين والآخرين من الجن والإنس جميع ما سألوه في مقام واحد، وفي ذلك حث الخلق على سؤاله وإنزال حوائجهم به.

وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: أَنْفَقْتُ أَنْفَقَ عَلَيْكَ. وَقَالَ: يَدُ اللَّهِ مَلَأَى لَا تَغِيضُهَا نَفَقَةٌ سَحَاءُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ. وَقَالَ: أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقْتُ مُنْذُ خَلَقَ السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ فَإِنَّهُ لَمْ يَغْضُ مَا فِي يَدِهِ»^(٢).

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِذَا دَعَا أَحَدُكُمْ فَلَا يَقُلْ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ وَلَكِنْ لِيَعْزِمَ وَلِيَعْظِمَ الرَّغْبَةَ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَتَعَاظَمُهُ شَيْءٌ»^(٣).

وقال أبو سعيد الخدري: «إِذَا دَعَوْتُمْ اللَّهَ فَارْفَعُوا فِي الْمَسْأَلَةِ فَإِنَّ مَا عِنْدَهُ لَا يُنْفَدُهُ شَيْءٌ، وَإِذَا دَعَوْتُمْ فَاعْزِمُوا فَإِنَّ اللَّهَ لَا مُسْتَكْرَهَ لَهُ»^(٤).

(١) أخرجه مسلم (٤/ ١٩٩٤، رقم ٢٥٧٧).

(٢) أخرجه البخاري (٤/ ١٧٢٤، رقم ٤٤٠٧)، ومسلم (٢/ ٦٩٠، رقم ٩٩٣).

(٣) أخرجه مسلم (٤/ ٢٠٦٣، رقم ٢٦٧٩).

(٤) جامع العلوم والحكم (١/ ٢٢٩).

وقد زاد الترمذي في حديثه قال الله: «ذَلِكَ بِأَنِّي جَوَادٌ وَاجِدٌ مَا جِدُّ أَفْعَلُ مَا أُرِيدُ، عَطَائِي كَلَامٌ وَعَذَابِي كَلَامٌ، إِنَّمَا أَمْرِي لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْتُهُ إِنَّمَا أَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ»^(١).

وهذا مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢].

لَا تَخْضَعَنَّ لِخَلْقٍ عَلَى طَمَعٍ فَإِنَّ ذَاكَ مُمْسِرٌ مِنْكَ بِالَّذِينَ
وَاسْتَزَرَّ اللَّهُ مِمَّا فِي خَزَائِنِهِ فَإِنَّمَا هِيَ بَيْنَ الْكَافِ وَالنُّونِ^(٢)

أليس من أسمائه -جل وعلا- الفتاح، يفتح لعباده أبواب الأرزاق وطرق الأسباب، ويهيئ للمتقين من الأرزاق وأسبابها ما لا يحتسبون، ويعطي المتوكلين فوق ما يطلبون ويؤمنون، ويسر لهم الأمور العسيرة، ويفتح لهم الأبواب المغلقة، وهو الرزاق تكفل بأرزاق المخلوقات كلها، وأوصل إليها أرزاقها ومعائشها، وعلم أحوالها وأماكنها، بل وأعظم رزقه ما يرزق قلوب خيار المؤمنين من العلوم والمعارف وحقائق الإيمان ما تتغذى به وتنمو وتكمل، فيا أنس من سأل الأمرين.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ط
قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْلِيَاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [سبأ: ٢٤].

بَارَكَ اللَّهُ لِي وَلَكُمْ فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، وَنَفَعَنِي وَإِيَّاكُمْ بِمَا فِيهِ مِنَ الْآيَاتِ

(١) أخرجه الترمذي (٤/٦٥٦، رقم ٢٤٩٥).

(٢) نضرة النعيم (٨/٣٤٧٦).

والذكر الحكيم، أقول ما سمعتم، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنبٍ وخطيئة، فاستغفروه، وتوبوا إليه، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله تعظيماً لشانه، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الداعي إلى جنته ورضوانه، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأعوانه.

أَمَّا بَعْدُ:

أيها المسلمون: الكثرة لا تدل على خيرية الشيء، وإنما الخير فيما باركه الله ﷻ وهذا هو الأمر الثاني الذي يجب استحضاره؛ إذا نُزعت البركة من الرزق فلا خير فيه، ولا تزيد المرء إلا وبألاً، ولذا كان دعاء النبي ﷺ في كثير من حالات الرزق بالبركة، فمن تزوج دعا له بالبركة، ومن أطعمه دعا له بالبركة، وإذا دعا لأحد بالولد دعا له بالبركة، وإذا دعا لأحد بالمال دعا له بالبركة، ودعا للمدينة بالبركة، بل إن إبراهيم عليه السلام دعا لمكة بالبركة، ولما رجع إلى هاجر، كما في صحيح البخاري، ووجد زوجة إسماعيل قال لها: «مَا طَعَامُكُمْ وَمَا شَرَابُكُمْ؟» فقالت: اللَّحْمُ والماء، فقال إبراهيم: «اللَّهُمَّ بَارِكْ لَهُمْ فِي طَعَامِهِمْ وَشَرَابِهِمْ»^(١).

(١) أخرجه البخاري (٣/ ١٢٣٠)، رقم (٣١٨٥).

وعند أحمد في مسنده، أن الرسول كان يدعو ويقول: «اللَّهُمَّ بَارِكْ لِي فِيمَا رَزَقْتَنِي»^(١).

ودعا لأنس كما في الصحيحين، لما أتت به أمه ليكون خادما للرسول ﷺ فقال: «اللَّهُمَّ أَكْثِرْ مَالَهُ وَوَلَدَهُ وَبَارِكْ لَهُ فِيمَا أَعْطَيْتَهُ»^(٢).

وعَلَّمَ الْحَسَنَ أَنْ يَقُولَ فِي دَعَاءِ الْوَتْرِ: «وَبَارِكْ لِي فِيمَا أَعْطَيْتَ»^(٣). كما عند الترمذي، إلى غير ذلك مما يدل على أن الدعاء بالبركة من أهم الأولويات في رزقك وتجارتك وولدك وأهلك، بل وأعمالك الصالحة، فليست القضية في الاستكثار، وإنما القضية في البركة التي يضعها الله ﷻ.

وتأملوا هذا الحديث العظيم، روى البخاري ومسلم من حديث حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَأَعْطَانِي ثُمَّ سَأَلْتُهُ فَأَعْطَانِي ثُمَّ سَأَلْتُهُ فَأَعْطَانِي، ثُمَّ قَالَ: «يَا حَكِيمُ، إِنَّ هَذَا الْمَالَ خَصْرَةٌ حُلُوءَةٌ فَمَنْ أَخَذَهُ بِسَخَاوَةِ نَفْسٍ بُورِكَ لَهُ فِيهِ، وَمَنْ أَخَذَهُ بِإِشْرَافِ نَفْسٍ لَمْ يُبَارَكْ لَهُ فِيهِ كَالَّذِي يَأْكُلُ وَلَا يَشْبَعُ، الْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى»، قَالَ حَكِيمٌ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَا أَرْزَأُ^(٤) أَحَدًا بَعْدَكَ شَيْئًا حَتَّى أَفَارِقَ الدُّنْيَا، فَكَانَ أَبُو بَكْرٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَدْعُو حَكِيمًا إِلَى الْعَطَاءِ فَيَأْبَى أَنْ يَقْبَلَهُ مِنْهُ، ثُمَّ إِنَّ عُمَرَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، دَعَاهُ لِيُعْطِيَهُ فَأَبَى أَنْ يَقْبَلَ مِنْهُ

(١) أخرجه أحمد (٤/٦٣، رقم ١٦٦٥٠).

(٢) أخرجه البخاري (٥/٢٣٣٣، رقم ٥٩٧٥)، ومسلم (٤/١٩٢٨، رقم ٢٤٨٠).

(٣) أخرجه الترمذي (٢/٣٢٨، رقم ٤٦٤).

(٤) يقال: ما رزأ فلان فلاناً شيئاً؛ أي: ما أصاب من ماله شيئاً، ولا انتقص منه. تهذيب اللغة (رزأ).

شَيْئًا، فَقَالَ عُمَرُ: إِنِّي أَشْهَدُكُمْ يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ عَلَى حَكِيمٍ أَنِّي أَعْرِضُ عَلَيْهِ حَقُّهُ مِنْ هَذَا الْفَيءِ فَيَأْبَى أَنْ يَأْخُذَهُ، فَلَمْ يَرْزَأُ حَكِيمٌ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَتَّى تُوفِّيَ^(١).

قال ابن حجر في شرحه لهذا الحديث: (فِيهِ ضَرْبُ الْمَثَلِ لِمَا لَا يَعْقِلُهُ السَّامِعُ مِنَ الْأَمْثِلَةِ، لِأَنَّ الْغَالِبَ مِنَ النَّاسِ لَا يَعْرِفُ الْبَرَكَهَ إِلَّا فِي الشَّيْءِ الْكَثِيرِ فَبَيَّنَ بِالْمَثَالِ الْمَذْكُورِ أَنَّ الْبَرَكَهَ هِيَ خَلْقٌ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ تَعَالَى، وَضَرْبُ هُمُ الْمَثَلِ بِمَا يَعْهَدُونَ، فَلَا كِلَ إِنَّمَا يَأْكُلُ لِيَشْبَعَ فَإِذَا أَكَلَ وَلَمْ يَشْبَعْ كَانَ عَنَاءً فِي حَقِّهِ بَغَيْرِ فَائِدَةٍ، وَكَذَلِكَ الْمَالُ لَيْسَتْ الْفَائِدَةُ فِي عَيْنِهِ وَإِنَّمَا هِيَ لِمَا يَتَحَصَّلُ بِهِ مِنَ الْمَنَافِعِ، فَإِذَا كَثُرَ عِنْدَ الْمَرْءِ بَغَيْرِ تَحْصِيلِ مَنْفَعَةٍ كَانَ وَجُودُهُ كَالْعَدَمِ)^(٢).

فليكن همكم هو في البركة في الرزق لا كثرة الملك والغنى، وافعلوا أسبابها من الكسب الحلال والبعد عن المعاصي، والتوكل على الله تعالى.

والبركة والمال الحلال هو التاج الحقيقي، إن ذهبَ سلم من تبعته، وإن بقيَ سعد في عوائده وبركاته، بخلاف المال الحرام، إن ذهب بقيَ إثمُه وحسرتُه، ويصير كالذي يتخطه الشيطان من المس، وإن بقي فلا تسأل عن وحشته ومره.

ثُمَّ صَلُّوا وَسَلِّمُوا عَلَى رَسُولِ الْهُدَى، وَإِمَامِ الْوَرَى، فَقَدْ أَمَرَكُمُ رَبُّكُمْ فَقَالَ -جل وعلا-: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا

(١) أخرجه البخاري (٢/ ٥٣٥)، رقم (١٤٠٣)، ومسلم (٢/ ٧١٧)، رقم (١٠٣٥).

(٢) فتح الباري (٣/ ٣٣٧).

صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿[الأحزاب: ٥٦]﴾، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى نَبِيِّنا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ، وَارْضَ اللَّهُمَّ عَنِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ، وَالْأُئِمَّةِ الْمُهَدِّينَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَلِيٍّ، وَعَنِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ، وَعَنَّا مَعَهُمْ بِعَفْوِكَ وَكَرَمِكَ يَا أَكْرَمَ الْأَكْرَمِينَ.

اللَّهُمَّ أَعِزَّ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَانصِرْ عِبَادَكَ الْمُوَحِّدِينَ الَّذِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِكَ فِي كُلِّ مَكَانٍ، اللَّهُمَّ انصِرْهُمْ عَلَى عَدُوِّكَ وَعَدُوِّهِمْ، اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِالْيَهُودِ الْمُعْتَدِينَ، وَالنَّصَارَى الْمُحَارِبِينَ، اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِهِمْ؛ فَإِنَّهُمْ لَا يَعْجِزُونَكَ، اللَّهُمَّ أَحْصِهِمْ عَدَدًا.

اللَّهُمَّ آمِنَّا فِي أَوْطَانِنَا، وَأَصْلِحْ أئِمَّتَنَا وَوُلاةَ أُمُورِنَا، اللَّهُمَّ وَفِّقْهُمْ لِمَا يَرْضِيكَ، وَجَنِّبْهُمْ مُعَاصِيكَ.

اللَّهُمَّ تَبَّ عَلَى التَّائِبِينَ، وَاهْدِ ضَالَّ الْمُسْلِمِينَ، اللَّهُمَّ رُدِّهِمْ إِلَيْكَ رَدًّا جَمِيلًا، اللَّهُمَّ ارْفَعْ مَا نَزَلَ مِنَ الْفِتَنِ.

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِينَا.

عِبَادَ اللَّهِ! ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠]، فَادْكُرُوا اللَّهَ الْعَلِيَّ الْعَظِيمَ يذكركم، وَاشْكُرُوهُ عَلَى نِعَمِكُمْ يزدكم، ﴿وَلِذِكْرِ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

الربا والبنوك الربوية

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يُضِلِّ فلا هاديَّ له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه، ومن سار على نهجه، واقتفى أثره، إلى يوم الدين، وسلم تسليماً كثيراً.

أَمَّا بَعْدُ:

أما بعد أيها الناس: اتقوا الله، فإنه ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۖ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: ٢-٣].

إخوة الإسلام: محبة الإنسان للمال لا تُنكر، ومحبة جمعه لها شيء مستقر في النفوس، قال ربنا -جل وعلا-: ﴿كَلَّا بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ ۖ وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ ۚ وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْثَلًا لَمَّا ۚ وَتَحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾ [الفجر: ١٧-٢٠]، ووصف ربنا أيضا أن هذا المال هو زينة الحياة الدنيا، فقال تعالى: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَةُ الصَّالِحَةُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ [الكهف: ٤٦]، ولكن هذا المال له تبعته الوخيمة وآثاره المستطيرة على صاحبه إن لم يتق الله في شأنه، روى البخاري ومسلم

من حديث أبي ذرٍّ قال: كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فَلَمَّا أَبْصَرَ - يَعْنِي أَحَدًا - قَالَ: «مَا أَحَبُّ أَنَّهُ يُحَوَّلَ لِي ذَهَبًا يَمْكُثُ عِنْدِي مِنْهُ دِينَارٌ فَوْقَ ثَلَاثٍ إِلَّا دِينَارًا أَرْصِدُهُ لِدَيْنٍ» ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ الْأَكْثَرِينَ هُمْ الْأَقْلُونَ إِلَّا مَنْ قَالَ بِالْمَالِ هَكَذَا وَهَكَذَا - وَأَشَارَ أَبُو شَهَابٍ بَيْنَ يَدَيْهِ وَعَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ - وَقَلِيلٌ مَا هُمْ»^(١).

وَسَيُسْأَلُ كُلُّ مُؤْمِنٍ عَنْ مَالِهِ، مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، كَيْفَ تَقْرَأُ عَيْنُكَ يَا عَبْدَ اللَّهِ بِأَكْلِ الرِّبَا، وَرَبِّكَ قَدْ أَعْلَنَ الْحَرْبَ وَأَذْنَهَا عَلَى كُلِّ رِبَا تَأْخُذُهُ قَلٌّ أَوْ كَثْرٌ؟ نَحْنُ نَسْمَعُ قَوْلَ رَبِّنَا - جَلَّ وَعَلَا -: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (٢٧٨) فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ۖ ﴿[البقرة: ٢٧٨-٢٧٩]، أَيُّ مَنْ لَمْ يَنْزِجْ بِمَوْعِظَةِ اللَّهِ وَلَمْ يَقْبَلْ نَصِيحَتَهُ، فَإِنَّهُ مَشَاقُّ لِرَبِّهِ مُحَارِبٌ لَهُ، وَهُوَ عَاجِزٌ ضَعِيفٌ لَيْسَ لَهُ يَدَانِ فِي مُحَارَبَةِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ الَّذِي يَمْهَلُ لِلظَّالِمِ وَلَا يُهْمِلُهُ، حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ، أَخَذَهُ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ، كَيْفَ تَقْرَأُ عَيْنُكَ وَأَنْتَ تَسْمَعُ إِلَى مَا جَاءَ فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ مِنْ حَدِيثِ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدَبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ رَجُلَيْنِ أَتَيَانِي فَأَخْرَجَانِي إِلَى أَرْضٍ مُقَدَّسَةٍ، فَأَنْطَلَقْنَا حَتَّى أَتَيْنَا عَلَى نَهَرٍ مِنْ دَمٍ، فِيهِ رَجُلٌ قَائِمٌ عَلَى وَسْطِ النَّهَرِ، وَرَجُلٌ بَيْنَ يَدَيْهِ حِجَارَةٌ، فَأَقْبَلَ الرَّجُلُ الَّذِي فِي النَّهَرِ، فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ، رَمَى الرَّجُلُ بِحَجَرٍ فِي فِيهِ، فَرَدَّهُ حَيْثُ كَانَ، فَجَعَلَ كُلَّمَا جَاءَ لِيَخْرُجَ رَمَى فِي فِيهِ بِحَجَرٍ، فَيَرْجِعُ كَمَا كَانَ، فَقُلْتُ: مَا هَذَا؟ فَقَالَ الَّذِي رَأَيْتُهُ فِي النَّهَرِ آكِلُ الرِّبَا»^(٢).

(١) أخرجه البخاري (٢/ ٨٤١)، رقم (٢٢٥٨)، ومسلم (٢/ ٦٨٧)، رقم (٩٩١).

(٢) أخرجه البخاري (١/ ٤٦٥)، رقم (١٣٢٠).

آكل الربا ملعونٌ على لسان رسول الله ﷺ كما في حديث جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لَعَنَ اللَّهُ أَكِلَ الرَّبَا وَمُوكِلَهُ وَكَاتِبَهُ وَشَاهِدِيهِ وَقَالَ هُمْ سَوَاءٌ»^(١).

سبحان الله! كاتبه وشهوده ما أخذوا من هذا المال شيئاً، ولكن شؤم صنيعهم وعونهم على الإثم أدخلهم في اللعنة، والمأساة والحسرة أن صدقة المرابي مردودة عليه غير مقبولة، فقد روى مسلمٌ في صحيحه من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا، وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ فَقَالَ: ﴿يَتَأَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُّوْا مِنْ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [المؤمنون: ٥١]، وقال: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُّوْا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ [البقرة: ١٧٢]، ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلُ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ يَا رَبَّ يَا رَبَّ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ»^(٢).

وفي الصحيحين عنه أيضاً أن رسول الله ﷺ قال: «مَا تَصَدَّقَ أَحَدٌ بِصَدَقَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ، وَلَا يَقْبَلُ اللَّهُ إِلَّا الطَّيِّبَ»^(٣).

وفي صحيح مسلم من حديث ابن عمر أن الرسول -صلى الله عليه- قال: «لَا يَقْبَلُ اللَّهُ صَدَقَةً مِنْ غُلُولٍ»^(٤).

(١) أخرجه مسلم (٣/١٢١٩، رقم ١٥٩٨).

(٢) أخرجه مسلم (٢/٧٠٣، رقم ١٠١٥).

(٣) أخرجه البخاري (٢/٥١١، رقم ١٣٤٤)، ومسلم (٢/٧٠٢، رقم ١٠١٤).

(٤) أخرجه مسلم (١/٢٠٣، رقم ٢٢٤).

وروى ابن حبان في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ جَمَعَ مَالًا حَرَامًا فَتَصَدَّقَ بِهِ لَمْ يَكُنْ لَهُ فِيهِ أَجْرٌ، وَكَانَ إِضْرُهُ عَلَيْهِ»^(١).

فلا تفرح بصدقتك إن كانت من مالٍ حرام؛ فإنها هي من حبائل إبليس من أجل أن يضع على قلبك غشاوةً فتنسى هذا بهذا.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، ﴿وَمَا آتَيْتُم مِّن رَّبِّالْيَرَبُوءَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرَبُوءُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُم مِّن زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ﴾ [الروم: ٣٩].

بَارَكَ اللَّهُ لِي وَلَكُمْ فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، وَنَفَعَنِي وَإِيَّاكُمْ بِمَا فِيهِ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ، أَقُولُ مَا سَمِعْتُمْ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ لِي وَلَكُمْ وَلِسَائِرِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ وَخَطِيئَةٍ، فَاسْتَغْفِرُوهُ، وَتُوبُوا إِلَيْهِ، إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ.

الخطبة الثانية:

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله تعظيماً لشانه، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الداعي إلى جنته ورضوانه، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأعوانه.

أَمَّا بَعْدُ:

(١) أخرجه ابن حبان (٨/ ١٥٣)، رقم (٣٣٦٧).

أيها المؤمنون: وفي زماننا تنوّعت طرق كسب الربا، وأصبحت مغلفةً منمقةً، إما بفتاوى شاذة منكرة، وإما بتحايل وتدليس وتلبيس، وقد أخبر المعصوم عليه السلام عن هذا في آخر الزمان، فروى البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ قال: «لَيَأْتِيَنَّ عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ لَا يُبَالِي الْمَرْءُ بِمِ أَخَذَ الْمَالَ أَمِنْ حَلَالٍ أَمْ مِنْ حَرَامٍ»^(١).

وهذا والله نلمسه في زماننا عند بعض الناس، لا سيما مع ثورة الأسهم، وليلعلم عباد الله أن الاكتتاب في أسهم البنوك الربوية معادة لله ومحاربة للقوي المتين، وإنك لتعجب أشد العجب من رجل فتح دارًا للبقاء والزنا وفيها مبيعات أخرى مباحة من أكل وشرب وسكن، ثم فتح مشروعه للاكتتاب والمشاركة بالربح، أيستريب عاقل أن هذا محرم، بل والكثير من الناس سيرفضه لشناعته. ألا فليعلم أن الربا أعظم حرمة عند الله من الزنا، وكلها من الموبقات، فالشركة مبنها على الوكالة فيكون المساهم قد رضي بالربا في شركته ومساهمته، أو موكلًا.

قال ابن قدامة الحنبلي: (ينفذُ تصرف كل واحدٍ منهما -أي الشريكين- فيهما بحكم الملك في نصيبه والوكالة في نصيب شريكه)^(٢).

وعلى هذا المذاهب الأربعة في أن الشركة مبنها على التوكيل، والله يقول: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة: ٢].

(١) أخرجه البخاري (٧٢٦/٢)، رقم (١٩٥٤).

(٢) الإقناع في فقه الإمام أحمد بن حنبل (٢٥٣/٢).

وقد سُئِلَ سَمَاحَةُ الشَّيْخِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بَازٍ رَحِمَهُ اللَّهُ هَذَا السُّؤَالَ: حَصَلَ بَيْنِي وَبَيْنَ أَخِي خِلَافٌ شَدِيدٌ حَوْلَ الْمُسَاهَمَةِ فِي أَحَدِ الْبُنُوكِ فِي الْمَمْلَكَةِ الْمُطْرُوحةِ أَسْهُمُهُ لِلَاكِتَابِ هَذَا الْعَامِ حَوْلَ جَوَازِ الْمُسَاهَمَةِ فِيهِ، فَقُلْتُ لَهُ: إِنَّ ذَلِكَ حَرَامٌ لِأَنَّهُ يَتَعَامَلُ بِالرَّبَا، وَقَالَ: إِنَّ فِيهِ شُبْهَةً وَلَيْسَ حَرَامًا. وَسَبَبُ هَذَا الْخِلَافِ أَنَّهُ طَلَبَ مِنِّي اسْمِي وَأَسْمَاءَ أَبْنَائِي لِيُسَاهِمَ لَهُ بِهَا فِي الْبَنْكِ وَلَقَدْ تَجَادَلْنَا كَثِيرًا وَاتَّفَقْنَا عَلَى جَوَابٍ فَضَّلَ مِنْ سَمَاحَتِكُمْ فَتَرْجُو إِفْتَاءَنَا عَمَّا يَلِي: أَوَّلًا: حُكْمُ الْمُسَاهَمَةِ فِي الْبَنْكِ الْمَذْكُورِ؟ وَثَانِيًا: حُكْمُ مَنَحِ الْأَسْمَاءِ لِشَخْصٍ يُرِيدُ الْمُسَاهَمَةَ بِهَا فِي هَذَا الْبَنْكِ مَعَ أَنَّ صَاحِبَ الْأَسْمَاءِ يَرَى الْحُرْمَةَ؟ فَتَرْجُو مِنْ سَمَاحَتِكُمْ جَوَابَنَا سَرِيعًا.

فَأَجَابَ الشَّيْخُ رَحِمَهُ اللَّهُ بِقَوْلِهِ: (لَا تَجُوزُ الْمُسَاهَمَةُ فِي هَذَا الْبَنْكِ وَلَا فِي غَيْرِهِ مِنَ الْبُنُوكِ الرَّبَوِيَّةِ، وَلَا الْمُسَاعَدَةِ فِي ذَلِكَ بِإِعْطَاءِ الْأَسْمَاءِ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ كُلَّهُ مِنَ التَّعَاوُنِ عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ، وَقَدْ نَهَى اللَّهُ سُبْحَانَهُ عَنْ ذَلِكَ فِي قَوْلِهِ ﷻ: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة: ٣]، وَقَدْ ثَبَتَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ «لَعَنَ آكِلَ الرِّبَا وَمُوكِلَهُ وَكَاتِبَهُ وَشَاهِدِيهِ، وَقَالَ: هُمْ سَوَاءٌ»^(١). خَرَجَهُ الْإِمَامُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ^(٢).

وبحمد الله، السوق مليء بالمساهمات الجائزة النظيفة، فليس لأحدٍ عذرٌ في القرب من المحرم، وكل الناس يغدو فبائعٌ نفسه فمعتقها أو موبقها، ﴿فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾ [يونس: ١٠٨].

(١) أخرجه مسلم (٣/١٢١٩، رقم ١٥٩٨).

(٢) فتاوى ابن باز (١٩/١٤٤).

اللهم أبعدنا عن أكل الربا وإيكالِه والدعوة إليه، وارزقنا من واسع فضلك ومن حيث لا نحسب.

ثم صلُّوا وسلِّموا على رسولِ الهدى، وإمام الورى، فقد أمركم ربكم فقال -جل وعلا-: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]، اللهم صلِّ وسلِّم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وارض اللهم عن الخلفاء الراشدين، والأئمة المهديين أبي بكرٍ وعمرَ وعُثمانَ وعليٍّ، وعن الصحابة أجمعين، وعنَّا معهم بعفوك وكرمك يا أكرم الأكرمين.

اللهم أعز الإسلام والمسلمين، وانصر عبادك الموحدين الذين يجاهدون في سبيلك في كل مكان، اللهم انصرهم على عدوك وعدوهم، اللهم عليك باليهود المعتدين، والنصارى المحاربين، اللهم عليك بهم؛ فإنهم لا يعجزونك، اللهم أحصهم عددًا.

اللهم آمنا في أوطاننا، وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا، اللهم وفقهم لما يرضيك، وجنبهم معاصيك.

اللهم تب على التائبين، واهد ضال المسلمين، اللهم رُدِّهم إليك ردًّا جميلاً، اللهم ارفع ما نزل من الفتن.

اللهم اغفر لنا ولوالدينا.

عباد الله! ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠]،

فاذكروا الله العلي العظيم يذكركم، واشكروه على نعمكم يزدكم، ﴿وَلَذِكْرُ
اللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

الذكر

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يضلِّل فلا هاديَّ له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه، ومن سار على نهجه، واقتفى أثره، إلى يوم الدين، وسلم تسليماً كثيراً.

أَمَّا بَعْدُ:

فَاتَّقُوا اللَّهَ، ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

إخوة الإسلام: طُبِعَتِ الحَيَاةُ عَلَى الكَدْرِ والشَّدَةِ والضيقِ، هكذا أخبر الله ﷻ عن حال الأرض والدنيا، قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾ [البلد: ٤]، قال الحسن: «يُكَابِدُ مصائب الدنيا وشدائد الآخرة»^(١).

هذه هي الحياة، طُبِعَتِ عَلَى كَدَرٍ وأذى، إلا أنَّ من رحمة الله -جل وعلا- بالعباد أنَّ شرع لهم ما يزيل همومها وغمومها، بل ويقضي على

(١) تفسير القرطبي (٢٠/٦٢).

لَأَوَائِهَا وَتَنْغِيصُهَا، فَمَنْ رَامَ عِلَاجَ نَكْدِهَا فَلْيَتِمَسَّكْ بِقَوْلِ الْخَبِيرِ وَخَبْرِهِ: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾ [طه: ١٢٤].

قال القرطبي: (لا يُعْرِضُ أَحَدٌ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ إِلَّا أَظْلَمَ عَلَيْهِ وَقْتُهُ)^(١).

فالذِّكْرُ هو أعظمُ سلاح جعله الله للعبد المؤمن للوقوف أمام هذه الحياة، فمهما حاولت الفلسفات القديمة والمعاصرة أن تدرس نظرية الحياة والسعادة والطمأنينة لا يمكن لها أن تصل إلى حقيقتها بمَعَزِلٍ عن العبادة والذكر، ففي الذكر يسعد الغني والفقير والمصاب والمعافي والشريد والطريد، وبسواه تكون السعادة خاصة بغير المأمون إن وجدت أيضاً، فالغني يخشى على ماله، والصحيح يخشى على صحته، والرئيس يخشى على منصبه، فهي سعادة غير مأمونة، أما الفقير والمريض ونحوهما فلا معنى لسعادته إذ لا يملك السعادة المؤقتة، بل أحياناً تكون هذه المتع سبباً للتنغيص والتكدير، فكَمَ من غنيٍّ أورثه غناه التعب والمرض، وكَمَ من مسؤولٍ أورثه منصبه الهم والحزن، بينما متعة وحلاوة ذكر الله لا تنفك عنك في أي وقت، وسعادتها ملازمة لك في الدنيا والآخرة، وتورثك سعادة وأُنساً لا يورثه غيرها.

وتأمل قول الله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنَّىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً ﴿[النحل: ٩٧]، كلنا نبحث عن هذه الحياة الطيبة الهانئة، فمن تطلّبها بغير هذا السلاح فهو كالمُتَطَلِّبِ في الماءِ جَدْوَةَ نَارٍ، ولهذا

(١) روح المعاني (٢٨٩/١٦).

تأمل ما قال الله بعد هذه الآية السابقة: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنْ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [النحل: ٩٨]، هذا أعظم الذكر، وأعظم أسباب الحياة الطيبة، ﴿كَتَبَ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ﴾ [ص: ٢٩]، مباركٌ على نفسك وروحك وعملك وأهلك وولدك؛ فبركته متتالية لأنه كلام الله ﷻ فالذكر هو الحياة، وهذا ما يوضحه ما رواه الشيخان من حديث أبي موسى: «مَثَلُ الْبَيْتِ الَّذِي يُذَكِّرُ اللَّهَ فِيهِ وَالْبَيْتِ الَّذِي لَا يُذَكِّرُ اللَّهَ فِيهِ مَثَلُ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ»^(١).

فهل الميت يشعر بالحياة؟ وهل الميت مستمتع بما هو فيه؟ وقد اتفقت عبارات المجربين من الأغنياء والفقراء والساسة والعامة أن الذكر سلاح متين جالب للفرح والسعادة والطمأنينة، ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨]، وقد أمر الله تعالى بذكره، ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: ١٥٢]، ووعد عليه أفضل جزاء، وهو ذكره لمن ذكره، كما قال تعالى على لسان رسوله في الحديث الذي رواه الشيخان: «مَنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَمَنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَأٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَأٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ»^(٢).

وقد قيل في معنى قوله تعالى: ﴿أَتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [العنكبوت: ٤٥]؛ أي ذكر الله لكم بالثواب والثناء عليكم أكبر من ذكركم له في عبادتكم وصلواتكم. وهذا اختيار الطبري.

(١) أخرجه البخاري (٢٣٥٣/٥، رقم ٦٠٤٤)، ومسلم (٥٣٩/١، رقم ٧٧٩).

(٢) أخرجه البخاري (٢٦٩٤/٦، رقم ٦٩٧٠)، ومسلم (٢٠٦١/٤، رقم ٢٦٧٥).

وقيل ما في الصلاة من ذكر الله أكبر من نهيها عن الفحشاء والمنكر، ومصدق هذا الذكر ما رواه الترمذي في جامعه، عن أبي هريرة وأبي سعيد، عن رسول الله ﷺ قال: «إِذَا قَالَ الْعَبْدُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ، قَالَ يَقُولُ اللَّهُ ﷻ: صَدَقَ عَبْدِي، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا وَأَنَا أَكْبَرُ، وَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ، قَالَ صَدَقَ عَبْدِي، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا وَحْدِي، وَإِذَا قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، قَالَ صَدَقَ عَبْدِي، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا، وَلَا شَرِيكَ لِي، وَإِذَا قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، قَالَ صَدَقَ عَبْدِي، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا، لِي الْمُلْكُ وَلِي الْحَمْدُ، وَإِذَا قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، قَالَ صَدَقَ عَبْدِي، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِي. مَنْ رُزِقَهُنَّ عِنْدَ مَوْتِهِ لَمْ تَمْسَسْهُ النَّارُ»^(١).

تأمل هذا الجواب من الربِّ الكبير، مناجاة عظيمة من العبد لربه، وتأمل قوله «رُزِقَهُنَّ» أي والله إنه لمن جملة الرزق، والله ما رُزِقَ العبدُ بمثل تحببه لذكر الله، ادعوا الله أن يرزقكم ذكره؛ فهو رزق كريم، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، ﴿لَا يَنْتَ لِأُولَى الْأَلْبَابِ ۝﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقَعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ ﴿[آل عمران: ١٩٠-١٩١].

بَارَكَ اللَّهُ لِي وَلَكُمْ فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، وَنَفَعَنِي وَإِيَّاكُمْ بِمَا فِيهِ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ، أَقُولُ مَا سَمِعْتُمْ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ لِي وَلَكُمْ وَلِسَائِرِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ وَخَطِيئَةٍ، فَاسْتَغْفِرُوهُ، وَتُوبُوا إِلَيْهِ، إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ.

(١) أخرجه الترمذي (٥/ ٤٩٢، رقم ٣٤٣٠).

الخطبة الثانية:

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله تعظيماً لشانه، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الداعي إلى جنته ورضوانه، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأعوانه.

أَمَّا بَعْدُ:

إخوتي في الله: كم هم الذين يشتكون من الأمراض النفسية والتسلطات الروحية، وقد أنزل الله علاجَه، وعرفه رسوله أمته، فهو السلاح الناجع المجرب، إن دواءه هو ذكرُ الله، فالرُّقِيَّةُ كلها أذكاءُ، والقرآنُ أعظمُ الذكرِ، إنَّ منَ الناسِ لو قِيلَ له علاجُك في أقصى الأرض لبذلَ الأسبابَ العظيمةَ لعلاجِه، ومن أعظمِ الأمراضِ أمراضُ النفوسِ والتسلطات، ومع هذا يكسلُ المريضُ عن تناولِ دوائِه، هل هناك أعظمُ من هذا الدعاء العظيم الذي يجمع بين خيري الدنيا والآخرة وبين العصمة من الشياطين؟ تالله لو أن النفوسَ صحيحةٌ لكان قولها له قبل تناولها طعامها وشرابها.

جاء في عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ «مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، فِي يَوْمِ مِائَةِ مَرَّةٍ، كَانَتْ لَهُ عِدْلُ عَشْرِ رِقَابٍ وَكُتِبَتْ لَهُ مِائَةُ حَسَنَةٍ وَحُيِّتَ عَنْهُ مِائَةُ سَيِّئَةٍ وَكَانَتْ لَهُ حِرْزًا مِنَ الشَّيْطَانِ يَوْمَهُ ذَلِكَ حَتَّى يُمِيتَ، وَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ أَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ إِلَّا أَحَدٌ عَمِلَ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ»^(١).

(١) أخرجه البخاري (٣/ ١١٩٨، رقم ٣١١٩)، ومسلم (٤/ ٢٠٧١، رقم ٢٦٩١).

«إِلَّا أَحَدٌ عَمِلَ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ»؛ هذا فيه دليلٌ على أنه لو قال هذا التهليل أكثر من مائة مرة في اليوم كان له هذا الأجر المذكور في الحديث على المائة، ويكون له ثواب آخر على الزيادة، وليس هذا من الحدود التي نُهي عن اعتدائها ومجاوزة أعدادها، أو التي لا فَضْلَ في زيادتها، أو التي تَبْطُلُ بالزيادة، كالزيادة في عدد الطهارة وعدد ركعات الصلاة.

لقد جَرَّبَ هذا الذكر أناسٌ كَثُرَ كانوا في تعبٍ وهَمٍّ وَتَسَلُّطٍ، فلما داوموا عليه وجدوا أثرًا لم يتوقعوه وزال عنهم ما كانوا يشعرون، لِيَتَوَاصَّ الزوجانِ عليه والوالدانِ مع أولادهما؛ ففيه خيرٌ كثيرٌ.

وختامًا، لو لم يكن هذا الذكر بهذه المكانة لما رأينا الشريعة جعلت جميع الوقت ذكرًا، فالصلاة لها وَقْتُ نَهْيٍ، والصوم له وَقْتُ نَهْيٍ، والعمرة والحج لا يُتَصَوَّرُ أن يقطع الزمان بهما، لكنَّ الذِّكْرَ من حين القيام، والأوراد الخاصة والعامة تلاحقك وتناديك، أليس هذا دليلًا على حُبِّ الله له وعظم أثره على حياتنا؟! فدعوة عامة لمراجعة أنفسنا، فالتقصير كبير، والأجر عظيم، والعاقبة حميدة، والحسرة كبيرة، فما تمر ساعة على ابن آدم لا يذكر الله تعالى فيها إلا تحسَّرَ عليها يوم القيامة، اللهم أعِنَّا على ذكرك.

ثُمَّ صَلُّوا وَسَلَّمُوا على رسولِ الهدى، وإمام الورى، فقد أمركم ربكم فقال -جل وعلا-: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]، اللهم صلِّ وسلِّم على نبينا محمدٍ، وعلى آله وصحبه أجمعين، وارِضْ اللهم عن الخلفاء الراشدين، وَالْأئِمَّةِ الْمُهَدِّينَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَلِيًّا، وَعَنِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ، وَعَنَّا

معهم بعفوك وكرمك يا أكرم الأكرمين.

اللهم أعز الإسلام والمسلمين، وانصر عبادك الموحدين الذين يجاهدون في سبيلك في كل مكان، اللهم انصرهم على عدوك وعدوهم، اللهم عليك باليهود المعتدين، والنصارى المحاربين، اللهم عليك بهم؛ فإنهم لا يعجزونك، اللهم أحصهم عددًا.

اللهم آمنا في أوطاننا، وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا، اللهم وفقهم لما يرضيك، وجنبهم معاصيك.

اللهم تب على التائبين، واهد ضال المسلمين، اللهم رُدِّهم إليك ردًّا جميلًا، اللهم ارفع ما نزل من الفتن.

اللهم اغفر لنا ولوالدينا.

عباد الله! ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠]، فاذكروا الله العلي العظيم يذكركم، واشكروه على نعمكم يزدكم، ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

الدين يسر

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يضلِّل فلا هاديَّ له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه، ومن سار على نهجه، واقتفى أثره، إلى يوم الدين، وسلم تسليماً كثيراً.

أَمَّا بَعْدُ:

فَاتَّقُوا اللَّهَ، ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

معشر الإخوة: إنَّ من فضلِ الله على هذه الأمة أن جعل شريعتهَا سمحةً ميسرةً، وما جعل علينا في الدين من حرج، قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ۖ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٨٦]، ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا﴾، أي:

تكاليف مشقة، ﴿كَمَا حَمَلْتُهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا﴾، وقد فعل تعالى، فإن الله خفف عن هذه الأمة في الأوامر من الطهارات وأحوال العبادات ما لم يخففه على غيرها.

وقد قال الإمام البخاري: باب الدين يسر وقول النبي ﷺ: «أَحَبُّ الدِّينِ إِلَى اللَّهِ الْحَنِيفَةُ السَّمْحَةُ»، ثم روى عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ، فَسَدُّوا وَقَارِبُوا وَأَبْشَرُوا وَاسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيْءٍ مِنَ الدَّلْجَةِ»^(١).

وفي رواية: «لَنْ يُنَجِّيَ أَحَدًا مِنْكُمْ عَمَلُهُ»، قالوا: وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «وَلَا أَنَا إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللَّهُ بِرَحْمَةٍ، سَدُّوا وَقَارِبُوا وَاعْبُدُوا وَرَوْحُوا، وَشَيْءٌ مِنَ الدَّلْجَةِ، وَالْقَصْدَ الْقَصْدَ تَبْلُغُوا»^(٢).

قال ابن بطال: (والمراد بهذا الحديث الحُصُّ على الرِّفق في العمل، وهو كقوله ﷺ: «عَلَيْكُمْ مِنَ الْعَمَلِ مَا تُطِيقُونَ»^(٣))، وقوله: «أَبْشَرُوا»؛ يعني بالأجر والثواب على العمل، وقوله: «وَاسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيْءٍ مِنَ الدَّلْجَةِ»، كأنه خاطب مسافرًا يقطع طريقه إلى مقصده، فنبهه على أوقات نشاطه التي يزكو فيها عمله؛ لأن الغدو والرواح والدلجة أفضل أوقات المسافر فنبه أمته أن يغتنموا أوقات فرصتهم وفراغهم^(٤).

(١) أخرجه البخاري (٢٣/١)، رقم (٣٩).

(٢) أخرجه البخاري (٢٣٧٣/٥)، رقم (٦٠٩٨)، ومسلم (٢١٦٩/٤)، رقم (٢٨١٦).

(٣) أخرجه البخاري (٦٩٥/٢)، رقم (١٨٦٩)، ومسلم (٥٤٢/١)، رقم (٧٨٥).

(٤) شرح صحيح البخاري لابن بطال (٩٦/١).

وقال السعدي رحمه الله: (ما أعظمَ هذا الحديث، وأجمعه للخير والوصايا النافعة، والأصول الجامعة. فقد أسس عليه في أوله هذا الأصل الكبير، فقال: «إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ» أي ميسر مسهل في عقائده وأخلاقه وأعماله، وفي أفعاله وتُروكه، فإن عقائده التي ترجع إلى الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره؛ هي العقائد الصحيحة التي تطمئن لها القلوب، وتوصل مقتديها إلى أجل غاية وأفضل مطلوب، وأخلاقه وأعماله أكمل الأخلاق، وأصلح الأعمال، بها صلاح الدين والدنيا والآخرة. وبفواتها يفوت الصلاح كله، وهي كلها ميسرة مسهلة، كل مكلف يرى نفسه قادراً عليها لا تشق عليه، ولا تكلفه، عقائده صحيحة بسيطة. تقبلها العقول السليمة، والفطر المستقيمة. وفرائضه أسهل شيء...

ثم ختم الحديث بوصية خفيفة على النفوس، وهي في غاية النفع، فقال: «وَاسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيْءٍ مِنَ الدُّلْجَةِ»، وهذه الأوقات الثلاثة كما أنها السبب الوحيد لقطع المسافات القريبة والبعيدة في الأسفار الحسية، مع راحة المسافر، وراحة راحلته، ووصوله براحة وسهولة، فهي السبب الوحيد لقطع السفر الأخروي، وسلوك الصراط المستقيم، والسير إلى الله سيراً جميلاً.

فمتى أخذ العامل نفسه، وشغلها بالخير والأعمال الصالحة المناسبة لوقته - أول نهاره وآخر نهاره وشيئاً من ليله، وخصوصاً آخر الليل - حصل له من الخير ومن الباقيات الصالحات أكمل حظ، وأوفر نصيب، ونال السعادة والفوز والفلاح، وتم له النجاح في راحة وطمأنينة، مع حصول

مقاصده الدنيوية، وأغراضه النفسية، وهذا من أكبر الأدلة على رحمة الله بعباده بهذا الدين الذي هو مادة السعادة الأبدية؛ إذ نصبه لعباده، وأوضحه على السنة رسله، وجعله ميسراً سهلاً، وأعان عليه من كل وجه، ولطف بالعاملين، وحفظهم من القواطع والعوائق^(١).

وروى البخاري عن ابن عباس قال: بَيْنَا النَّبِيُّ ﷺ يَخْطُبُ إِذَا هُوَ بِرَجُلٍ قَائِمٍ فَسَأَلَ عَنْهُ فَقَالُوا أَبُو إِسْرَائِيلَ نَذَرَ أَنْ يَقُومَ، وَلَا يَقْعُدَ، وَلَا يَسْتَظِلَّ، وَلَا يَتَكَلَّمَ وَيَصُومَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مُرُهُ فَلْيَتَكَلَّمْ وَلْيَسْتَظِلَّ وَلْيَقْعُدْ وَلْيُتِمِّمْ صَوْمَهُ»^(٢).

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، ﴿طه ١﴾ مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ﴿٢﴾ إِلَّا نَذْكِرَكَ لِمَنْ يَخْشَى ﴿طه: ١-٣﴾.

بَارَكَ اللَّهُ لِي وَلَكُمْ فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، وَنَفَعَنِي وَإِيَّاكُمْ بِمَا فِيهِ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ، أَقُولُ مَا سَمِعْتُمْ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ لِي وَلَكُمْ وَلِسَائِرِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ وَخَطِيئَةٍ، فَاسْتَغْفِرُوهُ، وَتَوَبُوا إِلَيْهِ، إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ.

الخطبة الثانية:

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله تعظيماً لشانه، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الداعي إلى جنته

(١) بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار (١/ ١٠٦-١١١).

(٢) أخرجه البخاري (٦/ ٢٤٦٥، رقم ٦٣٢٦).

ورضوانه، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأعوانه.

أَمَّا بَعْدُ:

معشر الإخوة: وليعلم أن من أعظم عوائد هذا التيسير دوام العمل وعدم الضجر والملل، وفي الحديث الذي رواه البخاري ومسلم من حديث عن عائشة، أن النبي ﷺ دَخَلَ عَلَيْهَا وَعِنْدَهَا امْرَأَةٌ، قَالَ: «مَنْ هَذِهِ؟» قَالَتْ: فُلَانَةٌ، تَذْكُرُ مِنْ صَلَاتَيْهَا، قَالَ «مَهْ، عَلَيْكُمْ بِمَا تَطِيقُونَ، فَوَاللَّهِ لَا يَمَلُّ اللَّهُ حَتَّى تَمَلُّوا»^(١). وكان أَحَبَّ الدِّينِ إِلَيْهِ مَا دَاوَمَ عَلَيْهِ صَاحِبُهُ وَإِنْ قَلَّ.

وفي مسند أحمد عن مَحْجَنِ بْنِ الْأَدْرِعِ قَالَ: أَقْبَلْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ حَتَّى إِذَا كُنَّا بَابَ الْمَسْجِدِ إِذَا رَجُلٌ يَصْلِي، قَالَ قُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، هَذَا فَلَانٌ، وَهَذَا مِنْ أَحْسَنِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ أَوْ مِنْ أَكْثَرِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ صَلَاةً، قَالَ: «لَا تُسْمِعُهُ فَتُهْلِكَهُ -مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا- إِنَّكُمْ أُمَّةٌ أُرِيدَ بِكُمْ الْيُسْرُ»^(٢).

وفي رواية له: «إِنَّ خَيْرَ دِينِكُمْ أَيْسَرُهُ، إِنَّ خَيْرَ دِينِكُمْ أَيْسَرُهُ»^(٣).

وفي رواية له -أيضا- قَالَ: «إِنَّكُمْ لَنْ تَنَالُوا هَذَا الْأَمْرَ بِالْمُغَالَبَةِ»^(٤).

قال الإمام النووي رحمه الله: (والأمرُ بالاقتصاد في العبادة وهو أن يأخذ منها ما يطيق الدوام عليه، وأمر من كان في صلاة فتركها ولحقه مَلَلٌ ونحوه

(١) أخرجه البخاري (١/٢٤، رقم ٤٣)، ومسلم (١/٥٤٢، رقم ٧٨٥).

(٢) أخرجه أحمد (٥/٣٢، رقم ٢٠٣٦٢).

(٣) أخرجه أحمد (٤/٣٣٨، رقم ١٨٩٩٧).

(٤) أخرجه أحمد (٤/٣٣٧، رقم ١٨٩٩٢).

بأن يتركها حتى يزول ذلك، وقوله: «عَلَيْكُمْ مِنَ الْأَعْمَالِ مَا تُطِيقُونَ»؛ أي تطيقون الدوام عليه بلا ضرر، وفيه دليل على الحث على الاقتصاد في العبادة واجتناب التعمق، وليس الحديث مختصاً بالصلاة، بل هو عام في جميع أعمال البر^(١).

أيها الإخوة، ومع يُسر هذا الدين، إلا أن من أهل الإسلام من ثقلت عليه الواجبات، وضعيع الصلوات المفروضات، وأضاع حقوق العباد، وليس هذا عن ضعف في قواه أو عجز عن الالتزام، كلاً، ها هو يقطع المفاوز ويسهر الليالي ويدفع الأموال لتلبية هواه، مع أن ما تشتهيه نفسه أضعاف أضعاف ما كلفه الله - جل وعلا - أفلا يحاسب الإنسان نفسه ويردعها عن غيها؟!

قال الحسن رحمته: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ وَاللَّهُ مَا تَرَاهُ إِلَّا يَلُومُ نَفْسَهُ عَلَى كُلِّ حَالَاتِهِ، يَسْتَقْصِرُهَا فِي كُلِّ مَا يَفْعَلُ، فَيَنْدُمُ وَيَلُومُ نَفْسَهُ، وَإِنَّ الْفَاجِرَ لَيَمْضِي قُدُمًا لَا يَعَاتِبُ نَفْسَهُ»^(٢).

قال ابن القيم رحمته: (وهلاك القلب من إهمال محاسبتها - أي: النفس - ومن موافقتها واتباع هواها)^(٣).

فعجيب حال هذا الغافل، يبحث عن هوى النفس وما درى أنه في

(١) المنهاج شرح صحيح مسلم (٦/ ٧٠-٧١).

(٢) إغاثة اللفهان (١/ ٧٧).

(٣) إغاثة اللفهان (١/ ٧٨).

عذابها ونكدها، ولذة الإيمان والتدين لا تشبه لذة الحرام والشهوة؛ لأن لذة الإيمان لذة قلبية روحية، أما لذة الحرام فهي لذة شهوانية جسدية، ويعقبها من الآلام والحسرات أضعاف ما نال صاحبها من المتعة، والله در من قال:

تَفْنِي اللَّذَاذَةُ مِمَّنْ نَالَ صَفَوَتَهَا مِنْ الْحَرَامِ وَيَبْقَى الْإِثْمُ وَالْعَارُ
تَبْقَى عَوَاقِبُ سُوءٍ فِي مَغْبَتِهَا لَا خَيْرَ فِي لَذَّةٍ مِنْ بَعْدِهَا النَّارُ^(١)
عجباً ممن يطولُ عمره ويزداد ذنبه، يبيضُ شعره ويسودُّ قلبه، يسعى
بقدميه إلى التفریط والإجرام، ناسياً نزول الموت وحلول الأجل، وشدة
الكرب وانقطاع العمل.

ثُمَّ صَلُّوا وَسَلِّمُوا عَلَى رَسُولِ الْهُدَى، وإمام الورى، فقد أمركم ربكم
فقال - جل وعلا-: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى نَبِيِّنَا
مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ، وَارْضَ اللَّهُمَّ عَنِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ،
وَالْأَئِمَّةِ الْمُهَدِّينَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَلِيٍّ، وَعَنِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ، وَعَنَّا
مَعَهُمْ بِعَفْوِكَ وَكَرَمِكَ يَا أَكْرَمَ الْأَكْرَمِينَ.

اللَّهُمَّ أَعِزَّ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَانصِرْ عِبَادَكَ الْمُوَحِّدِينَ الَّذِينَ يُجَاهِدُونَ
فِي سَبِيلِكَ فِي كُلِّ مَكَانٍ، اللَّهُمَّ انصِرْهُمْ عَلَى عَدُوِّكَ وَعَدُوِّهِمْ، اللَّهُمَّ عَلَيْكَ
بِالْيَهُودِ الْمُعْتَدِينَ، وَالنَّصَارَى الْمُحَارِبِينَ، اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِهِمْ؛ فَإِنَّهُمْ لَا
يَعْجِزُونَكَ، اللَّهُمَّ أَحْصِهِمْ عَدَدًا.

(١) حلية الأولياء (٧/ ٢٢١).

اللَّهُمَّ آمِنَّا فِي أَوْطَانِنَا، وَأَصْلِحْ أَيْمَتَنَا وَوُلاةَ أُمُورِنَا، اللَّهُمَّ وَفِّقْهُمْ لِمَا يَرْضِيكَ، وَجَنِّبْهُمْ مَعَاصِيكَ.

اللَّهُمَّ تَبْ عَلَى التَّائِبِينَ، وَاهْدِ ضَالَّ الْمُسْلِمِينَ، اللَّهُمَّ رُدِّهِمْ إِلَيْكَ رَدًّا جَمِيلًا، اللَّهُمَّ ارْفَعْ مَا نَزَلَ مِنَ الْفِتَنِ.

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِينَا.

عباد الله! ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠]،
فاذكروا الله العلي العظيم يذكركم، واشكروه على نعمكم يزدكم، ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

الحجاب

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه، ومن سار على نهجه، واقتفى أثره، إلى يوم الدين، وسلم تسليماً كثيراً.

أَمَّا بَعْدُ:

فَاتَّقُوا اللَّهَ، ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

معشر المصلين: إنَّ من سماتِ هذه الشريعة السمحة أن الله جعلها متينة تتوافق مع العقل والفطرة والروح، فالتناقض لا يمكن أن يكون من سماتها، والتعارض بين أحكامها مع العقل منتفٍ في جميع فروعها، ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢]، وبعد هذا فإن ما تداوله الناس في هذه الأيام من جواز كشف المرأة وجهها، وجواز وضع المساحيق التجميلية على الوجه أمام الأجانب عنها، هو من العَجَبِ العجائب، أبعد الحشمة وتغطية الوجه، وأنفة ربات الخدور في الجاهلية أن يخرجن سافرات

الوجوه، يراهن الرجال، وكان العرب يتعففون أن ينظروا إليهن، ويعدونه من مكارم الأخلاق، تأتي هذه الشريعة وتنسخ هذا الخلق، وهي التي جاءت بالعفة كما وصفها أبو سفيان له رقل، تالله إن هذا لمنطق المعاندين، ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ اللَّهُ ذُنُوبَكُمْ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٢٨].

كيف لشريعة حرمت خروج المرأة مُتَطَيِّبَةً يظهر ريح الطيب منها، وقد أجمع العلماء على ذلك، أن تُجِيزَ لها أن تكشف وجهها المزين بالمساحيق، بل جاء في الحديث أَنَّهَا زَانِيَّةٌ، كما رواه الإمام أحمد وغيره بإسناد صحيح عن أبي موسى الأشعري قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَيُّهَا امْرَأَةُ اسْتَغْفِرْتُ، فَمَرَّتْ بِقَوْمٍ لِيَجِدُوا رِيحَهَا فَهِيَ زَانِيَّةٌ»^(١).

قال الطحاوي: (أطلق عليها رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الزَّنى، لأنها السَّبَبُ الَّذِي يَكُونُ عَنْهُ الزَّنى)^(٢).

فشريعة تحرم الطيب عن الأجانب وهي مارة، أُنْجِزَ للشَّابَّةِ أن تخرج وجهها وفيه المساحيق التجميلية التي هي أشد من فتنة الطيب والبخور؟! وقد روى مسلم في صحيحه عن أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَيُّهَا امْرَأَةُ أَصَابَتْ بِخُورًا فَلَا تَشْهَدْ مَعَنَا الْعِشَاءَ الْآخِرَةَ»^(٣).

(١) أخرجه أحمد (٤/٤١٣، رقم ١٩٧٢٦).

(٢) شرح مشكل الآثار (١١/٤٧٩).

(٣) أخرجه مسلم (١/٣٢٨، رقم ٤٤٤).

وروى مسلمٌ أيضاً عن زَيْنَبِ الثَّقَفِيَّةِ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ «إِذَا شَهِدْتَ إِحْدَاكُنَّ الْعِشَاءَ فَلَا تَطِيبُ تِلْكَ اللَّيْلَةَ»^(١).

قَالَ ابْنُ دَقِيقِ الْعِيدِ: (يَلْتَحِقُ بِالطِّيبِ مَا فِي مَعْنَاهُ، فَإِنَّ الطِّيبَ إِنَّمَا مُنِعَ مِنْهُ لِمَا فِيهِ مِنْ تَحْرِيكِ دَاعِيَةِ الرِّجَالِ وَشَهَوَتِهِمْ، وَقَدْ أُلْحِقَ بِهِ حُسْنُ الْمَلَابِسِ وَلُبْسُ الْحُلِيِّ الَّذِي يَظْهَرُ أَثَرُهُ فِي الزَّيْنَةِ)^(٢).

أليس هذا من عجائب القول وغريبه، كيف لشريعة حرّمت بوضوح، وفي القرآن، أن تُظهر المرأة صوت الزينة التي في رجلها حتى لا تفتن الناس، كما قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ﴾ [النور: ٣١].

فإذا كان صوت الخلخال بريداً إلى الفتنة، وحُرِّمَ لأجل هذا، فكيف بالوجه الذي امتلأ من المساحيق وأدوات الزينة وهو الذي يحكي الجمال والشباب والنضارة؟! وصوت الخلخال يصدر من الفتاة والعجوز، ومن الجميلة والدّميمة.

كيف توصف شريعة الله بأنها تحرم صوتاً من الزينة يخرج من الرجل المستورة، وتجيز إظهار الوجه مكمّن الجمال والنضارة وهو مزين بالمساحيق؟! أهذه شريعة الله؟ والله يقول: ﴿وَلَا يَبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ [النور: ٣١]، ولم يقل إلا ما أظهرن منها، فعلم بهذا أن المراد بالزينة

(١) أخرجه مسلم (١/٣٢٨، رقم ٤٤٣).

(٢) طرح الشريب (٣/٥٠).

زينة الثياب ونحوها، فالله يقول: ﴿مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾، وهم يقولون إلا ما أظهرتن منها.

شريعة الله لا تأمر بالفحشاء والمنكر، كيف لشريعة كاملة أن تجعل ذيل المرأة مُسبلاً إلى شبرٍ أو ذراعٍ في الأرض ليسترَ قدميها عن الظهور، كما قالت أم سلمة في الحديث الذي رواه مسلم والترمذي، واللفظ له، عن ابن عمر قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ جَرَّ ثَوْبَهُ خِيَلَاءَ لَمْ يَنْظُرِ اللَّهُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»، فَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: فَكَيْفَ يَصْنَعْنَ النِّسَاءُ بِذِيُولِهِنَّ؟ قَالَ: «يُرْخِيْنَ شِبْرًا»، فَقَالَتْ: إِذَا تَنَكَّشِفُ أَقْدَامُهُنَّ، قَالَ: «فَيُرْخِيْنَهُ ذِرَاعًا، لَا يَزِدُنَّ عَلَيْهِ»^(١).

فإذا كان هذا في القدم فالوجه أكثر فتنةً، فلا يعدو أن يكون تنبيهاً بالأدنى على الأعلى.

والحكمة والنظرُ تبيانِ سترٍ ما هو أقل فتنةً، والترخيصُ في كشف ما هو أعظم فتنةً.

قال النووي رحمه الله: (فَهَمَّتْ أُمُّ سَلَمَةَ الزَّجْرَ عَنِ الْإِسْبَالِ، فَسَأَلَتْ عَنْ حُكْمِ النِّسَاءِ فِي ذَلِكَ لِأَحْتِيَاجِهِنَّ إِلَى الْإِسْبَالِ مِنْ أَجْلِ سِتْرِ الْعَوْرَةِ، لِأَنَّ جَمِيعَ قَدَمِهَا عَوْرَةٌ)^(٢).

هذه هي شريعة الله، قامت على الصدق والعفة ورفض الفحشاء والمنكر، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، ﴿يَبْنِيْءَ آدَمَ لَا يَفْنِيَنَّكُمْ الشَّيْطَانُ كَمَا

(١) أخرجه مسلم (٣/١٦٥١، رقم ٢٠٨٥).

(٢) فتح الباري (١٠/٢٥٩).

أَخْرَجَ أَبْوَابَكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسُهُمَا لِيَرِيَهُمَا سَوْءَ بُيُوتِهِمَا ۖ إِنَّهُ يُرِيدُكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ۚ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٧﴾ وَإِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّمَا اللَّهُ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ ۖ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿[الأعراف: ٢٧-٢٨]﴾.

بَارَكَ اللَّهُ لِي وَلَكُمْ فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، وَنَفَعَنِي وَإِيَّاكُمْ بِمَا فِيهِ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ، أَقُولُ مَا سَمِعْتُمْ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ لِي وَلَكُمْ وَلِسَائِرِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ وَخَطِيئَةٍ، فَاسْتَغْفِرُوهُ، وَتَوَبُوا إِلَيْهِ، إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ.

الخطبة الثانية:

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله تعظيماً لشانه، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الداعي إلى جنته ورضوانه، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأعوانه.

أَمَّا بَعْدُ:

معاشر الإخوة: إن المنافقين والمفتونين وأرباب الشهوات لا يفتنون في تفكيك عفة المجتمع المحافظ، وإلا ففي أي زاوية تحمل هذه الهجمة الشرسة والنضال المستميت في الدفاع عن السافرات وإيجاد الأعذار والتبريرات لخروجهن بلا حياء؟ أين غيرتهم ولو بمقال واحد على تلك النساء اللاتي خرجن ولم يسترن إلا ما بين السرة والركبة؟ أين مناظراتهم أين مقالاتهم؟ لم

لَمْ يُعْرِفُوا إِلَّا بِقُضِيَةِ التَّكْشِفِ وَالِاخْتِلَاطِ وَكُسْرِ الْعُقَبَاتِ الَّتِي تَحُولُ بَيْنَ اخْتِلَاطِ الْجَنَسِينَ؟ أَيُّ غَشٍّ لِأُمَّةٍ مُحَمَّدٌ أَعْظَمُ مِنْ غَشِّهِمْ؟ أَتَرَى اللَّهَ - جَلَّ وَعَلَا - رَاضِيًا عَنْكَ وَأَنْتَ تُخْرِجُ رِبَاتِ الْخُدُورِ بِكَامِلِ زِينَتِهِنَّ لِيَفْتِنَ النَّاسَ؟

قال الشنقيطي رحمه الله: (فَمَنْ يُجَاوِلُ مِنْ دُعَاةِ السُّفُورِ وَالتَّبَرُّجِ وَالِاخْتِلَاطِ الْيَوْمَ مَنَعَ نِسَاءَ الْمُسْلِمِينَ مِنَ الْإِقْتِدَاءِ بِهِنَّ فِي الْحِشْمَةِ وَالسَّتْرِ، وَهَذَا الْأَدَبُ السَّامِيُّ الْكَرِيمُ الْمُتَضَمِّنُ سَلَامَةَ الْعُرْضِ وَالطَّهَارَةَ مِنْ دَنَسِ الرِّيَّةِ فَهُوَ غَاشٌّ لِأُمَّةٍ مُحَمَّدٍ ﷺ مَرِيضٌ الْقَلْبُ كَمَا تَرَى^(١)).

إن المنافق قد يكون منافقًا ولا يعلم عن نفاقه، وكم من الصحابة الذين سألوا حذيفة أمانفون هم أم لا؟ ولم يقل لهم حذيفة أنتم أدرى.

إن من أعظم علامات النفاق هو ما جاء في حديث ابن عمر في صحيح مسلم، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ «مَثَلُ الْمُنَافِقِ كَمَثَلِ الشَّاةِ الْعَائِرَةِ بَيْنَ الْغَنَمَيْنِ نَعِيرٌ إِلَى هَذِهِ مَرَّةً وَإِلَى هَذِهِ مَرَّةً»^(٢). وفي رواية: «تَكْرِفِي هَذِهِ مَرَّةً وَفِي هَذِهِ مَرَّةً»^(٣). (لا تدري أيهما تَتَّبِعُ)؛ لأنها غريبة ليست منهما، فكذا المنافق لا يستقر بالمسلمين ولا بالكافرين، بل يقول لكل منهم أنا منكم.

قال الطيبي: (شَبَّهَ تَرَدُّدَهُ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْكَافِرِينَ تَبَعًا لِهَوَاهُ وَقَصْدًا لِأَغْرَاضِهِ الْفَاسِدَةِ، كَتَرَدُّدِ الشَّاةِ، فَلَا تَسْتَقِرُّ عَلَى حَالٍ، وَلِذَلِكَ وُصِفُوا فِي

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٦/٢٤٨).

(٢) أخرجه مسلم (٤/٢١٤٦)، رقم (٢٧٨٤).

(٣) أخرجه مسلم (٤/٢١٤٦)، رقم (٢٧٨٤ م).

التنزيل؛ ﴿مُذَبِّدِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ﴾ [النساء: ١٤٣] (١).

كيف لرجل شم العلم أن يستدل بحديث الخثعمية في حجة رسول الله ﷺ حينما نظر الفضل بن عباس إلى المرأة، مع أنه ليس في الحديث التصريح بأنها كانت كاشفةً وجهها نصًّا، وإنما النص الذي في الحديث أن الرسول ﷺ أنكر المنكر بيده ولسانه وبقلبه، وهذا أعظم درجات تغيير المنكر، صرّف وجهه وأنكر بلسانه، ومع هذا يتعمدون عن تغيير المنكر إلى شبهات من هنا وهناك، ويتركون النص الصريح في القضية، وهذا هو الهوى.

وتذكروا عباد الله أن الله يبتلي عبادَه؛ لينظر من يعبدُه على حرف ومن هو على صراط مستقيم، ابتلاء الإيثار هو أعظم دليل على صحته، ليعلم من الراضي عنه ربًّا، وبدينه الإسلام دينًا، وبمحمد رسولًا ونبيًّا، هذا الذي يذوق حلاوة الإيمان، وإلا فكلُّ يدعي، والميزان؛ ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ [النور: ٥١]، ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٣٦].

ثم صلُّوا وسلِّموا على رسولِ الهدى، وإمام الورى، فقد أمركم ربُّكم فقال -جل وعلا-: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]، اللهم صلِّ وسلِّم على نبيِّنا محمدٍ، وعلى آله وصحبه أجمعين، وارض اللهم عن الخلفاء الراشدين،

(١) فيض القدير شرح الجامع الصغير (٥/٥١٥).

وَالْأَيْمَةَ الْمَهْدِيِّينَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَلِيًّا، وَعَنِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ، وَعَنَّا
مَعَهُمْ بِعَفْوِكَ وَكَرَمِكَ يَا أَكْرَمَ الْأَكْرَمِينَ.

اللَّهُمَّ أَعِزِّ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَانصِرْ عِبَادَكَ الْمُوَحِّدِينَ الَّذِينَ يَجَاهِدُونَ
فِي سَبِيلِكَ فِي كُلِّ مَكَانٍ، اللَّهُمَّ انصِرْهُمْ عَلَى عَدُوِّكَ وَعَدُوِّهِمْ، اللَّهُمَّ عَلَيْكَ
بِالْيَهُودِ الْمُعْتَدِينَ، وَالنَّصَارَى الْمُحَارِبِينَ، اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِهِمْ؛ فَإِنَّهُمْ لَا
يَعْجِزُونَكَ، اللَّهُمَّ أَحْصِهِمْ عَدَدًا.

اللَّهُمَّ آمِنَّا فِي أَوْطَانِنَا، وَأُصْلِحْ أُمَمَتَنَا وَوُلاةَ أُمُورِنَا، اللَّهُمَّ وَفِّقْهُمْ لِمَا
يَرْضِيكَ، وَجَنِّبْهُمْ مَعَاصِيكَ.

اللَّهُمَّ تَبْ عَلَى التَّائِبِينَ، وَاهْدِ ضَالَّ الْمُسْلِمِينَ، اللَّهُمَّ رُدِّهِمْ إِلَيْكَ رَدًّا
جَمِيلًا، اللَّهُمَّ ارْفَعْ مَا نَزَلَ مِنَ الْفِتَنِ.
اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا.

عباد الله! ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ
الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠]،
فاذكروا الله العلي العظيم يذكركم، واشكروه على نعمكم يزدكم، ﴿وَلَذِكْرُ
اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

التفحيط

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضِلِّ اللهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه، ومن سار على نهجه، واقتفى أثره، إلى يوم الدين، وسلم تسليماً كثيراً.

أَمَّا بَعْدُ:

فأوصيكم ونفسي بتقوى الله -جَلَّ وَعَلَا-، ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ، وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ [آل عمران: ٣٠].

معشر الإخوة: كبيرة من الكبائر، أهلكت الأنفس، وضيعت الأوقات، وفكت بالمال، إنها إيذاء عباد الله بالتفحيط في أماكن طُرُقهم وحاراتهم، والسرعة الزائدة داخل الأحياء، هي حربٌ مدمرةٌ بمعداتٍ ثقيلة تنزف منها الدماء، وتُستنزف فيها الثروات، سببها الإهمالُ وضعفُ التربية ونقص الوعي، والتخلي عن المسؤولية.

فما تستقبلُ المستشفيات والمقابر وما تحتضنه دور الرعاية الاجتماعية، جُلُّه من ضحايا التهور وعدم المسؤولية، قطعٌ للأيدي، وبترٌ للأرجل، وكسرٌ

للعظام، موتى ومشلولون ومقعدون في صور مأساوية يصحبها دموع وآهات وتقلبات وأثات. مركبات متنوعة، ووسائل نقل متعددة، يُساء استخدامها، ويقودها من لا يقدرها حق قدرها؛ فتحصد الأرواح، وتهدم الممتلكات.

كلنا يدرك أن الحوادث قد ازدادت وتزداد يوماً بعد يوم، إن المفحط لو شعر بالضيم والحزن القاتل الذي يسببه لأهله أو لمن تسبب في إزهاق روحه لما فكر لحظة واحدة أن يكون بهذا الموقف، أترأه يضيع حسابه عند الله؟! أترى ربك لا يحاسبك على الألم والحسرة التي أوجعت بها قلوبهم؟ فضلاً عن حسابك لإزهاق روح معصومة، إذا كان الرسول ﷺ قد أخبر أن الله غفر لرجل أبعد غصن شوك عن الطريق لأجل ألا يؤذيه^(١)، كما في صحيح مسلم، بل لعن رسول الله ﷺ من قضى حاجته في طريق الناس^(٢)، كما في صحيح مسلم، فكيف بمن يؤذيه في أرواحهم وممتلكاتهم؟

إذا كان من يقضي الحاجة ملعوناً لأنه يؤذيه بمنظره ورائحته، فكيف بمن يخيفهم ويزهق أرواحهم؟ فأئهم أقرب إلى اللعنة؟ بل روى الطبراني من حديث حذيفة، عن النبي ﷺ قال: «مَنْ آذَى الْمُسْلِمِينَ فِي طُرُقِهِمْ وَجَبَتْ عَلَيْهِ لَعْنَتُهُمْ»^(٣).

وأي خير في عمل يوجب عليك لعنة المؤمنين؟ ولا حول ولا قوة إلا

(١) أخرجه مسلم (٣/١٥٢١، رقم ١٩١٤).

(٢) أخرجه مسلم (١/٢٢٦، رقم ٢٦٩).

(٣) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٣/١٧٩، رقم ٣٠٥٠).

بالله، كم من الآثام ستجني حين تفرط في أسباب السلامة، فينتج من تفريطك قتل نفس بغير حق، أو إتلاف للأموال الخاصة أو العامة، وكلها مما حرم الله إتلافه بغير حق، وكم من الحسرة ستلاحقك طوال حياتك، إن كان قلبك حيًا، إن تسببت في قتل نفس.

وتأمل حرص الرسول ﷺ على سلامة أمته في الحديث الذي رواه الشيخان، عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إِذَا مَرَّ أَحَدُكُمْ فِي مَسْجِدِنَا، أَوْ فِي سُوقِنَا، وَمَعَهُ نَبْلٌ فَلْيُمْسِكْ عَلَى نَصَاهَا، أَوْ قَالَ فَلْيَقْبِضْ بِكَفِّهِ، أَنْ يُصِيبَ أَحَدًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ مِنْهَا شَيْءٌ»^(١).

واستنباطاً من هذا الحديث نص الفقهاء على أن المرور في الطريق مباح مقيدٌ بشرط السلامة فيما يمكن الاحتراز عنه، فهو مأذونٌ فيه شرعاً إذا توفرت شروط السلامة لجميع المتفاعلين بالطريق، فإذا لم تتوفر شروط السلامة لم يكن مأذوناً له بذلك، وعليه ضمان ما تولد عن فعله.

يقول أبو حامد الغزالي رحمه الله عن منكرات الشوارع التي كانت على عهده: (وَمِنْهَا سَوْقُ الدَّوَابِّ وَعَلَيْهَا الشَّوْكُ بِحَيْثُ يُمَرَّقُ ثِيَابَ النَّاسِ، فَذَلِكَ مُنْكَرٌ إِنْ أَمَكْنَ شَدُّهَا وَضَمُّهَا بِحَيْثُ لَا تُمَرَّقُ، أَوْ أَمَكْنَ الْعُدُولُ بِهَا إِلَى مَوْضِعٍ وَاسِعٍ، وَإِلَّا فَلَا مَنَعَ، إِذْ حَاجَةُ أَهْلِ الْبَلَدِ تَمَسُّ إِلَى ذَلِكَ، نَعَمْ لَا تُتْرَكُ مُلَاقَاةٌ عَلَى الشُّوَارِعِ إِلَّا بِقَدْرِ مُدَّةِ النَّقْلِ)^(٢).

(١) أخرجه البخاري (٦/٢٥٩٢، رقم ٦٦٦٤)، ومسلم (٤/٢٠١٩، رقم ٢٦١٥).

(٢) إحياء علوم الدين (٢/٣٣٩).

فإذا كان وضع الشوك الذي يمزق ثياب المارة من المنكرات، فكيف لو رأى ما يفعله بعض المتهورين من استعراضات مميتة وقيادة جنونية تسبب حوادث تمزق الأجساد وتنفذ إلى الأحشاء؟!

إن التفحيطَ معصيةٌ لله، ومن يفعلها فهو آثمٌ، لأن فيها تهلكةً للنفس، ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: ١٩٥]، وفيها أذيةٌ للمسلمين وإضاعةٌ للمال، ففي الصحيحين أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ كَرِهَ لَكُمْ ثَلَاثًا: قِيلَ وَقَالَ، وَإِضَاعَةُ الْمَالِ، وَكَثْرَةُ السُّؤَالِ»^(١).

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ (١٨) وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاعْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴿[لقمان: ١٨-١٩].

بَارَكَ اللَّهُ لِي وَلَكُمْ فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، وَنَفَعَنِي وَإِيَّاكُمْ بِمَا فِيهِ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ، أَقُولُ مَا سَمِعْتُمْ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ لِي وَلَكُمْ وَلِسَائِرِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ وَخَطِيئَةٍ، فَاسْتَغْفِرُوهُ، وَتَوَبُوا إِلَيْهِ، إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ.

الخطبة الثانية:

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله تعظيماً لشانه، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الداعي إلى جنته ورضوانه، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأعوانه.

(١) أخرجه البخاري (٥٣٧/٢)، رقم (١٤٠٧)، ومسلم (١٣٤٠/٣)، رقم (٥٩٣).

أَمَّا بَعْدُ:

معشر الإخوة: وقد أفتت اللجنة الدائمة للإفتاء بحرمة التفحيط، نظراً لما يترتب على ارتكابه من قتلٍ للأنفس وإتلافٍ للأموال وإزعاجٍ للآخرين وتعطيلٍ لحركة السير.

ولذا أفتى سماحة المفتي العام الشيخ عبدالعزيز آل الشيخ -حفظه الله- بحرمة قطع إشارة المرور عمداً، معتبراً أن من تجاوزها وتسبب في قتل أحد فإنه يكون قاتلاً شبه متعمد.

وقال: إن المتخطي والمستخف بإشارة المرور آثمٌ، والمتجاوز لها عاصٍ ويتحمل وزراً، وإذا حصلت جناية بهذا السبب فهو شبه متعمد؛ لأنه تجاوز ما حُدِّدَ له وتعدى الحدود وعمل أعمالاً سيئة، ولذا وجب على كل ولي أن يمنع ولده من القيادة إذا كانت قيادته متهورة، ولا يراعي اشتراطات السلامة وقوانين المرور؛ لئلا يتلف نفسه وأنفس الآخرين، يقول تعالى: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَمًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ [النساء: ٥].

أيها الشاب: ركّز انتباهك أثناء القيادة، فقد ثبت أن تشتت الذهن يسبب حوادث عديدة، وكثير من سائقي السيارات يقومون بأكثر من عملٍ أثناء القيادة، فمن مستخدمٍ للجوال، ومن قارئٍ للرسائل، ومن مشاهدٍ للأجهزة، بل ثبت أن حوادث وقعت بسبب أنه يرأسل في برامج التواصل الاجتماعي، فأصبح برنامجاً لقطع التواصل.

ما أَجَلَ أَنْ يَسْتَشْعِرَ سَائِقَ السَّيَّارَةِ نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْهِ! إِذْ سَخَّرَ لَهُ هَذِهِ الْمَرْكَبَةَ لِيَقْضِيَ بِهَا حَاجَاتِهِ؛ وَلِذَا شُرِعَ لِمَنْ يَرْكَبُ الدَّابَّةَ أَوْ السَّيَّارَةَ أَنْ يَحْمَدَ اللَّهَ عَلَى هَذِهِ النِّعْمَةِ. رَوَى التِّرْمِذِيُّ وَصَحَّحَهُ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ رَبِيعَةَ، قَالَ: شَهِدْتُ عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَتَى بِدَابَّةٍ لِيَرْكَبَهَا، فَلَمَّا وَضَعَ رِجْلَهُ فِي الرِّكَابِ؛ قَالَ: بِسْمِ اللَّهِ، فَلَمَّا اسْتَوَى عَلَى ظَهْرِهَا قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ، ثُمَّ قَالَ: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ﴾ (١٣) وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ ﴿ [الزخرف: ١٣-١٤]، ثُمَّ قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ (ثَلَاثَ مَرَّاتٍ)، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُ أَكْبَرُ (ثَلَاثَ مَرَّاتٍ)، ثُمَّ قَالَ: سُبْحَانَكَ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي، فَاعْفِرْ لِي؛ فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، ثُمَّ ضَحَكَ، فَقِيلَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، مِنْ أَيِّ شَيْءٍ ضَحَكْتَ؟ قَالَ: رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَعَلَّ كَمَا فَعَلْتُ، ثُمَّ ضَحَكَ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مِنْ أَيِّ شَيْءٍ ضَحَكْتَ؟ قَالَ: «إِنَّ رَبَّكَ يَعْجَبُ مِنْ عَبْدِهِ إِذَا قَالَ: اغْفِرْ لِي ذُنُوبِي؛ يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ غَيْرِي»^(١).

فَاسْتَشْعَارَ السَّائِقَ نِعْمَةَ رَبِّهِ عَلَيْهِ إِذْ مَنَّ عَلَيْهِ بِهَذَا الْمَرْكَبِ، يَحْجِزُهُ عَنْ تَعْرِيفِ حَيَاةِ النَّاسِ وَمَمْلَكَاتِهِمُ لِلْخَطَرِ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ مِنْ كُفْرَانِ النِّعْمَةِ، وَالْإِسْتِهْزَاءِ بِقِيَمَتِهَا.

ثُمَّ صَلُّوا وَسَلَّمُوا عَلَى رَسُولِ الْهُدَى، وَإِمَامِ الْوَرَى، فَقَدْ أَمَرَكُمْ رَبُّكُمْ فَقَالَ - جَل وَعَلَا -: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى نَبِيِّنَا

(١) أخرجه الترمذي (٥/ ٥٠١، رقم ٣٤٤٦).

محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وارض اللهم عن الخلفاء الراشدين،
وَالْأئِمَّةِ الْمُهَدِّينَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَلِيًّا، وَعَنِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ، وَعَنَّا
معهم بعفوك وكرمك يا أكرم الأكرمين.

اللَّهُمَّ اعْزِزْ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَاَنْصُرْ عِبَادَكَ الْمُوَحِّدِينَ الَّذِينَ يُجَاهِدُونَ
فِي سَبِيلِكَ فِي كُلِّ مَكَانٍ، اللَّهُمَّ أَنْصِرْهُمْ عَلَى عَدُوِّكَ وَعَدُوِّهِمْ، اللَّهُمَّ عَلَيْكَ
بِالْيَهُودِ الْمُعْتَدِينَ، وَالنَّصَارَى الْمُحَارِبِينَ، اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِهِمْ؛ فَإِنَّهُمْ لَا
يَعْجِزُونَكَ، اللَّهُمَّ أَحْصِهِمْ عَدَدًا.

اللَّهُمَّ آمِنَّا فِي أَوْطَانِنَا، وَأُصْلِحْ أَيْمَتَنَا وَوُلاةَ أُمُورِنَا، اللَّهُمَّ وَفِّقْهُمْ لِمَا
يَرْضِيكَ، وَجَنِّبْهُمْ مَعَاصِيكَ.

اللَّهُمَّ تَبَّ عَلَى التَّائِبِينَ، وَاهْدِ ضَالَّ الْمُسْلِمِينَ، اللَّهُمَّ رُدَّهُمْ إِلَيْكَ رَدًّا
جَمِيلًا، اللَّهُمَّ ارْفَعْ مَا نَزَلَ مِنَ الْفِتَنِ.

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِينَا.

عباد الله! ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ
الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠]،
فاذكروا الله العلي العظيم يذكركم، واشكروه على نعمكم يزدكم، ﴿وَلَذِكْرُ
اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

أذية الناس

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضِلِّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه، ومن سار على نهجه، واقتفى أثره، إلى يوم الدين.

وَبَعْدُ:

فاتقوا الله عباد الله وراقبوه، ﴿وَيَحْذَرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ، وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ [آل عمران: ٢٨].

معاشر المؤمنين: محبة الله لعباده المؤمنين والموحدين أفضل ما يجنيه العبد المؤمن، وأجدر بها خصلة ينالها أهل الإيمان، إن الله يحب المتقين، يحبهم ويحبونه، ﴿سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ [مريم: ٩٦].

ولئن كان المسلم بهذه المكانة عند ربه، والمنزلة العلية عند مولاه، فإنه يزول عجبك حينما ترى حرمة المسلم وحرمة عرضه وتحريم أذيته، بل صار من يحذر من شره هو شر الناس عند الله، تأملوا هذا الحديث العظيم واستعيذوا بالله من هذه الخصلة، روى البخاري ومسلم، من حديث عائشة، أَنَّ رَجُلًا اسْتَأْذَنَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَلَمَّا رَأَاهُ قَالَ: «بِئْسَ أَخُو الْعَشِيرَةِ وَبِئْسَ بَنُ

الْعَشِيرَةَ»، فَلَمَّا جَلَسَ تَطَلَّقَ النَّبِيُّ ﷺ فِي وَجْهِهِ وَانْبَسَطَ إِلَيْهِ، فَلَمَّا انْطَلَقَ الرَّجُلُ قَالَتْ لَهُ عَائِشَةُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ حِينَ رَأَيْتَ الرَّجُلَ قُلْتَ لَهُ كَذَا وَكَذَا، ثُمَّ تَطَلَّقْتَ فِي وَجْهِهِ وَانْبَسَطْتَ إِلَيْهِ وَأَنْتَ لَهُ الْكَلامَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا عَائِشَةُ مَتَى عَهْدَتَنِي فَحَاشَا إِنْ شَرَّ النَّاسِ عِنْدَ اللَّهِ مَنْزِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ تَرَكَهُ النَّاسُ اتِّقَاءَ شَرِّهِ»^(١).

لَمْ نَرِ بَعْضَ النَّاسِ يَجِيدُ وَبِحَقِّ صِنَاعَةِ الْكَرَاهِيَةِ لَهُ وَصِنَاعَةِ الْعِدَاوَاتِ، مَفْلَسًا مِنْ هَذِهِ السَّجَايَا كِفَلاَسِ الْيَدِ مِنْ قَبْضِ الْمَاءِ؟

إِنَّ الْإِسْلَامَ حِينَمَا يُؤَصَّلَ تَحْرِيمَ أَذِيَةِ النَّاسِ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدْ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾ [الأحزاب: ٥٨]، مِنَ الْخَطَأِ أَنْ تَحْصِرَ الْإِيذَاءَ فَقَطْ بِغَضَبِ الْأَمْوَالِ وَنَهْبِهَا، أَوْ الْإِعْتِدَاءَ بِالْيَدِ، إِنَّ الْإِيذَاءَ مَفْهُومٌ عَامٌ لِكُلِّ مَا يُؤْذِي النَّاسَ فِي أَبْدَانِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ وَمَشَاعِرِهِمْ، الْإِسْلَامُ نَهَى عَنْ ذَلِكَ وَحَرَّمَهُ، بَلْ هُوَ كَبِيرَةٌ مِنْ كِبَائِرِ الذُّنُوبِ، وَنَهَى عَنِ التَّخْلِي وَقَضَاءِ الْحَاجَةِ فِي طَرِيقِ النَّاسِ، وَنَهَى أَنْ يَتَنَاجَى اثْنَانِ دُونَ الثَّالِثِ.

قُصُورٌ كَبِيرٌ أَنْ نَرَى هَذَا الْأَصْلَ فِي ضَعْفٍ وَتَدَنٍّ، وَنَحْنُ نَسْمَعُ مَا جَاءَ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ، مِنْ حَدِيثِ أَبِي ذَرٍّ قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ الْأَعْمَالِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «الْإِيمَانُ بِاللَّهِ وَالْجِهَادُ فِي سَبِيلِهِ». قَالَ: قُلْتُ أَيُّ الرِّقَابِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «أَنْفُسُهَا عِنْدَ أَهْلِهَا وَأَكْثَرُهَا ثَمَنًا». قَالَ: قُلْتُ فَإِنْ لَمْ أَفْعَلْ؟ قَالَ: «تُعِينُ

(١) أخرجه البخاري (٥/ ٢٢٤٤، رقم ٥٦٨٥)، ومسلم (٤/ ٢٠٠٢، رقم ٢٥٩١).

صَانِعًا أَوْ تَصْنَعُ لِأَخْرَقَ». قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَرَأَيْتَ إِنْ ضَعُفْتُ عَنْ بَعْضِ الْعَمَلِ؟ قَالَ: «تَكْفُ شَرَّكَ عَنِ النَّاسِ فَإِنَّهَا صَدَقَةٌ مِنْكَ عَلَى نَفْسِكَ»^(١).

تكفُّ شرك عن الناس، والسؤال ما هو حدُّ الشر؟ لم نحصر الشرَّ بغيبَةٍ أو بضربٍ مثلاً؟ لم لا نعدُّ من الشرِّ عدمَ اعتبارِ قيمة المسلم الذي أمامك؟ لم لا نعدُّ إحزانه بأي أسلوب منك من الشرِّ؟ لم لا نعدُّ جره إلى الوقعة بك والتحدث فيك وفِتنته بك من الشر الذي يجب عليك أن تصرفه عن أخيك؟

أدعوكم جميعاً لتتأمل قول موسى ﷺ وقومه، لنعرف أن كثيراً منا يحتاج إلى إعادة فهم لمفهوم كفِّ الأذى، قال موسى ﷺ: ﴿يَقَوْمُ إِن كُنْتُمْ ءَامِنُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ﴾^(٨٤) فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿[يونس: ٨٤-٨٥].

قال المفسرون: إذا كان موسى قد دعا ربه ألا يجعله فتنةً للقوم الظالمين، فما بال بعض المؤمنين يجعل نفسه فتنةً للمؤمنين؟ أليس من حقهم عليك أن تدفع عنهم الإثم؟

ولنستمع إلى هذا الوعيد الشديد من الله -جل جلاله-: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٥٨]، وهذا التشديد لأنَّه كان في المدينة يومذاك فريقٌ يتولَّى هذا الكيدَ بالمؤمنين والمؤمنات، بنشرِ قالةِ السُّوء عنهم وتدبيرِ المؤامرات لهم وإشاعة التُّهم ضدهم.

(١) أخرجه مسلم (١/ ٨٩، رقم ٨٤).

وقد روى مسلمٌ في صحيحه، أَنَّ أَبَا سُفْيَانَ مَرَّ - فِي حَالِ كُفْرِهِ - عَلَى سَلْمَانَ وَصُهَيْبٍ وَبِلَالٍ فِي نَفَرٍ، فَقَالُوا: مَا أَخَذْتَ سُيُوفُ اللَّهِ مِنْ عَدُوِّ اللَّهِ مَأْخَذَهَا. فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَتَقُولُونَ هَذَا لِشَيْخِ قُرَيْشٍ وَسَيِّدِهِمْ؟ فَأَتَى النَّبِيَّ فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ: «يَا أَبَا بَكْرٍ، لَعَلَّكَ أَغْضَبْتَهُمْ، لَئِنْ كُنْتُ أَغْضَبْتَهُمْ لَقَدْ أَغْضَبْتَ رَبَّكَ». فَأَتَاهُمْ أَبُو بَكْرٍ فَقَالَ: يَا إِخْوَتَاهُ! أَغْضَبْتُكُمْ؟ قَالُوا: لَا. يَغْفِرُ اللَّهُ لَكَ يَا أَحِيَّ^(١).

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِنْ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَأَتَفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

بَارَكَ اللَّهُ لِي وَلَكُمْ فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، وَنَفَعَنِي وَإِيَّاكُمْ بِمَا فِيهِ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ، أَقُولُ مَا سَمِعْتُمْ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ لِي وَلَكُمْ وَلِسَائِرِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ وَخَطِيئَةٍ، فَاسْتَغْفِرُوهُ، وَتَوَبُوا إِلَيْهِ، إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ.

الخطبة الثانية:

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله تعظيماً لشانه، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الداعي إلى جنته ورضوانه، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأعوانه.

(١) أخرجه مسلم (٤/١٩٤٧، رقم ٢٥٠٤).

أَمَّا بَعْدُ:

معاشر المصلين، بعد هذه الشذرات العظيمة في مكانة المسلم عند ربه، نلتفت إلى تصرفاتنا، نلتفت إلى حجم هذه القيمة في أنفسنا، لم تقف التجاوزات والممارسات الخاطئة عند حدٍّ معين، فإن من الناس من مارس كل أنواع الأذية مع الناس فضلاً عن إيذائهم وتكدير خواطرهم وإزعاجهم، هل شعرت فقط بحجم تكدير خاطره مع ربه ومع نفسه ومع أهله حتى أذهبت خشوعه في صلاته وصرفته عن نفع نفسه ونفع غيره، وقارن بين فعلك وبين شرع الله، فيما رواه البخاري ومسلم عن النبي ﷺ قال: «إِذَا كُنْتُمْ ثَلَاثَةً فَلَا يَتَنَاجَى اثْنَانِ دُونَ صَاحِبَيْهِمَا، فَإِنَّ ذَلِكَ يُحْزِنُهُ»^(١).

ولفظ أبي يعلى في مسنده: «فَإِنَّ ذَلِكَ يُؤْذِي الْمُؤْمِنَ، وَاللَّهُ يَكْرَهُ أَدَى الْمُؤْمِنِ»^(٢).

ورى الترمذي وحسنه من حديث ابن عمر -رضي الله عنهما- أن النبي ﷺ صَعِدَ الْمِنْبَرَ فَنَادَى بِصَوْتٍ رَفِيعٍ فَقَالَ: «يَا مَعْشَرَ مَنْ أَسْلَمَ بِلِسَانِهِ، وَلَمْ يُفِضْ الْإِيمَانَ إِلَى قَلْبِهِ، لَا تُؤْذُوا الْمُسْلِمِينَ، وَلَا تُعَيِّرُوهُمْ، وَلَا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ، فَإِنَّهُ مَنْ تَتَّبَعَ عَوْرَةَ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ تَتَّبَعَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ تَتَّبَعَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ وَلَوْ فِي جَوْفِ رَحْلِهِ»، ثم نظر ابنُ عمر -رضي الله عنهما- إلى البيت أو إلى الكعبة فقال: «مَا أَعْظَمَكَ وَأَعْظَمَ حُرْمَتَكَ، وَالْمُؤْمِنُ أَعْظَمُ حُرْمَةً عِنْدَ اللَّهِ مِنْكَ»^(٣).

(١) أخرجه البخاري (٢٣١٨/٥)، رقم ٥٩٣٠، ومسلم (١٧١٧/٤)، رقم ٢١٨٣.

(٢) مسند أبي يعلى (٣٣٢/٤)، رقم ٢٤٤٤.

(٣) أخرجه الترمذي (٣٧٨/٤)، رقم ٢٠٣٢.

نعم، لأن الرسول ﷺ جعل صِدْقَ الإِيْمَانِ وَصِدْقَ الْيَقِينِ مَنْفَعِيًّا لِأَذِيَةِ الْمُؤْمِنِينَ بِقَوْلِهِ: «يَا مَعْشَرَ مَنْ أَسْلَمَ بِلِسَانِهِ، وَلَمْ يُفَضِّصِ الْإِيْمَانُ إِلَى قَلْبِهِ»^(١).

يقول الفُضَيْلُ رحمته: «لَا يَحِلُّ لَكَ أَنْ تُؤْذِيَ كَلْبًا أَوْ خِنْزِيرًا بِغَيْرِ حَقٍّ، فَكَيْفَ بِمَنْ هُوَ أَكْرَمُ مَخْلُوقٍ؟!»^(٢)

وعن قتادة: «إِيَّاكُمْ وَأَدَى الْمُؤْمِنِ، فَإِنَّ اللَّهَ يَحْطُطُهُ وَيَغْضِبُ لَهُ»^(٣).

وقال يحيى بن مُعَاذٍ: «لِيَكُنْ حَظُّ الْمُؤْمِنِ مِنْكَ ثَلَاثَةً: إِنْ لَمْ تَنْفَعْهُ فَلَا تَضُرَّهُ، وَإِنْ لَمْ تُفْرِحْهُ فَلَا تَغْمَهُ، وَإِنْ لَمْ تَمْدَحْهُ فَلَا تَذُمَّهُ»^(٤).

وهنا رسالتان: الأولى إلى من أساء إلى الناس وأذاهم بلسانه أو يده أو بالتعدي على أموالهم، أو امتحنهم في توجهاتهم أو إخلاصهم أو وطنيتهم أو وظيفتهم، قد سمعت من كلام الله ورسوله ما لو سمعه الحجر لاندكَّ وجلاً خائفاً من غضبِ الله وسخطه، ولا يجد ولياً ولا نصيراً، فَخَفِ اللهُ وَرَاقِبَهُ وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ وَصِيحَاتِ الْخَائِفِينَ وَالْمَظْلُومِينَ؛ فَإِنَّهُمْ لَيْسَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ رَبِّهِمْ حِجَابٌ وَلَا مَانِعٌ، وَتَذَكَّرْ ذَلِكَ الْمَفْلَسَ الَّذِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَهُ أَعْمَالٌ يَرْجِيهَا، فَقَدْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْمَسَاجِدِ وَالصَّلَاةِ، وَكَانَ مِنْ أَهْلِ الْبَدْلِ وَالصَّدَقَاتِ، وَكَانَ مِنْ أَهْلِ الصِّيَامِ فِي الْهَوَاجِرِ، يَنْتَظِرُ فَضْلَ اللَّهِ وَعَطَاءَهُ وَرَحْمَتَهُ، لَكِنَّهُ أَتَى بِمَا يَسْحَقُ كُلَّ هَذَا، أَتَى وَقَدْ شَتَمَ هَذَا وَضَرَبَ هَذَا وَأَخَذَ

(١) المصدر السابق.

(٢) مكارم الأخلاق للخرائطي (رقم: ٣٧٧)

(٣) أخرجه ابن جرير في تفسيره (٢٢/ ٤٥).

(٤) جامع العلوم والحكم (١/ ٣٣٦).

مال هذا، فتؤخذ حسناته بالعدل إلى من ظلمه وشتمه، فوالله إن هذا هو الخسران المبين، وتلك هي الحسرة الأكيدة.

والرسالة الثانية إلى من أصابه الأذى، تقوّ بربك، وأسند ظهرك إليه وتوكل عليه؛ فإن أقوى الناس من توكل على الله، واعلم أن العفو هو أعظم الأعمال، ولما أُوذِيَ أبو بكر من رجل كان له عليه إحسان أقسم أن لا يبرّه، فقال الله: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَى وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النور: ٢٢].

ثم صلّوا وسلّموا على رسول الهدى، وإمام الورى، فقد أمركم ربكم فقال -جل وعلا-: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]، اللهم صلّ وسلّم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وارض اللهم عن الخلفاء الراشدين، والأئمة المهديين أبي بكر وعمر وعثمان وعلي، وعن الصحابة أجمعين، وعنّا معهم بعفوك وكرمك يا أكرم الأكرمين.

اللهم أعز الإسلام والمسلمين، وانصر عبادك الموحدين الذين يجاهدون في سبيلك في كل مكان، اللهم انصرهم على عدوك وعدوهم، اللهم عليك باليهود المعتدين، والنصارى المحاربين، اللهم عليك بهم؛ فإنهم لا يعجزونك، اللهم أحصهم عدداً.

اللهم آمنا في أوطاننا، وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا، اللهم وفقهم لما يرضيك، وجنبهم معاصيك.

اللَّهُمَّ تب على التائبين، واهد ضالَّ المسلمين، اللَّهُمَّ رُدَّهُمْ إِلَيْكَ رَدًّا
 جميلاً، اللَّهُمَّ ارفع ما نزل من الفتن.
 اللَّهُمَّ اغفر لنا ولوالدينا.

عباد الله! ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ
 الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠]،
 فاذكروا الله العلي العظيم يذكركم، واشكروه على نعمكم يزدكم، ﴿وَلَذِكْرُ
 اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

أبوة الرسول والتربية

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضِلِّ اللهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه، ومن سار على نهجه، واقتفى أثره، إلى يوم الدين، وسلم تسليماً كثيراً.

أَمَّا بَعْدُ:

فاتقوا الله عباد الله، ﴿وَأَشْكُرُوا لَهُٗٓ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [العنكبوت: ١٧].

إخوتي في الله: إن مشاعر الأبوة والشفقة على الأبناء والنصح لهم وإظهار العطف عليهم لا يجوز أن تغيب في كل ساعات الحياة، ولا يصح أن تضع بين زحمة الأعمال، بل لا ينبغي أن تخفت جذوتها ولا تنظفي حرارتها في أي لحظة، ولو كانت لحظة جدٍّ وحزم، فإن رسولنا ﷺ كان شفيقاً على الصغار، صائناً لهم عن كل ما يزعجهم ويؤذيهم، جاء في صحيح مسلم، عن أنس بن مالك قال: «مَا رَأَيْتُ أَحَدًا كَانَ أَرْحَمَ بِالْعِيَالِ مِنْ رَسُولِ اللهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»^(١).

(١) أخرجه مسلم (٤/١٨٠٨، رقم ٢٣١٦).

نقف أمام أُبُوَّةِ نبوية، كيف كانت هذه العاطفة الأبوية الأسيرة التي كانت تملأ فؤادَ رسول الله، صلى الله عليه وسلم؟ جاء في صحيح مسلم «أَنَّ إِبْرَاهِيمَ ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَانَ مُسْتَرْضِعًا لَهُ فِي عَوَالِي الْمَدِينَةِ، فَكَانَ يَنْطَلِقُ إِلَيْهِ عِنْدَ الْمُرَاةِ الَّتِي تَرْضِعُهُ وَنَحْنُ مَعَهُ، فَيَدْخُلُ الْبَيْتَ فَيَأْخُذُهُ فَيَقْبَلُهُ ثُمَّ يَرْجِعُ»^(١).

فكيف إذا علمنا أن العوالي تبعد ثلاثة أميال، وهو أقربها إلى المدينة، وأبعدها سبعة أميال، ومع هذا يخرج ﷺ على عِظَمِ مسؤولياته ليقبل هذا الطفل الذي توفي وعمره ستة عشر شهرًا، ويروي عاطفته الأبوية ﷺ بل تأمل ما روى الترمذي في جامعه وحسنه من حديث بُرَيْدَةَ بْنِ الْحُصَيْبِ رضي الله عنه أنه قال: خَطَبَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَأَقْبَلَ الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ -رضي الله عنهما- عَلَيْهِمَا قَمِيصَانِ أَحْمَرَانِ، يَعَثُرَانِ وَيَقُومَانِ، فَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَأَخَذَهُمَا، وَصَعَدَ بِهِمَا إِلَى الْمِنْبَرِ، ثُمَّ قَالَ: «صَدَقَ اللَّهُ: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ [التغابن: ١٥]، رَأَيْتُ هَذَيْنِ فَلَمْ أَصْبِرْ»^(٢)، ثم أخذ في الخطبة.

مشهدٌ عظيمٌ جدًا! رسول الله وهو خطيب يوقف خطبته التي اشْرَبَتْ^(٣) أعناق الناس إليه، وجر أنظارهم وأسماعهم إلى كلامه، وبينما هم كذلك إذ تقف الخطبة، وينقطع الكلام، فأمر جَلَلٍ تسبب في قطع خطبة رسول الله ﷺ وهو أبلغ الناس وأعلمهم وأتقاهم، وهو من هو في كمال

(١) المصدر السابق.

(٢) أخرجه الترمذي (٦٥٨/٥، رقم ٣٧٧٤).

(٣) اشْرَبَ: مد عنقه أو ارتفع لينظر. المعجم الوسيط (شرب).

عقله، ورجاحة رأيه وشَمَمِ جبالِ رزائته، وشدة حزمه، وقوة بأسه في مواطن البأس، واستقامة جدّه، ومع هذا لا يملك رسول الله ﷺ إذ رأى حفيديه يمشيان ويعثران من الصَّغَر، إلا أن يهبط عن منبره، إنها أبوة ورحمة مَنْ أُرْسِلَ رحمةً للعالمين، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

لا نفهم من هذا الموقف الأبوي الرائع إلا أنه أحد نماذج القدوة النبوية! وأنه أحد دلائل نبوته ﷺ في خُلُقهِ العظيم وكمال بشريته التي كان ﷺ بها أفضل الخلق وأحبهم إلى الله تعالى.

ليذكر أصحاب الجِدِّ والمسؤوليات العظام أنه لا يصحُّ لهم أن يسمحوا لجِدِّهم ومسؤولياتهم بأن تقتل فيهم عواطفهم، ولا أن تُغيَّبها، ولو للحظة، ولو كانوا غارقين في أعماق الجِدِّ والمسؤوليات؛ لأن عواطفهم هي طوق نجاتهم من الغرق والوقوع في نُضوب المشاعر وجفافها، فهي أسُّ العلاقة وقوام الإصلاح.

تأمل موقف النبي ﷺ مع زوج ابنته في موقف الحرب والقتال، كيف كانت هذه المشاعر، فروى الإمام أحمد في مسنده عن عائشة زوج النبي ﷺ قالت: لَمَّا انْتَهَتْ غَزْوَةُ بَدْرٍ، وَأُسِرَ مَنْ أُسِرَ بَعْدَ الْمُعْرَكَةِ، بَعَثَ أَهْلُ مَكَّةَ فِي فِدَاءِ أَسْرَاهُمْ، وَكَانَ مِنْ بَيْنِهِمْ زَوْجُ ابْنَتِهِ زَيْنَبَ، وَكَانَ كَافِرًا آنَ ذَاكَ -وَقَدْ تَرَكْتُهُ وَهَاجَرَتْ إِلَى الْمَدِينَةِ مَعَ أَبِيهَا- فَبَعَثْتُ زَيْنَبَ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي فِدَاءِ زَوْجِهَا أَبِي الْعَاصِ بْنِ الرَّبِيعِ بِهَالٍ، أَتَدْرُونَ مَا مَالَهَا الَّذِي بَعَثْتَهُ؟ بَعَثْتُ بِقِلَادَةٍ لَهَا كَانَتْ أُمُّهَا خَدِيجَةُ زَوْجَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَهْدَتْهَا إِيَّاهَا لَمَّا تَزَوَّجَتْ أَبَا

الْعَاصِي، فَلَمَّا رَأَاهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَقَّ لَهَا رِقَّةً شَدِيدَةً، فإِذَا فَعَلَتْ هَذِهِ الرِّقَّةَ؟
قَالَ لِأَصْحَابِهِ: «إِنْ رَأَيْتُمْ أَنَّ تَطْلُقُوا لَهَا أَسِيرَهَا وَتَرُدُّوْا عَلَيْهَا الَّذِي لَهَا
فَأَفْعَلُوا»، فَقَالُوا: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَأَطْلَقُوهُ وَرَدُّوْا عَلَيْهَا الَّذِي لَهَا^(١).

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ: ﴿يَبْنِيْ أَرْكَبَ مَعْنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِيْنَ
﴿٤٢﴾ قَالَ سَتَأُوْىِٕ إِلَىٰ جَبَلٍ يَّعَصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ
رَّحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِيْنَ﴾ [هود: ٤٢-٤٣].

بَارَكَ اللَّهُ لِي وَلَكُمْ فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، وَنَفَعَنِي وَإِيَّاكُمْ بِمَا فِيهِ مِنَ الْآيَاتِ
وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ، أَقُولُ مَا سَمِعْتُمْ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ لِي وَلَكُمْ وَلِسَائِرِ
الْمُسْلِمِينَ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ وَخَطِيئَةٍ، فَاسْتَغْفِرُوهُ، وَتُوبُوا إِلَيْهِ، إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ
الرَّحِيمُ.

الخطبة الثانية:

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله
إلا الله تعظيماً لشانه، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الداعي إلى جنته
ورضوانه، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأعوانه.
أَمَّا بَعْدُ:

فحين رُزِقَ ﷺ بإبراهيم فرح به وأحبه حباً شديداً.

واشتد حزنه ﷺ على إبراهيم حين كان يحتضر، قال أنس بن مالك - كما في الصحيحين -: دَخَلْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْبَيْتَ فَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَلَدَهُ إِبْرَاهِيمَ فَقَبَّلَهُ وَشَمَّهُ فَضَمَّهُ إِلَيْهِ وَقَالَ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَقُولَ، ثُمَّ دَخَلْنَا عَلَيْهِ بَعْدَ ذَلِكَ وَإِبْرَاهِيمُ يَجُودُ بِنَفْسِهِ وَيَحْتَضِرُ، فَجَعَلَتْ عَيْنَا رَسُولِ اللَّهِ ﷺ تَذْرِفَانِ، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ رضي الله عنه وَأَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ: «يَا بَنُ عَوْفٍ إِنَّهَا رَحْمَةٌ» ثُمَّ أَتْبَعَهَا بِأُخْرَى فَقَالَ ﷺ: «إِنَّ الْعَيْنَ تَدْمَعُ وَالْقَلْبَ يَحْزَنُ وَلَا نَقُولُ إِلَّا مَا يَرْضَى رَبَّنَا، وَإِنَّا بِفِرَاقِكَ يَا إِبْرَاهِيمَ لَمَحْزُونُونَ»^(١).

إنها عاطفة الأبوة التي ما اندثرت ولا ذابت أمام تيك المصاعب والمهام التي يقوم بها ﷺ بل انظر إليه يشارك ابنته، قيل: إِنَّ عَلِيًّا خَطَبَ بِنْتَ أَبِي جَهْلٍ، فَسَمِعَتْ بِذَلِكَ فَاطِمَةُ فَأَتَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَتْ يَزْعُمُ قَوْمُكَ أَنَّكَ لَا تَعْصِبُ لِبَنَاتِكَ وَهَذَا عَلِيٌّ نَاكِحٌ بِنْتَ أَبِي جَهْلٍ فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَسَمِعَتْهُ حِينَ تَشْهَدُ يَقُولُ: «أَمَّا بَعْدُ أَنْكَحْتُ أَبَا الْعَاصِ بْنِ الرَّبِيعِ فَحَدَّثَنِي وَصَدَّقَنِي، وَإِنَّ فَاطِمَةَ بَضْعَةٌ مِنِّي وَإِنِّي أَكْرَهُ أَنْ يَسُوءَهَا، وَإِنَّمَا أَكْرَهُ أَنْ يَفْتَنُوهَا، وَإِنِّي لَسْتُ أَحَرِّمُ حَلَالًا وَلَا أَحِلُّ حَرَامًا، وَلَكِنْ وَاللَّهِ لَا تَجْتَمِعُ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَبِنْتُ عَدُوِّ اللَّهِ عِنْدَ رَجُلٍ وَاحِدٍ»^(٢) فَتَرَكَ عَلِيٌّ الْخُطْبَةَ.

قال النووي رحمته الله: (فيه تحريم إيذاء النبي ﷺ بكل حال وعلى كل وجه، وإن تَوَلَّدَ ذَلِكَ الْإِيذَاءُ مِمَّا كَانَ أَصْلُهُ مَبَاحًا وَهُوَ حَيٌّ، وَهَذَا بِخِلَافِ غَيْرِهِ، قَالُوا وَقَدْ أَعْلَمَ ﷺ بِإِبَاحَةِ نِكَاحِ بِنْتِ أَبِي جَهْلٍ لِعَلِيٍّ بِقَوْلِهِ ﷺ لَسْتُ

(١) أخرجه البخاري (١/٤٩٣، رقم ١٢٤١)، ومسلم (٤/١٨٠٧، رقم ٢٣١٥).

(٢) أخرجه مسلم (٤/١٩٠٢، رقم ٢٤٤٩).

أحرم حلالاً ولكن نهى عن الجمع بينهما لعلتين منصوصتين إحداهما أن ذلك يؤدي إلى أذى فاطمة فيتأذى حينئذ النبي ﷺ فيهلك من أذاه، فنهى عن ذلك لكمال شفقتة على علي وعلى فاطمة، والثانية خوف الفتنة عليها بسبب الغيرة^(١).

وبعد عباد الله: الأحداث كثيرة والمواقف عديدة مع من اجتمعت المهام كلها عليها فكيف بأب ليس همه إلا استراحتته أو متجره أو مزرعته أو أسهمه لا يعرف أبناءه إلا في الضرب والشم قد فقدوا الأبوة الحانية والتوجيه المشفق تخلوا عن مسؤولياتهم في إعداد الأولاد لممارسة الحياة والقيام بأعظم الحقوق وهو حق الله ﷻ والله يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَانفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غُلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحریم: ٦].

قال قتادة: «تأمرهم بطاعة الله وتنهائهم عن معصية الله، وأن تقوم عليهم بأمر الله وتأمرهم به وتساعدهم عليه، فإذا رأيت معصية قد عتتهم عنها، وزجرتهم عنها»^(٢).

وقال ابن عمر رضي الله عنهما: «أدب ابنك فإنك مسئول عنه: ماذا أدبته؟ وماذا علمته؟ وهو مسئول عن برك وطواعيته لك»^(٣).

(١) المنهاج شرح صحيح مسلم (٣/١٦).

(٢) تفسير ابن كثير (٤/٤١٢).

(٣) شعب الإيمان للبيهقي (٦/٤٠٠، رقم ٨٦٦٢).

ومن إعدادهم تعويدهم على الصبر، والتَّزَفِ الهادف، وتعويدهم على الرقابة الذاتية التي تضبط سلوكهم وتحد من رغباتهم المتهورة، ليتوافقوا مع المجتمع الذي يعيشون فيه بخضوعهم للقيم الاجتماعية لنحاول عباد الله التَّأْسِي بِأُبوَّةِ محمد، صلى الله عليه وسلم.

ثُمَّ صَلُّوا وَسَلِّمُوا عَلَى رَسُولِ الْهُدَى، وإمام الورى، فقد أمركم ربكم فقال -جل وعلا-: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ، وَاِرْضَ اللَّهُمَّ عَنِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ، وَالْأَئِمَّةِ الْمُهَدِّينَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَلِيٍّ، وَعَنِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ، وَعَنَّا مَعَهُمْ بِعَفْوِكَ وَكَرَمِكَ يَا أَكْرَمَ الْأَكْرَمِينَ.

اللَّهُمَّ اعْزِزْ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَاَنْصُرْ عِبَادَكَ الْمُوَحِّدِينَ الَّذِينَ يَجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِكَ فِي كُلِّ مَكَانٍ، اللَّهُمَّ أَنْصِرْهُمْ عَلَى عَدُوِّكَ وَعَدُوِّهِمْ، اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِالْيَهُودِ الْمُعْتَدِينَ، وَالنَّصَارَى الْمُحَارِبِينَ، اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِهِمْ؛ فَإِنَّهُمْ لَا يَعْجِزُونَكَ، اللَّهُمَّ أَحْصِهِمْ عَدَدًا.

اللَّهُمَّ آمِنَّا فِي أَوْطَانِنَا، وَأُصْلِحْ أَيْمَتَنَا وَوُلَاةَ أُمُورِنَا، اللَّهُمَّ وَفِّقْهُمْ لِمَا يَرْضِيكَ، وَجَنِّبْهُمْ مَعَاصِيكَ.

اللَّهُمَّ تَبْ عَلَى التَّائِبِينَ، وَاهْدِ ضَالَّ الْمُسْلِمِينَ، اللَّهُمَّ رُدِّهِمْ إِلَيْكَ رَدًّا جَمِيلًا، اللَّهُمَّ ارْفَعْ مَا نَزَلَ مِنَ الْفِتَنِ.

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِينَا.

عباد الله! ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ
الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠]،
فاذكروا الله العلي العظيم يذكركم، واشكروه على نعمكم يزدكم، ﴿وَلَذِكْرُ
اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

أثر الذكّر

الخطبة الأولى:

إِنَّ الْحَمْدَ لِلّٰهِ، نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللّٰهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللّٰهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللّٰهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ، وَمَنْ سَارَ عَلَى نَهْجِهِ، وَاقْتَفَى أَثَرَهُ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

أَمَّا بَعْدُ:

فَاتَّقُوا اللّٰهَ - أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ - حَقَّ تَقَاتِهِ، وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ.

إِخْوَةَ الْإِسْلَامِ: أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ جُمْلَةً تُرَدِّدُهَا فِي كُلِّ يَوْمٍ مَرَّتَيْنِ، مَضْمُونُهَا هَدَفٌ تَسْعَى إِلَى تَحْقِيقِهِ، مَا أَثَّرَ هَذِهِ الْكَلِمَةُ عَلَى ذَاتِكَ وَعَقْلِكَ؟! أَتَرَاهَا سَتُؤَثِّرُ عَلَى جَوَارِحِكَ وَإِدْرَاكِكَ؟!

سَتَكُونُ هَذِهِ الْجُمْلَةُ فَتِيلًا لَا ذِعَا، وَوَقُودًا دَافِعًا لَتَسِيرٍ إِلَى هَدَفِكَ، لَا يَخْتَلِفُ أَصْحَابُ تَطْوِيرِ الذَّاتِ وَإِطْلَاقِ الْقُدْرَاتِ بِأَنَّ مِثْلَ هَذَا دِعَامَةٌ رَاسِخَةٌ لِلْوُصُولِ إِلَى مُبْتَغَاكَ وَهَدَفِكَ؛ إِذَنْ، فَكَيْفَ لَوْ كَرَّرْتَهَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، لَا، بَلْ خَمْسًا، لَا، بَلْ عَشْرًا أَوْ أَكْثَرَ، إِنَّهُ لَيَحَارُّ بِكَ الْفِكْرُ، وَيَرْتَدُّ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاشِعًا

ذليلاً أمام حكمة الباري - جلّ وعلاً - في إقامة الحجة على ابن آدم، ولا يهلك على الله إلا هالكٌ.

خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِفْطُورًا عَلَى الْإِسْلَامِ، قَالَ جَلَّ وَعَلَ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٢]، وقال ابن تيمية رحمه الله: (فإنَّ اللهَ أَخْرَجَنَا مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِنَا لَا نَعْلَمُ شَيْئًا، وَلَكِنْ سَلَامَةُ الْقَلْبِ وَقَبُولُهُ وَإِرَادَتُهُ لِلْحَقِّ -الذي هو الإسلام- بحيث لو تُرِكَ مِنْ غَيْرِ مُعَيَّرٍ لَمَا كَانَ إِلَّا مُسْلِمًا، وَهَذِهِ الْقُوَّةُ الْعِلْمِيَّةُ الْعَمَلِيَّةُ الَّتِي تَقْتَضِي بِذَاتِهَا الْإِسْلَامَ مَا لَمْ يَمْنَعَهَا مَانِعٌ: هِيَ فِطْرَةُ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا)^(١).

ومنذ أن عَقَلْنَا ونحن نُردّد كلماتٍ هي والله تُؤثّر على الحديد الصُّلب؛ فضلاً عن القلب، ففي كل لحظة نُردّد ما لو عَقَلْنَاهُ لَأَثَرٌ فِينَا تَأْثِيرًا نَتَرَسَّمُ مِنْ خِلَالِهِ قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (١١٦) لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿[الأنعام: ١٦٢ - ١٦٣]، نُردّد سورة الفاتحة في اليوم أكثر من عشرين مرّةً، نُردّد ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، نُردّد: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٥ - ٦]، نُردّد: اللهُ أَكْبَرُ، عند قيامنا من النوم في صلاة الفجر أكثر من مرة، ونُردّدُها بعد الصلاة ثلاثاً وثلاثين مرّةً، نُردّدُها بَقِيَّةَ اليوم في كل صلاة وبعد الصلاة، نرددها عند النوم كثيراً، اللهُ أَكْبَرُ، لِنَعْلَمَ أَنَّهُ لَا أَكْبَرَ مِنَ اللَّهِ، اللهُ كَبِيرٌ، اللهُ أَكْبَرُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، لَا شَيْءَ أَكْبَرُ مِنَ اللَّهِ، فَيَقْوَى الْقَلْبُ، وَيَذِلُّ أَمَامَهُ كُلُّ كَبِيرٍ سِوَى اللَّهِ، نسمع هذه

الكلمة في كل أذان ستّ مراتٍ، ونسمعها عند إقامة الصلاة، ونسمعها من الإمام في كل انتقال وخفضٍ ورفعٍ، ونردها معه.

نُردُّدُ: (الحمدُ لله) عند كل نعمة، وعند كل تحوّل، وفي كل عبادة.

يا قَوْمُ، يَوْمُنَا مَلِيٌّ بِكُمْ هَائِلٌ مِنْ مُحْضَرَاتِ النَّفْسِ، وَذِكْرَى الْقُلُوبِ، نردها بألستنا، ونسمعها بأذاننا، فماذا عَمِلْتُ، وماذا أَنْتَجْتُ؟

القرآن نقرؤه في كل يوم، كلُّ مُصَلٍّ يقرأ القرآن، فما تأثير هذه الكلمات على هذه القلوب؟ لِمَ لَمْ تَكُنْ كَتَلِكِ الْقُلُوبِ الَّتِي وَصَفَهَا اللَّهُ: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذِ انْتَلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾ [مريم: ٥٨]، لِمَ لَمْ تَكُنْ كَتَلِكِ الَّتِي وَصَفَهَا اللَّهُ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا﴾ (١٠٧) وَيَقُولُونَ سُبْحَنَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا (١٠٨) وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ [الإسراء: ١٠٧: ١٠٩].

هناك من عباد الله -أولي الألباب من انتفع بهذا التشريع، وأصبحت هذه الكلمات التي يردها ويسمعها مُرْتَسِمَةً في يومه، فوصفهم الله ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾ [النساء: ١٢٢]، وَصَفَهُمْ بِقَوْلِهِ: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَنَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ (١١١) رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تَدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْرَجْتَهُ، وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ (١١٢) رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَنِ أَنْ ءَامِنُوا بِرَبِّكُمْ فَءَامَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ (١١٣) رَبَّنَا وَءَاثِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ [آل عمران: ١٩١: ١٩٤].

بَارَكَ اللهُ لِي وَلَكُمْ فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، وَنَفَعَنِي -وإياكم- بِمَا فِيهِ مِنَ
الآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ، أَقُولُ مَا سَمِعْتُمْ، وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ الْعَظِيمَ لِي وَلَكُمْ
وَلِسَائِرِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ وَخَطِيئَةٍ، فَاسْتَغْفِرُوهُ وَتُوبُوا إِلَيْهِ، إِنَّهُ هُوَ
الْغَفُورُ الرَّحِيمُ.

الخطبة الثانية:

الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى إِحْسَانِهِ، وَالشُّكْرُ عَلَى تَوْفِيقِهِ وَامْتِنَانِهِ، وَأَشْهَدُ أَلَا إِلَهَ إِلَّا
اللهُ تَعَالَى لَشَانِهِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، الدَّاعِي إِلَى جَنَّتِهِ
وَرِضْوَانِهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَأَعْوَانِهِ.
أَمَّا بَعْدُ:

إِخْوَتِي فِي اللهِ؛ إِنَّ شَرْطَ انْتِفَاعِ الْقَلْبِ وَالرُّوحِ وَالْجَسَدِ بِهَذِهِ الْكَلِمَاتِ الَّتِي
نُرَدِّدُهَا وَنَسْمَعُهَا أَنْ نَتَعَقَّلَ مَعْنَاهَا، أَنْ نَتَدَبَّرَ مَضَامِينَهَا؛ لِنَسْتَفِيعَ بِهَا جَوَارِحُنَا،
أَوَّلَيْسَ الرَّسُولُ ﷺ يَقُولُ -وهو الصادق المصدوق- كما فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ
عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ؟ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَقَدْ ظَنَنْتُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَلَّا يَسْأَلَنِي عَنْ هَذَا
الْحَدِيثِ أَحَدٌ أَوَّلَ مِنْكَ؛ لِمَا رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَى الْحَدِيثِ، أَسْعَدُ النَّاسِ
بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ: مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ أَوْ نَفْسِهِ»^(١)، خَالِصًا
مِنْ قَلْبِهِ أَوْ نَفْسِهِ؛ لِأَنَّهَا إِذَا خُلِصَتْ دَفَعَتْ الْجَوَارِحَ إِلَى مَرَاضِي اللهِ.

(١) أخرجه البخاري (١/ ٣٥، رقم ٩٩).

هذا سيّد الاستغفار الذي رواه الإمام البخاري بألفاظه المؤثرة، ومعانيه الجامعة، سيّد جمَعَ الخضوع والتذلل وتصحيح المسار، والتحفيز على العمل الصالح، بما لا يمكن أن تجمَعَ أبلغ منه: «اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ وَأَبُوءُ بِذَنْبِي اغْفِرْ لِي فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ»، قَالَ: «وَمَنْ قَالَهَا مِنَ النَّهَارِ مُوقِنًا بِهَا فَمَاتَ مِنْ يَوْمِهِ قَبْلَ أَنْ يُمْسَى فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَمَنْ قَالَهَا مِنَ اللَّيْلِ وَهُوَ مُوقِنٌ بِهَا فَمَاتَ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ»^(١).

إخوتي في الله: لمَ هذا الكمُّ الهائل من الذكر الذي شرَّعه الله عند النوم وبعد النوم، عند الصباح وعند المساء، عند الأكل والشرب، وعند الخلاء، عند الركوب وعند السفر، عند تغيُّر الوقت إلى الظهر وإلى العصر، وإلى المغرب وإلى العشاء، أوَرَادَ لا تُحصى في الصلاة وعند الأذان، أذكار مسموعة، وأذكار متلوة؛ فضلاً عن التسييح والتكبير والتهليل المطلق.

والسؤال مرة أخرى، لمَ شرَّعَ هذا؟! إِنَّ مِنْ أَعْظَمِ الْحِكَمِ أَنْ يستشعر العبدُ عبوديته في كل وقت، أن يُديمَ التعلُّقَ بربه، أن ترتفع نفسه وتسمو إلى مرتبة العبودية الحقَّة، قال ذو النون: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنْ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧]، فأنجاه الله مِنَ الغمِّ، وكذلك يُنجي المؤمنين، محمد ﷺ قال لصاحبه: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ

(١) أخرجه البخاري (٨/ ٦٧، رقم ٦٣٠٦).

سَكِينَتُهُ عَلَيْهِ وَأَيْسَدُهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا ﴿[التوبة: ٤٠]، والله تعالى يقول: ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الأنفال: ٤٥]، أي: حال هي أشدُّ من حال الحرب والقتل، ومع ذلك يأتي الذِّكْرُ الحقيقي علاجًا وبلسمًا شافيًا لمثل هذه الحال.

إِنَّ مَا يُعَانِيهِ الشَّبَابُ وَالْفَتَيَاتُ وَالْكِبَارُ مِنْ أَدَوَاءٍ فِي هَذَا الْعَصْرِ؛ مِنْ ضَيْقٍ، وَغَمٍّ، وَنَكْدٍ، مِمَّا هُوَ طَبْعٌ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ لَا يُقَاوَمُ إِلَّا بِالذِّكْرِ الْحَقِيقِيِّ، فَهُوَ غِذَاءُ الْقَلْبِ، حَالَاتٌ كَثِيرَةٌ مِنَ الْاِكْتِتَابِ، وَأَكْثَرُ مِنْهَا مِنَ الْوَسْوسَةِ، وَحَدَّثَ عَنِ الْاضْطِرَابَاتِ النَّفْسِيَّةِ وَالْقَلْقِ وَلَا حَرَجَ، قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾ [طه: ١٢٤]، فَهُوَ مُهَا أَنْ مِنْ لَمْ يُعْرِضْ عَنِ الذِّكْرِ فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً طَيِّبَةً، وَقَالَ أَيْضًا: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِمَّنْ ذَكَرَ أَوْ أَنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧]، مَنْ يَسْمَعُ هَذِهِ الْآيَةَ دُونَ أَنْ تُؤَثَّرَ فِيهِ، وَتَدْفَعَهُ إِلَى الذِّكْرِ؟!!

يقول الله: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: ١٥٢]، وَفِي الصَّحِيحِينَ فِيمَا يَرْوِيهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ: يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: «أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ، ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَأٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَأٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ»^(١).

نحن في زمنٍ لم نَعُدْ نجهل فيه الأذكار والأوراد، نحن نحتاج إلى تَأَمُّلٍ أَوْرَادِنَا وَأَذْكَارِنَا؛ حَتَّى نُدَاوِمَ عَلَيْهَا فِي كُلِّ وَقْتٍ، أَطْلُقَ لِسَانَكَ بِالتَّكْبِيرِ، قُلْ:

(١) أخرجه البخاري (٩/ ١٢١، رقم ٧٤٠٥)، ومسلم (٤/ ٢٠٦١، رقم ٢٦٧٥).

الله أكبر، يصغر في عينيك كل كبير سوى الله، أطلق لسانك بالتحميد، قل: الحمد لله، فلن يتعلق قلبك إلا بصاحب النعمة رب العالمين، كُنْ مِنَ الذَّاكِرِينَ اللهَ كثيرًا، وكُونِ مِنَ الذَّاكِرَاتِ، كانوا يُعَدُّونَ لرسول الله ﷺ في المجلس الواحد كثيرًا من التسبيح والتهليل والتكبير والاستغفار، هذا وهو مع الناس، فكيف به ﷺ في خلواته؟! مع

الذِّكْر عبودية عظيمة، ودرجات عالية، وعلاج مُعْطَل، وأُنَيْسٌ متروك، أَدْعُو نفسي وإخواني إلى قراءة الذِّكْر، وسماعه مرةً أخرى باستشعار، ستتذكر حينها حديث رسول الله ﷺ: «وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللهَ خَالِيًا فَقَاضَتْ عَيْنَاهُ»^(١). اللهم أَعِنَّا على ذِكْرِكَ.

ثم صَلُّوا وَسَلَّمُوا على رسول الهدى، وإمام الوَرَى، فقد أَمَرَكم ربُّكم فقال جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

اللهم صَلِّ وَسَلِّمْ على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وارْضَ اللهم عَنِ الخلفاء الراشدين، والأئمة المهديين: أبي بكر وعمر وعثمان وعلي، وعن الصحابة أجمعين، وعننا معهم بعفوك وكرمك يا أكرم الأكرمين، اللهم أَعِزِّ الإسلام والمسلمين، وَأَنْصُرْ عِبَادَكَ المُوَحِّدِينَ، الذين يجاهدون في سبيلك في كل مكان، اللهم أَنْصُرْهُمْ على عَدُوِّكَ وعدوهم، اللهم عليك باليهود المعتدين، والنصارى المحاربين، اللهم عليك بهم فإنهم لا يعجزونك، اللهم

(١) أخرجه البخاري (١/١٣٣، رقم ٦٦٠)، ومسلم (٢/٧١٥، رقم ١٠٣١).

أَحْصِهِمْ عَدَدًا، وَأَهْلِكْهُمْ بَدَدًا، اللَّهُمَّ آمِنَّا فِي أَوْطَانِنَا، وَأَصْلِحْ أُمْتَنَا وَوُلَاةَ
أُمُورِنَا، اللَّهُمَّ وَفِّقْهُمْ لِمَا يُرْضِيكَ، وَجَنِّبْهُمْ مَعَاصِيكَ، اللَّهُمَّ تُبْ عَلَى التَّائِبِينَ،
وَاهْدِ ضَالَّ الْمُسْلِمِينَ، اللَّهُمَّ رُدَّهُمْ إِلَيْكَ رَدًّا جَمِيلًا، اللَّهُمَّ ارْفَعْ مَا نَزَلَ مِنْ
الْفِتَنِ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا.

عِبَادَ اللَّهِ، ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ
الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾، فاذكروا اللَّهَ
الْعَلِيِّ الْعَظِيمَ يَذْكُرْكُمْ، واشكروه على نِعَمِكُمْ يَزِدْكُمْ، ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾
وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿١﴾.

الاختلاط المحرم

الخطبة الأولى:

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَمْ يَتَّخِذْ صَاحِبَةً وَلَا وَزِيرًا وَلَا وَنَدًا وَلَا ظَهِيرًا^(١)، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، نَشْهَدُ أَنَّهُ بَلَغَ الرِّسَالَةَ، وَنَصَحَ الْأُمَّةَ، وَجَاهَدَ فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

أَمَّا بَعْدُ:

فَأَوْصِيَكُمْ وَنَفْسِي بِتَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى، فَهِيَ وَصِيَّةُ اللَّهِ لِلْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ﴾ [النساء: ١٣١].

مَعَشَرَ الْمُصَلِّينَ: قَدْ تَتَحَاوَرُ مَعَ شَخْصٍ لَا تُوَافِقُهُ فِي رَأْيِهِ، وَتَمْلِكُ الْأُذُنَ الْمُصْغِيَةَ مِنْ أَجْلِ أَنْ تَصِلَ أَنْتَ وَإِيَّاهُ إِلَى أَمْرٍ سَوَاءٍ؛ وَلَكِنْ كُنْ قَدْ لَا تَمْلِكُهَا إِذَا كَانَ مَنْ يُجَاوِرُكَ يَسْتَخِفُّ بِعَقْلِكَ وَإِدْرَاكَكَ، وَيُزَاوِلُ مَعَكَ أُسْلُوبَ الْإِسْفَافِ فِي تَفْكِيرِكَ، وَالْمَغَالِطَاتِ فِي حُجَجِهِ، وَالْأَكَاذِيبِ فِي مَعْلُومَاتِهِ.

(١) أي: معينا. المعجم الوسيط (ظهر).

إِنَّ مِنْ أَعْظَمِ الصَّيْحَاتِ الفكرية الكاذبة التي ظَهَرَتْ على السطح، وتناولها الإعلام في الأيام الماضية: أَكْذُوبَةٌ (بِدْعَةُ الاختلاط)، وأنَّ هذا المصطلح ليس في القاموس الإسلامي، ولا المنظور الشرعي، أَلَيْهِ هَذِهِ الدَّرَجَةُ يَصِلُ الاستهتارُ بعقولنا، والاستخفاف بمعلوماتنا؟! مع أن هذا المصطلح أَظْهَرَ في الشريعة من رَابِعَةِ النهار، وورد في السُّنَّةِ الصحيحة، وعلى لسان الأئمة الأربعة وغيرهم، إِذَنْ هُوَ دَخِيلٌ عَلَى مَنْ؟! هُوَ -والله- دخيل على من لَا يَفْقَهُ، ولا يريد أن يعرف.

وما أَحْسَنَ ما رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ فِي سُنَنِهِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي أُسَيْدٍ الْأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ وَهُوَ خَارِجٌ مِنَ الْمَسْجِدِ فَاخْتَلَطَ الرِّجَالُ مَعَ النِّسَاءِ فِي الطَّرِيقِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِلنِّسَاءِ: «اسْتَأْخِرْنَ، فَإِنَّهُ لَيْسَ لَكُنَّ أَنْ تَحْقُقْنَ^(١) الطَّرِيقَ، عَلَيْكُنَّ بِحَافَاتِ الطَّرِيقِ^(٢)»، فَكَانَتِ الْمَرْأَةُ تَلْتَصِقُ بِالْجِدَارِ؛ حَتَّى إِنْ ثَوَّبَهَا لِيَتَعَلَّقَ بِالْجِدَارِ مِنْ لُصُوقِهَا بِهِ. قَالَ ابْنُ حَجَرٍ مُعَلِّقًا عَلَى هَذَا الْحَدِيثِ: (وَفِيهِ اجْتِنَابُ مَوَاضِعِ التُّهْمِ، وَكَرَاهَةُ مُخَالَطَةِ الرِّجَالِ لِلنِّسَاءِ فِي الطَّرِيقَاتِ؛ فَضْلًا عَنِ الْبُيُوتِ)^(٣)، فَانْظُرْ كَيْفَ نَهَى النِّسَاءَ عَنِ الْمَشْيِ فِي مُتَنَصِّفِ الطَّرِيقِ فِي حَالٍ مَا إِذَا كَانَ الطَّرِيقُ فِيهِ رِجَالًا وَرِحَامًا، فَهَلْ سَيَقُولُ قَائِلٌ: إِنْ الشَّارِعَ يَمْنَعُ مَشْيَ الْمَرْأَةِ فِي الطَّرِيقِ؟ كَلَّا، وَإِنَّمَا -مَعَ وَجُودِ هَذِهِ الْحَالِ، وَهِيَ مُخَالَطَةُ الرِّجَالِ- لَمْ يَمْنَعْ الشَّارِعُ مَشْيَهَا؛ بَلْ مَنَعَهَا مِنَ الْمَخَالَطَةِ

(١) هُوَ أَنْ يَرْكَبَنَّ حُقُّهَا، وَهُوَ وَسْطُهَا. النِّهَايَةُ فِي غَرِيبِ الْحَدِيثِ وَالْأَثَرِ (حَقَّقَ).

(٢) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ (٤/٣٦٩، رَقْمُ ٥٢٧٢).

(٣) فَتَحَ الْبَارِي لِابْنِ حَجَرٍ (٢/٣٣٦).

فقط، وجعل لها طريقة لتقليل الشر من أمر المخالطة، وانظر إليه في ذهابها إلى المسجد للصلاة - وهو الأمر الذي يستند إلى مثله من لا يعرف -، فإنه ﷺ كما في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: «خَيْرُ صُفُوفِ الرِّجَالِ أَوَّلُهَا، وَشَرُّهَا آخِرُهَا، وَخَيْرُ صُفُوفِ النِّسَاءِ آخِرُهَا، وَشَرُّهَا أَوَّلُهَا»^(١)، فَلِمَ لَمْ يَحْزَنْ أَنْ تُصَلِّيَ الْمَرْأَةُ فِي صُفُوفِ الرِّجَالِ؟ بل ولم - لما كانت معزولة لكنها ترى الرجال - لَمْ يَكُنْ خَيْرُ الصُّفُوفِ الْأُولَى بالنسبة لها أَفْضَلُ مِنَ الْمَتَأَخِّرَةِ؟

كل ذلك إنما كان وسيلة وطريقة لِسَدِّ آثَارِ الاختلاط، قال النووي الشافعي في شرحه للحديث: (وَأِنَّمَا فَضِّلَ آخِرَ صُفُوفِ النِّسَاءِ الْحَاضِرَاتِ مَعَ الرِّجَالِ لِيُبْعِدَهُنَّ مِنْ مُخَالَطَةِ الرِّجَالِ وَرُؤْيَتِهِمْ وَتَعَلُّقِ الْقَلْبِ بِهِمْ عِنْدَ رُؤْيَا حَرَكَاتِهِمْ، وَسَمَاعِ كَلَامِهِمْ، وَنَحْوِ ذَلِكَ، وَذَمَّ أَوَّلَ صُفُوفِهِنَّ لِعَكْسِ ذَلِكَ)^(٢).

ولم يَقِفِ الأمرُ في أَخْذِ الحِطَّةِ من أمر الاختلاط عند هذا فَحَسْبُ؛ بل انظر ماذا صَنَعَ ﷺ كما عند أبي داود عن ابن عُمَرَ - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ: «لَوْ تَرَكْنَا هَذَا الْبَابَ لِلنِّسَاءِ». قَالَ نَافِعٌ: (فَلَمْ يَدْخُلْ مِنْهُ ابْنُ عُمَرَ حَتَّى مَاتَ)^(٣)، وفي رواية: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لما بَنَى المسجدَ جعل باباً للنساء، وقال: «لَا يَلْجَأَنَّ مِنْ هَذَا الْبَابِ مِنَ الرِّجَالِ أَحَدٌ»^(٤)، فجعل لهن

(١) أخرجه مسلم (١/٣٢٦، رقم ٤٤٠).

(٢) شرح النووي على مسلم (٤/١٥٩، ١٦٠).

(٣) أخرجه أبو داود (١/١٢٦، رقم ٤٦٢).

(٤) أخرجه أبو داود الطيالسي (٣/٣٦٨، رقم ١٩٣٨)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (١/٣١٣).

بابًا مُخَصَّصًا للدخول والخروج، أَوَلَيْسَ هذا من أعظم الاحترازآ؟!

بل لم يَكْتَفِ بهذا ﷺ في الحدِّ من الاختلاط، بل تأمَّل ما رواه البخاري في صحيحه عن أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا سَلَّمَ قَامَ النِّسَاءُ حِينَ يَقْضِي تَسْلِيمَهُ وَمَكَثَ يَسِيرًا قَبْلَ أَنْ يَقُومَ)، قَالَ ابْنُ شَهَابٍ الزُّهْرِيُّ: (نَرَى -وَاللَّهُ أَعْلَمُ- أَنَّ ذَلِكَ كَانَ لِكَيْ يَنْصَرِفَ النِّسَاءُ قَبْلَ أَنْ يُدْرِكَهُنَّ أَحَدٌ مِنَ الرِّجَالِ)^(١).

وكذلك انظر إلى مُراعاة هذه الأمرِ في الطَّوَّافِ، فإنه أَمْرٌ تَعَبُدِيٌّ يَشْمَلُ الرجلَ والمرأة؛ لكن هل فُتِحَ البابُ على مِصْرَاعَيْهِ؟!

لِنَنْظُرَ إِلَى سُنَّتِهِ ﷺ كما جاء في الصحيحين من حديث أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَتْ: شَكَوْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنِّي أَشْتَكِي فَقَالَ: «طُوفِي مِنْ وَرَاءِ النَّاسِ وَأَنْتِ رَاكِبَةٌ»، فَطُفْتُ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَئِذٍ يُصَلِّي إِلَى جَنْبِ الْبَيْتِ وَهُوَ يَقْرَأُ بِ: ﴿وَالطُّورِ ۝١﴾ وَكُتِبَ مَسْطُورٌ^(٢) [الطور: ١ - ٢].

قال الإمامُ النَّوَوِيُّ الشافعيُّ في شَرْحِ هذا الحديثِ: (إِنَّمَا أَمَرَهَا ﷺ بِالطَّوَّافِ مِنْ وَرَاءِ النَّاسِ لِشَيْئَيْنِ: أَحَدُهُمَا: أَنَّ سُنَّةَ النِّسَاءِ التَّبَاعُدُ عَنِ الرِّجَالِ فِي الطَّوَّافِ، وَالثَّانِي: أَنَّ قُرْبَهَا يُخَافُ مِنْهُ تَأْذِي النَّاسِ بِدَأْبَتِهَا)^(٣).

وانظر إلى سَدِّ ذرائعهم، وأنه ليس تَنْطَعًا حَادِثًا فيما رَوَاهُ البخاريُّ:

(١) أخرجه البخاري (١/١٧٣، رقم ٨٧٠).

(٢) أخرجه البخاري (١/١٠٠، رقم ٤٦٤)، ومسلم (٢/٩٢٧، رقم ١٢٧٦).

(٣) شرح النووي على مسلم (٩/٢٠).

قُلْتُ: كَيْفَ يُخَالِطُنَ الرَّجَالَ؟! قَالَ: لَمْ يَكُنْ يُخَالِطُنَ، كَانَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تَطُوفُ حَجْرَةً^(١) مِنَ الرَّجَالِ لَا تُخَالِطُهُمْ، فَقَالَتْ امْرَأَةٌ: انْطَلِقِي نَسْتَلِمِ يَا أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ. قَالَتْ: انْطَلِقِي عَنْكَ وَأَبْتُ. وَكُنَّ يَخْرُجْنَ مُتَنَكِّرَاتٍ بِاللَّيْلِ، فَيَطْفَنَ مَعَ الرَّجَالِ؛ وَلَكِنَّهُنَّ كُنَّ إِذَا دَخَلْنَ الْبَيْتَ قُضِيَ حَتَّى يَدْخُلْنَ وَأُخْرِجَ الرَّجَالُ^(٢).

والسؤال: لِمَ يُخْرَجُ الرجالُ مِنَ البيتِ؟ هل هذا شكٌّ في الناس، ودُخُولٌ في نِيَّاتِهِمْ، ونَظَرَةٌ بَهِيمِيَّةٌ؟! لا، ولكنها نظرة واقعية شرعية لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَعًا فَسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ [الأحزاب: ٥٣].

بَارَكَ اللَّهُ لِي وَلَكُمْ فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذِّكْرِ الْحَكِيمِ، أَقُولُ مَا سَمِعْتُمْ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ لِي وَلَكُمْ وَلِسَائِرِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ وَخَطِيئَةٍ، فَاسْتَغْفِرُوهُ وَتُوبُوا إِلَيْهِ، إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ.

الخطبة الثانية:

الحمد لله على إحسانه، والشُّكْرُ على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله، تعظيماً لشأنه، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، الداعي إلى جَنَّتِهِ وَرِضْوَانِهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَأَعْوَانِهِ.

(١) أي: في ناحية منفردة. انظر: النهاية (حجر).

(٢) أخرجه البخاري (١٥٢/٢)، رقم (١٦١٨).

أَمَّا بَعْدُ:

مَعَشَرَ الإِخْوَةِ: إِذَنْ، فِكْرَةٌ أَنَّ الْإِخْلَاطَ مُصْطَلَحٌ حَادِثٌ كِذْبَةٌ حَادِثَةٌ، وَكِذْبَةٌ أَنَّ مَنَعَ الْإِخْلَاطَ بَيْنَ الْجَنَسَيْنِ إِنَّمَا هُوَ تَشَدُّدٌ لَا مُسْتَنَدَ لَهَا فِي الشَّرِيعَةِ، وَهِيَ كِذْبَةٌ أُخْرَى، وَالْعَجِيبُ أَنَّهُمْ يَسُوقُونَ وَيُرَوِّجُونَ لِفِكْرَتِهِمْ بِالِاسْتِدْلَالِ فِيهَا هُوَ ضَدُّهُمْ؛ فَمَثَلًا: الصَّلَاةُ فِي الْمَسْجِدِ هِيَ دَلِيلٌ عَلَيْهِمْ، فَهَلْ وَضَعُوا فِي الدَّوَائِرِ الْحُكُومِيَّةِ وَالْمَوْسَسَّاتِ التِّجَارِيَّةِ مَا جَاءَ مِنَ الْإِحْتِرَازَاتِ فِي الْمَسْجِدِ - فَضْلًا عَنْ غَيْرِهِ - وَذَلِكَ بِعَزْلِ النِّسَاءِ عَنِ الرِّجَالِ؟! أَمْ أَنَّ مَعْنَى ذَلِكَ أَنَّ يُصَفَّ الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ فِي مَكَاتِبَ وَاحِدَةٍ؛ بَلْ وَعَلَى طَاوِلَةٍ وَاحِدَةٍ، أَهَذَا هُوَ الَّذِي جَاءَ فِي الْمَسْجِدِ؟!

وَانْظُرْ إِلَيْهِ فِي الطَّوَافِ الَّذِي كَثِيرًا مَا يُدْنِدُنُونَ حَوْلَهُ، فَهَلْ تَعْتَزِلُ الْمَرْأَةُ الرِّجَالَ فِي عَمَلِهَا كَمَا تَتَجَنَّبُ ذَلِكَ فِي طَوَافِهَا وَتَكُونُ حَاجِرَةً مِنَ الرِّجَالِ، وَيُخْرِجُ الرِّجَالَ مِنَ الْبَيْتِ لِدُخُولِ النِّسَاءِ؟!

إِنَّهُمْ -عَنْ جَهْلٍ أَوْ عِنَادٍ- لَا يَفْقَهُونَ مِنَ الْأَدَلَّةِ إِلَّا مَا يُرِيدُونَ، وَلَوْلَا أَنَّ الْأَمْرَ تَكَلَّمَ فِيهِ بِحَمَلَةٍ مُنَظَّمَةٍ، بَلْ وَلِلْأَسَفِ مِمَّنْ يَحْمِلُ مُؤَهَّلَاتٍ شَرِيعَةً؛ لَمَا كَانَ الْأَمْرُ مُحَلًّا اسْتِغْرَابٍ، وَلِتَعْلَمَ -أَيُّهَا الْمُسْلِمُ- أَنَّ مَا يَحْدُثُ أَمْرٌ قَدَرِيٌّ كَوْنِيٌّ فِي الْعِرَاقِ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، وَأَنَّهُ لَا يُمَكِّنُ أَنْ يَقِفَ أَهْلُ الْأَهْوَاءِ وَالْجَهْلَةِ عَلَى وَتِيرَةٍ وَاحِدَةٍ؛ بَلْ سَيَفْعَلُونَ مَا يَسْتَطِيعُونَ.

وَالْغَرِيبُ أَنَّهُمْ يُحَاوِلُونَ تَحْوِيلَ الْقَضِيَّةِ إِلَى أَنَّهُ رَأْيٌ مُحَكَّمٌ اجْتِمَاعِيٌّ، وَهَذَا غَيْرُ صَحِيحٍ، وَأَثَمَةُ الْمَذَاهِبِ تَتَّفَقُ عَلَى هَذَا، قَالَ شَمْسُ الْأَثَمَةِ السَّرْحَسِيِّ رحمته مِنْ مَدِينَةِ سَرْخَسٍ بِفَارِسٍ «إِيرَانَ الْيَوْمِ»، مِنْ عُلَمَاءِ الْقَرْنِ الْخَامِسِ: (وَفِي

اِخْتِلَاطِ النِّسَاءِ مَعَ الرِّجَالِ عِنْدَ الزَّحْمَةِ مِنَ الْفِتْنَةِ وَالْقُبْحِ مَا لَا يَحْفَى^(١). وقال
أَشْهَبُ الْمَالِكِيِّ: (وَلَا يُقَدَّمُ الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ مُحْتَاطِينَ، وَإِنْ رَأَى أَنْ يَجْعَلَ
لِلنِّسَاءِ يَوْمًا مَعْلُومًا أَوْ يَوْمَيْنِ فَعَلَ)^(٢). وقال ابنُ عبدِ الحَكَمِ المَالِكِيُّ الْمِصْرِيُّ:
(أَحَبُّ إِلَيَّ أَنْ يُفْرَدَ لِلنِّسَاءِ يَوْمًا)^(٣). وقال ابنُ حَجَرٍ الْهَيْتَمِيُّ: (وَحُرْمَةُ
الِاخْتِلَاطِ صَرِيحَةٌ لِأَنَّهُ مِظْنَةُ الْفِتْنَةِ)^(٤).

وقال ابن القيم رحمته الله: (فَصُلِّ: وَمِنْ ذَلِكَ: أَنَّ وَلِيَّ الْأَمْرِ يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ
يَمْنَعَ اخْتِلَاطَ الرِّجَالِ بِالنِّسَاءِ فِي الْأَسْوَاقِ، وَالْفُرَجِ، وَمَجَامِعِ الرِّجَالِ. وَقَالَ
مَالِكٌ رَحِمَهُ اللَّهُ وَرَضِيَ عَنْهُ: أَرَى لِلْإِمَامِ أَنْ يَتَقَدَّمَ إِلَى الصَّنَاعِ فِي قُعُودِ النِّسَاءِ
إِلَيْهِمْ، وَأَرَى أَلَّا يَتْرُكَ الْمَرْأَةُ الشَّابَّةَ تَجْلِسُ إِلَى الصَّنَاعِ، فَأَمَّا الْمَرْأَةُ الْمُتَجَالَّةُ^(٥)
وَالْحَادِثُ الدُّونُ الَّتِي لَا تُتَّهَمُ عَلَى الْقُعُودِ وَلَا يُتَّهَمُ مَنْ تَقْعُدُ عِنْدَهُ: فَإِنِّي لَا أَرَى
بِذَلِكَ بَأْسًا. اهـ. فَإِلَامَامٌ مَسْئُولٌ عَنْ ذَلِكَ وَالْفِتْنَةَ بِهِ عَظِيمَةٌ، وَيَجِبُ عَلَيْهِ مَنَعُ
النِّسَاءِ مِنَ الْخُرُوجِ مُتَزَيِّنَاتٍ مُتَجَمَّلَاتٍ وَمَنْعُهُنَّ مِنَ الثِّيَابِ الَّتِي يَكُنَّ بِهَا
كَاسِيَاتٍ عَارِيَّاتٍ، كَالثِّيَابِ الْوَاسِعَةِ وَالرَّقَاقِ، وَمَنْعُهُنَّ مِنْ حَدِيثِ الرِّجَالِ فِي
الطَّرِيقَاتِ، وَمَنْعُ الرِّجَالِ مِنْ ذَلِكَ، وَقَدْ مَنَعَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ النِّسَاءَ مِنَ الْمَشْيِ فِي طَرِيقِ الرِّجَالِ، وَالِاخْتِلَاطِ بِهِمْ فِي الطَّرِيقِ.
فَعَلَى وَلِيِّ الْأَمْرِ أَنْ يَقْتَدِيَ بِهِ فِي ذَلِكَ... وَلَا رَيْبَ أَنَّ تَمْكِينَ النِّسَاءِ مِنْ

(١) المبسوط للسرخسي (١٦ / ٨٠).

(٢) منح الجليل شرح مختصر خليل للشيخ عlish (٨ / ٣٠٦).

(٣) المصدر السابق.

(٤) انظر: الفتاوى الفقهية الكبرى لابن حجر الهيتمي (١ / ٢٠٣).

(٥) هي المرأة التي أَسَنَّتْ وَكَبِرَتْ. انظر: النهاية (جلل).

اِخْتِلَاطُهُنَّ بِالرِّجَالِ: أَضْلُ كُلِّ بَلِيَّةٍ وَشَرٍّ، وَهُوَ مِنْ أَعْظَمِ أَسْبَابِ نُزُولِ الْعُقُوبَاتِ الْعَامَّةِ، كَمَا أَنَّهُ مِنْ أَسْبَابِ فَسَادِ أُمُورِ الْعَامَّةِ وَالْخَاصَّةِ، وَاسْتِخْلَاطُ الرِّجَالِ بِالنِّسَاءِ سَبَبٌ لِكَثْرَةِ الْفَوَاحِشِ وَالزِّنَى، وَهُوَ مِنْ أَسْبَابِ الْمَوْتِ الْعَامِّ وَالطَّوَاغِينِ الْمُتَّصِلَةِ. وَلَمَّا اخْتَلَطَ الْبَغَايَا بِعَسْكَرِ مُوسَى وَفَشَتْ فِيهِمُ الْفَاحِشَةُ: أَرْسَلَ اللَّهُ إِلَيْهِمُ الطَّاغُوتَ، فَمَاتَ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ سَبْعُونَ أَلْفًا، وَالْقِصَّةُ مَشْهُورَةٌ فِي كُتُبِ التَّفَاسِيرِ^(١).

ثُمَّ صَلُّوا وَسَلَّمُوا عَلَى رَسُولِ الْهُدَى، وَإِمَامِ الْوَرَى، فَقَدْ أَمَرَكُمُ رَبُّكُمْ فَقَالَ - جَل وَعَلَا -: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ، وَارْضَ اللَّهُمَّ عَنِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ، وَالْأَئِمَّةِ الْمُهَدِّينَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَلِيٍّ، وَعَنِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ، وَعَنَّا مَعَهُمْ بِعَفْوِكَ وَكَرَمِكَ يَا أَكْرَمَ الْأَكْرَمِينَ.

اللَّهُمَّ أَعِزَّ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَانصِرْ عِبَادَكَ الْمُوَحِّدِينَ الَّذِينَ يَجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِكَ فِي كُلِّ مَكَانٍ، اللَّهُمَّ انصِرْهُمْ عَلَى عَدُوِّكَ وَعَدُوِّهِمْ، اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِالْيَهُودِ الْمُعْتَدِينَ، وَالنَّصَارَى الْمُحَارِبِينَ، اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِهِمْ؛ فَإِنَّهُمْ لَا يَعْجِزُونَكَ، اللَّهُمَّ أَحْصِهِمْ عَدَدًا.

اللَّهُمَّ آمِنَّا فِي أَوْطَانِنَا، وَأَصْلِحْ أَيْمَتَنَا وَوُلاةَ أُمُورِنَا، اللَّهُمَّ وَفِّقْهُمْ لِمَا يَرْضِيكَ، وَجَنِّبْهُمْ مَعَاصِيكَ.

(١) انظر: الطرق الحكمية لابن القيم (١/ ٢٣٧، ٢٣٨).

اللَّهُمَّ تب على التائبين، واهد ضالَّ المسلمين، اللَّهُمَّ رُدَّهُمْ إِلَيْكَ رَدًّا
 جميلاً، اللَّهُمَّ ارفع ما نزل من الفتن.
 اللَّهُمَّ اغفر لنا ولوالدينا.

عباد الله! ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ
 الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠]،
 فاذكروا الله العلي العظيم يذكركم، واشكروه على نعمكم يزدكم، ﴿وَلَذِكْرُ
 اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

الإصلاح الحقيقي

الخطبة الأولى:

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَمَنْ سَارَ عَلَى مَنَاجِرِهِ وَاقْتَفَى أَثَرَهُ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

وَبَعْدُ:

فَاتَّقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ - ﴿إِنَّهُ، مَنْ يَتَّقْ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: ٩٠].

مَعَشَرَ الْإِخْوَةِ: إِنَّ الْإِصْلَاحَ فِي الْأَرْضِ هُوَ عَمَلُ الْمُرْسَلِينَ وَوَرِثَتِهِمْ، قَامُوا بِهِ أَحْسَنَ قِيَامٍ، مَا فَتُّوا فِي دَلَالَةِ الْأَمَةِ عَلَى مَا يَنْفَعُهَا وَيُصْلِحُهَا.

لَمَّا أَرَادَ اللَّهُ خَلْقَ آدَمَ ﷺ قَالَ لِلْمَلَائِكَةِ: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٣٠].

فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ أَنَّ الرُّسُلَ لَا يُفْسِدُونَ، وَلَا يَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا؛ بَلْ يَسْعَوْنَ فِيهَا يُصْلِحُ النَّاسَ فِي دُنْيَاهُمْ وَأَخْرَاهُمْ.

نبيُّ الله شُعَيْبٌ عليه السلام لما أُرْسِلَ إلى قومه قال لهم: ﴿قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ وَلَا تَنفُسُوا أَلْمِيزَانِ إِنَّيْ أَرَبُّكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ﴾ [هود: ٨٤]، فلما نَصَحَهُمْ وَأَنْذَرَهُمْ كَذَّبُوهُ وَأَعْرَضُوا عَنْهُ، فقال لهم: ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود: ٨٨].

وهكذا قام العلماء الربانيون بالدعوة إلى ما يُصْلِحُ النَّاسَ دُنْيَا وَأُخْرَى، مُسْتَمِدِّينَ ذَلِكَ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ، وَسُنَّةِ رَسُولِهِ عليه السلام، مُسْتَحْضِرِينَ فِي ذَلِكَ قَوَاعِدَ الدِّينِ وَالْحِفَاطَ عَلَيْهَا.

إِنَّ الْإِصْلَاحَ لَيْسَ مَرْكَبًا سَهْلًا وَذُلُولًا يُمْتَطَى، لَيْسَ مَرْتَعًا لِكُلِّ أَحَدٍ مِنَ الْعَوَامِّ وَمَنْ لَا يُحَسِّنُ مَعْرِفَةَ الْمَالَاتِ، لَيْسَ كُلُّ مَنْ نَادَى بِهَذَا الْمِصْطَلَحِ يُعْتَبَرُ رَمْزًا لِلْجِهَادِ وَالتَّضْحِيَةِ، كَلَّا، إِنَّ الْأَمْرَ إِذَا آلَ إِلَى ذَلِكَ فَقُلَّ عَلَى الدُّنْيَا السَّلَامُ، ادَّعَى الْمُنَافِقُونَ فِي أَفْضَلِ وِلَايَةٍ وَأَفْضَلِ حَاكِمٍ وَمُحْكَمٍ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ إِصْلَاحٍ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ ١١ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ١١ - ١٢].

أَيُّ إِصْلَاحٍ يُصْلِحُونَهُ فِي زَمَنِ النَّبِيِّ عليه السلام، الْهَادِي الْبَشِيرِ، وَالسَّرَاجِ الْمُنِيرِ. وَلَكِنَّهَا الْفِتْنَةُ الَّتِي يَرْجُونَهَا، هِيَ بَاعِثُهُمْ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمْعُونَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ [التوبة: ٤٧]. كُلُّ وَاحِدٍ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُسَمِّيَ الْأُمُورَ بغيرِ أَسْمَائِهَا، فَيُسَمِّيَ الْبَاطِلَ حَقًّا، وَالْحَقَّ بَاطِلًا، أَلَيْسَ الْكَفَّارُ يَدْعُونَ أَصْحَابَهُمْ إِلَى الْبَاطِلِ وَيُسَمُّونَهُ هُدًى؟! اسْتَمِعُوا إِلَى قَوْلِ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا: ﴿قُلْ أَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُردُّ عَلَى

أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْنَا اللَّهَ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانٌ لَهُ، أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ
إِلَى الْهُدَى أَتَيْنَا قُلُوبَ إِبْنِ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَأَمْرَنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٧١﴾
[الأنعام: ٧١]، وفي وقتنا هذا يُلوك هذه الكلمة فِتْنَامٌ^(١) لا يَفْقَهُونَ، وَيَهْرِفُونَ^(٢)
بما لا يعرفون، أَلَمْ نَسْمَعْ مَنْ نَادَى بِالْإِصْلَاحِ مِنْ خَلَالِ إِغْلَاقِ حَلَقَاتِ تَحْفِيزِ
الْقُرْآنِ فِي الْمَسَاجِدِ؟! وَمَنْ نَادَى بِالْإِصْلَاحِ مِنْ خَلَالِ تَحْرِيرِ الْمَرْأَةِ، وَجَعَلَهَا
تُرَاحِمَ الرِّجَالِ فِي الْوِظَائِفِ؟! بَلْ وَيَدَّعِي أَنَّ مَنَعَهَا إِفْسَادًا لَهَا؟! فَانْظُرْ كَيْفَ
قَلَبَ الْأُمُورَ، أَلَمْ تَخْرُجْ طَائِفَةٌ عَلَى وَلِيِّ الْأَمْرِ، وَخَلَعُوا بَيْعَتَهُمْ بِاسْمِ
الْإِصْلَاحِ؟! بَلْ وَأَفْسَدُوا الْمَمْلُوكَاتِ، وَقَتَلُوا الْأَرْوَاحَ، وَأَخْلَوْا بِالْأَمْنِ، كُلُّ
هَؤُلَاءِ يَدْعُونَ الْإِصْلَاحَ.

أَلَمْ يُوجَدْ مَنْ تَحَدَّثَ عَنْ حُمَاةِ الْفُضَيْلَةِ، وَهَيْئَاتِ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ
عَنِ الْمُنْكَرِ بِالسُّوءِ؟! وَيُطَالِبُ بِالْغَاثِهَا، أَوْ التَّقْنِينَ مِنْ صِلَاحَاتِهَا.

إِذَا كُنَّا سَنُصْغِي آذَانَنَا لِكُلِّ مَنْ يَدَّعِي هَذِهِ الْكَلِمَاتِ وَيَسْتَجِدُّنَا بِهَا؛
فَإِنَّا سَنُعِيشُ فِي كُلِّ عَامٍ فِي أَزْمَةٍ، تَأْمَلُوا مَاذَا قَالَ قَوْمُ فِرْعَوْنَ لِفِرْعَوْنَ
يَسْتَشِيطُونَهُ غَضَبًا عَلَى مُوسَى ﷺ وَقَوْمِهِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ
قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَنْذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ﴾ [الأعراف: ١٢٧]
، انْظُرُوا كَيْفَ تَغَيَّرَتِ الْمَفَاهِيمُ فَأَصْبَحَ الْحَقُّ بَاطِلًا، وَالْبَاطِلُ حَقًّا، فَإِنْ
كَانَ مُوسَى ﷺ وَمَنْ مَعَهُ هُمُ الْمُفْسِدِينَ، فَمَنْ الْمَصْلِحُونَ إِذَنْ؟!

(١) الفِتْنَامُ: الجماعة من الناس. المعجم الوسيط (فأَم).

(٢) يَهْرِفُ: يَهْرَفُ الرَّجُلُ: هَذَى. المعجم الوسيط (هرف).

لَيْتَ شِعْرِي^(١) كَيْفَ يَتَوَلَّى الإِصْلَاحَ مَنْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُصْلِحَ حَالَهُ، وهو بحاجة إلى إصلاح؟! كَيْفَ يَتَوَلَّى هَذَا الْأَمْرَ الْعَظِيمَ مَنْ لَا يَعْرِفُ الْمَفَاسِدَ وَالْمَصَالِحَ وَسَدَّ الذَّرَائِعَ؟! إِنْ الإِصْلَاحَ لَيْسَ تَشْهِيًا وَتَذَوُّقًا يَسْتَطِيعُ مَنْ خِلَالَهُ الْمُتَكَلِّمُ أَنْ يَعْرِفَ الصَّالِحَ مِنَ الْفَاسِدِ.

إِنَّ الْعُلَمَاءَ الرِّبَانِيِّينَ هُمُ حُمَاهُ السَّفِينَةِ، وَهُمْ أَدْرَى بِمَا يُصْلِحُ شَأْنَهَا وَيُرْسِي إِبحَارَهَا، إِنْ أَعْظَمَ مَصِيبَةً عَلَى الْجَمِيعِ أَنْ يَتَوَلَّى الرُّوَيْبِضَةُ وَالرَّجُلُ التَّافَهُ أُمُورَ الْعَامَةِ كَمَا فِي الْأَثَرِ^(٢).

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُتَنَفِّقِينَ يُصَدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا ۖ فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا ۚ﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا ﴿[النساء: ٦١: ٦٣].

بَارَكَ اللَّهُ لِي وَلَكُمْ فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، وَنَفَعَنِي وَإِيَّاكُمْ بِمَا فِيهِ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ، أَقُولُ مَا سَمِعْتُمْ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ لِي وَلَكُمْ وَلِسَائِرِ الْمُسْلِمِينَ، مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ وَخَطِيئَةٍ، فَاسْتَغْفِرُوهُ وَتَوَبُّوا إِلَيْهِ، إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ.

(١) يُقَالُ: لَيْتَ شِعْرِي مَا صَنَعَ فَلَانٌ: أَي: لَيْتَنِي أَعْلَمُ مَا صَنَعَ. المعجم الوسيط (شعر).

(٢) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «سَيَأْتِي عَلَى النَّاسِ سَنَوَاتٌ خَدَاعَاتٌ، يُصَدَّقُ فِيهَا الْكَاذِبُ، وَيُكَذَّبُ فِيهَا الصَّادِقُ، وَيُؤْتَمَنُ فِيهَا الْخَائِنُ، وَيُجَوَّنُ فِيهَا الْأَمِينُ، وَيَنْطِقُ فِيهَا الرُّوَيْبِضَةُ»، قِيلَ: وَمَا الرُّوَيْبِضَةُ؟ قَالَ: «الرَّجُلُ التَّافَهُ فِي أَمْرِ الْعَامَةِ». أَخْرَجَهُ ابْنُ مَاجَه (٢/ ١٣٣٩، رقم ٤٠٣٦).

الخطبة الثانية:

الحمد لله على إحسانه، والشكر على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله تعظيماً لشانه، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الداعي إلى جنّته ورضوانه، صَلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأعوانه، أمّا بعدُ:

أيّها الإخوة: نقول هذا الكلام بعد أن امتلأت وسائل الإعلام المختلفة عبْرَ القنوات والإنترنت مِن دُعاة هذه الكلمة؛ مُستغِلّةً هذه الأحداث التي تُعصف بالدُّول والمنطقة.

إن الإصلاح على اسمه صالح، ولكن كيف يكون الإصلاح؟ وكيف يُنادى به؟ وما هي الطُّرُق لإصلاح المجتمعات والحكومات؟

و لن تتغير المجتمعاتُ إلى الأحسن أو تَرْقى رُقِيّاً يَطْغى على المصالح الذاتية والحزبية ما لم يتغير الناس نحو التعامل مع سُنَنِ الله الشرعية، فالله - جَلَّ وَعَلَا - أَمَرَ بعبادته وبِحُسْن الاعتقاد مُجَاهَهُ، وبمكارم الأخلاق، وبضرورة التعامل الاقتصادي وَفْق شَرْعِهِ، ومعالجة المشكلات الاجتماعية من منظور الكتاب والسنة، والمناهج التربوية مِنْ مُنْطَلَقِ مفردات التأصيل الشرعي، وإذا لم يتغير الناس وَفْق هذه السنن لن تتبدّل أحوالهم نحو الأصلح والأمثل لمجرد ذهاب شخص وإتيان آخر، وإن تَغْنَى مَنْ تَغْنَى بذلك.

وفي الوقت نفسه ما لم تَتَّجِهْ الأنظمةُ نحو القِيَمِ العُلَيَّا، والعدْل، وإعطاء الحقوق، وتَجَنُّبِ الظلم، والاعتداء على حقوق الناس وأموالهم، والنظر إلى

المصالح العليا على حساب المصالح الخاصة، ما لم يكن كذلك فالمعادلة واحدة، والنتيجة واحدة، من استمرار السلبيات، وتفاقم المشكلات.

وإن مما يجب أن يُعَلَّم: أن حُسْن الغاية لا يُبَرِّر الوسيلة، وهذه قاعدة راسخة من أعظم القواعد في الإصلاح، أي إنه لا يجوز الوصول إلى الغاية الشريفة بوسائل محرمة، مهما كان حُسْن الغاية وشرُفها وعِظَمها، وبذلك يجب تحكيم الشرع في هذه الوسائل.

ومن ذلك: الانتحار وحرق الأجساد والأنفس، والتعدي على الممتلكات، والتخريب والدمار. ولقد مرَّ على النبي ﷺ وأصحابه من الضيق والشدة والكرب في مكة وفي المدينة ما لم يَمُرَّ مثله على كثيرين مما لا يَعْلَمُه إلا الله تعالى، لكنه ﷺ لم يتجاوز المشروع إلى الممنوع؛ بل رسم منهجاً يجب أن يَقْتَفِيَه أهل الإصلاح، عنوانه: (العمل والصبر)، مهما كانت الأحوال، ومهما بَلَغَتْ مِنَ الضيق والشدة.

ولا شك أن هذا المنهج يَنْفِي رُدُودَ الأفعال السلبية، والعواطف غير المرشدة، كما يَنْفِي الجمودَ وعَدَمَ التحرك للإصلاح، والقعود والكسل.

وختاماً نقول: إن الله حَافِظُ دِينِهِ، ولن يُطْفِئَ نورَ الله أفواه المنافقين، مهما بذلُوا وكتبُوا. فالدين محفوظ ومنصور، والله غَالِبٌ على أمرِهِ، ولكنَّ أَكْثَرَ الناس لا يعلمون.

ثم صلُّوا وسلِّمُوا على رسولِ الهدى، وإمام الورى، فقد أمركم ربُّكم فقال -جل وعلا-: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا

صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿[الأحزاب: ٥٦]، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى نَبِيِّنا محمدٍ، وعلى آلِهِ وصحبه أجمعين، وارْضَ اللَّهُمَّ عن الخلفاء الراشدين، وَالْأُئِمَّةِ الْمُهَدِّينَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَلِيٍّ، وعن الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ، وعنَّا معهم بعفوك وكرمك يا أكرم الأكرمين.

اللَّهُمَّ أعزَّ الإسلام والمسلمين، وانصر عبادك الموحدين الذين يجاهدون في سبيلك في كل مكان، اللَّهُمَّ انصرهم على عدوك وعدوهم، اللَّهُمَّ عليك باليهود المعتدين، والنصارى المحاربين، اللَّهُمَّ عليك بهم؛ فإنهم لا يعجزونك، اللَّهُمَّ أحصهم عددًا.

اللَّهُمَّ آمِنًا في أوطاننا، وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا، اللَّهُمَّ وفقهم لما يرضيك، وجنبهم معاصيك.

اللَّهُمَّ تب على التائبين، واهد ضالَّ المسلمين، اللَّهُمَّ رُدِّهم إليك ردًّا جميلًا، اللَّهُمَّ ارفع ما نزل من الفتن.

اللَّهُمَّ اغفر لنا ولوالدينا.

عباد الله! ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠]، فاذكروا الله العلي العظيم يذكركم، واشكروه على نعمكم يزدكم، ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

أحكام الأضحية وفضل يوم عرفة

الخطبة الأولى:

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ، وَمَنْ سَارَ عَلَى مَهْنَجِهِ وَاقْتَفَى أَثَرَهُ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ. وَبَعْدُ:

فَاتَّقُوا اللَّهَ - أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ - ﴿يَتَأَيَّأُ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

إِخْوَتِي فِي اللَّهِ: أَنْتُمْ فِي أَيَّامٍ عَظِيمَةٍ، عَظَّمَهَا اللَّهُ - جَلَّ وَعَلَا -، وَخَصَّهَا بِخَصَائِصٍ، وَاللَّهُ يُخَلِّقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ، ثُمَّ إِنَّ مِنْ سُنَّةِ الْمُصْطَفَى ﷺ فِي هَذِهِ الْعَشْرِ عِبَادَةَ الذَّبْحِ، فَالْأُضْحِيَّةِ مِنْ أَفْضَلِ الْأَعْمَالِ، فَقَدْ ضَحَّى النَّبِيُّ ﷺ بِكَبْشَيْنِ أَقْرَنَيْنِ^(١) أَمْلَحَيْنِ^(٢)، كَمَا فِي الصَّحِيحَيْنِ^(٣)، وَعِنْدَ الْبُخَارِيِّ فِي رَوَايَةٍ

(١) مثنى أَقْرَنَ، وَهُوَ كَبِيرُ الْقَرْنِ. اللِّسَانُ (قَرْن).

(٢) مثنى أَمْلَحَ، وَهُوَ الَّذِي بَيَاضُهُ أَكْثَرُ مِنْ سَوَادِهِ. وَقِيلَ: هُوَ النَّقِيُّ الْبَيَاضُ. النِّهَايَةُ فِي غَرِيبِ الْحَدِيثِ وَالْأَثَرِ (مَلَح).

(٣) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٢/١٣٩، رَقْم ١٥٥١)، وَمُسْلِمٌ (٣/١٥٥٧، رَقْم ١٩٦٦).

مُعَلَّقَةٌ: «سَمِينَيْنِ»^(١).

فلا تَحْرِمَ نَفْسَكَ هَذَا الْفَضْلَ الْعَظِيمَ، فَيُشْرَعُ أَنْ يُضَحِّيَ الْمُسْلِمُ عَنْ نَفْسِهِ، وَعَنْ أَهْلِ بَيْتِهِ، يَذْبَحُهَا طَيِّبَةً بِهَا نَفْسُهُ، مُتَقَرِّبًا بِهَا إِلَى اللَّهِ: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢]، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ﴾ [الكوثر: ٢]، وَعَنْ عِكْرَمَةَ وَعَطَاءٍ وَالْحَسَنِ وَقَتَادَةَ وَمُجَاهِدٍ: أَيُّ: إِذَا صَلَّيْتَ يَوْمَ الْأَضْحَى فَانْحَرْ. قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (المراد بالَنْحَرِ: ذَبْحُ الْمَنَاسِكِ؛ وَلِهَذَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُصَلِّي الْعِيدَ، ثُمَّ يَنْحَرُ نُسُكَهُ)^(٢).

وَقَالَ السَّعْدِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (خَصَّ هَاتَيْنِ الْعِبَادَتَيْنِ بِالذِّكْرِ لِأَنَّهَا أَفْضَلُ الْعِبَادَاتِ، وَأَجَلُ الْقُرْبَاتِ... وَفِي النَّحْرِ تَقَرُّبٌ إِلَى اللَّهِ بِأَفْضَلِ مَا عِنْدَ الْعَبْدِ مِنَ الْأَضَاحِيِّ، وَإِخْرَاجٌ لِلْمَالِ الَّذِي جُبِلَتْ النَفُوسُ عَلَى مَحَبَّتِهِ وَالشُّحُّ بِهِ)^(٣).

وَقَالَ ابْنُ عُثَيْمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (وَهِيَ [أَيُّ الْأَضْحِيَّةِ] مِنْ نِعْمَةِ اللَّهِ عَلَى الْإِنْسَانِ، أَنْ يُشْرَعَ لِلْمُسْلِمِ مَا يُشَارِكُ بِهِ أَهْلَ مَوْسَمِ الْحَجِّ؛ لِأَنَّ أَهْلَ الْمَوْسَمِ لَهُمُ الْحَجُّ وَالْهَدْيُ، وَأَهْلُ الْأَمْصَارِ لَهُمُ الْأَضْحِيَّةُ)^(٤).

وَمِنْ أَحْكَامِ هَذِهِ الْعِبَادَةِ أَنَّهُ لَا يُضَحَّى إِلَّا بِالشَّيْءِ مِنَ الْإِبِلِ، وَهُوَ مَا تَمَّ لَهُ خَمْسَ سَنِينَ، وَالشَّيْءُ مِنَ الْبَقَرِ، وَهُوَ مَا تَمَّ لَهُ سِتَتَانِ، وَالشَّيْءُ مِنَ الْمَعْزِ، وَهُوَ

(١) أخرجه البخاري معلقاً (٧/ ١٠٠).

(٢) تفسير ابن كثير (٨/ ٤٧٦).

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدى (١/ ٩٣٥).

(٤) الشرح الممتع على زاد المستنقع لابن عثيمين (٧/ ٤٢٢).

ما تَمَّ له سنة، والجَدَع من الضَّان، وهو ما تم له نصف سنة. وما دون ذلك لا يُجْزئُ.

فعلَيْكُمْ -أَيُّهَا الْبَاعَةُ- أَنْ تَتَّقُوا اللَّهَ فِي أَسْنَانٍ مَا تَجْلِبُونَ، فَإِنْ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَا يَعْرِفُ السَّنَّ، وَإِنَّمَا يَكِلُ الْأَمْرَ إِلَى ذِمَّتِكُمْ، فَإِنْ كُنْتَ لَا تَعْلَمُ فَاسْأَلْ أَهْلَ الْخُبْرَةِ فِي ذَلِكَ، وَلَا تَعْرِضْ -أَيُّهَا الْبَائِعُ- شَيْئًا لَمْ يَبْلُغِ السَّنَّ الْمُجْزِئَ.

وَمِنْ أخطاء بعض الناس: أَنْ أَيَّ عَيْبٍ فِي الْأُضْحِيَّةِ يَظُنُّ لَا يُجْزِئُ ذَبْحَهَا، وَهَذَا فَهْمٌ غَيْرٌ صَحِيحٌ، فَهَنَّاكَ عِيُوبٌ لَا تُجْزِئُ، وَهَنَّاكَ عِيُوبٌ تَجْزِئُ مَعَهَا الْأُضْحِيَّةُ، وَلَكِنْ غَيْرُهَا أَوْلَى مِنْهَا، وَهَنَّاكَ مَا يُظَنُّ أَنَّهُ عَيْبٌ وَلَيْسَ كَذَلِكَ.

فَأَمَّا الْعِيُوبُ الَّتِي لَا تُجْزِئُ مَعَهَا الْأُضْحِيَّةُ: فَقَدْ ذَكَرَهَا النَّبِيُّ ﷺ فِيَمَا رَوَاهُ أَحْمَدُ وَغَيْرُهُ مِنْ حَدِيثِ عُبَيْدِ بْنِ فَيْرُوزَ قَالَ: قُلْتُ لِلْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَا نَهَى عَنْهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْأَصْحَائِيَّ أَوْ مَا يُكْرَهُ، قَالَ: قَامَ فِينَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَيَدَيَّ أَقْصَرُ مِنْ يَدِهِ فَقَالَ: «أَرْبَعٌ لَا يُجْزَنُ: الْعَوْرَاءُ الْبَيِّنُ عَوْرُهَا، وَالْمَرِيضَةُ الْبَيِّنُ مَرَضُهَا، وَالْعَرْجَاءُ الْبَيِّنُ ظَلْعُهَا»^(١)، وَالْكَسِيرُ الَّتِي لَا تُنْقِي^(٢). قُلْتُ إِنِّي أَكْرَهُ أَنْ يَكُونَ فِي السَّنِّ نَقْصٌ وَفِي الْأُذُنِ نَقْصٌ وَفِي الْقَرْنِ نَقْصٌ، قَالَ: «مَا كَرِهْتَ فَدَعُهُ وَلَا تُحَرِّمُهُ عَلَى أَحَدٍ»^(٣). فَذَكَرَ أَرْبَعَةَ عِيُوبٍ

(١) أي: عرجها. انظر: النهاية (ظلع).

(٢) أي: التي لا تُنْقِي لها؛ لضعفها وهزلها. النهاية (نقا).

(٣) أخرجه أبو داود (٩٧/٣)، رقم (٢٨٠٢)، والنسائي (٢١٤/٧)، رقم (٤٣٦٩)، وابن ماجه (١٠٥٠/٢)، رقم (٣١٤٤)، وأحمد (١٢٧/٨)، رقم (١٨٨٠٤).

فقط: العَرَجُ البَيِّن، وهو الذي يمنع من مسايرة الصحيحات، والعيور البَيِّن بأن تكون العين عوراء بارزة أو هابطة، والمرض البين وهو الذي يظهر أثره عليها، ومنه الجرب والهزال الذي أذهب مُحَمَّها، وعليه فتجزئ الأُصْحِيَّة مقطوعة الأُذُن، ولكن مع الكراهة؛ لحديث علي رضي الله عنه عند أبي داود قال: أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ نَسْتَشْرِفَ^(١) الْعَيْنَ وَالْأُذُنَيْنِ وَلَا نُضْحِي بِعُورَاءَ، وَلَا مُقَابِلَةً^(٢)، وَلَا مُدَابِرَةً^(٣)، وَلَا خَرْقَاءَ^(٤)، وَلَا شَرْقَاءَ^(٥). وهذه الأوصاف طُرُق لِشَقِّ الْأُذُنِ عِنْدَ النَّاسِ.

وكذلك تُجْزَى الأُصْحِيَّةُ إذا كانت مَكْسُورَةً الْقَرْنَ، وكذلك التي سَقَطَتْ أَسْنَانُهَا -إلا أن تكون كبيرة لا مُخَّ فيها-، وكذلك مقطوعة الذَّنْبُ وأمثالها تُجْزَى مع الكراهة. أمَّا مَا قُطِعَتْ أَلْيَتُهُ مِنَ الضَّأْنِ فَإِنَّهُ لَا يُجْزَى؛ لِأَنَّ الْأَلْيَةَ لَهَا قِيَمَةٌ؛ إِلَّا إِنْ كَانَتْ مِنْ نَوْعٍ لَا أَلْيَةَ لَهُ فِي أَصْلِ الْخِلْقَةِ، فَلَا بَأْسَ بِهِ.

وبعض الناس يَتَحَرَّجُ فِي الأُصْحِيَّةِ مِنَ الْكَبْشِ الْخَصِيِّ، وهذا غير صحيح، فقد جاء في السُّنَّةِ كما عند أحمد في مسنده أن النبي ﷺ ضَحَّى بِكَبْشَيْنِ مَوْجِيَيْنِ، أَيَّ خَصِيَيْنِ^(٦). والإجماع منعقد على إجزائه، بل إن تَمَيَّزَ

(١) الاستشراف: تأمل السلامة من الآفة. انظر: النهاية (شرف).

(٢) هي ما قُطِعَ طَرَفُ أُذُنِهَا. شرح الزرقاني (٣/ ٩٤).

(٣) هي التي قُطِعَ من مؤخر أذنها شيء ثم تُرِكَ مُعَلَّقًا. انظر: النهاية (دبر).

(٤) هي التي في أنفها نَقَبٌ مستدير. النهاية (خرق).

(٥) هي المشقوقة الأذن باثنتين. النهاية (شرق).

(٦) أخرجه أبو داود (٣/ ٩٧، رقم ٢٨٠٤).

(٧) أخرجه أحمد (١٢/ ٤١، رقم ٢٦٤٨٣).

الْحَصِيِّ بِأَنْ صَارَ أَطْيَبَ لَحْمًا - وهو الغالب - صار أفضل، وقُدِّمَ على غيره.
واعلموا أن الأُضْحِيَّةَ أفضلُ من التَّصَدُّقِ بَشْمَنِهَا؛ لأنها شَعِيرَةٌ من
شَعَائِرِ اللَّهِ، أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ: ﴿وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ
شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافٍ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا
وَأَطِيعُوا أَلْقَانِعَ وَالْمُعَتَرِّ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾ لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومُهَا
وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا
هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الحج: ٣٦ - ٣٧].

بَارَكَ اللَّهُ لِي وَلَكُمْ فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات
والذِّكْرِ الْحَكِيمِ، أَقُولُ مَا سَمِعْتُمْ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ لِي وَلَكُمْ وَلِسَائِرِ
المسلمين من كل ذنب وخطيئة، فاستغفروه وتوبوا إليه، إنه هو الغفور
الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمدُ لله على إحسانه، والشُّكرُ على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله
إلا الله تعظيماً لِسَانِهِ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، الداعي إلى جنته
ورضوانه، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ، وعلى آله وأصحابه وأعوانه.

أَمَّا بَعْدُ:

عِبَادَ اللَّهِ: إِنَّ مِنْ أَعْظَمِ أَيَّامِكُمْ هو يوم عرفة، يوم المَبَاهَاةِ، وهو يوم
الْعِتْقِ مِنَ النَّارِ، فَقَدْ أَخْرَجَ الْإِمَامُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَا

مِنْ يَوْمٍ أَكْثَرَ مِنْ أَنْ يُعْتَقَ اللَّهُ فِيهِ عَبْدًا مِنَ النَّارِ مِنْ يَوْمِ عَرَفَةَ...»^(١)، الْحَدِيثُ،
وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَالْفَجْرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ۝٢ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ۝٣﴾ [الفجر: ١: ٣]، قَالَ ابْنُ
عَبَّاسٍ: (الشَّفْعُ يَوْمُ الْأَضْحَى، وَالْوَتْرُ يَوْمُ عَرَفَةَ)^(٢)، وَهُوَ قَوْلُ عِكْرَمَةَ
وَالضَّحَّاكِ. وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَشَهِدِ وَمَشْهُودٌ﴾
[البروج: ٣]، قَالَ: الشَّاهِدُ يَوْمُ الْجُمُعَةِ، وَالْمَشْهُودُ يَوْمُ عَرَفَةَ، وَجَاءَ ذَلِكَ
مَرْفُوعًا إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.^(٣) وَكَيْفَ لَا؟! وَهُوَ يَوْمُ يُبَاهِي اللَّهُ بَعَادَهُ، وَفِيهِ يُشْرَعُ
التَّكْبِيرُ أَذْبَارَ الصَّلَوَاتِ الْمَفْرُوضَاتِ، وَتَبْدَأُ مِنْ فَجْرِ يَوْمِ عَرَفَةَ إِلَى عَصْرِ الْيَوْمِ
الثَّلَاثِ مِنْ أَيَّامِ الشَّرِيقِ، فَهَذِهِ ثَلَاثٌ وَعِشْرُونَ فَرِيضَةً، تُكَبَّرُونَ بَعْدَهَا
وَتَقُولُونَ: اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ، اللَّهُ
أَكْبَرُ كَبِيرًا، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ كَثِيرًا، وَسُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ وَبِحَمْدِهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا.

وَيُشْرَعُ فِي هَذَا الْيَوْمِ الذِّكْرُ وَشَهَادَةُ التَّوْحِيدِ، كَمَا جَاءَ ذَلِكَ مِنْ حَدِيثِ
عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ عِنْدَ التِّرْمِذِيِّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «خَيْرُ الدُّعَاءِ
دُعَاءُ يَوْمِ عَرَفَةَ، وَخَيْرُ مَا قُلْتُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحْدَهُ لَا
شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ»^(٤). وَمِنْ أَعْظَمِ
الْعِبَادَاتِ صِيَامُهُ، فَقَدْ أَخْرَجَ الْإِمَامُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ، مِنْ حَدِيثِ أَبِي قَتَادَةَ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَفِيهِ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «... صِيَامُ يَوْمِ عَرَفَةَ أَحْتَسِبُ عَلَى اللَّهِ أَنْ يُكَفِّرَ

(١) أخرجه مسلم (٢/٩٨٢، رقم ١٣٤٨).

(٢) تفسير مجاهد (١/٧٢٦).

(٣) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٣/٢٩٨، رقم ٣٤٥٨)، والبيهقي في فضائل الأوقات (١/٣٤٩، رقم ١٧٦).

(٤) أخرجه الترمذي (٥/٥٧٢، رقم ٣٥٨٥).

السَّنةَ الَّتِي قَبْلَهُ وَالسَّنةَ الَّتِي بَعْدَهُ»^(١).

عِبَادَ اللَّهِ، إِنَّ يَوْمَ عَرَفَةَ لَمْ يُخْتَصَّ فَضْلُهُ لِلْحَجِّجِ فَقَطْ؛ بَلْ هُوَ لِكُلِّ الْمُوَحِّدِينَ، فَفَضِيلَةُ الْعِتْقِ مِنَ النَّارِ وَالْجَوَائِزُ يَنَالُهَا كُلُّ مَنْ تَوَفَّرَتْ فِيهِ أَسْبَابُ النِّجَاحِ، فَلَا تَزْهَدُوا فِي يَوْمِكُمْ، وَلَا يَخْذُلَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ بِالتَّقَاعُسِ وَالتَّكَاسُلِ فِي هَذَا الْيَوْمِ، وَلِنَسْتَمِعَ إِلَى كَلَامِ الْحَافِظِ ابْنِ رَجَبٍ رحمته الله وَهُوَ يَقُولُ: (العيد الثاني: عيد النحر، وهو أكبر العيدين وأفضلهما، وهو مترتب على إكمال الحج، وهو الركن الرابع من أركان الإسلام ومبانيه، فإذا أكمل المسلمون حَجَّهْمُ غُفِرَ لَهُمْ، وَإِنَّمَا يَكْمُلُ الْحَجُّ يَوْمَ عَرَفَةَ، وَالْوُقُوفُ بِعَرَفَةَ، فَإِنَّهُ رُكْنُ الْحَجِّ الْأَعْظَمِ، كَمَا قَالَ عليه السلام: «الْحَجُّ عَرَفَةُ»^(٢)، وَيَوْمَ عَرَفَةَ هُوَ يَوْمُ الْعِتْقِ مِنَ النَّارِ، فَيُعْتَقُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ مَنْ وَقَفَ بِعَرَفَةَ وَمَنْ لَمْ يَقِفْ بِهَا مِنْ أَهْلِ الْأَمْصَارِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ؛ فَلِذَلِكَ صَارَ الْيَوْمُ الَّذِي يَلِيهِ عِيدًا لْجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ فِي جَمِيعِ أَمْصَارِهِمْ، مَنْ شَهِدَ الْمَوْسِمَ مِنْهُمْ وَمَنْ لَمْ يَشْهَدْ؛ لِاشْتِرَاكِهِمْ فِي الْعِتْقِ وَالْمَغْفِرَةِ يَوْمَ عَرَفَةَ، وَإِنَّمَا لَمْ يَشْتَرِكِ الْمُسْلِمُونَ كُلُّهُمْ فِي الْحَجِّ كُلِّ عَامٍ؛ رَحْمَةً مِنَ اللَّهِ وَتَخْفِيفًا عَلَى عِبَادِهِ، فَإِنَّهُ جَعَلَ الْحَجَّ فَرِيضَةَ الْعُمْرِ، لَا فَرِيضَةً كُلِّ عَامٍ، وَإِنَّمَا هُوَ فِي كُلِّ عَامٍ فَرَضٌ كَفَايَةً، بِخِلَافِ الصِّيَامِ؛ فَإِنَّهُ فَرِيضَةٌ كُلِّ عَامٍ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ، فَإِذَا كَمُلَ يَوْمُ عَرَفَةَ، وَأَعْتَقَ اللَّهُ عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ مِنَ النَّارِ، اشْتَرَكَ الْمُسْلِمُونَ كُلُّهُمْ فِي الْعِيدِ عَقَبَ ذَلِكَ، وَشَرَعَ لِلْجَمِيعِ التَّقَرُّبَ إِلَيْهِ بِالنُّسُكِ،

(١) أخرجه مسلم (٨١٨/٢)، رقم (١١٦٢).

(٢) أخرجه الترمذي (٢٢٨/٣)، رقم (٨٨٩)، والنسائي (٢٥٦/٥)، رقم (٣٠١٦)، وابن ماجه (١٠٠٣/٢)، رقم (٣٠١٥)، وأحمد (١٨٧/٨)، رقم (١٩٠٧٦).

وهو إراقة دماء القرايين، فأهْلُ الموسم يرمون الجمرة، فيشرعون في التحلُّل من إحرامهم بالحج، وَيَقْضُونَ تَفَثَهُمْ^(١)، وَيُوفُونَ نَذْوَرَهُمْ، وَيُقَرَّبُونَ قَرَابِينَهُمْ مِنَ الْهَدَايَا، ثُمَّ يَطُوفُونَ بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ، وَأَهْلُ الْأَمْصَارِ يَجْتَمِعُونَ عَلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَتَكْبِيرِهِ وَالصَّلَاةِ لَهُ^(٢).

وعلى هذا فاجتهدوا وَفَقَّكُمْ اللَّهُ، فالله شاكر عليم، وهو الجَوَادُ الكريم، واحرصوا على شهود صلاة العيد، قال مَخْنَفُ بْنُ سُلَيْمٍ وهو معدود من الصحابة: (الخروج يوم الفطر يَعْدِلُ عُمْرَةً، والخروج يوم الأضحى يَعْدِلُ حِجَةً)^(٣)، فَمَنْ طَمِعَ فِي الْعَتَقِ مِنَ النَّارِ وَمَغْفِرَةِ ذَنْبِهِ فِي يَوْمِ عَرَفَةَ فَلْيُحَافِظْ عَلَى الْأَسْبَابِ الَّتِي يُرْجَى بِهَا الْعَتَقُ وَالْمَغْفِرَةُ، والتي منها: صيام ذلك اليوم، وَحِفْظُ جَوْرَاحِهِ مِنَ الْمَحْرَمَاتِ فِي ذَاكَ الْيَوْمِ، ففي مسند الإمام أحمد عن ابن عباس عن النبي ﷺ أنه قال يوم عرفة: «إِنَّ هَذَا يَوْمٌ مَنْ مَلَكَ فِيهِ سَمِعَهُ وَبَصَرَهُ وَلِسَانَهُ غُفِرَ لَهُ»^(٤)، والإكثار من شهادة التوحيد بإخلاص وصدق، فإنها أصل دين الإسلام الذي أكَمَلَهُ اللهُ تعالى في ذلك اليوم، ولهذا كان أكثر دُعاء النبي ﷺ يوم عرفة: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الْحَمْدُ، بِيَدِهِ الْخَيْرُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ»^(٥).

(١) هو ما يَفْعَلُهُ الْمُحْرِمُ بِالْحَجِّ إِذَا حَلَّ، كَقَصِّ الشَّارِبِ وَالْأُظْفَارِ، وَنَتْفِ الْإِبِطِ، وَحَلْقِ الْعَانَةِ. وقيل: هو إذهاب الشَّعَثِ وَالذَّرَنِ وَالْوَسَخِ مطلقاً. النهاية (تفت).

(٢) لطائف المعارف لابن رجب (١/٢٧٦).

(٣) المصدر السابق (١/٢٧٦).

(٤) أخرجه أحمد (٢/٢٦٠، رقم ٣٠٩٩).

(٥) أخرجه أحمد (٣/٤٤٣، رقم ٧٠٨٠).

اللهم يَسِّرْ على الْحُجَّاجِ حَاجَتَهُمْ، اللهم احْفَظْهُمْ وَتَقَبَّلْ مِنْهُمْ، اللهم اجْعَلْ حَجَّ هَذَا الْعَامِ أَمْنًا رَخَاءً، اللهم من أَرَادَهُمْ بِسُوءٍ فَاشْغَلْهُ بِنَفْسِهِ، واجْعَلْ كَيْدَهُ فِي نَحْرِهِ، اللهم رُدَّهُمْ إِلَى أوطَانِهِمْ سَالِمِينَ، اللهم اجْزِ الْعَامِلِينَ عَلَى شُؤْنِ الْحَجِّ خَيْرَ الْجَزَاءِ، اللهم ادْفَعْ عَنْهُمْ بِهِ الْبَلَاءَ وَالشَّقَاءَ، واجْعَلْهُ خَالِصًا لَوَجْهِكَ الْكَرِيمِ.

اِثْمُ صَلُّوا وَسَلِّمُوا عَلَى رَسُولِ الْهُدَى، وإمام الورى، فقد أَمَرَكُم رُبُّكُمْ فَقَالَ - جَل وَعَلَا -: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ، وَارْضَ اللَّهُمَّ عَنِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ، وَالْأَئِمَّةِ الْمُهَدِّينَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَلِيٍّ، وَعَنِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ، وَعَنَّا مَعَهُمْ بِعَفْوِكَ وَكَرَمِكَ يَا أَكْرَمَ الْأَكْرَمِينَ.

اللَّهُمَّ اعْزِزْ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَانصِرْ عِبَادَكَ الْمُوَحِّدِينَ الَّذِينَ يَجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِكَ فِي كُلِّ مَكَانٍ، اللَّهُمَّ انصِرْهُمْ عَلَى عَدُوِّكَ وَعَدُوِّهِمْ، اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِالْيَهُودِ الْمُعْتَدِينَ، وَالنَّصَارَى الْمُحَارِبِينَ، اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِهِمْ؛ فَإِنَّهُمْ لَا يَعْجِزُونَكَ، اللَّهُمَّ أَحْصِهِمْ عَدَدًا.

اللَّهُمَّ آمِنَّا فِي أوطَانِنَا، وَأَصْلِحْ أئِمَّتَنَا وَوُلاةَ أُمُورِنَا، اللَّهُمَّ وَفِّقْهُمْ لِمَا يَرْضِيكَ، وَجَنِّبْهُمْ مَعَاصِيكَ.

اللَّهُمَّ تَبْ عَلَى التَّائِبِينَ، وَاهْدِ ضَالَّ الْمُسْلِمِينَ، اللَّهُمَّ رُدَّهُمْ إِلَيْكَ رَدًّا جَمِيلًا، اللَّهُمَّ ارْفَعْ مَا نَزَلَ مِنَ الْفِتَنِ.

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِينَا.

عباد الله! ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ
الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠]،
فاذكروا الله العلي العظيم يذكركم، واشكروه على نعمكم يزدكم، ﴿وَلَذِكْرُ
اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

البدعة، وبدعة المولد

الخطبة الأولى:

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ، وَمَنْ سَارَ عَلَى مَهْجِهِ وَاقْتَفَى أَثَرَهُ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

أَمَّا بَعْدُ:

فَاتَّقُوا اللَّهَ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾.

مَعَشَرَ الْمُصَلِّينَ: مَا الَّذِي كَانَ يُكْرَّرُهُ ﷺ فِي كُلِّ خُطْبَةٍ جُمُعَةٍ؟ أَوْ مَا تَتَوَقَّعُ نَفْسُكَ أَنْ تَسْمَعَ مَا يُكْرَّرُهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي كُلِّ أُسْبُوعٍ - فِي خُطْبَتِهِ لِلْجُمُعَةِ - بَعْدَ الْأَمْرِ بِتَقْوَى اللَّهِ ﷻ؟!

لَقَدْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُكْرَّرُ مَا رَوَاهُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ مِنْ حَدِيثِ جَابِرٍ قَالَ: كَانَ إِذَا خَطَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرُ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلُّ بِدْعَةٍ

صَلَاةٌ^(١)، زاد النسائي: «وَكُلُّ صَلَاةٍ فِي النَّارِ»^(٢).

أين المتأسون برسول الله ﷺ لِيَحْذَرُوا من البدع كلها دون استثناء، خاف رسول الله ﷺ على أمته أشد الخوف من ابتداء البدع، والزيادة في شرع الله؛ بل قص عليهم ما أوحاه الله إليه من سيرة قوم ابتدعوا، فماذا كانت نهايتهم؟ قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً﴾، هذا ما جعله الله في قلوب أتباع عيسى عليه السلام وامتدحهم به، ثم قال: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ﴾ [الحديد: ٢٧]، فهم من ابتدع الرهبانية، وهي الانقطاع عن الدنيا للعبادة، والله لم يكتبها عليهم؛ لكنهم فعلوها ابتغاء رضوان الله، ظناً منهم أنه يورثهم ذلك، ولكن الله قطع وحكم بأن البدعة لا توصل إلى ذلك، فقال: ﴿فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾ [الحديد: ٢٧]، أي: ما قاموا برعايتها من إحسان هذه الرهبانية، وإنما تصرّفوا فيها كما يشاؤون، وفيه دليل على أن الإنسان إذا ابتدع بدعة فإنه لا يوفق لإقامتها، فيكون ضالاً في الأصل، وضالاً في الفرع؛ حتى ولو اجتهدوا، ولهذا لم يستثن الله منهم أحداً بأنه أمكنه أن يراعي هذه الرهبانية المبتدعة، ولهذا قال: ﴿فَأَتَيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَسِقُونَ﴾ [الحديد: ٢٧]، فقط من آمن، ومقتضاه التصديق، والعمل بالتنزيل.

وقد قال ابن عباس -رضي الله عنهما- في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ

(١) أخرجه مسلم (٢/٥٩٢، رقم ٨٦٧).

(٢) أخرجه النسائي (٣/١٨٨، رقم ١٥٧٨).

وَتَسْوَدُّ وُجُوهُ ﴿[آل عمران: ١٠٦]، قال كما في تفسير ابن أبي حاتم: (تبيضُ وجوهُ أهل السنة، وتَسْوَدُّ وجوه أهل البدعة)^(١). وعند ابن أبي حاتم أيضًا: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ لِعَائِشَةَ: «يَا عَائِشَةُ، ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا﴾ [الأنعام: ١٥٩]، هُمْ أَصْحَابُ الْأَهْوَاءِ وَالْبِدَعِ»^(٢).

كُلُّ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَجِدَ لِكُلِّ بِدْعَةٍ اسْتِحْسَانًا، وَإِلَّا فَكَيْفَ ضَلَّ النَّاسُ؟! ولهذا قَطَعَ رسول الله ﷺ هذا الأمر بِقَوَاعِدَ عَظِيمَةٍ، ففي الصحيحين عن رسول الله ﷺ: «مَنْ أَخَذَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ، فَهُوَ رَدٌّ»^(٣)، وفي رواية أُخْرَى لِمُسْلِمٍ: «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ»^(٤).

وَمِنْ قَوَاعِدِهِ ﷺ الَّتِي قَرَّرَهَا لِمُحَارَبَةِ الْبِدْعَةِ مَا رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ وَصَحَّحَهُ، عَنِ الْعِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «...فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمُهْدِيِّينَ، تَمَسَّكُوا بِهَا، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِدِ، وَإِيَّاكُمْ وَتُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»^(٥).

فهذه قاعدة أصيلة شرعية، تُرَدُّ إِلَيْهَا كُلُّ الْحَوَادِثِ: «فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمُهْدِيِّينَ»، ثم قال: «تَمَسَّكُوا بِهَا»، ولم يَكْتَفِ ﷺ بهذا؛ بل قال: «عَضُّوا عَلَيْهَا»، ولم يَكْتَفِ أيضًا بهذا؛ بل قال: «بِالنَّوَاجِدِ»،

(١) تفسير ابن أبي حاتم (٣/٧٢٩، رقم ٣٩٤٩).

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في التفسير (٥/١٤٣٠، رقم ٨١٥٣).

(٣) أخرجه البخاري (٣/١٨٤، رقم ٢٦٩٧)، ومسلم (٣/١٣٤٣، رقم ١٧١٨).

(٤) أخرجه مسلم (٣/١٣٤٣، رقم ١٧١٨).

(٥) أخرجه الترمذي (٥/٤٤، رقم ٢٦٧٦)، وأحمد (٧/٣١٦، رقم ١٧٤١٩)، واللفظ له.

وهي مؤخر الأضراس، وذلك لشدة العَضِّ والتمسُّك؛ ولهذا كان الصحابة - رضي الله عنهم - مُتَمَسِّكِينَ بالسُّنَّةِ أَشَدَّ التَّمَسُّكِ.

فَتَأَمَّلْ ما قاله حُذَيْفَةُ رضي الله عنه: (كُلُّ عِبَادَةٍ لَا يَتَعَبَّدُهَا أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَلَا تَعَبَّدُوهَا؛ فَإِنَّ الْأَوَّلَ لَمْ يَتْرُكْ لِلْآخِرِ مَقَالًا) ^(١).

واستمع إلى وصية ابن عم رسول الله ﷺ فوالله إنها لمن ناصح - رضي الله عنه وأرضاه - حيث يقول: (عليكم بالاستقامة والأثر، وإياكم والبِدْع)، وقال أيضًا: (مَنْ أَحْدَثَ رَأْيًا لَيْسَ فِي كِتَابِ اللَّهِ، وَلَمْ تَخْصُ بِهِ سُنَّةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَمْ يَدْرِ مَا هُوَ عَلَيْهِ إِذَا لَقِيَ اللَّهَ ﻋَﻠَيْهِ) ^(٢).

وقال سهل بن عبد الله التستري: (ما أَحْدَثَ أَحَدٌ فِي الْعِلْمِ شَيْئًا إِلَّا سُئِلَ عَنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَإِنْ وَافَقَ السُّنَّةَ سَلِمَ، وَإِلَّا فَلَا) ^(٣).

ويكفي الخائف الرَّاجِي ما رواه البخاري ومسلم من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الْخَوْضِ، مَنْ وَرَدَ شَرِبَ، وَمَنْ شَرِبَ لَمْ يَظْمَأْ أَبَدًا، وَلَيَرَدَنَّ عَلَيَّ أَقْوَامٌ أَعْرَفُهُمْ وَيَعْرِفُونِي، ثُمَّ يُحَالُ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ»، وفي لفظ فأقول: «إِنَّهُمْ مِنِّي»، فيقال: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَخْدَثُوا بَعْدَكَ، فَأَقُولُ: «سُحْقًا سُحْقًا لِمَنْ بَدَّلَ بَعْدِي» ^(٤)، فيا حَسْرَتَكَ إِنْ

(١) الباعث على إنكار البدع والحوادث لأبي شامة (ص ١٦)، وقد عزاه المؤلف - رحمه الله - لأبي داود في سننه، غير أننا لم نقف عليه؛ لا في سنن أبي داود، ولا في كتابه الزهد، فالله أعلم.

(٢) الاعتصام للشاطبي (١/ ١١٠)، والأثر عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) فتح الباري لابن حجر (١٣/ ٢٩٠).

(٤) أخرجه البخاري (٩/ ٤٦)، رقم (٧٠٥٠)، ومسلم (٤/ ١٧٩٣)، رقم (٢٢٩٠، ٢٢٩١).

مُنِعَتْ مِنَ الْحَوْضِ، أَعُوذُ بِاللّٰهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ: ﴿ثُمَّ لَا تَنِيَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ
وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَنِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٧].

بَارَكَ اللهُ لِي وَلَكُمْ فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، وَنَفَعَنِي وَإِيَّاكُمْ بِمَا فِيهِ مِنَ الْآيَاتِ
وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ، أَقُولُ مَا سَمِعْتُمْ، وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ الْعَظِيمَ لِي وَلَكُمْ وَلِسَائِرِ
الْمُسْلِمِينَ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ وَخَطِيئَةٍ، فَاسْتَغْفِرُوهُ وَتُوبُوا إِلَيْهِ، إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ
الرَّحِيمُ.

الخطبة الثانية:

الحمد لله على إحسانه، والشُّكْرُ على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله
إلا الله تعظيماً لشأنه، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، الداعي إلى جنته
ورضوانه، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَأَعْوَانِهِ.
أَمَّا بَعْدُ:

مَعْشَرَ الْمُصَلِّينَ: إِنَّ الْمَتَأَمِّلَ فِي وَاقِعِنَا يَرَى أَنَّ الْأَهْوَاءَ قَدْ اخْتَلَفَتْ فِي
عَصْرِنَا وَتَضَارَبَتْ، وَكُلُّ يَدَّعِي وَضْلاً بِحَقٍّ، وَلَكِنْ مَا كَانَ اللهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا
بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ، فَالْسُّنَّةُ وَاضِحَةٌ جَلِيَّةٌ، وَالْحَقُّ ظَاهِرٌ لِمَنْ
طَلَبَهُ، وَاللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ
يَسْتَنِيظُونَ مِنْهُمْ وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾
[النساء: ٨٣].

وَوَاللَّهِ، مَا أَصَابَ مَنْ أَصَابَ مِنَ الزَّيْغِ والضَّلَالَةِ من أهل السبيلين الإفراط والتفريط أهل الغلو والتنتع أهل الجفاء وتمييع الشريعة؛ إلا بسبب بدعة أو محبة مبتدع أو صاحب هوى، وإلا فإنه كما قال أهل العلم: (لم تجئ بدعة قط إلا من ألهج الرعاع أتباع كل ناعق، يميلون مع كل ريح، فمن كان هكذا فلا دين له)^(١).

وفي كل يوم يخرج لنا من ينشر الشبهة والأمور الشاذة بين الناس، فالأمر والحال كما أخبر النبي ﷺ: «وإنه من يعيش منكم بعدي فسرى اختلافا كثيرا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء من بعدي»^(٢)، فأصبحنا نسمع من يستهين ببدعة الاحتفال بمولد النبي ﷺ، ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا﴾ [الحديد: ٢٧]، ليلة محدّدة، وخطب مؤقّتة، إن لم يكن هذا تشريعاً جديداً وبدعةً حادثّة فكيف تكون البدعة إذن؟!

ولئن كان علمك لم يوصلك ولم يرشدك إلى أن هذا بدعة فاسأل الله الهداية، إذا كان أهل العلم اختلفوا في شرعية خطبة الخسوف والكسوف، واختلفوا في صلاة ركعتي الإحرام -مع أنها عبادات فاضلة أصلها مشروع- فكيف تُشرع الخطب وتؤقت في ليلة محدّدة؟! وهل لهذا نظير في الإسلام؟! ولا يمكن أن يوجد احتفال بتلك الليلة إلا بمثل هذا، وهو أقل ما يمكن، فكيف إذا خالطه أمور محرّمة، وألفاظ شركية بدعية؟! فكيف إذا

(١) شرح السنة للبرهاري (ص ٩٨).

(٢) أخرجه ابن أبي عاصم في السنة (١/ ٢٩، رقم ٥٤).

عَلِمْتُ أَنَّهُ لَمْ يَفْعَلْهُ رَسُولُ اللَّهِ بِاتِّفَاقِ أَهْلِ الْعِلْمِ، وَلَمْ يَفْعَلْهُ أَبُو بَكْرٍ وَلَا عُمَرُ وَلَا عِثْمَانُ وَلَا عَلِيٌّ بِإِجْمَاعِ أَهْلِ الْعِلْمِ؟! وَأَوَّلُ مَا ابْتَدَعَ بَعْدَ الْقُرُونِ الْمَفْضَلَةِ.

إِذَنْ، أَيْنَ كَلَامُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ مِنْ بَعْدِي»؟! أَيْنَ هُوَ؟!

ولقد جاءتْ عَبْرَ رَسَائِلِ الْجَوَالِ تَهْنِئَةٌ بِهَذَا الْعِيدِ الْبِدْعِيِّ، فَسَبِّحَانَ اللَّهَ، إِذَا كَانَ أَهْلُ الْعِلْمِ مُتَخَلِّفِينَ بِجَوَازِ التَّهْنِئَةِ بِالْعِيدِ الشَّرْعِيِّ، فَكَيْفَ بِهَذَا الْبِدْعِيِّ؟! وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: (كُلُّ بَدْعٍ ضَلَالَةٌ، وَإِنْ رَأَاهَا النَّاسُ حَسَنَةً) (١).

وَقَدْ أَنْكَرَ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلَى قَوْمٍ جُلُوسٍ فِي الْمَسْجِدِ مَعَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ حَصِيٌّ، وَبَيْنَهُمْ رَجُلٌ يَقُولُ: (كَبِّرُوا مِائَةً)، فَيُكَبِّرُونَ مِائَةً. فَيَقُولُ: (هَلِّلُوا مِائَةً)، فَيُهَلِّلُونَ مِائَةً، فَيَقُولُ: (سَبِّحُوا مِائَةً)، فَيُسَبِّحُونَ مِائَةً، وَقَالَ: (وَالَّذِي نَفْسِي فِي يَدِهِ، إِنَّكُمْ لَعَلَى مِلَّةٍ هِيَ أَهْدَى مِنْ مِلَّةِ مُحَمَّدٍ؟! أَوْ مُفْتَتِحُ بَابِ ضَلَالَةٍ؟)، قَالُوا: (مَا أَرَدْنَا إِلَّا الْخَيْرَ)، فَقَالَ: (وَكَمْ مِنْ مُرِيدٍ لِلْخَيْرِ لَنْ يُصِيبَهُ) (٢).

وَوَاللَّهِ، لَوْ عُرِضَتْ هَذِهِ عَلَى كَثِيرٍ مِنْ ابْنَيْ بَمَرَضِ الْقَلْبِ لاسْتَحْسَنَهَا وَأَمَرَ بِهَا؛ لَكِنْ هَذَا مِنْ فَهْمِ سَلَفِ الْأُمَّةِ لِحَظَرِ الْبِدْعَةِ، وَقَدْ قَالَ إِمَامُ دَارِ

(١) تقدم تخريجه.

(٢) أخرجه اللالكائي في شرح أصول الاعتقاد (١/ ١٠٤، رقم ١٢٦)، والبيهقي في المدخل إلى السنن الكبرى (ص ١٨٠، رقم ١٩١).

(٣) أخرجه الدارمي (١/ ٢٨٦، رقم ٢١٠) بإسناد صحيح.

الهجرة مالك رحمه الله: (مَنْ ابْتَدَعَ فِي الْإِسْلَامِ بَدْعَةً يَرَاهَا حَسَنَةً فَقَدْ زَعَمَ أَنَّ مُحَمَّدًا عليه السلام خَانَ الرِّسَالَةَ؛ لِأَنَّ اللَّهَ يَقُولُ: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، فما لم يَكُنْ يَوْمَئِذٍ دِينًا، فلا يَكُونُ الْيَوْمَ دِينًا^(١).

وقال الإمام الشافعي رحمه الله: (مَنْ اسْتَحْسَنَ فَقَدْ شَرَعَ)^(٢). وقال الإمام أحمد رحمه الله: (أُصُولُ السُّنَّةِ عِنْدَنَا: التَّمَسُّكُ بِمَا كَانَ عَلَيْهِ أَصْحَابُ الرُّسُولِ عليهم السلام، وَالِاقْتِدَاءُ بِهِمْ، وَتَرْكُ الْبِدْعِ، وَكُلُّ بَدْعَةٍ فَهِيَ ضَلَالَةٌ)^(٣).

أَلَا فَمَوُتُوا عَلَى السُّنَّةِ، وَاحْذَرُوا الْمُبْتَدِعَةَ، وَالدَّعَاةَ إِلَيْهَا، وَاحْذَرُوا مُجَالَسَتَهُمْ، قَالَ الْإِمَامُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ ابْنُ بَطَّةَ فِي كِتَابِهِ (الْإِبَانَةُ): (اعْلَمُوا - إِخْوَانِي - أَنِّي فَكَّرْتُ فِي السَّبَبِ الَّذِي أَخْرَجَ أَقْوَامًا مِنَ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، وَاضْطَرَّ لَهُمْ إِلَى الْبِدْعَةِ وَالشَّنَاعَةِ، وَفَتَحَ بَابَ الْبَلِيَّةِ عَلَى أَفْئِدَتِهِمْ، وَحَجَبَ نَوْرَ الْحَقِّ عَنْ بَصِيرَتِهِمْ، فَوَجَدْتُ ذَلِكَ مِنْ وَجْهَيْنِ: أَحَدُهُمَا: الْبَحْثُ وَالتَّنْقِيرُ، وَكَثْرَةُ السُّؤَالِ عَمَّا لَا يُغْنِي، وَلَا يَضُرُّ الْعَاقِلَ جَهْلُهُ، وَلَا يَنْفَعُ الْمُؤْمِنَ فَهْمُهُ، وَالْآخَرُ: مُجَالَسَةُ مَنْ لَا تُؤْمِنُ فِتْنَتُهُ، وَتُفْسِدُ الْقُلُوبَ صُحْبَتُهُ)^(٤).

وقال حماد بن زيد: سمعت أيوب يقول: (ما أعلم أحدًا من أهل الأهواء إلا يُجَاحِصُ بالمتشابه)^(٥). وقال ابن مسعود: (لا يزال الناس بخير ما

(١) الاعتصام للشاطبي (١/٦٤، ٦٥).

(٢) نهاية المطلب في دراية المذهب لإمام الحرمين (١٨/٤٧٣).

(٣) أصول السنة للإمام أحمد بن حنبل (ص ١٤، ١٥).

(٤) الإبانة الكبرى لابن بطة (١/٣٩٠).

(٥) المصدر السابق (٢/٥٠١، رقم ٥٦٠).

أَتَاهُمُ الْعِلْمُ مِنْ قَبْلِ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَأَكَابِرِهِمْ، فَإِذَا أَتَاهُمُ الْعِلْمُ مِنْ قَبْلِ أَصَاغِرِهِمْ فَذَلِكَ حِينَ هَلَكُوا^(١). وليس الصَّغَرُ خَاصًّا بِالسَّنِّ؛ بل عامٌّ حتى بِمَنْ قَلَّ عِلْمُهُ، وَأَعْجَبَهُ رَأْيُهُ.

وختامًا -أيها الإخوة- أَذْكُرُ كُلَّ مُتَكَلِّمٍ وَمُحَاجِّجٍ عَنِ الْبِدْعَةِ بِقَوْلِ أَبِي عَثْمَانَ الْحِيرِيِّ النِّسَابُورِيِّ: (مَنْ أَمَرَ السُّنَّةَ عَلَى نَفْسِهِ قَوْلًا وَفِعْلًا نَطَقَ بِالْحِكْمَةِ، وَمَنْ أَمَرَ الْهَوَى عَلَى نَفْسِهِ نَطَقَ بِالْبِدْعَةِ)^(٢).

ثُمَّ صَلُّوا وَسَلِّمُوا عَلَى رَسُولِ الْهُدَى، وَإِمَامِ الْوَرَى، فَقَدْ أَمَرَكُمُ رَبُّكُمْ فَقَالَ -جل وعلا-: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ، وَارْضَ اللَّهُمَّ عَنِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ، وَالْأَئِمَّةِ الْمُهَدِّينَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَلِيٍّ، وَعَنِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ، وَعَنَّا مَعَهُمْ بِعَفْوِكَ وَكَرَمِكَ يَا أَكْرَمَ الْأَكْرَمِينَ.

اللَّهُمَّ أعِزَّ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَانصِرْ عِبَادَكَ الْمُوَحِّدِينَ الَّذِينَ يَجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِكَ فِي كُلِّ مَكَانٍ، اللَّهُمَّ انصِرْهُمْ عَلَى عَدُوِّكَ وَعَدُوِّهِمْ، اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِالْيَهُودِ الْمُعْتَدِينَ، وَالنَّصَارَى الْمُحَارِبِينَ، اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِهِمْ؛ فَإِنَّهُمْ لَا يَعْجِزُونَكَ، اللَّهُمَّ أَحْصِهِمْ عَدَدًا.

اللَّهُمَّ آمِنَّا فِي أَوْطَانِنَا، وَأَصْلِحْ أَيْمَتَنَا وَوُلَاةَ أُمُورِنَا، اللَّهُمَّ وَفِّقْهُمْ لِمَا يَرْضِيكَ، وَجَنِّبْهُمْ مَعَاصِيكَ.

(١) أخرجه ابن المبارك في الزهد والرقائق (١/ ٢٨١)، رقم (٨١٥).

(٢) أخرجه أبو نعيم في الحلية (١٠/ ٢٤٤).

اللَّهُمَّ تب على التائبين، واهد ضالَّ المسلمين، اللَّهُمَّ رُدَّهُمْ إِلَيْكَ رَدًّا
 جميلاً، اللَّهُمَّ ارفع ما نزل من الفتن.
 اللَّهُمَّ اغفر لنا ولوالدينا.

عباد الله! ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ
 الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠]،
 فاذكروا الله العلي العظيم يذكركم، واشكروه على نعمكم يزدكم، ﴿وَلَذِكْرُ
 اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

التراويح

الخطبة الأولى:

إِن الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ، وَمَنْ سَارَ عَلَى نَهْجِهِ وَاقْتَفَى أَثَرَهُ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

أَمَّا بَعْدُ:

فَاتَّقُوا اللَّهَ أَيُّهَا الصَّائِمُونَ وَالصَّائِمَاتُ، ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لِمَلَكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣].

مَعَشَرُ الصَّائِمِينَ: شَهْرُ رَمَضَانَ رَحْلَةٌ مَعَ الْقُرْآنِ، هِيَ بِحَقِّ رَحْلَةٍ عَظِيمَةٍ، فَالصَّائِمُ يَعِيشُ مَعَهُ فِي كُلِّ وَقْتٍ؛ فِي بَيْتِهِ وَفِي مَسْجِدِهِ، وَيَسْمَعُهُ كَامِلًا فِي صَلَاةِ التَّرَاوِيحِ، وَيَتَأَمَّلُ مَعَانِيهِ وَأَلْفَاظَهُ، يُذَكِّرُنَا هَذَا بِحَالِ رَسُولِنَا ﷺ فِي رَمَضَانَ، فِي حَدِيثِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَجْوَدَ النَّاسِ، وَكَانَ أَجْوَدَ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ حِينَ يَلْقَاهُ جَبْرِيلُ، وَكَانَ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ فَيُدَارِسُهُ^(١) الْقُرْآنَ، فَلَرَسُولُ اللَّهِ

(١) أي: يقرأ معه. فتح الباري (١/١١٦).

عَلَيْهِ السَّلَامُ أَجُودَ بِالْخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ^(١). وفي رِوَايَةٍ: (فَيَعْرِضُ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ الْقُرْآنَ)^(٢).

ومع أنه رسول الله إلا أن هذه المَدَارَسَةَ مع جبريل أَثْمَرَتْ ثَمَرَةً عظيمة، فَأَصْبَحَ أَجُودَ ما يكون في رمضان، وَأَجُودَ بِالْخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ، وأنه لما كان يُدَارِسُهُ الْقُرْآنَ في كل ليلة من ليالي رمضان زادتْ مُعَايِنَتُهُ لِلْآخِرَةِ، فَأَخْرَجَ ما في يَدَيْهِ مِنَ الدُّنْيَا.

وفي صلاة التراويح تَسْمَعُ كَلَامَ اللَّهِ يُتْلَى في كل قيام، ثم تَتَخَنَّى رَاكِعًا بصورة رائعة الجمال بعد سماعك هذه العِظَاتِ، ثم ما تَلَبَّثَ أَنْ تَخْرُ سَاجِدًا مُعَفِّرًا وَجْهَكَ فِي الْأَرْضِ، مُعَلِّنًا وَمُقِرًّا بِعِبَادَتِكَ لِلَّهِ، ثم تَرْجِعُ مَرَّاتٍ لَتَقِفَ وَتَسْمَعَ مَوَاعِظَ الْقُلُوبِ مِنْ كَلَامِ الْبَارِي جَلَّ وَعَلَا.

وبعد هذا، أَفَلَا يَحِقُّ لِكُلِّ مَنْ فَرَّطَ سَنَوَاتٍ عَدِيدَةً فِي صَلَاةِ التَّرَاوِيحِ أَنْ يَلُومَ نَفْسَهُ وَيَسْأَلُهَا بِصَدَقٍ: ما الذي حَجَبَنِي عَنِ الْقَوْمِ؟! أَفَلَا أَسْتَحِقُّ هَذِهِ النِّعْمَةَ؟! لِمَ لَا أُصَلِّيُ مَعَ الْمُصَلِّينَ؟! ما هو الْخَيْرُ الَّذِي أَنشَغَلَ بِهِ عَنْ لَذَّةِ رَمَضَانَ، مَنْ مَنَعَنِي مِنْهُ؟! وَمَنْ حَجَبَنِي عَنْهُ؟! سَنَوَاتٍ عُمْرِي تَضِيعُ بِيَدِي، أَنَا مَنْ يُنْفِقُهَا، وَأَنَا مَنْ سِيحَاسَبَ عَلَيْهَا. إِنِّي لِأَعْجَبُ مِنْ رَجُلٍ لَا يَحْرُسُ عَلَى صَلَاةِ التَّرَاوِيحِ.

وانظر إلى حال الصحابة -رضي الله عنهم- مع رسول الله ﷺ كما رَوَى الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ، أَنَّ عَائِشَةَ، أَخْبَرَتْهُ أَنَّ

(١) أخرجه البخاري (٨/١، رقم ٦)، وأحمد (١٦٨/٢، رقم ٢٦٥٩).

(٢) أخرجه البخاري (١٨٦/٦، رقم ٤٩٩٧)، ومسلم (١٨٠٣/٤، رقم ٢٣٠٨).

رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَرَجَ مِنْ جَوْفِ اللَّيْلِ فَصَلَّى فِي الْمَسْجِدِ، فَصَلَّى رَجُلًا بِصَلَاتِهِ، فَأَصْبَحَ النَّاسُ يَتَحَدَّثُونَ بِذَلِكَ، فَاجْتَمَعَ أَكْثَرُ مِنْهُمْ، فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي اللَّيْلَةِ الثَّانِيَةِ، فَصَلُّوا بِصَلَاتِهِ، فَأَصْبَحَ النَّاسُ يَذْكُرُونَ ذَلِكَ، فَكَثُرَ أَهْلُ الْمَسْجِدِ مِنَ اللَّيْلَةِ الثَّالِثَةِ، فَخَرَجَ فَصَلُّوا بِصَلَاتِهِ، فَلَمَّا كَانَتِ اللَّيْلَةُ الرَّابِعَةُ عَجَزَ الْمَسْجِدُ عَنْ أَهْلِهِ، فَلَمْ يَخْرُجْ إِلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَطَفِقَ رَجُلٌ مِنْهُمْ يَقُولُونَ: الصَّلَاةُ، فَلَمْ يَخْرُجْ إِلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى خَرَجَ لِصَلَاةِ الْفَجْرِ، فَلَمَّا قَضَى الْفَجْرَ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ، ثُمَّ تَشَهَّدَ، فَقَالَ: «أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّهُ لَمْ يَخَفْ عَلَيَّ شَأْنُكُمْ اللَّيْلَةَ، وَلَكِنِّي خَشِيتُ أَنْ تُفْرَضَ عَلَيْكُمْ صَلَاةُ اللَّيْلِ فَتَعْجِزُوا عَنْهَا»^(١).

وحينما نُصَلِّي التراويحَ وتسمع كلامَ رَبِّكَ يَتَجَلَّى لَكَ كَمِّ هائل من المواعظ والحقائق بما لم تكن تدركه من ذي قبل، مع كثرة قراءتك له، فالقرآن لا تَنْقُضِي عَجَابُهُ، يستوقفك كلامُ ربنا عن نفسه ووَصْفَ ذاته بالصفات الكاملة، فانظُرْ كَمْ يُؤَثِّرُ فِيكَ حينما تقرأ قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ رُبُّهُ الْوَجْهَ الْجَبَلَ جَعَلَهُ دَكًّا﴾ [الأعراف: ١٤٣]، ويستوقفك عَذَابُهُ لِلْأُمَمِ الْكَافِرَةِ الْمُعَانِدَةِ: ﴿إِنْ أَخَذَهُ الْيَمُّ شَدِيدٌ﴾ [هود: ١٠٢]، وَيَتَجَلَّى لَكَ سَعَةُ عَفْوِهِ وَحُبُّهُ لِلْعَفْوِ وَالْمَغْفِرَةِ وَأَنْتِ تَسْتَمَعِ إِلَى قَوْلِهِ جَلَّ وَعَلَا: ﴿غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ﴾ [غافر: ٢]، ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾ [طه: ٨٢].

فالقرآن كتاب رحمةٍ وهُدًى، فأين طالب الحاجة؟ أين هو؟ يا صاحبَ المَرَضِ اقرَأ قِصَّةَ أَيُوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، أين المَظْلُومُ المَظْطَهَّدُ؟ اقرَأ قِصَّةَ يُوسُفَ

(١) أخرجه البخاري (١١/٢)، رقم (٩٢٤)، ومسلم (١/٥٢٤)، رقم (٧٦١)، واللفظ له.

ﷺ، أين الأب المكلوم^(١)؟ اقرأ قصة نوح ويعقوب وإبراهيم عليهم السلام.

تأملوا -إخوتي في الله- غاية البيان: ﴿طه ١﴾ مَا أُنزِلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَتَشْفَىٰ ﴿٢﴾ إِلَّا لَنَذْكُرَكَ لِمَن يَخْشَىٰ ﴿طه: ١: ٣﴾، روى مسلم في صحيحه وأحمد في مسنده من حديث ربيعة بن كعب الأسلمي قال: كُنْتُ أَيْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَاتَيْتُهُ بِوُضُوئِهِ^(٢) وَحَاجَّتِهِ، فَقَالَ لِي: «سَلْ»، فَقُلْتُ: أَسْأَلُكَ مُرَافَقَتَكَ فِي الْجَنَّةِ، قَالَ: «أَوْغَيْرَ ذَلِكَ» قُلْتُ: هُوَ ذَاكَ. قَالَ: «فَاعِنِّي عَلَىٰ نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ»^(٣)، فَمَهَرُ مُصَاحِبَةِ النَّبِيِّ ﷺ ومرافقته: كثرة السجود.

وَرَوَى مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ مِنْ حَدِيثِ مَعْدَانَ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ الْيَعْمَرِيِّ قَالَ: لَقِيتُ ثَوْبَانَ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقُلْتُ: أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ أَعْمَلُهُ يُدْخِلُنِي اللَّهُ بِهِ الْجَنَّةَ؟ أَوْ قَالَ قُلْتُ: بِأَحَبِّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ؟ فَسَكَتَ، ثُمَّ سَأَلْتُهُ فَسَكَتَ، ثُمَّ سَأَلْتُهُ الثَّالِثَةَ فَقَالَ: سَأَلْتُ عَنْ ذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «عَلَيْكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ لِلَّهِ، فَإِنَّكَ لَا تَسْجُدُ لِلَّهِ سَجْدَةً، إِلَّا رَفَعَكَ اللَّهُ بِهَا دَرَجَةً، وَحَطَّ عَنْكَ بِهَا خَطِيئَةٌ»^(٤).

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١].

(١) أي: المجروح. انظر: المعجم الوسيط (كلم).

(٢) الوُضُوء بالفتح: الماء الذي يُتَوَضَّأُ بِهِ. النهاية في غريب الحديث (وضاً).

(٣) أخرجه مسلم (١/٣٥٣، رقم ٤٨٩).

(٤) أخرجه مسلم (١/٣٥٣، رقم ٤٨٨).

بَارَكَ اللهُ لِي وَلَكُمْ فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، وَنَفَعَنِي وَإِيَّاكُمْ بِمَا فِيهِ مِنَ الْآيَاتِ
وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ، أَقُولُ مَا سَمِعْتُمْ، وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ الْعَظِيمَ لِي وَلَكُمْ وَلِسَائِرِ
الْمُسْلِمِينَ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ وَخَطِيئَةٍ، فَاسْتَغْفِرُوهُ وَتُوبُوا إِلَيْهِ، إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ
الرَّحِيمُ.

الخطبة الثانية:

الحمد لله على إحسانه، والشُّكْرُ على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن إله إلا
الله تعظيماً لشأنه، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الداعي إلى جنته ورضوانه،
صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَأَعْوَانِهِ.
أَمَّا بَعْدُ:

مَعَشَرَ الصَّائِمِينَ: الْإِنْسَانُ ضَعِيفٌ لَا قُوَّةَ لَهُ إِلَّا حِينَ يَتَّصِلُ بِرَبِّهِ،
الْإِنْسَانُ تُوَاجِهُهُ قُوَى الشَّرِّ، وَتَثْقُلُ عَلَيْهِ الْمَقَاوِمَةُ بَيْنَ دَفْعِ الشَّهَوَاتِ
وَإِغْرَاءَاتِ الْمَطَامِعِ، يَثْقُلُ عَلَيْهِ مُجَاهَدَةُ الطَّغْيَانِ، وَتَطُولُ بِهِ الْجَادَّةُ، وَتَبْعُدُ عَلَيْهِ
الشُّقَّةُ، لَيْسَ لَهُ فِي هَذِهِ الْأَمْوَاجِ الْعَاتِيَةِ، وَلَا مَفْزَعٌ لَهُ مِنَ التِّيَّارَاتِ الْجَارِفَةِ إِلَّا
بِالِاعْتِصَامِ بِاللَّهِ، وَاللِّيَازُ بِجَنَابِهِ، وَالْقُرْبُ مِنْهُ، وَمَنْ أَعْظَمَ مَا يَلُودُ بِهِ الْعَبْدُ
صَلَاةُ اللَّيْلِ؛ وَخَاصَّةً فِي رَمَضَانَ، فِي صَلَاةِ التَّرَاوِيحِ، وَهِيَ مِنْ أَعْظَمِ
الْعِبَادَاتِ وَأَنْفَعِهَا عَلَى الْقَلْبِ؛ بِسَبَبِ هَذَا الْإِتِّصَالِ بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْأَعْلَى، فِي
صُورَةٍ مِنَ التَّعَبُّدِ بَهِيَّةٍ بَهِيَّةٍ، فَقَدْ رَوَى مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ
ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «أَفْضَلُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ الْمَكْتُوبَةِ الصَّلَاةُ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ»^(١).

(١) أخرجه مسلم (٢/ ٨٢١)، رقم (١١٦٣).

وَالْقُدْوَةُ الْأُولَى وَالْأُسْوَةُ الْعُظْمَى نَبِيَّنَا مُحَمَّدٌ ﷺ كَانَ يَقُومُ مِنَ اللَّيْلِ حَتَّى تَقْطُرَتْ^(١) قَدَمَاهُ الشَّرِيفَتَانِ. وَفِي حَدِيثِ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ مِنَ اللَّيْلِ سَاعَةً لَا يُوَافِقُهَا عَبْدٌ مُسْلِمٌ يَسْأَلُ اللَّهَ خَيْرًا إِلَّا أَعْطَاهُ، وَهِيَ كُلُّ لَيْلَةٍ»^(٢).

يقول ابن عباس -رضي الله عنهما-: (من أَحَبَّ أَنْ يُهَوِّنَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْوُقُوفَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَلْيَرَهُ اللَّهُ فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا، يَحْذَرُ الْآخِرَةَ، وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ)^(٣). وقال أبو سليمان الداراني رحمه الله: (أَهْلُ اللَّيْلِ فِي لَيْلِهِمْ أَلَدُّ مِنْ أَهْلِ اللَّهْوِ فِي هَوَاهُمْ، وَلَوْلَا اللَّيْلُ لَمَا أَحْبَبْتُ الْبَقَاءَ)^(٤)، وَلَمَّا حَضَرَتْ ابْنَ عَمْرٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- الْوَفَاةُ قَالَ: (مَا آسَى مِنْ الدُّنْيَا إِلَّا عَلَى ثَلَاثٍ: ظَمًا أَهْوَا جَرٍ)^(٥)، وَمُكَابَدَةُ اللَّيْلِ، وَأَلَّا أَكُونَ قَاتِلْتُ هَذِهِ الْفِتْنَةَ الْبَاغِيَةَ الَّتِي حَلَّتْ بِنَا)^(٦).

وقد رأينا أجيالاً من المسلمين تُمَضِّي لَيْلَهَا فِي رَمَضَانَ سَاهِرَةً عَلَى الْعَبَثِ وَاللَّهْوِ، فِي قَنَوَاتٍ مَاجِنَةٍ، وَغِنَاءٍ سَاقِطٍ، وَتَمَتُّعٍ هَابِطٍ، قِيلَ لَابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: مَا نَسْتَطِيعُ قِيَامَ اللَّيْلِ، قَالَ: (أَقْعَدْتُكُمْ ذُنُوبَكُمْ)^(٧). وَقَالَ رَجُلٌ لِأَحَدٍ

(١) أَي: تَشَقَّقَتْ. النِّهَايَةُ (فَطَرَ).

(٢) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (٦/٢٧٣، رَقْمُ ١٤٩٧٤).

(٣) تَفْسِيرُ الْقُرْطُبِيِّ (١٥/٢٣٩).

(٤) الْمَجَالِسَةُ وَجَوَاهِرُ الْعِلْمِ لِلدِّينَوْرِيِّ (١/٤٧٣، رَقْمُ ١٥٥).

(٥) جَمْعُ هَاجِرَةٍ، وَهِيَ شِدَّةُ الْحَرِّ نِصْفِ النَّهَارِ. انْظُرْ: النِّهَايَةُ (هَجَرَ).

(٦) أَخْرَجَهُ ابْنُ سَعْدٍ فِي الطَّبَقَاتِ الْكُبْرَى (٤/١٨٥).

(٧) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا فِي التَّهَجُّدِ وَقِيَامِ اللَّيْلِ (ص ٤٠٥، رَقْمُ ٣٦١).

الصالحين: لا أستطيع قيام الليل، فَصِفْ لي في ذلك دواءً، فقال: (لا تَعْصِهِ بالنهار، وهو يُقِيمُكَ بين يَدَيْهِ في الليل).

وما دُمنا في صلاة التراويح؛ فبعض الناس يَسْأَلُ عن قِرَاءَةِ المأموم للفاتحة في صلاة التراويح، وهي مسألة خِلَافِيَّةٌ بين أهل العلم، سواء في صلاة الفريضة، أو النافلة، وَأَصَحُّ الأقوال في المسألة: أن قراءة الإمام تَكْفِي عن قراءة المأموم في الصلاة الجهرية، وأنَّ قراءة الإمام قراءةٌ لمن خَلْفَهُ. قال ابن تيمية رحمته الله: (ولهذا كان أَعْدَلُ الأقوال في القراءة خَلْفَ الإمام: أن المأموم إِذَا سَمِعَ قراءة الإمام يستمع لها وَيُنْصِتُ، لا يَقْرَأُ بالفاتحة ولا غيرها، وإذا لم يسمع قراءته بها يقرأ الفاتحة وما زاد، وهذا قولُ جُمْهُورِ السَّلَفِ والخَلَفِ، وهو مذهب مالك وأصحابه، وأحمد بن حنبل وجُمْهُورُ أصحابه، وهو أحد قولَي الشافعي، واختاره طائفةٌ من مُحَقِّقِي أصحابه، وهو قول محمد بن الحسن وغيره من أصحاب أبي حنيفة^(١))، وهو اختيار سماحة المفتي -حفظه الله-، وقد نَقَلَ الإجماع الإمام أحمد على أن قول الله تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٤]، أنها نزلت في الصلاة^(٢). وأما حديث عبادة: (فَلَا تَقْرَءُوا إِلَّا بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ)، فهو ضعيف لا يصح، ضَعَّفَهُ الإمام أحمد وغيره^(٣).

ثُمَّ صَلُّوا وَسَلِّمُوا عَلَى رَسُولِ الْهُدَى، وإمام الورى، فقد أمركم ربكم

(١) مجموع الفتاوى (٢٠ / ١٨).

(٢) المصدر السابق (٢٣ / ٢٦٩) بتصرُّف.

(٣) المصدر السابق (٢٣ / ٢٨٦) بتصرُّف.

فقال -جل وعلا-: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى نَبِيِّنا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ، وَارْضَ اللَّهُمَّ عَنِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ، وَالْأَئِمَّةِ الْمُهَدِّينَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَلِيٍّ، وَعَنِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ، وَعَنَّا معهم بعفوك وَكَرَمِكَ يَا أَكْرَمَ الْأَكْرَمِينَ.

اللَّهُمَّ أعزَّ الإسلام والمسلمين، وانصر عبادك الموحدين الذين يجاهدون في سبيلك في كل مكان، اللَّهُمَّ انصرهم على عدوك وعدوهم، اللَّهُمَّ عليك باليهود المعتدين، والنصارى المحاربين، اللَّهُمَّ عليك بهم؛ فإنهم لا يعجزونك، اللَّهُمَّ أحصهم عددًا.

اللَّهُمَّ آمِنَّا في أوطاننا، وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا، اللَّهُمَّ وفقهم لما يرضيك، وجنبهم معاصيك.

اللَّهُمَّ تب على التائبين، واهد ضالَّ المسلمين، اللَّهُمَّ رُدِّهم إليك ردًّا جميلًا، اللَّهُمَّ ارفع ما نزل من الفتن.

اللَّهُمَّ اغفر لنا ولوالدينا.

عباد الله! ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠]، فاذكروا الله العلي العظيم يذكركم، واشكروه على نعمكم يزدكم، ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

التنازع

الخطبة الأولى:

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ، وَمَنْ سَارَ عَلَى مَهْجِهِ وَاقْتَفَى أَثَرَهُ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

أَمَّا بَعْدُ:

فاتقوا الله -عباد الله-، فإنه مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ.

مَعَشَرَ الْإِخْوَةِ: باقعة^(١) صاعقة، متى حَلَّتْ بِمُجْتَمَعٍ فَإِنِهَا -والله- مُهْلِكَةٌ مُدْمِرَةٌ، كُلُّ يَعْرِفُهَا وَيَمْقُتُهَا، وَلَكِنَّهُ لَا يَدْرِي أَنَّهُ قَدْ رَكِبَهَا وَتَلَبَّسَ بِهَا، إِنَّهَا التَّنَازُعُ وَالتَّفَرُّقُ وَالْإِخْتِلَافُ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ.

إِنَّ الْمُنْتَازِعِينَ حِينَ يَرِيدَانِ أَنْ يُجَرَّأَ الْحَقُّ إِلَيْهَا جَرًّا، وَيُخْرِجَا الْآخَرِينَ مِنْهُ بِالْقُوَّةِ وَالتَّأْلِيلِ وَالِاحْتِقَارِ؛ بَلْ وَاسْتَحْضَارِ انْكَارِ الْمُنْكَرِ وَإِسْقَاطِ الْآخَرِ، فَإِنْ

(١) أي: داهية . المعجم الوسيط (بقع).

المجتمع سيتفرق، ويحصل الشرُّ الذي هو أعظم من الشر المظنون في الرَّأي المخالف، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَنَزَعُوا أَنْفُسَكُمْ فِي دِينِكُمْ وَلَا تَنَزَعُوا فِي الْآيَاتِ الْكَافِرَةِ﴾ [الأنفال: ٤٦]، هذه الآية الجامعة المُحكِّمة فيها النهي عن التنازع، وفيها نتيجة التنازع وهو الفشل والجُبْن، وأنحلال العزائم، وتفرُّق القوة، وفيها المنهج الحقُّ وهو قوله ﴿وَأَصْبِرُوا﴾، فلا بد من تَصْبِيرِ النَّفْس على طاعة الله، وحملها على عَدَمِ التنازع؛ لأنه مما يَعْسُرُ على الكثير من أَهْلِ الْعَقْلِ وَالْعِلْمِ -فَضْلاً عَنِ الرَّعَاعِ وَالِدَّهْمَاءِ^(١)- أَنْ يُحَافِظُوا عَلَى تَوَازُنِهِمْ، وَيُسَيِّطُوا عَلَى عُقُولِهِمْ.

إِنَّ التَّنَازَعَ واختلافَ القلوبِ هي القاصِمةُ، متى نُفَرِّقَ بين اختلاف الآراء وتعدد الأقوال، وبين التنازع والتفرُّق؟ هناك حَدٌّ لا بد أن يعرفه كُلُّ مَنْ يتكلم في العِلْمِ وأُمُورِ العامَّةِ، بين إبداء الرأي والتدليل عليه، وفتح المجال لتمحيصه ودراسته وتأْييده أو رَدِّه، وبين إحداث الفَوْضَى والتأليب واتِّهامِ النيات والولاء والبراء والتنازع.

لِنَنْظُرَ إِلَى تَعَامُلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَعَ اخْتِلَافِ الصَّحَابَةِ، وَكَيْفَ كَانَ غَضَبُهُ ﷺ لَيْسَ لَتَعَدُّدِ الْآرَاءِ، وَإِنَّمَا لِلتَّنَازُعِ وَاخْتِلَافِ الْقُلُوبِ، فِي صَحِيحِ الْبَخَارِيِّ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَجُلًا قَرَأَ آيَةً، وَسَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقْرَأُ خِلَافَهَا، فَجِئْتُ بِهِ النَّبِيَّ ﷺ فَأَخْبَرْتُهُ، فَعَرَفْتُ فِي وَجْهِهِ الْكَرَاهِيَةَ، وَقَالَ: «كِلَاكُمَا مُحْسِنٌ، وَلَا تَخْتَلِفُوا، فَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ اخْتَلَفُوا فَهَلَكُوا»^(٣)

(١) الرعاع من النَّاسِ: الغوغاء. والدُّهْماء: عامتهم وسوادهم. المعجم الوسيط (رُع، دهم).

(٢) أخرجه البخاري (٤/ ١٧٥، رقم ٣٤٧٦).

وفي رواية أحمد: قَالَ: وَعَظِبَ حَتَّى عُرِفَ الْغَضَبُ فِي وَجْهِهِ، قَالَ شُعْبَةُ أَكْبَرُ ظَنِّي أَنَّهُ قَالَ: «لَا تَخْتَلِفُوا فَإِنَّ مَنْ قَبْلَكُمْ اخْتَلَفُوا فِيهِ فَهَلَكُوا»^(١).

فالرسول ﷺ لم يُغَضِبْهُ وجودُ الرأيين؛ وإنما أَعْضِبَهُ الاختلافُ الذي أَدَّى إلى التنازع بينهما؛ ولهذا تَأَمَّلُوا ما رواه البخاري عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ -رضي الله عنهما- قَالَ: لَمَّا اشْتَدَّ بِالنَّبِيِّ ﷺ وَجَعُهُ قَالَ: «أَتُتُونِي بِكِتَابٍ أَكْتُبُ لَكُمْ كِتَابًا لَا تَضِلُّوا بَعْدَهُ»، قَالَ عُمَرُ: إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ غَلَبَهُ الْوَجَعُ، وَعِنْدَنَا كِتَابُ اللَّهِ حَسْبُنَا. فَاخْتَلَفُوا، وَكَثُرَ اللَّغَطُ، قَالَ: «قُومُوا عَنِّي، وَلَا يَنْبَغِي عِنْدِي التَّنَازُعُ»، فَخَرَجَ ابْنُ عَبَّاسٍ يَقُولُ: (إِنَّ الرِّزْيَةَ كُلَّ الرِّزْيَةِ مَا حَالَ بَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَبَيْنَ كِتَابِهِ)^(٢). قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ: (أَيُّ أَنَّ الْإِخْتِلَافَ كَانَ سَبَبًا لِرُكُوكِ كِتَابَةِ الْكِتَابِ، وَفِي الْحَدِيثِ دَلِيلٌ عَلَى جَوَازِ كِتَابَةِ الْعِلْمِ، وَعَلَى أَنَّ الْإِخْتِلَافَ قَدْ يَكُونُ سَبَبًا فِي حِرْمَانِ الْحَيْرِ)^(٣).

وقد رُفِعَتْ لَيْلَةُ الْقَدَرِ بَعْدَ أَنْ خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِيُخْبِرَهُمْ بِهَا فَحُرِّمُوا مَعْرِفَتَهَا بِسَبَبِ التَّنَازُعِ، وَمَا حُرِّمَ الْمُسْلِمُونَ النَّصَرَ يَوْمَ أُحُدٍ إِلَّا بِسَبَبِ التَّنَازُعِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذَا تَحُسُونَهُمْ بِأَذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَزَّعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِمَّا بَعَدَ مَا أَرْسَلَكُمْ مَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ١٥٢]، فَلَيْسَتْ مُخَالَفَةُ أَمْرِ الرَّسُولِ ﷺ وَحَدِّهَا كَانَتْ سَبَبَ الْهَزِيمَةِ؛ بَلْ قَدَّمَ اللَّهُ سَبَبًا عَظِيمًا لَهَا، وَهُوَ التَّنَازُعُ

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٤٤١، رقم ٣٩٨٥).

(٢) أخرجه البخاري (١/ ٣٤، رقم ١١٤).

(٣) فتح الباري (١/ ٢٠٩).

والتفرق، وقد أمر الله بالائتلاف وعدم الاختلاف، فاختلفتم، فمن قائل: نقيم في مركزنا الذي جعلنا فيه النبي ﷺ، ومن قائل: ما مقامنا فيه وقد انهزم العدو، ولم يبق محذور، ولا زالت كلمة ابن مسعود رضي الله عنه نبراساً عملياً في ضبط النفس والصبر كما عند أبي داود وغيره حينما أتم عثمان الصلاة متأولاً في مكة ولم يقصر، فقال ابن مسعود رضي الله عنه: (ها هنا صليت مع رسول الله ﷺ، ومع أبي بكر وعمر، فما صلوا إلا ركعتين)، فقال له رجل: أفلا تقوم إليه؟! قال: (اسكت، فإن الخلاف شر)^(١)، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿إِذْ يُرِيكُهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَأَيْتَهُمْ كَثِيرًا لَفِشَلْتُمْ وَلَتَنْزَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [الأنفال: ٤٣].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعي وإياكم - بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول ما سمعتم، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب وخطيئة، فاستغفروه وتوبوا إليه، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله على إحسانه، والشكر على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله تعظيماً لشانه، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الداعي إلى جنته ورضوانه، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأعوانه.

(١) أخرجه أبو داود (٢/ ١٩٩، رقم ١٩٦٠).

أَمَّا بَعْدُ:

مَعَشَرَ الْمُصَلِّينَ: إِنَّ الْمُتَّبِعَ لِلتَّارِيخِ يَجِدُ أَنَّهُ مَا مِنْ هَزِيمَةٍ وَلَا فِتْنَةٍ إِلَّا بِسَبَبِ التَّنَازُعِ وَالِاخْتِلَافِ، وَمَا (مَعْرَكَةُ الْجَمَلِ) إِلَّا مَثَالًا وَاقِعِيًّا لِأَثَرِ التَّنَازُعِ وَالتَّفَرُّقِ، حَتَّى وَقَعَ مَا وَقَعَ مِنَ الْمَآسَاةِ الْعَظِيمَةِ وَقُتِلَ أَكَابِرُ الصَّحَابَةِ، حِينَ لَا يَسْتَحْضِرُ النَّاسُ أَنَّ الْأَصْلَ الَّذِي يَجِبُ مُرَاعَاتُهُ هُوَ تَأْلِيفُ الْقُلُوبِ، هَذَا هُوَ الْأَصْلُ الْأَوَّلُ عِنْدَ الْخِلَافِ، وَلَيْسَ الْأَصْلُ الْأَوَّلُ هُوَ إِسْقَاطُ النَّاسِ، وَتَأْلِيهِمْ، وَإِحْدَاثُ فِتْنَةٍ بَيْنَهُمْ، وَلِهَذَا نَصَّ ابْنُ تَيْمِيَّةٍ وَغَيْرُهُ عَلَى أَنَّ تَرْكَ بَعْضِ الْمُسْتَحَبَّاتِ الَّتِي اخْتَلَفَ فِيهَا مِنْ أَجْلِ تَأْلِيفِ الْقُلُوبِ أَفْضَلُ، قَالَ ﷺ: (وَيُسْتَحَبُّ لِلرَّجُلِ أَنْ يَقْصِدَ إِلَى تَأْلِيفِ الْقُلُوبِ بِتَرْكِ هَذِهِ الْمُسْتَحَبَّاتِ الْمُخْتَلَفِ فِيهَا مَعَ ثُبُوتِهَا؛ لِأَنَّ مَصْلَحَةَ التَّأْلِيفِ فِي الدِّينِ أَعْظَمُ مِنْ مَصْلَحَةِ فِعْلٍ مِثْلِ هَذَا) (١)، فَكَيْفَ إِذَا كَانَ الْخِلَافُ عَلَى مَسَائِلِ اجْتِهَادِيَّةٍ؟!

إِنَّ الْحَاجَةَ مُلِحَّةً لِأَنَّ تَكُونَ ثِقَافَةَ الْخِلَافِ حَاضِرَةً فِي النُّفُوسِ، وَأَنْ تَكُونَ أَيْضًا سَلُوكًا فِي الْوَاقِعِ، فَلَا تَطْيِشُ الْأَحْلَامَ عِنْدَ وُجُودِ الْخِلَافِ، فَيَبْدَأُ الرَّأْيُ وَالرَّدُّ عَلَى الْقَوْلِ وَتَبْيِينُ خَطِئِهِ - مِنْ وَجْهَةِ نَظَرِكَ - كُلُّهَا أَسَالِيبَ مَشْرُوعَةٍ وَمَاجُورٍ صَاحِبُهَا إِذَا كَانَ بِعِلْمٍ وَحِلْمٍ، أَمَا أَنْ يَتَحَوَّلَ الْخِلَافُ إِلَى مُفَاصَلَاتٍ وَتَأْلِيٍّ وَتَنَازُعٍ فَمَا هَذَا - وَاللَّهِ - بِالْمَنْهَجِ الصَّحِيحِ، وَإِنَّمَا الْمَنْهَجُ الصَّحِيحُ هُوَ قَوْلُ اللَّهِ ﷻ وَلَا تَنَزَعُوا فَنَفْسُلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَأَصْبِرُوا ﴿[الْأَنْفَالُ: ٤٦]﴾، فَالصَّبْرُ هُوَ الشَّجَاعَةُ وَالْقُوَّةُ، وَالشَّجَاعَةُ لَيْسَتْ هِيَ قُوَّةُ الْبَدَنِ، فَقَدْ يَكُونُ الرَّجُلُ قَوِيَّ الْبَدَنِ، ضَعِيفَ الْقَلْبِ، وَإِنَّمَا هِيَ قُوَّةُ الْقَلْبِ وَثَبَاتُهُ،

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٢٢/٤٠٧).

بخلاف المغلوب الذي لا يَمْلِكُ نفسه عند الغضب والتنازع.

إن التنازع ما نَزَلَ بِبَيِّتٍ إِلَّا فَرَّقَهُ، ولا بين زَوْجَيْنِ إِلَّا فَرَّقَهُمَا، ولا بين صَدِيقَيْنِ إِلَّا قَطَعَ بَرْدَ الْوَصَالِ بَيْنَهُمَا، ولا نَزَلَ فِي دَوْلَةٍ إِلَّا مَزَّقَهَا، قال الله تعالى: ﴿فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٣]، قال ابن القيم: (والزُّبُر: الكُتُب، أي: كل فِرْقَةٍ صَنَّفُوا كُتُبًا أَخَذُوا بِهَا، وَعَمِلُوا بِهَا، وَدَعَوْا إِلَيْهَا دُونَ كُتُبِ الْآخَرِينَ، كما هو الْوَاقِعُ سَوَاءً)^(١).

ثُمَّ صَلُّوا وَسَلَّمُوا عَلَى رَسُولِ الْهُدَى، وإمام الورى، فقد أمركم ربكم فقال -جل وعلا-: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ، وَارْضَ اللَّهُمَّ عَنِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ، وَالْأَئِمَّةِ الْمُهَدِّينَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَلِيٍّ، وَعَنِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ، وَعَنَّا مَعَهُمْ بِعَفْوِكَ وَكَرَمِكَ يَا أَكْرَمَ الْأَكْرَمِينَ.

اللَّهُمَّ اعْزِّزْ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَانصِرْ عِبَادَكَ الْمُوَحِّدِينَ الَّذِينَ يَجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِكَ فِي كُلِّ مَكَانٍ، اللَّهُمَّ انصِرْهُمْ عَلَى عَدُوِّكَ وَعَدُوِّهِمْ، اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِالْيَهُودِ الْمُعْتَدِينَ، وَالنَّصَارَى الْمُحَارِبِينَ، اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِهِمْ؛ فَإِنَّهُمْ لَا يَعْجِزُونَكَ، اللَّهُمَّ أَحْصِهِمْ عَدَدًا.

اللَّهُمَّ آمِنَّا فِي أَوْطَانِنَا، وَأَصْلِحْ أَمْتَنَا وَوُلَاةَ أُمُورِنَا، اللَّهُمَّ وَفِّقْهُمْ لِمَا يَرْضِيكَ، وَجَنِّبْهُمْ مَعَاصِيكَ.

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين (١/ ١٩٧).

اللَّهُمَّ تب على التائبين، واهد ضالَّ المسلمين، اللَّهُمَّ رُدَّهُمْ إِلَيْكَ رَدًّا
 جميلاً، اللَّهُمَّ ارفع ما نزل من الفتن.
 اللَّهُمَّ اغفر لنا ولوالدينا.

عباد الله! ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ
 الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠]،
 فاذكروا الله العلي العظيم يذكركم، واشكروه على نعمكم يزدكم، ﴿وَلَذِكْرُ
 اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

التنافس على الدنيا

الخطبة الأولى:

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ، وَمَنْ سَارَ عَلَى مَهْجِهِ وَاقْتَفَى أَثَرَهُ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

أَمَّا بَعْدُ:

فَأَوْصِيَكُمْ وَنَفْسِي بِتَقْوَى اللَّهِ - جَلَّ وَعَلَا -، وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ، وَاللَّهُ رَعُوفٌ بِالْعِبَادِ.

مَعَشَرَ الْإِخْوَةِ: التَّنَافُسُ عَلَى الدُّنْيَا أَضَلَّ حَذَرَ مِنْهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَقَدْ أَصْبَحْنَا - فِيمَا بَيْنَ أَنْفُسِنَا - فِي سَبَاقِ مُحْمُومٍ، مَنْ يَمْلِكُ بَيْتًا أَجْمَلُ؟ وَمَنْ رَصِيدُهُ أَكْثَرُ؟ وَمَنْ مَلْبَسُهُ أَحْسَنُ؟ وَمَنْ سيارته أَفْضَلُ؟ أَصْبَحَ كَثِيرٌ مِنْنا يَتَنَافَسُ عَلَى الدُّنْيَا مِثْلَ الْإِدْمَانِ، وَلَيْتَهُ يَنْتَهِي! فَمَتَّعَ الدُّنْيَا جَمَاهَا بِحَرَمَانِهَا، فَإِذَا مَلَكَتْهَا زَهَدَتْ فِيهَا.

كَمْ مِنْ رَجُلٍ مُحْرُومٍ يَتَمَنَّى مَرْكَبًا، فَإِذَا مَلَكَهُ سَقَطَ مِنْ عَيْنِهِ، وَأَصْبَحَ شُغُوفًا بِغَيْرِهِ الْمُحْرُومِ مِنْهُ، وَهَكَذَا؛ فَالْحَرَمَانُ هُوَ مَنْ جَمَلَ هَذِهِ الْمُتَعِ، وَقَدْ

حَدَّرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ من التنافس على الدنيا، وحَدَّرَ من أن تكون الدنيا معيارنا، فقد جاء في الصحيحين من حديث عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَا الْفَقْرُ أَخْشَى عَلَيْكُمْ، وَلَكِنِّي أَخْشَى أَنْ تُبْسَطَ عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا، وَتُهْلِكُكُمْ كَمَا أَهْلَكْتَهُمْ»^(١)، فكيف وقد أَدَّى التنافس على الدنيا إلى وقوع كثير منا في الحرام؟! فَمِنْ النَّاسِ مَنْ يَكْذِبُ فِي بَيْعِهِ وَشِرَائِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَحْتَكِرُ الْاِحْتِكَارَ الْمُحَرَّمِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَأْكُلُ الرِّبَا، وَمِنْهُمْ مَنْ مَلَأَ قَلْبَهُ الْحَسَدَ، وَنَسِيَ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ -أَوْ تَنَاسَوْا- الْمُنَافَسَةَ عَلَى الْخَيْرِ وَالطَّاعَةِ، تَنَاسَوْا دَارَ الْقَرَارِ، تَنَاسَوْا النِّعِمَ الْمَقِيمَ الْحَقِيقِيَّ.

فَكَمْ مِنَ النَّاسِ يَرَى مَنْ فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ بِالْخَيْرِ وَالصَّلَاحِ، أَوْ مَنْ فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ بِالْعِلْمِ أَوْ الْبِرِّ وَلَا يُحَرِّكُ ذَلِكَ فِيهِ شَيْئًا؛ بَلْ لَا يُحَدِّثُ نَفْسَهُ أَنْ يَكُونَ مِثْلَهُ أَوْ أَحْسَنَ مِنْهُ، أَمَّا إِذَا رَأَى أَهْلَ الرِّيَاسَةِ أَوْ الْمَالَ تَحَرَّكَتْ فِي نَفْسِهِ (لَوْ)، وَتَمَنَّى عَلَى اللَّهِ الْأَمَانِي.

وَلِنَنْظُرَ إِلَى هَذِهِ الْمَقَارَنَةِ الَّتِي ذَكَرَهَا اللَّهُ فِي كِتَابِهِ فِي قِصَّةِ قَارُونَ حِينَمَا وَقَفَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَمَامَ فِتْنَةِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَقَفَّةَ الْمَأْخُودِ الْمُبْهُورِ الْمُتَهَاوِي الْمُتَهَافِتِ، وَوَقَفَتْ طَائِفَةٌ أُخْرَى تَسْتَعْلِي عَلَى هَذَا كُلِّهِ بِقِيَمَةِ الْإِيمَانِ، وَالرَّجَاءِ فِيهَا عِنْدَ اللَّهِ، وَالْاعْتِزَازِ بِثَوَابِ اللَّهِ، وَالتَّقَاتِ قِيَمَةَ الْمَالِ وَقِيَمَةَ الْإِيمَانِ فِي الْمِيزَانِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَلِيتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَدْ رَوْنَاهُ إِنَّهُ لَفِي ضَلَالٍ عَظِيمٍ﴾^(٢) وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ

(١) أخرجه البخاري (٦/ ٨٤)، رقم (٤٠١٥)، ومسلم (٤/ ٢٢٧٣)، رقم (٢٩٦١).

وَيَلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلْقَاهَا إِلَّا الْصَّابِرُونَ ﴿٧٩-٨٠﴾ [القصص: ٧٩-٨٠]، هذا هو المقياس: ﴿ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ﴾، إِنَّ فَاتَكَ شَيْءٌ مِنَ الدُّنْيَا فَلَا تَجْزَعْ، وَلَا تَسْخَطْ، فَمَا أَعْطَاكَ اللَّهُ مِنَ الْإِيمَانِ خَيْرٌ مِنَ الْمَتْعِ الَّتِي أَعْطَاكَ، وَمِنَ الْمَتْعِ الَّتِي مَنَعَكَ؛ لِيَتَحَرَّكَ قَلْبُكَ إِذَا فَاتَكَ الْخَيْرُ، إِذَا فَاتَتْكَ الطَّاعَةُ، لِيَتَحَرَّكَ التَّمَنِّي عِنْدَ ذِكْرِ الدَّارِ الْآخِرَةِ، فِي كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ تَسْتَهْوِي زِينَةُ الْأَرْضِ بَعْضَ الْقُلُوبِ، وَتَبْهَرُ الَّذِينَ يَرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا، وَلَا يَتَطْلَعُونَ إِلَى مَا هُوَ أَعْلَى وَأَكْرَمُ مِنْهَا؛ فَلَا يَسْأَلُونَ بِأَيِّ ثَمَنٍ اشْتَرَى صَاحِبُ الزَّيْنَةِ زِينَتَهُ، وَلَا بِأَيِّ الْوَسَائِلِ نَالَ مَا نَالَ مِنْ عَرْضِ الْحَيَاةِ، مِنْ مَالٍ أَوْ مَنْصَبٍ أَوْ جَاهٍ. وَمِنْ ثَمَّ تَهَافَتْ نَفُوسُهُمْ وَتَتَهَاوَى، وَيَسِيلُ لُعَابُهُمْ عَلَى مَا فِي أَيْدِي الْمُتَمَتِّعِينَ؛ غَيْرَ نَاضِرِينَ إِلَى مَا عِنْدَ اللَّهِ مِنَ النِّعَمِ، وَلَا إِلَى الْأَعْطِيَةِ الْحَقِيقَةِ وَالَّتِي هِيَ الْإِيمَانُ، فَأَمَّا الْمُتَصِلُونَ بِاللَّهِ فَلَهُمْ مِيزَانٌ آخَرٌ يُقَيِّمُ الْحَيَاةَ، وَفِي نَفُوسِهِمْ قِيَمٌ أُخْرَى غَيْرَ قِيَمِ الْمَالِ وَالزَّيْنَةِ وَالْمَتَاعِ. وَهُمْ أَعْلَى نَفْسًا، وَأَكْبَرُ قَلْبًا مِنْ أَنْ يَتَهَاوَوْا وَيَتَصَاغَرُوا أَمَامَ قِيَمِ الْأَرْضِ جَمِيعًا. وَلَهُمْ - مِنْ اسْتِعْلَائِهِمْ بِاللَّهِ - عَاصِمٌ مِنَ التَّخَاذُلِ أَمَامَ جَاهِ الْعِبَادِ. وَهَؤُلَاءِ هُمْ: ﴿الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾، الْعِلْمُ الصَّحِيحُ الَّذِي يُقَوِّمُونَ بِهِ الْحَيَاةَ حَقَّ التَّقْوِيمِ.

وَفِي كُلِّ يَوْمٍ نَرَى مَنْ يَتَنَازَلُ عَنْ أَخْلَاقِهِ وَمُبَادِئِهِ لَهْثًا وَرَاءَ دُنْيَا دُنْيَةٍ؛ بِسَبَبِ التَّنَافُسِ عَلَى الدُّنْيَا وَاللَّهْثِ وَرَاءَ مَلَذَّاتِهَا وَغُرُورِهَا، فَقَدْ جَاءَ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «فَاتَّقُوا الدُّنْيَا»^(١). وَأَخْرَجَ مُسْلِمٌ أَيْضًا عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ -

(١) أخرجه مسلم (٤/٢٠٩٨، رقم ٢٧٤٢).

رضي الله عنهما- عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إِذَا فُتِحَتْ عَلَيْكُمْ فَارِسُ وَالرُّومُ، أَيُّ قَوْمٍ أَنْتُمْ؟»، قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ: نَقُولُ كَمَا أَمَرَنَا اللَّهُ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ، تَتَنَافَسُونَ، ثُمَّ تَتَحَاسِدُونَ، ثُمَّ تَتَدَابِرُونَ، ثُمَّ تَتَبَاغِضُونَ، أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ، ثُمَّ تَنْطَلِقُونَ فِي مَسَاكِينِ الْمُهَاجِرِينَ، فَتَجْعَلُونَ بَعْضُهُمْ عَلَى رِقَابِ بَعْضٍ»^(١).

ولهذا ذَكَرَ اللَّهُ مَتَاعَ الدُّنْيَا الزَّائِلَ فَقَالَ جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿زِينَةَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَتَابِ﴾، ثم قال بعد ذلك: ﴿قُلْ أَوْفَيْتُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكَ لِّلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ [آل عمران: ١٤ - ١٥].

وقال سبحانه تعالى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِيَفْتَنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ [طه: ١٣١]، وقال: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ۖ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ [الأعلى: ١٦ - ١٧]، وقال: ﴿تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾ [الأنفال: ٦٧].

وقال: ﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ﴾ [النحل: ٩٦]، وقال: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُمْ زِينَةٌ﴾ [الحديد: ٢٠]، وقال: ﴿قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَى﴾ [النساء: ٧٧].

(١) أخرجه مسلم (٤/ ٢٢٧٤، رقم ٢٩٦٢).

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿يَقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ الدُّنْيَا مَتَعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ﴾ [غافر: ٣٩].

بَارَكَ اللَّهُ لِي وَلَكُمْ فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، وَنَفَعَنِي -وإياكم- بِمَا فِيهِ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ. أَقُولُ مَا سَمِعْتُمْ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ لِي وَلَكُمْ وَلِسَائِرِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ وَخَطِيئَةٍ، فَاسْتَغْفِرُوهُ وَتُوبُوا إِلَيْهِ، إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ.

الخطبة الثانية:

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله تعظيماً لشانه، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الداعي إلى جنته ورضوانه، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَأَعْوَانِهِ.

أَمَّا بَعْدُ:

مَعَشَرَ الْإِخْوَةِ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ جَعَلَ أَصْلًا لَا بَدَ مِنْ اسْتِحْضَارِهِ، وَهُوَ الزُّهْدُ فِي الدُّنْيَا، فَهُوَ أَصْلُ عَظِيمٍ جَامِعٌ عَمَلَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَصَحَابَتِهِ مِنْ بَعْدِهِ، غَنِيَّتِهِمْ وَفَقِيرِهِمْ.

وليس الزُّهْدُ -كما يفهمه المتعجل- الخروج من الدنيا؛ بل هو عَدَمُ الْجَزَعِ عَلَى مَا فَقَدْتَ، وَعَدَمُ الْحِرْصِ عَلَى مَا مُنِعْتَ، وَعَدَمُ الْإِغْتِرَارِ بِمَا مَلَكَتْ، بَلْ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ قَلْبُكَ مُتَعَلِّقًا بِطَاعَةِ اللَّهِ، وَالتَّنَافُسِ عَلَى ذَلِكَ.

أين هؤلاء اللاهون وراء الدنيا من إرشاد الحبيب ﷺ لعبد الله بن عمر -رضي الله عنهما- والأمة من بعده حين قال: أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَنْكِبِي^(١) فقال: «كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ»، وكان ابن عمر -رضي الله عنهما- يقول: (إِذَا أُمْسَيْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ، وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ الْمَسَاءَ، وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرْضِكَ، وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ)^(٢).

وعن سهل بن سعد الساعدي رحمه الله قال: أَتَى النَّبِيَّ ﷺ رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ إِذَا أَنَا عَمَلْتُهُ أَحَبَّنِي اللَّهُ وَأَحَبَّنِي النَّاسُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ارْهَدْ فِي الدُّنْيَا يُحِبَّكَ اللَّهُ، وَارْهَدْ فِيمَا فِي أَيْدِي النَّاسِ يُحِبَّكَ النَّاسُ»^(٣). قال ابن رجب رحمه الله: (اشْتَمَلَ هَذَا الْحَدِيثُ عَلَى وَصِيَّتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ: إِحْدَاهُمَا: الزُّهْدُ فِي الدُّنْيَا، وَأَنَّهُ مُقْتَضٍ لِمَحَبَّةِ اللَّهِ ﷻ لِعَبْدِهِ، وَالثَّانِيَةِ: الزُّهْدُ فِيمَا فِي أَيْدِي النَّاسِ، فَإِنَّهُ مُقْتَضٍ لِمَحَبَّةِ النَّاسِ)^(٤).

أَوْ مَا عَلِمَ سُكَارَى الدُّنْيَا وَأَسَارَى الْغَفْلَةِ حَقِيقَتَهَا، وَأَنَّهَا كَالسَّرَابِ يَتْبَعُهُ الْمَسَافِرُ، يَلَا حَقَّهُ، يَجْرِي خَلْفَهُ، يَظُنُّ أَنَّهُ مُدْرِكُهُ، وَهُوَ كَلِمًا اقْتَرَبَ مِنْهُ ابْتَعَدَ عَنْهُ، وَابْتَعَدَ، حَتَّى يَتَوَارَى وَيَغِيبَ.

وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَرَّ بِالسُّوقِ، دَاخِلًا مِنْ

(١) الْمَنْكَبُ: هُوَ مَجْتَمَعُ رَأْسِ الْعَصَدِ وَالْكَتِفِ؛ لِأَنَّهُ يَعْتَمِدُ عَلَيْهِ. الْمَصْبَاحُ الْمُنِيرُ (نكب).

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٨/٨٩)، رَقْمُ (٦٤١٦)، وَالتِّرْمِذِيُّ (٤/٥٦٧)، رَقْمُ (٢٣٣٣)، وَابْنُ مَاجَهَ (٢/١٣٧٨)، رَقْمُ (٤١١٤).

(٣) أَخْرَجَهُ ابْنُ مَاجَهَ (٢/١٣٧٣)، رَقْمُ (٤١٠٢).

(٤) جَامِعُ الْعُلُومِ وَالْحُكْمِ لِابْنِ رَجَبٍ (٢/١٧٧).

بَعْضِ الْعَالِيَةِ، وَالنَّاسُ كَفَفْتَهُ^(١)، فَمَرَّ بِجَدِّي أَسْكَ^(٢) مَيِّتٍ، فَتَنَاوَلَهُ فَأَخَذَ بِأُذُنِهِ، ثُمَّ قَالَ: «أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنْ هَذَا لَهُ بِدْرُهُمْ؟»، فَقَالُوا: مَا نُحِبُّ أَنَّهُ لَنَا بِشَيْءٍ، وَمَا نَصْنَعُ بِهِ؟! قَالَ: «أَتُحِبُّونَ أَنَّهُ لَكُمْ؟»، قَالُوا: وَاللَّهِ لَوْ كَانَ حَيًّا، كَانَ عَيْنًا فِيهِ، لِأَنَّهُ أَسْكَ، فَكَيْفَ وَهُوَ مَيِّتٌ؟! فَقَالَ: «فَوَاللَّهِ لِلدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللَّهِ مِنْ هَذَا عَلَيْكُمْ»^(٣).

نعم.. إن هذه الدنيا التي تتنافس عليها في نظر الخبير بها ﷺ، في نظر حبيبك وقودتك، في نظر المعصوم المؤيد بالوحي من السماء، في ميزان خليل الرحمن: أَهْوَنُ عَلَى اللَّهِ مِنْ هَوَانِ جَدِّي أَسْكَ مَقْطُوعِ الْأُذُنَيْنِ فِي نَظَرِ بَنِي الْبَشَرِ.

روى الترمذي وصحَّحه، وابن ماجه من حديث سهل بن سعد الساعدي رحمه الله قال: قال رسول الله ﷺ: «لَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا تَعْدِلُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بُعُوضَةٍ مَا سَقَى كَافِرًا مِنْهَا شَرْبَةَ مَاءٍ»^(٤).

وأخرج مسلم عن المستورد بن شداد رحمه الله قال: قال رسول الله ﷺ: «وَاللَّهِ مَا الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مِثْلُ مَا يَجْعَلُ أَحَدُكُمْ إِصْبَعَهُ هَذِهِ - وَأَشَارَ يَحْيَى بِالسَّبَابَةِ - فِي الْيَمِّ، فَلْيَنْظُرْ بِمِ تَرْجِعُ؟»^(٥).

(١) أي: أحاطت به. انظر: النهاية في غريب الحديث (كنف).

(٢) أي: مُضْطَلَمِ الْأُذُنَيْنِ مَقْطُوعِيهَا. النهاية (سكك).

(٣) أخرجه مسلم (٤/ ٢٢٧٢، رقم ٢٩٥٧).

(٤) أخرجه الترمذي وصححه (٤/ ٥٦٠، رقم ٢٣٢٠)، وابن ماجه (٢/ ١٣٧٦، رقم ٤١١٠).

(٥) أخرجه مسلم (٤/ ٢١٩٣، رقم ٢٨٥٨).

وما أعظم هذا الحديث لمن كان له قلب! وفي الحديث الذي رواه مسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يُؤْتَى بِأَنْعَمِ أَهْلِ الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُصْبَغُ فِي النَّارِ صَبْغَةً، ثُمَّ يُقَالُ: يَا ابْنَ آدَمَ، هَلْ رَأَيْتَ خَيْرًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ نَعِيمٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لَا وَاللَّهِ يَا رَبِّ. وَيُؤْتَى بِأَشَدِّ النَّاسِ بُؤْسًا فِي الدُّنْيَا، مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَيُصْبَغُ صَبْغَةً فِي الْجَنَّةِ، فَيُقَالُ لَهُ: يَا ابْنَ آدَمَ، هَلْ رَأَيْتَ بُؤْسًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ شِدَّةٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لَا وَاللَّهِ يَا رَبِّ، مَا مَرَّ بِي بُؤْسٌ قَطُّ، وَلَا رَأَيْتُ شِدَّةً قَطُّ»^(١).

ثُمَّ صَلُّوا وَسَلَّمُوا عَلَى رَسُولِ الْهُدَى، وَإِمَامِ الْوَرَى، فَقَدْ أَمَرَكُمُ رَبُّكُمْ فَقَالَ -جل وعلا-: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ، وَارْضَ اللَّهُمَّ عَنِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ، وَالْأَئِمَّةِ الْمُهَدِّينَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَلِيٍّ، وَعَنِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ، وَعَنَّا مَعَهُمْ بِعَفْوِكَ وَكَرَمِكَ يَا أَكْرَمَ الْأَكْرَمِينَ.

اللَّهُمَّ أعِزَّ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَانصِرْ عِبَادَكَ الْمُوَحِّدِينَ الَّذِينَ يَجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِكَ فِي كُلِّ مَكَانٍ، اللَّهُمَّ انصِرْهُمْ عَلَى عَدُوِّكَ وَعَدُوِّهِمْ، اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِالْيَهُودِ الْمُعْتَدِينَ، وَالنَّصَارَى الْمُحَارِبِينَ، اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِهِمْ؛ فَإِنَّهُمْ لَا يَعْجِزُونَكَ، اللَّهُمَّ أَحْصِهِمْ عَدَدًا.

اللَّهُمَّ آمِنَّا فِي أَوْطَانِنَا، وَأُصْلِحْ أُمَمَتَنَا وَوُلَاةَ أُمُورِنَا، اللَّهُمَّ وَفِّقْهُمْ لِمَا يَرْضِيكَ، وَجَنِّبْهُمْ مَعَاصِيكَ.

(١) أخرجه مسلم (٤/ ٢١٦٢، رقم ٢٨٠٧).

اللَّهُمَّ تب على التائبين، واهد ضالَّ المسلمين، اللَّهُمَّ رُدَّهُمْ إِلَيْكَ رَدًّا
جَمِيلًا، اللَّهُمَّ ارفع ما نزل من الفتن.

اللَّهُمَّ اغفر لنا ولوالدينا.

عباد الله! ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ
الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠]،
فاذكروا الله العلي العظيم يذكركم، واشكروه على نعمكم يزدكم، ﴿وَلَذِكْرُ
اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

التوحيد

الخطبة الأولى:

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ، وَمَنْ سَارَ عَلَى نَهْجِهِ وَاقْتَفَى أَثَرَهُ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

أَمَّا بَعْدُ:

فاتقوا الله -عباد الله- ولا تموتنَّ إلا وأنتم مسلمون، واعتصموا بحبلِ الله جميعًا ولا تفرَّقوا.

أيُّها المسلمون: إِنَّ شِعَارَ الْأُمَّةِ -أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ- هو التوحيد، وإفْرَادُ الْعِبَادَةِ لِرَبِّ الْعِبَادِ، وما كانت هذه الأمة وجماعة المسلمين في عَصْرِ مِنَ الْعُصُورِ لِيَتَّصِفُوا بِالشُّرْكِ فِي الْعِبَادَةِ أَوْ تَعْظِيمِ شُعَائِرِ الشُّرْكِ وَالْوَثْنِيَّةِ، وَلَوْ اسْتَعْرَضْنَا كِتَابَ رَبِّنَا -جَلَّ وَعَلَا- فِي عَدِّ أَوْصَافِ الْمُؤْمِنِينَ؛ لَرَأَيْنَا الْبِرَاهِينَ الْعَظِيمَةَ الَّتِي مِنْ خِلَالِهَا يَمْتَنِعُ أَنْ يَكُونَ أَوْلِيَاؤُهُ وَحِزْبُهُ مِمَّنْ تَلَوَّثَ بِالشُّرْكِ وَالْوَثْنِيَّةِ، أَلَمْ تَسْمَعُوهُ يَقُولُ: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، بَلْ إِنَّهُ أَنْذَرَ

وَحَذَّرَ مِنَ الشُّرْكَ بلفظ التهديد والوعيد فقال: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٥]، وقال أيضًا: ﴿وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنْ الظَّالِمِينَ﴾ [يونس: ١٠٦]، فمشركو عبادة القبور - بالدعاء والنذر وغيرها من العبادات - لا يمكن أن يكونوا من عباد الله المؤمنين، ولا مِنْ حِزْبِهِ الْمُفْلِحِينَ.

ولما ادَّعَتِ النصارى واليهودُ دَعْوَاهُمْ العريضة بأنه لن يَدْخُلَ الجنةَ إِلَّا هُمْ فَقَطَّ رَدَّ اللَّهُ عليهم بقوله: ﴿تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ ﴿٣١﴾ بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ١١١ - ١١٢].

فليستِ المسألة دعاوى وشعاراتٍ برّاقة؛ وإنما هي حقائق ومضامين؛ ولأجل تحقيق هذا الأصل العظيم شرع الجهادُ في سبيله، والعمل في تحقيقه؛ لِيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ وَحْدَهُ، لا شريك له، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقْتَلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًا كَانَتْهُمْ بَنِينَ مَرْصُوصًا﴾ [الصّف: ٤]، وقال أيضًا: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقْتَلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾ [التوبة: ١١١]، فلا بد من تحقيق التوحيد.

قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمته الله: (وَجَرَّدَ التَّلَفُّظَ بالشهادتين مِنْ غيرِ عِلْمٍ بمعناها، ولا عَمَلٍ بمقتضاها لا يكون المكلّف مُسْلِمًا؛ بل هو حُجَّةٌ على ابنِ آدَمَ، وقد أَكْذَبَ اللَّهُ المنافقين فيما اتَّوَا به وزَعَمُوهُ من الشهادة وسَجَّلَ كَذِبَهُمْ، مع أنهم اتَّوَا بِالْفَظِّ مُؤَكَّدَةً بأنواع من التأكيدات، قال تعالى: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُتَنَفِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ

الْمُنَافِقِينَ لَكَذِبُونَ ﴿[المنافقون: ١]﴾، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُوا نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿[النساء: ١٥٠-١٥١]﴾.

وهذا أمر مُجْمَعٌ عليه عند أهل السنة والجماعة، فأمة التوحيد وجماعتهم هذا هو أصلهم، وهو قُطْبُ رَحَاهُمْ^(١) الذي يَتَكَيَّنُونَ عليه، ولا مزايدة في أمره، وهو الأمر الذي يَجْتَمِعُ عليه سَوَادُهُمْ، وَوَصَفُ الجماعةِ الذي أَمَرْنَا أَنْ نَتَّصِفَ بِهِ أَعْظَمُ مَقُومَاتِهِ وَصِفَاتِهِ هو التوحيد، ولا يمكن أن تَتَوَحَّدَ الأمة على غيره، فالجماعة والائتلاف لا تكون إلا على التوحيد، كما قال النبي ﷺ في الحديث المتفق عليه: «أُمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الْإِسْلَامِ، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ»^(٢).

فليس مِنْ تَفْرِيقِ الْأُمَّةِ دَعْوَتُهَا إِلَى جَمْعِ الْكَلِمَةِ عَلَى هَذَا الْأَصْلِ الْمَكِينِ؛ بَلْ مِنْ تَفْرِيقِهَا وَتَدْمِيرِهَا أَنْ تُدْعَى الْأُمَّةُ إِلَى تَهْوِينِ أَمْرِ الشَّرِّكَ وَتَكْثِيرِهَا بِالْأَشْبَاحِ، وَإِنْ كَانُوا مِنْ عِبَادِ الْأَضْرَحَةِ، وَتَأَمَّلُوا قِصَّةَ مُوسَى وَهَارُونَ - عَلَيْهَامَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - عِنْدَمَا أَرَادَ مُوسَى أَنْ يَذْهَبَ لِمِيقَاتِ رَبِّهِ، فَأَوْصَى

(١) انظر: الدرر السنية في الأجوبة النجدية (١/ ٥٢٣).

(٢) القطب: هو المحور القائم المُثَبَّتُ فِي الطَّبَقِ الْأَسْفَلِ مِنَ الرَّحَى يَدُورُ عَلَيْهِ الطَّبَقُ الْأَعْلَى. المعجم الوسيط (قطب).

(٣) أخرجه البخاري (١/ ١٤)، رقم ٢٥، ومسلم (١/ ٥٣)، رقم ٢٢.

موسى هارونَ على قومه وقال له: ﴿اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٢]، هذه وصايا ثلاث: اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي، وَأَصْلِحْ، وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ، فلما ذَهَبَ موسى لِمِيقَاتِ رَبِّهِ وَأَخْبَرَهُ أَنَّ قَوْمَهُ أَشْرَكُوا بِهِ -جل وعلا- وَاتَّخَذُوا مَعَهُ شَرِيكًا؛ رَجَعَ موسى إِلَى قَوْمِهِ غَضَبَانَ أَشَدَّ الْغَضَبِ، فَأَمْسَكَ أَخَاهُ يَجْرَهُ إِلَيْهِ وَقَالَ لَهُ: ﴿مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا﴾ بَعَادَتُهُمْ لِلْعَجَلِ وَالشَّرِكِ بِاللَّهِ، ﴿أَلَّا تَتَّبِعَنِ﴾ وَتَهْجُرَهُمْ وَلَا تُجَالِسَهُمْ، ﴿أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي﴾ [طه: ٩٢-٩٣]، بقولي لك: ﴿وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٢]، قال القرطبي رحمته الله: (معناه: هَلَّا قَاتَلْتَهُمْ إِذْ قَدْ عَلِمْتَ أَنِّي لَوْ كُنْتُ بَيْنَهُمْ لَقَاتَلْتَهُمْ عَلَى كُفْرِهِمْ! وقيل: مَا مَنَعَكَ مِنَ اللُّحُوقِ بِي لَمَّا فُتِنُوا؟! يريد: أَنَّ مَقَامَكَ بَيْنَهُمْ -وقد عَبْدُوا غَيْرَ اللَّهِ تَعَالَى- عَصِيَانُ مِنْكَ لِي، قاله ابن عباس. وقيل: معناه: هَلَّا فَارَقْتَهُمْ فَتَكُونَ مُفَارَقَتُكَ إِيَّاهُمْ تَقْرِيعًا لَهُمْ وَزَجْرًا^(١)).

فبماذا رَدَّ هَارُونُ عَلَى موسى -عليهما السلام؟ وما هو عُذْرُهُ فِي تَرْكِ ذَلِكَ؟ قَالَ عليه السلام: ﴿إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾ [طه: ٩٤]، أَي: لَوْ قَاتَلْتُ مَنْ عَبْدَ الْعِجْلِ مِنْهُمْ بَمَنْ لَمْ يَعْبُدْهُ؛ لَقُلْتُ فَرَّقْتَ جَمَاعَتَهُمْ، وَأَدْخَلْتَ الْعَدَاوَةَ بَيْنَهُمْ، وَلَوْ اتَّبَعْتُكَ فِي الْمَشْيِ إِلَى الطُّورِ لَا تَبَعَنِي بَعْضُهُمْ دُونَ بَعْضٍ، فَتَفَرَّقَتْ جَمَاعَتُهُمْ مَعَ أَنَّهُ عليه السلام أَنْكَرَ عَلَيْهِمْ وَقَالَ لَهُمْ: ﴿إِنَّمَا فَتَنَّاهُ وَإِنَّ رَبَّكُمْ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي﴾ [طه: ٩٠]، وَلَكِنْ أَمْرُ التَّوْحِيدِ وَالْفَصْلِ بَيْنَ الْمُؤَحَّدِ وَالْمُشْرِكِ أَمْرٌ مِنْ صَمِيمِ دَلَائِلِ كَلِمَةِ التَّوْحِيدِ،

(١) تفسير القرطبي (١١/٢٣٧).

فهنا قال موسى: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِإِخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٥١]، ورسولنا ﷺ أَمَرَ أَلَّا يَدْخُلَ وَلَا يَقُومَ بمسجد لَمْ يُبْنَ عَلَى التَّوْحِيدِ فَقِيلَ لَهُ: ﴿لَا نَقُومُ فِيهِ أَبَدًا لَمَسْجِدُ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ﴾ [التوبة: ١٠٨].

بَارَكَ اللَّهُ لِي وَلَكُمْ فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، وَنَفَعْنِي -وإياكم- بِمَا فِيهِ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ، أَقُولُ مَا سَمِعْتُمْ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ لِي وَلَكُمْ وَلِسَائِرِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ وَخَطِيئَةٍ، فَاسْتَغْفِرُوهُ وَتَوَبُوا إِلَيْهِ، إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ.

الخطبة الثانية:

الحمد لله على إحسانه، والشُّكْرُ على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله تعظيماً لشانه، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الداعي إلى جنته ورضوانه، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَأَعْوَانِهِ.

أَمَّا بَعْدُ:

إِنَّ قَضِيَّةَ الْجَمَاعَةِ عَلَى التَّوْحِيدِ هِيَ أَوَّلُ مَا يَجِبُ أَنْ تَتَّقَ عَلَيْهِ، فَاللَّهُ وَعَدَ الْمُؤَحِّدِينَ بِالنَّصْرِ وَالتَّمْكِينِ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا

وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٥٥﴾ [النور: ٥٥]، وقال تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣]، وقد فسر ابن مسعود وأنس بن مالك حبْل الله بالجماعة^(١).

وقال ابن تيمية رحمته الله: (والاعتصام به جميعاً إنما يكون في الجماعة، ودين الإسلام حقيقته الإخلاص لله)^(٢).

فليست الجماعة هي ما نفهمه بالمعنى القريب، كلاً، وإنما الجماعة هي ما فسره النبي ﷺ في حديث الافتراق في الفرقة الناجية فقال عنها: «مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي»^(٣)، هؤلاء هم الجماعة الذين أُمِرْنَا أَنْ نَتَشَبَّثَ بِهِمْ، وقد قال الإمام الشاطبي رحمته الله: (وَاتَّفَقُوا عَلَى اعْتِبَارِ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالْاجْتِهَادِ هُمُ الْجَمَاعَةُ، سَوَاءَ ضَمُّوا إِلَيْهِمُ الْعَوَامَّ أَمْ لَا، فَإِنْ لَمْ يَضْمُوا إِلَيْهِمُ الْعَوَامَّ فَلَا إِشْكَالَ أَنْ الْاعْتِبَارَ إِنَّمَا هُوَ بِالسَّوَادِ الْأَعْظَمِ مِنَ الْعُلَمَاءِ الْمُعْتَبَرِ اجْتِهَادَهُمْ، فَمَنْ شَدَّ عَنْهُمْ فَمَاتَ فَمِيتُهُ جَاهِلِيَّةٌ، وَإِنْ ضَمُّوا إِلَيْهَا الْعَوَامَّ فَبِحُكْمِ التَّبَعِ لَأَنَّهُمْ غَيْرُ عَارِفِينَ بِالشَّرِيعَةِ، فَلَا بَدَّ مِنْ رُجُوعِهِمْ فِي دِينِهِمْ إِلَى الْعُلَمَاءِ، فَإِنَّهُمْ لَوْ تَمَأَّلَوْا عَلَى مُخَالَفَةِ الْعُلَمَاءِ فِيمَا حَدُّوا لَهُمْ لَكَانُوا هُمُ الْغَالِبَ وَالسَّوَادَ الْأَعْظَمَ فِي ظَاهِرِ الْأَمْرِ؛ لِقَلَّةِ الْعُلَمَاءِ وَكَثْرَةِ الْجُهَّالِ، فَلَا يَقُولُ أَحَدٌ: إِنَّ اتِّبَاعَ جَمَاعَةِ الْعَوَامِّ هُوَ الْمَطْلُوبُ، وَإِنَّ الْعُلَمَاءَ هُمُ الْمَفَارِقُونَ لِلْجَمَاعَةِ وَالْمَذْمُومُونَ فِي الْحَدِيثِ؛ بَلِ الْأَمْرُ بِالْعَكْسِ، وَأَنَّ الْعُلَمَاءَ هُمُ السَّوَادُ الْأَعْظَمُ -وإنَّ قُلُوبًا-، وَالْعَوَامُّ هُمُ

(١) انظر: تفسير الطبري (٧/ ٧١، ٧٤).

(٢) منهاج السنة النبوية (٥/ ١٣٤).

(٣) أخرجه الترمذي (٥/ ٢٦، رقم ٢٦٤١)، والطبراني (١٣/ ٣٠، رقم ٦٢)، والبغوي في شرح السنة (١/ ٢١٣).

المفارقون للجماعة إن خالفوا، فإن وافقوا فهو الواجب عليهم، ومن هنا لما سُئِلَ ابنُ المبارك عن الجماعة الذين يُقْتَدَى بهم، أجاب بأن قال: أبو بكر وعمر، قال: فلم يَزَلْ يُحْسَبُ حتى انتهى إلى محمد بن ثابت والحسين ابن واقد، قيل: فهو لاء ماتوا، فمن الأحياء؟ قال: أبو حمزة السُّكَّرِي، وهو محمد بن ميمون المروزي، فلا يمكن أن يُعْتَبَر العوامُّ في هذه المعاني بإطلاق^(١).

وعليه؛ فما لَبِنِي قَوْمِي سَمَّاعون لهذا الإعلام في توجيه عقائدهم وأفكارهم، يُسَيِّرهم كما يُريدُ، وَيُسَلِّطُ الضَّوْءَ على ما يشتهي، وَيَصْدُقُ مرَّةً وَيَكْذِبُ مرَّاتٍ كما الكُهَّان، فإنهم يَسْتَرِقُونَ السَّمْعَ فَيَسْمَعُونَ الْخَبَرَ وَيَكْذِبُونَ معه مائةَ كَذِبَةٍ، ثم يقولُ الناسُ: إِنَّ الكاهنَ صَدَقَ في تلك، وَيَتَعَلَّقُونَ بهم؟! ونُسُوا -أو تناسوا- أنه كَذَبَ مِائَتِ، ولهذا قال الإمام المجدد في كتاب (التوحيد) بعد إirاده لهذا الحديث: (مسألة: قبول النفوس للباطل، كيف يَتَعَلَّقُونَ بواحدة ولا يَتَعَبَّرُونَ بمائة؟!)^(٢).

أيُّها المسلمون: إِيَّاكُمْ أَنْ تَنْسُوا ماضِيَكُمْ، فالأيام دُوْلٌ، والتاريخ يَتَكَرَّرُ، والحصيف^(٣) من يستفيد وَيَعْتَبِرُ؛ والحاضرُ شَاهِدٌ؛ بل وشَاهِدٌ جَيِّدٌ بأن الأُمَّةَ لا بد أن تَجْتَمِعَ على التوحيد.

وفي عَصْرِنَا قامتْ شواهدٌ عديدةٌ تقتضي مِن أُولِي الألباب أَلَّا يَنْخَدِعُوا بِزُخْرُفِ الْقَوْلِ ودَعَاوِي العاطفة، وَمَنْ خَالَفَ في هذا الأصل -أَعْنِي

(١) الاعتصام للشاطبي (٧٧٦/٢).

(٢) كتاب التوحيد لمحمد بن عبد الوهاب (٥٠/١).

(٣) يقال: حَصَفَ فلان: استَحَكَمَ عقله، وجاد رأيه. فهو حَصِيفٌ. المعجم الوسيط (حصف).

التوحيد- فهو كما قال الله ﷻ عنه: ﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَا أُضْعِفُوا خَلْقَكُمْ يَبْغُونَكُمْ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَعَنُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾
[التوبة: ٤٧]، فأني تحذير أشد من هذا؟!!

ثُمَّ صَلُّوا وَسَلِّمُوا عَلَى رَسُولِ الْهُدَى، وإمام الورى، فقد أمركم ربكم فقال -جل وعلا-: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]، اللهم صل وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وارض اللهم عن الخلفاء الراشدين، والأئمة المهديين أبي بكر وعمر وعثمان وعلي، وعن الصحابة أجمعين، وعنّا معهم بعفوك وكرمك يا أكرم الأكرمين.

اللهم أعز الإسلام والمسلمين، وانصر عبادك الموحدين الذين يجاهدون في سبيلك في كل مكان، اللهم انصرهم على عدوك وعدوهم، اللهم عليك باليهود المعتدين، والنصارى المحاربين، اللهم عليك بهم؛ فإنهم لا يعجزونك، اللهم أحصهم عدداً.

اللهم آمنا في أوطاننا، وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا، اللهم وفقهم لما يرضيك، وجنبهم معاصيك.

اللهم تب على التائبين، واهد ضال المسلمين، اللهم رُدّهم إليك ردّاً جميلاً، اللهم ارفع ما نزل من الفتن.

اللهم اغفر لنا ولوالدينا.

عباد الله! ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ

أَفَحَشَاءَ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ [النحل: ٩٠]،
 فاذكروا الله العلي العظيم يذكركم، واشكروه على نعمكم يزدكم، ﴿٩١﴾ وَلَذِكْرُ
 اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٩٢﴾ [العنكبوت: ٩٢].

الحُزْنُ مِنَ الدَّاعِيَةِ

الْخُطْبَةُ الْأُولَى:

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ، وَمَنْ سَارَ عَلَى نَهْجِهِ وَاقْتَفَى أَثَرَهُ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

أَمَّا بَعْدُ:

فَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

مَعَشَرَ الْمُصَلِّينَ: لَمَّا أَرْسَلَ اللَّهُ أَكْثَرَ رُسُلِهِ - وَمِنْهُمْ أُولُو الْعِزْمِ - لَمْ يَجْعَلْهُمْ مَلُوكًا، يَسُوسُونَ^(١) النَّاسَ بِقُوَّةِ السُّلْطَانِ؛ بَلْ كَانُوا مِنْ أَقْوَامِهِمْ، فَهَذَا هُودٌ وَصَالِحٌ وَشُعَيْبٌ وَعِيسَى وَإِبْرَاهِيمَ - عَلَيْهِمُ السَّلَامُ - وَغَيْرُهُمْ وَآخِرُهُمْ مُحَمَّدٌ ﷺ، وَإِنَّمَا بَعَثَهُمْ مُنْذِرِينَ وَمُبَشِّرِينَ، هَذِهِ وَظِيفَتُهُمْ.

وَقَدْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَضِيقُ صَدْرُهُ وَيَحْزَنُ عَلَى عَدَمِ إِيْمَانِ بَعْضِ

(١) سَاسَ النَّاسَ سِيَاسَةً: تَوَلَّى رِيَاسَتَهُمْ وَقِيَادَتَهُمْ. المعجم الوسيط (ساس).

قَوْمِهِ، وَيُفْرِطُ فِي الْحُزْنِ عَلَيْهِمْ، فَوَجَّهَ اللَّهُ نَبِيَّهُ ﷺ فِي أَكْثَرِ مِنْ آيَةٍ أَلَّا يُبَالِغَ فِي ذَلِكَ، وَأَنَّ مُهِمَّتَكَ الْبَلَغُ فَقَطْ؛ مِنْ أَجْلِ أَنْ تَكُونَ لِلنَّاسِ هُدًى وَمَسْرًى وَطَرِيقَةً، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَلَعَلَّكَ بَنِيعٌ نَفْسَكَ عَلَىٰ عِثْرِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا﴾ [الكهف: ٦]، وَقَالَ: ﴿وَلَا يَحْزَنْكَ الَّذِينَ يُسْرِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَنْ يَصُرُوا إِلَهَ شَيْئًا يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حِطًّا فِي الْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٧٦]، وَقَالَ: ﴿لَعَلَّكَ بَنِيعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ٣]، وَبَاخِعٌ أَيْ مُهْلِكٌ نَفْسَكَ، وَقَالَ: ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسَكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ [فاطر: ٨]. قَالَ السَّعْدِيُّ: (وَفِي هَذِهِ الْآيَةِ وَنَحْوِهَا عِبْرَةٌ، فَإِنَّ الْمَأْمُورَ بِدَعَاءِ الْخَلْقِ إِلَى اللَّهِ عَلَيْهِ التَّبْلِيغُ وَالسَّعْيُ بِكُلِّ سَبَبٍ يَوْصَلُ إِلَى الْهُدَايَةِ وَسَدِّ طُرُقِ الضَّلَالِ وَالْغَوَايَةِ بِغَايَةِ مَا يُمَكِّنُهُ، مَعَ التَّوَكُّلِ عَلَى اللَّهِ فِي ذَلِكَ، فَإِنْ اهْتَدَوْا فِيهَا وَنِعِمَّتْ، وَإِلَّا فَلَا يَحْزَنُ وَلَا يَأْسَفُ، فَإِنَّ ذَلِكَ مُضْعِفٌ لِلنَّفْسِ، هَادِمٌ لِلْقُوَى، لَيْسَ فِيهِ فَائِدَةٌ، بَلْ يَمْضِي عَلَى فِعْلِهِ الَّذِي كُلَّفَ بِهِ وَتَوَجَّهَ إِلَيْهِ، وَمَا عَدَا ذَلِكَ فَهُوَ خَارِجٌ عَنْ قُدْرَتِهِ، وَإِذَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ اللَّهُ لَهُ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ [القصص: ٥٦]، وَمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُولُ: ﴿رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي﴾ [المائدة: ٢٥] الْآيَةِ، فَمَنْ عَدَاهُمْ مِنْ بَابِ أَوْلَى وَأُخْرَى، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ ﴿٦١﴾ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ﴾ [الغاشية: ٢١-٢٢] (١).

وَإِنَّمَا كَانَ هَذَا التَّوْجِيهِ الْإِلَهِيِّ بَعْدَ الْحَسْرَةِ وَإِهْلَاكِ النَّفْسِ؛ لِأَنَّهُ مُخَالَفٌ لِمَشِيئَةِ اللَّهِ الْكُونِيَّةِ، فَإِنَّ اللَّهَ قَضَى أَنَّ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ يَتَدَاوَعَانِ وَيَتَغَالَبَانِ إِلَى يَوْمِ

(١) تفسير السعدي المسمى بتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص ٤٧٠).

القيامة، فإذا قَوِيَ أَهْلُ الْخَيْرِ فَذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ الْمُسْتَلْزِمِ لِلشُّكْرِ، وَإِذَا غَلَبَ أَهْلُ الشَّرِّ فَذَلِكَ مِنْ ابْتِلَاءِ اللَّهِ الْمُسْتَلْزِمِ لِلصَّبْرِ وَالْعَمَلِ، قَالَ اللَّهُ ﴿وَمَا أَصْبَكْتُمْ يَوْمَ التَّنَافُؤِ الْجَمْعَانِ فَيَاذَنْ لِلَّهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٣) وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا ﴿[آل عمران: ١٦٦-١٦٧]، إِذَنْ؛ لَيْسَ مِنَ الصَّوَابِ أَبَدًا أَنْ يَتَهَاوَنَ النَّاسُ فِي أَمْرِ الدَّعْوَةِ؛ بِسَبَبِ انْتِشَارِ الْبَاطِلِ، وَأَنْ أَهْلَ الشَّرِّ لَهُمُ الرِّيَاسَةُ وَالْمَنَاصِبُ وَالْمَكَانَةُ، فَكُلُّ هَذَا قَضِيَّةٌ فَرَعِيَّةٌ؛ وَإِلَّا فَإِنَّ اللَّهَ خَيْرُ نَبِيٍّ ﷺ فِي أَنْ يَكُونَ مَلَكًا رَسُولًا وَبَيْنَ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا نَبِيًّا، كَمَا جَاءَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَيْرٌ بَيْنَ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا رَسُولًا -وهو الذي يفعل ما يُؤَمِّرُ به وإنما هو قَاسِمٌ يَقْسِمُ بَيْنَ النَّاسِ مَا أَمَرَهُ اللَّهُ به- وَبَيْنَ أَنْ يَكُونَ مَلَكًا نَبِيًّا يُعْطِي مَنْ يَشَاءُ وَيَمْنَعُ مَنْ يَشَاءُ بِلَا حِسَابٍ وَلَا جُنَاحٍ، فَاخْتَارَ الْمَنْزِلَةَ الْأُولَى بَعْدَ مَا اسْتَشَارَ جَبْرِيلَ فَقَالَ لَهُ: تَوَاضَعْ، فَاخْتَارَ الْمَنْزِلَةَ الْأُولَى^(١).

فَلَوْ كَانَتِ الْقَضِيَّةُ فِي الدَّعْوَةِ هِيَ أَنْ يَسُوسَ النَّاسَ بِالْقُوَّةِ إِلَى الْخَيْرِ لَاخْتَارَ أَنْ يَكُونَ مَلَكًا يُعَاقِبُ وَيَأْمُرُ وَيَنْهَى، وَلَكِنْ هَذَا آتِيٌّ حَالِيٌّ، لَيْسَ بِدَائِمٍ، وَسَيُخَفِّتُ وَيَقِلُّ بَزَوَالِ هَذَا الْمُلْكِ، وَإِنَّمَا الْبَاقِي وَالِدَائِمُ وَالْمُؤَثِّرُ فِي الدَّعْوَةِ وَمَا يَجْعَلُ النَّاسَ مُتَمَسِّكِينَ بِهِ عَنْ قَنَاعَةٍ وَمُدَافِعِينَ عَنْهُ بِأَنْفُسِهِمْ هُوَ الدَّعْوَةُ بِأَسَالِيهَا وَالِدِفَاعُ عَنِ الثَّقَافَةِ مِنْ خِلَالِ الْفِكْرِ وَالْحَوَارِ، وَهَذَا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ، وَهُوَ مَا يُبْقِي الْخَيْرَ.

فَالْمَسْئُولِيَّةُ فِي أَنْفُسِنَا -قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ- أَنْ نَحَافِظَ عَلَى ثِقَاتِنَا وَرَكَائِزِنَا

(١) أَخْرَجَهُ ابْنُ الْمُبَارَكِ فِي الزُّهْدِ وَالرَّقَائِقِ (١/٢٦٤، رَقْمُ ٧٦٦)، وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي شُعَبِ الْإِيمَانِ (٣/٥٠)، وَابْنُ الْبُيُوتِ فِي شَرْحِ السَّنَةِ (١٣/٢٤٩، رَقْمُ ٣٦٨٥).

من فِكْرِ الخِدَاج^(١) والضَّبَائِيَّة وشَهْوَةِ المال والفَرَج، فَإِنْ استطعنا أَنْ نُقَوِّمَ
أَنفُسَنَا ونُسَيِّرَهَا إِلَى الخَيْرِ فهذا سَبِيلُ الأنبياء.

وفي التاريخ ملوك ورؤساء جثموا على قلوب الناس سنين طويلة
غَيَّرُوا وَحَرَّفُوا وَبَدَّلُوا، وَسَعَوْا فِي الأرضِ الفساد، وَحِينَما سَقَطُوا أَسْقَطَ
النَّاسُ تَمَاثِيلَهُمْ، وَهَدَمُوا الْقِبَابَ عَلَى الْقُبُورِ، وَأَغْلَقُوا دُورَ الفساد، أَتَظُنُّونَ أَنَّ
هذا الخَيْرَ زُرْعَ فِي يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ؟! كَلَّا، وَإِنَّمَا هُوَ جُهْدُ الْمُصْلِحِينَ الَّذِينَ أَفْنَوْا
أَوْقَاتَهُمْ وَأَعْمَارَهُمْ؛ بَلْ وَأَنفُسَهُمْ فِي مَحَافِظَتِهِمْ عَلَى هَوِيَّتِهِمْ، الْأَبُ مَعَ أَبْنَائِهِ
وَبَنَاتِهِ، وَإِمَامُ الْمَسْجِدِ وَالْعَالَمِ وَطَالِبُ الْعِلْمِ وَالْمُعَلِّمُ وَمُشْرِفُ التَّربِيَةِ.

نحن فِي اخْتِبَارٍ مَعَ أَنفُسِنَا، وَلَكِنَّ الْحَقِيقَةَ الْمُرَّةَ هِيَ أَنَّ أَكْثَرَنَا يُحِبُّ
الدَّعَةَ وَيَعْشَقُ الْكَسَلَ، وَيَزِمِي الْآخِرِينَ بِالتَّقْصِيرِ، وَهُوَ فِي سُلُوكِهِ قَدْ
شَارَكَ أَهْلَ الفسادِ فَسادَهُمْ، فَلَا عَنْ أَهْلِهِ مَنَعَ الشَّرَّ، وَلَا عَنْ نَفْسِهِ، إِنَّهُ
التَّلَوُّنُ وَالْكَذِبُ.

بَارَكَ اللَّهُ لِي وَلَكُمْ فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، وَنَفَعَنِي -وَيَاكُمْ- بِمَا فِيهِ مِنْ
الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ، أَقُولُ مَا سَمِعْتُمْ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ لِي وَلَكُمْ
وَلِسَائِرِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ وَخَطِيئَةٍ، فَاسْتَغْفِرُوهُ وَتَوَبُوا إِلَيْهِ، إِنَّهُ هُوَ
الْغَفُورُ الرَّحِيمُ.

(١) الخداج: الناقص. انظر: المعجم الوسيط (خدج).

الخطبة الثانية:

الحمد لله على إحسانه، والشُّكر على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله تعظيماً لشانه، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الداعي إلى جنته ورضوانه، صَلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأعوانه.
أَمَّا بَعْدُ:

مَعَشَرَ الْمُصَلِّينَ: إن مناشط^(١) الخير أكثر مِنْ أَنْ تُحْصَى وتُحْصَرَ، وسُبُل الدعوة إلى الله كثيرة؛ لو التَفَتْنَا إليها لوجدنا كثيراً منها يُعَانِي مِنَ الْعَجْزِ الْبَشَرِيِّ وَالْمَالِي، أين نحن مِنْ هذه المناشط؟! أين نحن مِنْ بَذْلِ سَاعَةٍ أَوْ سَاعَتَيْنِ فِي يَوْمِنَا لَعَمَلِ الْخَيْرِ الْمُتَعَدِي؟! تَجَاوَزْنَا -بِفَضْلِ اللَّهِ إِلَى حَدِّ كَبِيرٍ- أَضْرَارَ الْعَزْوِ الْفَضَائِي مِنْ المحطات الفضائية ووسائل الاتصال الحديثة بسبب جُهدِ الْمُصْلِحِينَ حينما أَوْجَدُوا -لا أقول الْبَدَائِلَ- بل أَوْجَدُوا الْإِصْلَاحَ، فَبَدَلًا مِنْ أَنْ تَكُونَ بَدِيلًا صَارَتْ مَنَابِرَ دَعْوَةٍ وَإِصْلَاحٍ أَسَاسِيَةٍ فِي عَصْرِنَا، كل ذلك بفضل الله، ثُمَّ بِجُهِودِ الْمُصْلِحِينَ، وَقُلْ مِثْلَ ذَلِكَ فِي كُلِّ أَمْرٍ يَظْهَرُ فِي كُلِّ وَقْتٍ.

لَمْ لَا تَظْهَرُ جُهُودُ إِصْلَاحِيَّةٍ لِحُلِّ مَشَاكِلِ الْإِخْتِلَاطِ مِنْ تُجَّارِ الْمُسْلِمِينَ وَمِنْ مُثَقِّفِيهِمْ؟! إِنْ التَّلَاوَمَ -دُونَ إِيجَادِ حُلُولٍ مِنَ الْمُصْلِحِينَ- لَيْسَ مِنْ هَذِهِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُصْلِحِينَ، وَلَيْسَ لِلدَّعْوَةِ حَدٌّ يُوقِفُ عِنْدَهُ.

إِنْ الْعَجْزَ الْحَقِيقِيَّ حينما يَظُنُّ أَهْلُ الْخَيْرِ وَالْإِصْلَاحِ أَنَّ مُهِمَّتَهُمْ انْتَهَتْ،

(١) جمع مَنْشَط، وهو مَا يُخَفُّ إِلَيْهِ وَيُؤْثَرُ فَعْلُهُ. المعجم الوسيط (نشط).

وأن الفساد لا يمكن أن يُوجد له حلٌّ، بل هذا والله هو الفساد، وإنما الجهاد الحقيقي هو مُوَاصَلَةُ الجُهد، وإيجادُ الحلول؛ للوصول إلى طاقة الناس وقدرتهم.

رسولنا ﷺ رَاجَعَ رَبَّهُ في عدد الصلوات؛ حتى أَوْصَلَهَا خَمْسًا؛ لِيُطِيقَهَا النَّاسُ، والداعية عليه أن يَرَجَعَ النَّاسَ وَيُدْهِمَّهُمْ على البدائل، بل العالم عليه أن يَرَجَعَ فتواه - وليس يَتَرَجَعَ عن فتواه - في كل يوم حتى يَصِلَ إلى الحق وإلى ما ينفع الناس.

وختامًا أيُّها الإخوة: إن الفَشَلَ التَّامَّ هو أن يَظُنَّ النَّاسُ أن الناس لا يُسَاسُونَ إلا بالقوة والمنع والحزم، ولم يَصِحَّ عن الرسول ﷺ أنه قال: (إن الله يَزْعُ^(١) بالسلطان ما لا يَزْعُ بالقرآن)^(٢)، وإصلاح السلطان إنما هو ظاهرا وقولا يؤثر على الباطن بخلاف تأثير القرآن والسنة والشرع.

ثُمَّ صَلُّوا وَسَلِّمُوا على رسولِ الهدى، وإمام الورى، فقد أمركم ربكم فقال - جل وعلا-: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]، اللهم صلِّ وسلِّم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وارِضْ اللهم عن الخلفاء الراشدين، والأئمة المهديين أبي بكرٍ وعمرَ وعُثمانَ وعليٍّ، وعن الصَّحابةِ أجمعين، وعنَّا معهم بعفوِكَ وكرمِكَ يا أكرمَ الأكرمين.

(١) أي: يكفُّ ويمنع. المعجم الوسيط (وزع).

(٢) هذا أثر أخرجه البغدادي في تاريخ بغداد عن عمر بن الخطاب (٥/ ١٧٢، رقم ٢٠٣٤)، وابن عبد البر في التمهيد عن عثمان بن عفان (١/ ١١٨).

اللَّهُمَّ أعزِّ الإسلام والمسلمين، وانصر عبادك الموحدين الذين يجاهدون في سبيلك في كل مكان، اللَّهُمَّ انصرهم على عدوك وعدوهم، اللَّهُمَّ عليك باليهود المعتدين، والنصارى المحاربين، اللَّهُمَّ عليك بهم؛ فإنهم لا يعجزونك، اللَّهُمَّ أحصهم عددًا.

اللَّهُمَّ آمِنَّا في أوطاننا، وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا، اللَّهُمَّ وفقهم لما يرضيك، وجنبهم معاصيك.

اللَّهُمَّ تب على التائبين، واهد ضالَّ المسلمين، اللَّهُمَّ رُدِّهم إليك ردًّا جميلًا، اللَّهُمَّ ارفع ما نزل من الفتن.

اللَّهُمَّ اغفر لنا ولوالدينا.

عباد الله! ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠]، فاذكروا الله العلي العظيم يذكركم، واشكروه على نعمكم يزدكم، ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

العفة وعلاقة المحارم

الخطبة الأولى:

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَمْ يَتَّخِذْ صَاحِبَةً وَلَا وَزِيرًا وَلَا نِدًّا وَلَا ظَهِيرًا، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، نَشْهَدُ أَنَّهُ بَلَغَ الرِّسَالَةَ، وَنَصَحَ الْأُمَّةَ، وَجَاهَدَ فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ، وَسَلِّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

أَمَّا بَعْدُ:

فَأَوْصِيَكُمْ -وَنَفْسِي- بِتَقْوَى اللَّهِ ﷻ، فَهِيَ وَصِيَّةُ اللَّهِ لِلأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ﴾ [النساء: ١٣١].

مَعَشَرَ الْمُصَلِّينَ: مَعَانِي الْعِفَّةِ وَالْعَفَافِ جَاءَ الْإِسْلَامُ مُؤَيِّدًا لَهَا، وَأَمْرًا بِهَا، وَخَاصَّةً فِي تَرْبِيَةِ النِّسَاءِ، وَهِيَ مِنْ أَوَائِلِ مَا أُمِرَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، يُذَكِّرُنَا هَذَا بِوَصْفِ أَبِي سَفْيَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لِلْإِسْلَامِ كَمَا فِي الصَّحِيحِينَ عِنْدَمَا كَانَ كَافِرًا وَسَأَلَهُ هِرْقُلُ: بِمَ يَأْمُرُكَ هَذَا الرَّسُولُ؟ فَقَالَ: يَأْمُرُنَا بِالصَّلَاةِ، وَالزَّكَاةِ، وَالصَّدَقِ، وَالْعَفَافِ، وَالصَّلَةِ^(١).

(١) أخرجه البخاري (١/٨، رقم ٧)، ومسلم (٣/١٣٩٣، رقم ١٧٧٣).

فديننا يَغْرَسُ في الشابِّ والفتاة العِفَّةَ، ويأْمُرُ بها، فليت شِعْري ما واقعُ العِفَّةِ مع أجهزة الجوّال المحمولة في أيدي الصغار؟! كمّ من عادة تُنافي الفضيلة والعفافَ كنا نسمع بها ولا نراها في زمن سابق، وها نحن اليوم نراها في جيوب ثيابهم، وفي بيوتنا، وفي مجتمعا! فماذا عَمَلْنَا؟!

كثيرٌ من الآباء والأمّهات تجده قَلِقًا على أولاده، لكن هذا القلق لم يُثمر أيَّ عَمَلٍ؛ لأنه لم يَسْتَحِثَّ الحُطَّاءَ لِعَرَسِ هذه الفضيلة، فتجد أن ولده أو بنته يَفْقِدُ عِفَّاهُ عند أول امتحان.

صَرَبَتْ لنا مريم -عليها السلام- وأمّها أروعَ مثالٍ للناشئة في التربية على العفة، وامتدحها الله تعالى بقوله: ﴿وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا﴾ (١٦) فَأَخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا ﴿[مريم: ١٦ - ١٧]، فجعلت حِجَابًا بينها وبين أهلها لتَسْتَتِرَ فلا يراها أحدٌ، وبينما هي كذلك في مكان ناءٍ، وفي خَلْوَةٍ عن الناس وأمانٍ مِنَ الأهلِ فقد صَرَبَتْ هذا الحِجَابَ الذي لا يَدْخُلُ عليها فيه أحدٌ، قال الله تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ [مريم: ١٧]، دَخَلَ عليها جبريلُ في صورة إنسان سَوِيٍّ كَأَكْمَلِ ما يكون من الرجال من جمال الوجه والشعر والقامة، وهنا تُخْتَبَرُ الأخلاقُ، هنا تَظْهَرُ النَّفْسُ على حقيقتها فلا خوف يُصارِعُ، ولا سبيلٌ إلى المَرادِ ممنوعٍ، فلما رَأَتْهُ مريم -عليها السلام- قالت له مباشرةً وقبل الكلام والاطمئنان وَحَسَمَتْ مَادَّةَ الشَّرِّ وقبل أن تتمتع بالنظر إليه فقد عرفتُ أَنَّ أولَ الفاحشة نَظْرَةُ إعجابٍ، فقالت: ﴿إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ نَقِيًّا﴾ [مريم: ١٨]، فَخَوَّفَتْ بِأَعْظَمِ مُحَوِّفٍ، خَوْفَتُهُ وَذَكَرَتْهُ بِاللَّهِ، فاستعاذَتْ به، وقد استعاذَتْ

بِمَعَاذٍ، ثُمَّ ذَكَرْتُهُ أَنَّهُ إِنْ لَمْ يَنْتَهُ فَلَيْسَ بِتَقِيٍّ، وَأَنَّهُ مِمَّنْ لَمْ يُقَدِّرِ اللَّهُ حَقَّ قَدْرِهِ؛ اسْتِحْثَانًا لَهُ بِتَرْكِ الْفَاحِشَةِ، مَا أَجْمَلَ هَذِهِ الصُّورَ النَّاصِعَةَ بِالْجَمَالِ! مَا أَجْمَلَ هَذِهِ الْمَوَاقِفَ عِنْدَمَا يَتَغَلَّبُ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ وَيَقْوَى عَلَيْهَا وَيَكْسِرُ شَرَّهَا وَسَوْرَتَهَا وَشَهْوَتَهَا! وَلَمَّا كَانَ مِنْهَا هَذَا الْمَوْقِفَ وَصَفَهَا اللَّهُ فِي أَكْثَرِ مِنْ مَوْضِعٍ بِقَوْلِهِ: ﴿وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا﴾ [الأنبياء: ٩١]، وَقَالَ: ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا﴾ [التحریم: ١٢]، بَلْ مَا أَجْمَلَ مَا قَالَتْهُ الْمَلَائِكَةُ لِهَذِهِ الْمَرْأَةِ الْعَفِيفَةِ: ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَأِيكَةُ يَمْرَيْمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٤٢].

وَمِنْ أَعْظَمِ التَّقْصِيرِ فِي تَرْبِيَّتِنَا لِأَوْلَادِنَا مَا نَرَاهُ مِنَ التَّسَاهُلِ فِي أَلْبَسَتِهِمْ، وَتَأَمَّلُوا هَذَا الْأَدَبَ الْعَظِيمَ الَّذِي ذَكَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ فَقَالَ: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا يَسْتَأْذِنُكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَافُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [النور: ٥٨].

أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَسْتَأْذِنَهُمْ مِمَّا لِيَهُمْ، وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنَ الصِّغَارِ، أَيْ لَمْ يَبْلُغُوا، وَالْحِكْمَةُ مِنْ ذَلِكَ أَنَّهَا أَوْقَاتٌ انْكَشَافٌ لِلْعَوْرَاتِ، وَعَدَمُ التَّحَرُّزِ فِي اللَّبَاسِ مِنَ الْمُسْتَأْذِنِ عَلَيْهِمْ: وَقْتُ نَوْمِهِمْ بِاللَّيْلِ بَعْدَ الْعِشَاءِ، وَعِنْدَ انْتِبَاهِهِمْ قَبْلَ صَلَاةِ الْفَجْرِ، وَنَوْمِ النَّهَارِ فِي الظَّهِيرَةِ، فَهَذِهِ الْأَوْقَاتُ لَا يَتَحَرَّزُ النَّاسُ فِي أَلْبَسَتِهِمْ، فَقَدْ تَنَكَّشَفَ عَوْرَاتِهِمْ، فَفِي ثَلَاثَةِ هَذِهِ الْأَحْوَالِ، يَكُونُ

المالك والأولاد الصغار كغيرهم، لا يُمكنون من الدخول إلا بإذن^(١).

والسؤال: لم لم يُقل: إنهم صغار، لا يعرفون شيئاً، ولا يفقهون حديثاً؟
 لم هذا الاستئذان من طفل صغير لم يبلغ الحُلُم؟ ما كان هذا إلا لأجل غرس
 العِفَّة، وعدم ابتلائه وامتحانه بمشاهد قد تُفسد فطرته وطهارته؛ لكنهم إذا
 بلغوا وأتموا الخمس عشرة سنة فإنهم يستأذنون في كل وقت، قال تعالى:
 ﴿وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ [النور:
 ٥٩]، أي: في سائر الأوقات، والذين من قبلهم: هم الذين ذكَّرههم الله بقوله:
 ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا﴾ [النور:
 ٢٧]، قال السعدي رحمه الله: الصغير الذي دون البلوغ لا يجوز أن يُمكن من
 رؤية العورة، ولا يجوز أن تُرى عورته؛ لأن الله لم يأمر باستئذانهم، إلا عن
 أمرٍ ما يجوز^(٢). أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ
 أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ [النور: ٣٠].

بَارَكَ اللَّهُ لِي وَلَكُمْ فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، ونفعني - وإياكم - بما فيه من
 الآيات والذِّكر الحكيم، أقول ما سمعتم، وأستغفر الله العظيم لي ولكم
 ولسائر المسلمين من كل ذنب وخطيئة، فاستغفروه وتوبوا إليه، إنه هو
 الغفور الرحيم.

(١) تفسير السعدي (٥٧٣).

(٢) تفسير السعدي (ص ٥٧٤).

الخطبة الثانية:

الحمد لله على إحسانه، والشُّكر على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله تعظيماً لشأنه، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الداعي إلى جنته ورضوانه، صَلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأعوانه.

أَمَّا بَعْدُ:

مَعَشَرَ الإِخْوَةِ: نقول هذا الكلامَ في وَقْتٍ تَفَاوَتْ فِيهِ النَّاسُ تَفَاوُتًا كَبِيرًا وعَظِيمًا في التَّربِيَةِ على هَذِهِ الْخِصْلَةِ -أَعْنِي الْعِفَافَ-، فَمِنْ النَّاسِ مَنْ يُرَبِّي أَوْلَادَهُ وَبَنَاتِهِ على قِصِيَةِ الْحِفَافِ عَلَى الشَّرَفِ، وَيُحَاوِرُهُمْ وَيُنَبِّهُهُمْ وَيُزَرِّعُ فِيهِمْ الثِّقَةَ بِالنَّفْسِ عَلَى الْحِفَافِ عَلَى أَعْلَى مَا تَمْلِكُ وَهُوَ شَرَفُكَ، وَيَذْكُرُ لَهُمْ كَيْفِيَةَ حَبَائِلِ الْأَشْرَارِ وَطُرُقِ مَكْرِهِمْ، وَيَأْمُرُهُمْ بِمَصَارِحَتِهِ فِي كُلِّ مَا يَعْزِضُ لَهُمْ، وَأَنَّهُمْ غَيْرُ قَادِرِينَ عَلَى مُوَاجَهَةِ الْحَدَثِ وَحَدَهُمْ؛ لِأَنَّ عَوَاطِفَهُمْ تَسْبِقُ عَقُولَهُمْ، وَغَرِيزَتُهُمْ تَهْجِمُ عَلَى حَزْمِهِمْ، وَأَنَّ الْمَصَارِحَةَ لَنْ تَكُونَ أَقْسَى مِنْ وَقَعِ الْجَرِيْمَةُ أَبَدًا.

وهناك من الناس مَنْ لَا يَتَحَدَّثُ مَعَ أَوْلَادِهِ أَوْ الْأُمِّ مَعَ أَوْلَادِهَا، وَشِعَارُهُمْ هُوَ أَنَّ هَؤُلَاءِ الصِّغَارَ لَا يَعْرِفُونَ شَيْئًا، أَوْ أَنَّهُمْ يَفْهَمُونَ وَلَا يَحْتَاجُونَ أَنْ أُحَدِّثَهُمْ، إِنَّ هَذِهِ ثِقَافَةٌ غَابِرَةٌ، حِينَمَا كَانَ الشَّرُّ يُنْحَتُ عَنْهُ وَلَا يُوجَدُ، وَكَانَ بِمَقْدُورِ الْوَالِدِ أَوْ الْأُمِّ أَنْ يُتَابِعُوا أَوْلَادَهُمْ؛ أَمَّا فِي هَذِهِ الْأَوْقَاتِ فَإِنَّ الْأَمْرَ أَصْبَحَ مُعَقَّدًا وَشَدِيدَ التَّعْقِيدِ، وَأَمَانَتُكَ تَقْتَضِي أَنْ تَكُونَ صَارِمًا وَحَازِمًا فِي هَذَا الْأَمْرِ، وَلَيْسَ مَعْنَى هَذَا الْكَلَامِ أَنْ تُشَتَّتَ ذِهْنَهُ، وَتَذْكُرَ لَهُ كُلَّ شَيْءٍ؛ وَلَكِنَّكَ تُحَاطِبُهُ بِمَا يُنَاسِبُ عَقْلَهُ عَنْ مَعَانِي الْعِفَةِ، وَذَلِكَ بِسَرْدِ قِصَصِ

القرآن في قصة مريم أو يوسف -عليهما السلام-، وما جاء في سورة النور، وتذكر له ما يناسبه، فطالبُ الابتدائيِّ يختلف عن طالب المرحلة المتوسطة، وهكذا.

مَعَشَرَ الإِخْوَةِ: إِنَّ خَطَرَ وَأُدِ الْعِفَّةَ وَالْفَضِيلَةَ قَدْ لَا تَأْتِي مِنَ الْخَارِجِ، ويكون اهتمامنا منصباً على من كان خارج البيت، بل على الوليِّ أن يكون متابعاً ويَقْظاً؛ حتى في علاقة أولاده مع أقاربهم، وأن يَتَوَسَّطَ في هذا، فكلاً طَرَفِي قَصْدِ الْأُمُورِ ذَمِيمٍ، فلا يكون مُوسِوساً شَكَاكاً، ولا يكون غافلاً غير مُبَالٍ.

وقد سَمِعْنَا وَقَرَأْنَا جَمِيعًا -وللأسف الشديد- بحوادثٍ تَحْرُشُ مِنَ الْأَقَارِبِ، إمَّا بالتراضي، أو بالإجبار، ولا حول ولا قوة إلا بالله العليِّ العظيم. وإذا كان الله عَدَّ الزَّوْاجَ وَالْعَقْدَ عَلَى أَحَدِ الْمَحَارِمِ مَقْتًا وَشَرًّا سَبِيلًا، كما قال سبحانه: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ [النساء: ٢٢]، فإنه -سبحانه- وَصَفَ فَاحِشَةَ الزَّنا بقوله: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزَّيْفَ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٣٢].

وَرَوَى النَّسَائِيُّ عَنْ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رضي الله عنه قَالَ: لَقِيتُ خَالِي وَمَعَهُ الرَّايَةُ، فَقُلْتُ: أَيْنَ تُرِيدُ؟ قَالَ: (أَرْسَلَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى رَجُلٍ تَزَوَّجَ امْرَأَةً أَبِيهِ مِنْ بَعْدِهِ أَنْ أَضْرِبَ عُنُقَهُ أَوْ أَقْتُلَهُ)^(١)، كل هذا لِسَنَاعَةِ إِيْتَانِ الْمَحَارِمِ.

(١) أخرجه الترمذي (٣/٦٣٥، رقم ١٣٦٢)، والنسائي (٦/١٠٩، رقم ٣٣٣١)، وابن ماجه

وكثيرًا ما تَظْهَرُ هذه العلاقةُ المُحرَّمةُ بجلالٍ، ولكن هذا يحتاج إلى يَقْظَةٍ وحَذَرٍ؛ لا سيما في زمننا هذا، فإن سُبلَ حبائل الشيطان قد كَثُرَتْ وتَنَوَّعَتْ، فَلْيَتَّقِ اللهُ كُلُّ شَابٍّ وَرَجُلٍ ائْتَمَنَهُ قَرِيبُهُ عَلَى بَيْتِهِ أَنْ يَقَعَ فِي مُحَارِمِهِ.

وإذا كان الرسول ﷺ قال كما في الصحيحين من حديث ابن مسعود قَالَ سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ: أَيُّ الذَّنْبِ أَعْظَمُ عِنْدَ اللَّهِ؟ قَالَ: «أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدًّا وَهُوَ خَلْقَكَ»، قُلْتُ: إِنَّ ذَلِكَ لَعَظِيمٌ، قُلْتُ: ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: «وَأَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ تَخَافُ أَنْ يَطْعَمَ مَعَكَ»، قُلْتُ: ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: «أَنْ تُزَانِيَ حَلِيلَةَ^(١) جَارِكَ^(٢)»، هذا في الجار، فكيف بمحارمك وأقاربك وقد أَدْخَلَكَ بَيْتَهُ فَتَخُونُهُ إِمَّا بِنَظَرٍ أَوْ كَلَامٍ أَوْ فِعْلٍ؟!

وما أعظم ما قاله الرسول ﷺ وَبَّهَ عَلَيْهِ فِي هَذَا الْأَمْرِ وَأَنَّهُ لَيْسَ وَسْوَاسًا وَلَا خِيَالًا حِينَما قَالَ كَمَا فِي الصَّحِيحِينَ مِنْ حَدِيثِ عَقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِيَّاكُمْ وَالْدُّخُولَ عَلَى النِّسَاءِ» فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَرَأَيْتَ الْحَمُوَ^(٣)؟ قَالَ: «الْحَمُّ الْمَوْتُ»^(٤).

وختامًا: أيها الإخوة، على الوالدين أَنْ يَتَنَبَّهَا وَيَتَّقِظَا لِحُجُوجِ أَوْلَادِهِمْ وَرَجُوعِهِمْ، وَلْيَعْلَمُوا أَنَّهُمْ فِي أَعْظَمِ عِبَادَةِ عِنْدَ اللَّهِ -جَلَّ وَعَلَا-، كَيْفَ وَهُوَ

(٢/ ٨٦٩، رقم ٢٦٠٧).

(١) حليلة الرجل: امرأته. النهاية في غريب الحديث والأثر (حلل).

(٢) أخرجه البخاري (٦/ ١٨، رقم ٤٤٧٧)، ومسلم (١/ ٩٠، رقم ٨٦).

(٣) هو أحد الأعمام، وهم أقارب الزوج. النهاية (حما).

(٤) أخرجه البخاري (٧/ ٣٧، رقم ٥٢٣٢)، ومسلم (٤/ ١٧١١، رقم ٢١٧٢).

قال: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ﴾ [النساء: ١١]، رَبُّكُمْ هُوَ مَنْ يُوصِيكُمْ، فلا تُضَيِّعُوا هذه الوصية، فيا لها مِنْ وَصِيَّةٍ! ويا عِظَمَ مَنْ أَوْصَى!

ثُمَّ صَلُّوا وَسَلِّمُوا عَلَى رَسُولِ الْهُدَى، وإمام الورى، فقد أَمَرَكم رَبُّكُمْ فقال -جل وعلا-: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى نَبِيِّنا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ، وَاَرْضَ اللَّهُمَّ عَنِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ، وَالْأَئِمَّةِ الْمُهَدِّينَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَلِيٍّ، وَعَنِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ، وَعَنَّا معهم بِعَفْوِكَ وَكَرَمِكَ يَا أَكْرَمَ الْأَكْرَمِينَ.

اللَّهُمَّ أعِزَّ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ، وانصر عبادَكَ الموحدين الذين يجاهدون في سبيلِكَ في كل مكان، اللَّهُمَّ انصرهم على عدوك وعدوهم، اللَّهُمَّ عليك باليهود المعتدين، والنصارى المحاربين، اللَّهُمَّ عليك بهم؛ فإنهم لا يعجزونكَ، اللَّهُمَّ أحصهم عددًا.

اللَّهُمَّ آمِنَّا في أوطاننا، وأُصْلِحْ أئِمَّتَنَا وَوُلاةَ أُمُورِنَا، اللَّهُمَّ وفِّقهم لما يرضيك، وجنِّبهم معاصيك.

اللَّهُمَّ تب على التائبين، واهد ضالَّ المسلمين، اللَّهُمَّ رُدِّهم إِلَيْكَ رَدًّا جَمِيلًا، اللَّهُمَّ ارفع ما نزل من الفتن.

اللَّهُمَّ اغفر لنا ولوالدينا.

عباد الله! ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠]،

فاذكروا الله العلي العظيم يذكركم، واشكروه على نعمكم يزدكم، ﴿وَلَذِكْرُ
 اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

القرآن الكريم

الخطبة الأولى:

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ، وَمَنْ سَارَ عَلَى نَهْجِهِ، وَاقْتَفَى أَثَرَهُ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

أَمَّا بَعْدُ:

إِخْوَةَ الْإِسْلَامِ: مَا مِنْ نَبِيٍّ بُعِثَ إِلَّا وَأَعْطَاهُ اللَّهُ مِنَ الْآيَاتِ مَا يُثَبِّتُ بِهِ لِلنَّاسِ أَنَّهُ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، رَوَى الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ نَبِيٍّ إِلَّا أُعْطِيَ مِنَ الْآيَاتِ مَا مِثْلُهُ أَوْ مِنْ -أَوْ آمَنَ- عَلَيْهِ الْبَشَرُ، وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيَتْ وَحْيًا أَوْحَاهُ اللَّهُ إِلَيَّ، فَأَرْجُو أَنِّي أَكْثَرُهُمْ تَابِعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(١).

وَكَاثَتْ مَعْجَزَةُ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ الْبَاهِرَةُ هِيَ هَذَا الْقُرْآنُ الْعَظِيمُ، وَهَذَا الْوَحْيُ، تِلْكَ الْمَعْجَزَةُ الَّتِي بَهَّرَتْ الْعَرَبَ بِبَلَاغَتِهِ وَنِظَامِهِ؛ حَتَّى قَالَ قَائِلُهُمْ

(١) أخرجه البخاري (٩٢/٩)، رقم (٧٢٧٤)، ومسلم (١/١٣٤)، رقم (١٥٢).

وَأَفْصَحَهُمْ^(١) لما قيل له: قل فيه قولاً: فَأَنْطَقَهُ اللهُ: (ماذا أقول؟ فوالله ما فيكم رجلٌ أَعْلَمُ بالأشعار مني، فوالله ما يُشَبِّهُها الذي يقول، والله، إِنَّ لِقَوْلِهِ حَلَاوَةً، وَإِنَّ عَلَيْهِ طَلَاوَةً^(٢)، وَإِنَّهُ لُمُثِمٌّ أَعْلَاهُ، مُغْدِقٌ^(٣) أَسْفَلَهُ، وَإِنَّهُ لَيَعْلُو وَلَا يُعْلَى). فقيل له: إِنْ قَوْمَكَ لَا يَرْضَوْنَ عَنْكَ حَتَّى تَقُولَ فِيهِ مَا يُرْضِيهِمْ، فَقَالَ: (دعوني حتى أَفَكِّرَ)^(٤)، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُ، فَكَّرَ وَقَدَّرَ^(٥) فَقِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ^(٦) ثُمَّ قِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ^(٧) ثُمَّ نَظَرَ^(٨) ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ^(٩) ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ^(١٠) فَقَالَ إِنَّ هَذَا إِلَّا سَعْرٌ يُوَثَّرُ^(١١) إِنَّ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ﴾ [المدثر: ١٨: ٢٥].

وقد أَمَرَ اللهُ نَبِيَّهٗ ﷺ أَنْ يُبْطِلَ هَذِهِ الْحُجَجَ، إِمَّا بِقَوْلِهِ: ﴿قُلْ لَوْ شَاءَ اللهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَبْتُكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [يونس: ١٦]، وَإِمَّا بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا كُنْتَ تَسْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذْ أَلَّا زَنَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٨].

وهذه الجن اضْطَرَبَتْ وَتَقَلَّقَتْ رِكَائِبُهَا لما سَمِعَتْ نَبِيَّ اللهِ ﷺ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ فَقَالُوا: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا^(١٢) يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾ [الجن: ١ - ٢].

وَأَمَّا أَهْلُ الْكِتَابِ فَلَهُمْ مَعَ هَذَا الْقُرْآنِ وَمَنْ بَلَغَهُ مَاضِي أَسْوَدُ، وَحَاضِرُ

(١) هو الوليد بن المغيرة.

(٢) أي: رَوَتْهَا وَحُسْنًا. وقد تُفْتَحُ طَاوُهُ. النهاية (طلا).

(٣) يقال: أَغْدَقَ الْمَطَرُ: إِذَا كَثُرَ قَطْرُهُ. انظر: المعجم الوسيط (غدق).

(٤) أخرجه الحاكم وقال: حديث صحيح الإسناد على شرط البخاري ولم يخرجاه (٢/ ٥٥٠،

رقم ٣٨٧٢)، والبيهقي في شعب الإيمان (١/ ٢٨٧، رقم ١٣٣).

مَقِيَّتٌ؛ فقد كانوا قبل مَبْعَثِ النَّبِيِّ ﷺ مَمْتَهِنِينَ^(١) دَهْرًا طَوِيلًا، وكانوا يقولون لِمُشْرِكِي الْعَرَبِ: إِنَّ نَبِيًّا سَيُبْعَثُ الْآنَ، سَتَتَّبِعُهُ، قَدْ أَظْلَمَ زَمَانُهُ، فَنَقَتْلُكُمْ قَتْلَ عَادٍ وَإِرَمَ، فَلَمَّا بَعَثَ اللَّهُ رَسُولَهُ مِنْ قُرَيْشٍ كَفَرُوا بِهِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾، أَتَدْرُونَ لِمَاذَا لَمْ يُؤْمِنُوا مَعَ عِلْمِهِمْ وَإِقَانِهِمْ بِهِ؟ أَقْرَأُ مَا بَعْدَهَا: ﴿يَسْكَمَا أَشْتَرُوا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَنْ يَنْزِلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِيتٌ﴾ [البقرة: ٨٩-٩٠]، فَهُمْ عَرَفُوا رَسُولَ اللَّهِ، وَعَرَفُوا كَلَامَ اللَّهِ، وَلَكِنَّ الْحَسَدَ وَالْبَغْيَ مَلَأَ قُلُوبَهُمْ، بَلْ أَخْبَرَ اللَّهُ أَنَّ عِدَاوَتَهُمْ شَدِيدَةٌ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا وَالْيَهُودَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ [المائدة: ٨٢].

أَيُّهَا النَّاسُ: هَذَا الْقُرْآنُ هُوَ شَرَفُ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَعِزُّهَا، لَنْ تُفْلِحَ هَذِهِ الْأُمَّةُ إِلَّا بِالتَّمَسُّكِ بِهِ، وَالتَّحَاكُمِ إِلَيْهِ، وَتَطْبِيقِهِ فِي كُلِّ شَيْءٍ، كَمَا قَالَ ﷺ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ مِنْ حَدِيثِ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي خُطْبَةِ الْوَدَاعِ: «وَقَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ إِنْ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ: كِتَابُ اللَّهِ»^(٢).

وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَذْكُرُ فِي أَكْثَرِ خُطْبِهِ أَنَّ هَذَا الْقُرْآنَ هُوَ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ، وَالْهَدْيُ الْقَوِيمُ، كَمَا جَاءَ ذَلِكَ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ مِنْ حَدِيثِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا خَطَبَ احْمَرَّتْ عَيْنَاهُ، وَعَلَا صَوْتُهُ،

(١) الممتحن: المستعمل في المهنة والمبتدل والمهان. انظر: تاج العروس (مهن).

(٢) أخرجه مسلم (٨٨٦/٢)، رقم (١٢١٨).

وَاشْتَدَّ غَضَبُهُ، حَتَّى كَأَنَّهُ مُنْذِرُ جَيْشٍ يَقُولُ: «صَبَّحَكُمْ وَمَسَّكُمْ»، وَيَقُولُ: «بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ»، وَيَقْرُنُ بَيْنَ إِصْبَعَيْهِ السَّبَّابَةِ، وَالْوُسْطَى، وَيَقُولُ: «أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَالَّةٌ»^(١). كُلُّ هَذَا مِنْ أَجْلِ أَنْ يُذَكِّرَ هَذِهِ الْأُمَّةَ بِشَرَفِ هَذَا الْكِتَابِ وَمَنْزِلَتِهِ.

لِذَا كَانَ لِرَّامًا عَلَى الْمُرِيَيْنِ وَالْوَالِدَيْنِ أَنْ يُعْنُوا بِهَذَا الْأَمْرِ غَايَةَ الْعِنَايَةِ، فِيرَبُّوا أَبْنَاءَهُمْ عَلَى الْمَحَافِظَةِ عَلَيْهِ، وَتَعْظِيمِهِ، وَحِفْظِهِ، وَتَطْبِيقِهِ سُلُوكًا وَعَمَلًا، وَانْظُرْ إِلَى تَرْبِيَةِ رَسُولِنَا ﷺ لَصَحَابَتِهِ -رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ-، فَمَاذَا بَلَّغُوا مِنْ هَذِهِ التَّرْبِيَةِ حَتَّى يَقُولَ ابْنُ مَسْعُودٍ وَابْنُ عَبَّاسٍ وَغَيْرُهُمَا مِنَ الصَّحَابَةِ: (كَانَ الرَّجُلُ مِنَّا إِذَا تَعَلَّمَ عَشْرَ آيَاتٍ لَمْ يَجَاوِزْهُنَّ حَتَّى يَعْرِفَ مَعَانِيَهُنَّ وَالْعَمَلَ بِهِنَ)^(٢)، وَقَالَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ السَّلْمِيُّ: (حَدَّثَنَا الَّذِينَ كَانُوا يُقَرِّئُونَنَا أَنَّهُمْ كَانُوا يَسْتَقْرِئُونَ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ، فَكَانُوا إِذَا تَعَلَّمُوا عَشْرَ آيَاتٍ لَمْ يُخَلِّفُوهَا حَتَّى يَعْمَلُوا بِهَا فِيهَا مِنَ الْعَمَلِ، فَتَعَلَّمْنَا الْقُرْآنَ وَالْعَمَلَ جَمِيعًا)^(٣).

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١].

بَارَكَ اللَّهُ لِي وَلَكُمْ فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، وَنَفَعَنِي -وَأَيَاكُمْ- بِمَا فِيهِ مِنْ

(١) أخرجه مسلم (٢/ ٥٩٢، رقم ٨٦٧).

(٢) أخرجه الطبري (١/ ٨٠، رقم ٨١).

(٣) أخرجه الطبري (١/ ٨٠، رقم ٨٢)، وانظر: المحرر الوجيز لابن عطية (١/ ٩)، وتفسير ابن كثير (٨/ ١).

الآيات والذِّكْر الْحَكِيم، أَقُولُ مَا سَمِعْتُمْ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ لِي وَلَكُمْ
ولسائر المسلمين من كل ذنب وخطيئة، فاستغفروه وتوبوا إليه، إنه هو
الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله على إحسانه، والشُّكْر على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله
إلا الله تعظيماً لشانه، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الداعي إلى جنته
ورضوانه، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَأَعْوَانِهِ.
أَمَّا بَعْدُ:

إِخْوَةَ الْإِسْلَامِ: قَالَ أَحَدُ غُرَاةِ الْفِكْرِ الْغَرَبِيِّينَ بَعْدَ أَنْ خَاضَ تَجَرِبَةً
طَوِيلَةً فِي بَعْضِ بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ وَرَأَى فَشْلَهُ وَعَدَمَ الْقُدْرَةَ عَلَى الْوُصُولِ إِلَى
أَهْدَافِهِ فَقَالَ بِحَسْرَةٍ وَنَدَامَةٍ بَعْدَ أَنْ وُجِّهَ إِلَيْهِ الْعِتَابُ وَالْمَسْأَلَةُ: (وَمَاذَا
أَصْنَعُ إِذَا كَانَ الْقُرْآنُ أَقْوَى مِنْ دَوْلَتِي وَخُطَطِي؟!)، هَذَا الْكَلَامُ وَرَبِّي عَرَفَهُ
كُفَّارُ مَكَّةَ قَبْلَهُمْ، وَعَلِمُوا أَثَرَ الْقُرْآنِ عَلَى سَامِعِهِ -فَضْلاً عَنْ حَافِظِهِ-، أَلَمْ
يَقُلْ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ﴾
[فصلت: ٢٦].

أَيُّ: أَعْرِضُوا عَنْهُ بِأَسْمَاعِكُمْ، وَإِيَّاكُمْ أَنْ تَلْتَفِتُوا، أَوْ تُصْغُوا إِلَيْهِ وَإِلَى مَنْ
جَاءَ بِهِ، فَإِنَّهُ يُؤَثِّرُ عَلَيْكُمْ، وَقَدْ يَسْحَرُكُمْ بِهِ، فَإِنْ اتَّفَقَ أَنْكُمْ سَمِعْتُمُوهُ أَوْ
سَمِعْتُمُ الدَّعْوَةَ إِلَى أَحْكَامِهِ عَارِضُوهُ وَالْغَوَا فِيهِ، أَيُّ: تَكَلَّمُوا بِالْكَلامِ الَّذِي

لا فائدة فيه، بل فيه المضرة، ولا تُمكنُوا -مع قُدرتكم- أحدًا يملك عليكم الكلام به، وتلاوة ألفاظه ومعانيه.

هذا لسان حالهم، ولسان مقالهم في الإعراض عن هذا القرآن، لعلكم إن فعلتم ذلك تغلبون، قال السعدي رحمه الله: (وهذه شهادة من الأعداء، وأوضح الحق ما شهدت به الأعداء، فإنهم لم يحكموا بغلبتهم لمن جاء بالحق إلا في حال الإعراض عنه والتواصي بذلك، ومفهوم كلامهم أنهم إن لم يلغوا فيه؛ بل استمعوا إليه، وألقوا أذنانهم أنهم لا يغلبون، فإن الحق غالب غير مغلوب، يعرف هذا أصحاب الحق وأعداؤه)^(١). اهـ.

فما أجل أن ينشأ الابن والبنت على حفظ كتاب الله، فهو -بإذن الله- حصن حصين، ودرع واق من شياطين الإنس والجن، يذهب ما في القلوب من أمراض الشك والنفاق والشرك والزيف، وهو شفاء حسي ومعنوي، قال تعالى: ﴿ وَنَزَّلْنَا مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾ [الإسراء: ٨٢].

وقد كان منهج السلف والرعية الأول^(٢) هو تقديم حفظ القرآن الكريم عند طلب العلم. يقول ابن عبد البر رحمه الله: (طلب العلم درجات ومناقل ورُتب، لا ينبغي تعديه، ومن تعداها جُملة فقد تعدى سبيل السلف -رحمهم الله-، ومن تعدى سبيلهم عامداً ضلّ، ومن تعداه مجتهداً زلّ، فأول

(١) تفسير السعدي المسمى بتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (٧٤٨).

(٢) الرعية: الجماعة التي تتقدم غيرها، يقال: فلان من الرعية الأول: أي: السابقين. المعجم الوسيط (رعل).

العلم حِفْظُ كتاب الله جَلَّ وَعَزَّ وَتَفَهُهُ^(١)، وقال النووي رحمته الله: (وأول ما يبتدئ به حِفْظُ القرآن العزيز، فهو أَهَمُّ العلوم، وكان السلف لا يُعَلِّمُونَ الحديثَ والفقهَ إلَّا لمن حَفِظَ القرآنَ)^(٢).

وفي صحيح البخاري ومسلم من حديث حذيفة رضي الله عنه قال: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَدِيثَيْنِ، رَأَيْتُ أَحَدَهُمَا وَأَنَا أَنْتَظِرُ الْآخَرَ: حَدَّثَنَا: «أَنَّ الْأَمَانَةَ نَزَلَتْ فِي جَذْرِ قُلُوبِ الرِّجَالِ، ثُمَّ عَلِمُوا مِنَ الْقُرْآنِ، ثُمَّ عَلِمُوا مِنَ السُّنَّةِ»^(٣)، الحديث، قال ابن حجر مُعَلِّقًا على قوله: «ثُمَّ عَلِمُوا مِنَ السُّنَّةِ»: (وفيه إشارة إلى أنهم كانوا يتعلَّمون القرآنَ قبل أن يتعلَّموا السُّنَنَ)^(٤).

أيها الناس: هل تعلمون شَكْوَى رَسُولِنَا ﷺ إلى رَبِّهِ؟! إنها هَجْرُ القرآن، والالتفاتُ إلى غيره، قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَرْبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾ [الفرقان: ٣٠].

ليست مُشْكِلَتُنَا في القراءة، أبدًا، فالصُّحُفُ كل يوم -على كثرتها- تَنفَدُ وتنتهي قبل غروب الشمس؛ ولكن مشكلتنا في مجاهدة أنفسنا، مشكلتنا في عَدَمِ تَصَوُّرِ الأثر البالغ على النَّفْسِ والسلوك عند قَطِيعَةِ هذا الكتاب، إن لسانك عليك حَقًّا، ولقلبك عليك حَقًّا في أن يعيش مع هذه الآيات التي فيها شفاء لما في الصدور، وراحةٌ لِلْأَنْفُسِ والجوارح، وانظر إلى وصف النبي

(١) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر (٢/ ١١٢٩).

(٢) المجموع للنووي (١/ ٣٨).

(٣) أخرجه البخاري (٨/ ١٠٤١، رقم ٦٤٩٧)، ومسلم (١/ ١٢٦، رقم ١٤٣).

(٤) فتح الباري لابن حجر (١٣/ ٣٩).

عَلَيْهِ السَّلَامُ لِحَمَالِ قَارِي الْقُرْآنِ وَطِيبِ رَائِحَتِهِ، يَقُولُ الرَّسُولُ ﷺ كَمَا فِي الصَّحِيحِينَ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ، مَثَلُ الْأُتْرَجَةِ، رِيحُهَا طِيبٌ وَطَعْمُهَا طِيبٌ، وَمَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ مَثَلُ التَّمْرَةِ، لَا رِيحَ لَهَا، وَطَعْمُهَا حُلْوٌ»^(١).

أخي المسلم: حاول أن تُوجِدَ لقراءة القرآن وقتاً، وتَجْعَلَ له وَرْداً، وسيُعِينِكَ اللهُ.

ثُمَّ صَلُّوا وَسَلِّمُوا عَلَى رَسُولِ الْهُدَى، وَإِمَامِ الْوَرَى، فَقَدْ أَمَرَكُم رَبُّكُمْ فَقَالَ -جل وعلا-: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ، وَارْضَ اللَّهُمَّ عَنِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ، وَالْأَئِمَّةِ الْمُهَدِّينَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَلِيٍّ، وَعَنِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ، وَعَنَّا مَعَهُمْ بِعَفْوِكَ وَكَرَمِكَ يَا أَكْرَمَ الْأَكْرَمِينَ.

اللَّهُمَّ اعْزِزْ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَانصِرْ عِبَادَكَ الْمُوَحِّدِينَ الَّذِينَ يَجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِكَ فِي كُلِّ مَكَانٍ، اللَّهُمَّ انصِرْهُمْ عَلَى عَدُوِّكَ وَعَدُوِّهِمْ، اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِالْيَهُودِ الْمُعْتَدِينَ، وَالنَّصَارَى الْمُحَارِبِينَ، اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِهِمْ؛ فَإِنَّهُمْ لَا يَعْجِزُونَكَ، اللَّهُمَّ أَحْصِهِمْ عَدَدًا.

اللَّهُمَّ آمِنَّا فِي أَوْطَانِنَا، وَأُصْلِحْ أَيْمَتَنَا وَوُلاةَ أُمُورِنَا، اللَّهُمَّ وَقِّهِمْ لِمَا يَرْضِيكَ، وَجَنِّبْهُمْ مَعَاصِيكَ.

(١) أخرجه البخاري (٧/ ٧٧، رقم ٥٤٢٧)، ومسلم (١/ ٥٤٩، رقم ٧٩٧).

اللَّهُمَّ تب على التائبين، واهد ضالَّ المسلمين، اللَّهُمَّ رُدَّهُمْ إِلَيْكَ رَدًّا
 جميلاً، اللَّهُمَّ ارفع ما نزل من الفتن.
 اللَّهُمَّ اغفر لنا ولوالدينا.

عباد الله! ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ
 الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠]،
 فاذكروا الله العلي العظيم يذكركم، واشكروه على نعمكم يزدكم، ﴿وَلَذِكْرُ
 اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

الكِبَرُ

الخطبة الأولى:

إِن الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ، وَمَنْ سَارَ عَلَى مَهْجِهِ وَاقْتَفَى أَثَرَهُ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

أَمَّا بَعْدُ:

فَاتَّقُوا اللَّهَ أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ، فَإِنَّهَا وَصِيَّةُ اللَّهِ لِلأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ﴾ [النساء: ١٣١].

مَعَشَرَ الإِخْوَةِ: لَوْ سَأَلَ كُلُّ وَاحِدٍ مَنَا نَفْسَهُ سُؤَالَ مُبَاشِرًا: هَلْ أَنَا مُتَّصِفٌ بِصِفَةِ الْكِبَرِ أَمْ لَا؟ لَوَجَدْتَ الإِجَابَةَ مُتَذَبَذِبَةً وَغَيْرَ دَقِيقَةٍ عِنْدَ كَثِيرٍ مِنَّا؛ وَسَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ مَفْهُومَ الْكِبَرِ غَيْرُ وَاضِحٍ وَغَيْرُ مُتَحَرَّرٍ عِنْدَ الْكَثِيرِينَ، فَبَعْضُهُمْ يَرُبُّطُ الْإِبْتِسَامَةَ وَعَدَمَهَا بِأَنَّهَا مَقْيَاسُ التَّوَاضُعِ وَالْكَبَرِ، وَبَعْضُهُمْ يَرُبُّطُهَا بِاللِّبَاسِ وَالتَّقَشُّفِ، فَإِذَا رَأَى مَنْ يَعْتَنِي بِلِبَاسِهِ وَيَحْرِصُ عَلَى اقْتِنَاءِ الْجَيِّدِ وَغَالِي الثَّمَنِ يَحْكُمُ عَلَيْهِ بِأَنَّهُ مُتَكَبِّرٌ، وَإِذَا رَأَى مَنْ يَلْبَسُ الرَّدِيءَ مِنَ الثِّيَابِ يَحْكُمُ عَلَيْهِ بِأَنَّهُ مُتَوَاضِعٌ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْمَفَاهِيمِ الْخَاطِئَةِ وَالتِّي

تسببت -بحق- إلى وقوع كثير منا في الكبر؛ لأنه لم يلتفت إلى مفهوم الكبر الشرعي.

فالكبر فسره النبي ﷺ -الذي لا ينطق عن الهوى، ومن أوتي جوامع الكلم- بتفسير عظيم واضح، وهو أن الكبر أحد أمرين: إما رد الحق ودفعه وإنكاره؛ ترفعاً، والثاني: احتقار الناس.

جاء في صحيح مسلم من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبَرٍ». قَالَ رَجُلٌ: إِنْ الرَّجُلُ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا، وَنَعْلُهُ حَسَنَةً، قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، الْكِبَرُ: بَطَرٌ^(١) الْحَقُّ، وَغَمَطٌ^(٢) النَّاسِ»^(٣).

وفي لفظ أبي داود: أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ -وَكَانَ رَجُلًا جَمِيلًا- فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي رَجُلٌ حُبِّ إِلَيَّ الْجَمَالُ، وَأُعْطِيتُ مِنْهُ مَا تَرَى؛ حَتَّى مَا أَحَبُّ أَنْ يَفُوقَنِي أَحَدٌ -إِمَّا قَالَ بِشْرَاكِ^(٤) نَعْلِي، وَإِمَّا قَالَ بِشْسَعِ^(٥) نَعْلِي - أَفَمِنْ الْكِبَرِ ذَلِكَ؟ قَالَ: «لَا، وَلَكِنَّ الْكِبَرَ مَنْ بَطَرَ الْحَقَّ، وَغَمَطَ النَّاسَ»^(٦).

بهذا اختبر نفسك، هل أنت ممن يرد الحق إذا سمعه، ولو جاء ممن لا يؤدّه؟ قصّ الله أخبار الأمم السابقة، ووصفهم بأنهم مستكبرون؛ لأنهم ردّوا

(١) البطر: التكبر عن الحق. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (بطر).

(٢) الغمط: الاستهانة والاستحقار. النهاية (غمط).

(٣) أخرجه مسلم (١/٩٣، رقم ٩١).

(٤) هو أحد سيور النعل التي تكون على وجهها. النهاية (شرك).

(٥) هو أحد سيور النعل، وهو الذي يدخل بين الأصبعين. النهاية (شسع).

(٦) أخرجه أبو داود (٤/٥٩، رقم ٤٠٩٢).

الحق، وكم هي المواضع التي يَصِفُ اللهُ فيها فرعونَ بالكِبَرِ: ﴿وَأَسْتَكَبرَ هُوَ وَجُنُودُهُ﴾ [القصص: ٣٩]؛ وذلك لأنه رَدَّ الحقَّ، وقارونُ خُسِفَ به لأنه رَدَّ الحقَّ حينما قال له قومه: ﴿لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾ (٧٦) وَأَبْنَعَ فِيمَا أَتَلَكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [القصص: ٧٦-٧٧]، فقال: ﴿إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي﴾ [القصص: ٧٨].

إذن، كل مَنْ رَدَّ الحقَّ ففيه صِفَةُ الكِبَرِ، فإذا وَجَّهَكَ أخوك أو أبوك أو زميلك، أو مَنْ لا يعرفك ورَدَدْتَ الحقَّ ولم تقبله ففبك صِفَةُ الكِبَرِ.

تأملوا ما جاء في صحيح مسلم من حديث سَلَمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ أَنَّ أَبَاهُ حَدَّثَهُ أَنَّ رَجُلًا أَكَلَ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِشِمَالِهِ فَقَالَ: «كُلْ بِيَمِينِكَ»، قَالَ: لَا أَسْتَطِيعُ، قَالَ: «لَا اسْتَطَعْتَ»، مَا مَنَعَهُ إِلَّا الْكِبَرُ. قَالَ: فَمَا رَفَعَهَا إِلَىٰ فِيهِ^(١).

فانظر كيف رَدَّ الحقَّ حينما قال له الرسول ﷺ: «كُلْ بِيَمِينِكَ»، فَرَدَّه وكَذَّبَ وقال أنه لا يستطيع، ولكنه أَنْفَ^(٢) أن يُؤْمَرَ، وقد قيل: إنه كان منافقا، فدعا عليه الرسول ﷺ.

ما أكثر ما نرى هذه الصُّورَ في رَدِّ الحق، تدخل على المسؤول وتَنصَحُه، وتَذَكِّرُه له المُنْكَرَ الذي في دائرته، ثم هو يُظْهِرُ لك بطلانَ قَوْلِكَ بالباطل، بل وَيَضْحَكُ على فِكْرِكَ، وَيَصِفُكَ بِالتَّشْدُّدِ وَالتَّزَمُّتِ، وعدم الانْفِتَاحِ والثقافة، بل أحيانا يَهْدِدُكَ بِصَلَاحياته، هذا هو الكِبَرُ وإن نَامَ على الحَصِيرِ؛ حينما تَرى أنك أَكْبَرُ مِنْ أَنْ تُؤْمَرَ بالحقِّ فأنت مُتَكَبِّرٌ، حينما تَرى أنك تَعْرِفُ كُلَّ شَيْءٍ

(١) أخرجه مسلم (٣/١٥٩٩، رقم ٢٠٢١).

(٢) أي: استنكف واستكبر. المعجم الوسيط (أنف).

وَأَنْتَ لَا تَجْهَلُ شَيْئًا، فَإِذَا مَا نُبِّهْتَ غَضِبْتَ وَاسْتَنْكَفْتَ فَأَنْتَ مُتَكَبِّرٌ، وَإِذَا رَأَيْتَ مِنْ نَفْسِكَ قَبُولًا لِلْحَقِّ وَإِذْعَانًا وَتَسْلِيمًا فَأَنْتَ مُتَوَاضِعٌ.

رَوَى الْحَاكِمُ فِي مُسْتَدْرَكِهِ وَغَيْرُهُ أَنَّ مِزَابًا^(١) لِلْعَبَّاسِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَانَ شَارِعًا فِي مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؛ لِيَسِيلَ مَاءُ الْمَطَرِ مِنْهُ فِي مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ عُمَرُ بِيَدِهِ^(٢) فَقَلَعَ الْمِيزَابَ، وَقَالَ: هَذَا الْمِيزَابُ لَا يَسِيلُ فِي مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ لَهُ الْعَبَّاسُ: وَالَّذِي بَعَثَ مُحَمَّدًا بِالْحَقِّ إِنَّهُ هُوَ الَّذِي وَضَعَ الْمِيزَابَ فِي هَذَا الْمَكَانِ، وَنَزَعْتَهُ أَنْتَ يَا عُمَرُ، فَقَالَ عُمَرُ: ضَعُ رِجْلَيْكَ عَلَى عُنُقِي لِتَرْدَّهُ إِلَى مَا كَانَ هَذَا، فَفَعَلَ ذَلِكَ الْعَبَّاسُ^(٣).

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ: ﴿سَاصْرِفْ عَنْ عَائِنِي الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كَلَّاءِيَةً لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٦].

بَارَكَ اللَّهُ لِي وَلَكُمْ فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، وَنَفَعَنِي -وَأَيَاكُمْ- بِمَا فِيهِ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ، أَقُولُ مَا سَمِعْتُمْ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ لِي وَلَكُمْ وَلِسَائِرِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ وَخَطِيئَةٍ، فَاسْتَغْفِرُوهُ وَتُوبُوا إِلَيْهِ، إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ.

(١) هو ما يسيل منه الماء من موضع عالٍ. فتح الباري (٢/ ٥٧٧).

(٢) قوله: فقال عمر بيده. قال ابن الأثير في النهاية (قول): الْعَرَبُ تَجْعَلُ الْقَوْلَ عِبَارَةً عَنْ جَمِيعِ الْأَفْعَالِ، وَتُطْلِقُهُ عَلَى غَيْرِ الْكَلَامِ وَاللَّسَانِ، فَتَقُولُ: قَالَ بِيَدِهِ: أَيُّ أَخَذَ. وَقَالَ بِرَجْلِهِ: أَيُّ مَشَى.

(٣) أخرجه أبو داود في المراسيل (ص ٢٣٩، رقم ٤٠٦)، والحاكم (٣/ ٣٧٤، رقم ٥٤٢٨).

الخطبة الثانية:

الحمد لله على إحسانه، والشُّكر على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله تعظيماً لشانه، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الداعي إلى جنته ورضوانه، صَلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأعوانه.

أَمَّا بَعْدُ:

إِخْوَتِي فِي اللَّهِ: وأما الصفة الثانية التي ذَكَرَهَا الرَّسُولُ ﷺ فهي: اخْتِقَارُ النَّاسِ، وهي وَصْفُ إبليس الطَّيِّدِ، فإنه اخْتَقَرَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وقال: ﴿ءَاسَجِدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾ [الإسراء: ٦١]، فهو اخْتَقَرَ آدَمَ فوصفه الله بأنه أَبِي وَاسْتَكْبَرَ، وكذلك كُفَّار قُرَيْشٍ وَقَعُوا بِهِ مَعَ الرَّسُولِ ﷺ: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرَبَيْنِ عَظِيمٍ﴾ (٣١) أَمْرٌ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُلْخِيًّا وَرَحِمْتَ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿ [الزخرف: ٣١ - ٣٢].

وَكَمْ هُم الَّذِينَ يَقْعُونَ فِي هَذِهِ الصِّفَةِ دُونَ اسْتِشْعَارِ أَنَّهُمْ مُتَكَبِّرُونَ! كَمْ هُم الَّذِينَ إِذَا عَلِمُوا أَنَّ فَلَانًا عُيِّنَ فِي وَظِيفَةٍ جَيِّدَةٍ، أَوْ اسْتُقْبِلَ اسْتِقْبَالًا حَاشِدًا، أَوْ أُتِنِيَ عَلَيْهِ فِي مَجْلِسٍ مَنْ يَبْدَأُ بِالِانْتِقَاصِ وَالِاحْتِقَارِ، مَا دَفَعَهُ إِلَّا الْكِبَرُ فَهُوَ يَرَى نَفْسَهُ أَرْفَعَ مِنْهُ وَأَعْلَى.

فَالرَّئِيسُ مَعَ مُوْظَفِيهِ لَا يَقْبَلُ مِنْهُمْ أَيَّ شَيْءٍ، بَيْنَمَا مِنْ غَيْرِهِمْ يَقْبَلُ كُلَّ شَيْءٍ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّهُ يَرَى أَنَّهُ أَرْفَعُ مِنْهُمْ، كُلُّ هَذَا احْتِقَارٌ لِلنَّاسِ وَتَكَبُّرٌ عَلَيْهِمْ، وَالْأَشَدُّ أَنْ يَكُونَ تَكَبُّرُكَ عَلَى الْإِدْيَافِ؛ حَيْثُ تَرَى أَنَّهَا أَقْلٌ مِنْ أَنْ يَأْمُرُوكَ، وَيَقْتَرِحُوا عَلَيْكَ، وَيُشِيرُوا عَلَيْكَ، فَهَذَا احْتِقَارٌ عَظِيمٌ.

وقد يَنْشَأُ الْكِبَرُ مِنْ مَنْصِبٍ يَتَوَلَاهُ الْإِنْسَانُ، فَيَرَى نَفْسَهُ أَعْلَى مِنَ النَّاسِ طَبَقَةً، فَيَكْثُرُ فِي وُجُوهِ فَقَرَاءِ النَّاسِ، وَرَبَّمَا رَأَى أَنْ الْوَاجِبَ إِلَّا يَصِلُوا إِلَيْهِ مَبَاشَرَةً؛ بَلْ لَا بَدَ مِنْ الْوَسَاطَةِ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ، وَيَحْمِلُهُ الْكِبَرُ عَلَى أَنْ يُحِبَّ فِي نَفْسِهِ أَنْ يَقُومَ النَّاسُ لَهُ تَعْظِيمًا.

أَلَا يُوجَدُ فِي مَجْتَمَعِنَا مَنْ يَحْتَقِرُ الْعَمَالَةَ وَالْخَادِمَاتِ، وَيُسِيءُ الْمَعَامِلَةَ! وَمَا كَانَ ذَلِكَ إِلَّا بِسَبَبِ تَكَبُّرِهِ عَلَيْهِمْ، وَأَنَّهُ يَرَى نَفْسَهُ أَفْضَلَ مِنْهُمْ.

فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَطْوِي اللَّهُ ﷻ السَّمَوَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ يَأْخُذُهُنَّ بِيَدِهِ الْيُمْنَى، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَيْنَ الْجَبَّارُونَ؟ أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ؟ ثُمَّ يَطْوِي الْأَرْضِينَ بِشِمَالِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَيْنَ الْجَبَّارُونَ؟ أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ؟»^(١).

وَفِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ عَنْ حَارِثَةَ بْنِ وَهَبٍ الْخَزَاعِيِّ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ الْجَنَّةِ؟ كُلُّ ضَعِيفٍ مُتَضَاعِفٍ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لَا بَرَّةَ. أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ النَّارِ؟ كُلُّ عَتَلٍ^(٢) جَوَّازٍ^(٣) مُسْتَكْبِرٍ»^(٤).

وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، وَأَبِي هُرَيْرَةَ قَالَا: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْعِزُّ إِزَارُهُ، وَالْكَبرياءُ رِدَاؤُهُ، فَمَنْ يَنَازِعُنِي عَذْبَتُهُ»^(٥).

(١) أخرجه مسلم (٤/٢١٤٨، رقم ٢٧٨٨).

(٢) الْعَتَلُ: هو الشديد الجافي، والْفَطُّ الغليظ من الناس. النهاية (عتل).

(٣) الْجَوَّازُ: الجموع النوع. وقيل: الكثير اللحم المختال في مشيته. وقيل: القصير البطين. النهاية (جوظ).

(٤) أخرجه البخاري (٨/٢٠، رقم ٦٠٧١)، ومسلم (٤/٢١٩٠، رقم ٢٨٥٣).

(٥) أخرجه مسلم (٤/٢٠٢٣، رقم ٢٦٢٠).

ثُمَّ صَلُّوا وَسَلِّمُوا عَلَى رَسُولِ الْهُدَى، وَإِمَامِ الْوَرَى، فَقَدْ أَمَرَكُم رُبُّكُمْ
فَقَالَ - جَل وَعَلَا -: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى نَبِيِّنَا
مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ، وَارْضَ اللَّهُمَّ عَنِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ،
وَالْأَيْمَةِ الْمُهَدِّينَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَلِيٍّ، وَعَنِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ، وَعَنَّا
مَعَهُمْ بِعَفْوِكَ وَكَرَمِكَ يَا أَكْرَمَ الْأَكْرَمِينَ.

اللَّهُمَّ أَعِزَّ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَانصِرْ عِبَادَكَ الْمُوَحِّدِينَ الَّذِينَ يَجَاهِدُونَ
فِي سَبِيلِكَ فِي كُلِّ مَكَانٍ، اللَّهُمَّ انصِرْهُمْ عَلَى عَدُوِّكَ وَعَدُوِّهِمْ، اللَّهُمَّ عَلَيْكَ
بِالْيَهُودِ الْمُعْتَدِينَ، وَالنَّصَارَى الْمُحَارِبِينَ، اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِهِمْ؛ فَإِنَّهُمْ لَا
يَعْجِزُونَكَ، اللَّهُمَّ أَحْصِهِمْ عَدَدًا.

اللَّهُمَّ آمِنَّا فِي أَوْطَانِنَا، وَأُصْلِحْ أَيْمَتَنَا وَوُلَاةَ أُمُورِنَا، اللَّهُمَّ وَفِّقْهُمْ لِمَا
يَرْضِيكَ، وَجَنِّبْهُمْ مَعَاصِيكَ.

اللَّهُمَّ تَبْ عَلَى التَّائِبِينَ، وَاهْدِ ضَالَّ الْمُسْلِمِينَ، اللَّهُمَّ رُدِّهِمْ إِلَيْكَ رَدًّا
جَمِيلًا، اللَّهُمَّ ارْفَعْ مَا نَزَلَ مِنَ الْفِتَنِ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِينَا.

عِبَادَ اللَّهِ! ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ
الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠]،
فَاذْكُرُوا اللَّهَ الْعَلِيَّ الْعَظِيمَ يَذْكُرْكُمْ، وَاشْكُرُوهُ عَلَى نِعَمِكُمْ يَزِدْكُمْ، ﴿وَلَذِكْرُ
اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

الكذب

الخطبة الأولى:

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ، وَمَنْ سَارَ عَلَى مَهْجِهِ وَاقْتَفَى أَثَرَهُ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

أَمَّا بَعْدُ:

فَأَوْصِيَكُمْ وَنَفْسِي بِتَقْوَى اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا، فَقَدْ قَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿يَتَأْتِيَهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْقُوا اللَّهَ وَلَتَنْظُرَ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَأَتَقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الحشر: ١٨].

إِخْوَتِي فِي اللَّهِ: ثَقِيلٌ عَلَى بَعْضِ النَفُوسِ أَنْ تُذَكَّرَ بِعَيْبِهَا وَتُزَجَرَ عَلَى خَطِيئِهَا وَإِثْمِهَا، فَكَلَامٌ كَهَذَا تَتَحَاشَى النَفْسُ سَمَاعَهُ؛ لَا سِيَّما إِذَا كَانَ هَذَا الْعَيْبُ وَالْخُلُقُ مُحَلًّا بِالْدِّينِ وَالْمَرْوَةِ وَالذَّاتِ.

الْكُذْبُ كَلِمَةٌ قَصِيرَةٌ جَدًّا، لَكِنْ أَمْرُهُ خَطِرٌ وَشَرُّهُ مُسْتَطِيرٌ، انْتَشَرَ فِي كُلِّ مَكَانٍ، وَظَهَرَ فِي كُلِّ زَمَانٍ -إِلَّا مَا رَحِمَ الرَّحْمَنُ- هُوَ مِنْ كِبَائِرِ الذُّنُوبِ، وَفَوَاحِشِ الْعِيُوبِ، وَمِنْ أَبْغَضِ الْأَخْلَاقِ وَالْخِلَالِ، وَصَاحِبُهُ فِي قَلْقٍ

واضطراب وخيرة وارتياح، مُمَحِّقٌ للبركات، ومُكَثِّرٌ للسيئات، مُفْتَاخٌ لكل الموبقات، مَغْلَاقٌ لكل الخيرات، مُوجِبٌ للعذاب، طَارِدٌ من الجنّات إلى جحيم المهلكات.

ومما يُبْكِي العينَ وَيُدْمِي القلبَ أن مَرَضَ الكذب مُتَغَلِّغٌ في بعض النفوس كالسرطان الخبيث، ويقع للأسف الشديد من الآباء أُمَامَ الأبناء، ومن المُعَلِّمِينَ أُمَامَ المُتَعَلِّمِينَ، فصار المجتمع -إِلَّا مَا رَحِمَ اللهُ- مريضًا بهذا المرض العضال^(١)، فَلَعَلَّنَا نُعَاتِبَ أَنْفُسَنَا وَنُذَكِّرُهَا وَنُخَوِّفُهَا؛ لِنُرَاجِعَ تَعَامُلَنَا مع ربنا وأنفسنا ومع عِبَادِ اللهِ.

وقد عَرَّفَ الإمامُ النَوَوِيُّ الكَذِبَ فقال: (اعْلَمْ أن مَذْهَبَ أَهْلِ السُّنَّةِ أَنَّ الكَذِبَ هُوَ الإِخْبَارُ عَنِ الشَّيْءِ بِخِلَافِ مَا هُوَ، سِوَا تَعَمُّدَتِ ذَلِكَ، أَمْ جَهْلُهُ، لَكِنْ لَا يَأْتِمُّ فِي الْجَهْلِ، وَإِنَّمَا يَأْتِمُّ فِي الْعَمْدِ)^(٢).

مَاذَا صَنَعَ الكَذِبُ؟ عَمِلَ عَمَلَ السَّحَرَةِ، كَمَ مِنْ عَائِلَةٍ تَشَرَّدَتْ بِسَبَبِهِ! وَكَمَ مِنْ مُوَظَّفٍ أَهِنَ؛ بَلْ طُرِدَ بِسَبَبِهِ! وَكَمَ مِنْ عَفِيفٍ ابْتُلِيَ بِسَبَبِهِ!

هَلْ يَعْلَمُ الكَاذِبُ أَنَّهُ مُحْرَمٌ مِنْ نِعْمَةِ الهِدَايَةِ؟ قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾ [غافر: ٢٨]، هَلْ يَعْلَمُ أَنَّهُ مَطْرُودٌ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ تَعَالَى؛ بَلْ هُوَ فِي عِنْدِ اللهِ كَذَّابٌ آثِمٌ، مَكْتُوبٌ عِنْدَهُ بِأَنَّهُ مِنَ الكَاذِبِينَ. مَنْ يَرْضَى أَنْ يَكُونَ عِنْدَ النَّاسِ كَذَّابًا؟ فَكَيْفَ يَنْظُرَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا؟

(١) أي: الشديد. المصباح المنير (عضل).

(٢) الأذكار للنووي (ص ٣٧٨).

وَلْتَأْمَلْ مَا رَوَاهُ الشَّيْخَانُ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ الصَّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ حَتَّى يُكْتَبَ صَدِيقًا، وَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ حَتَّى يُكْتَبَ كَذَّابًا»^(١).

أَتَذَرُونَ مَا مَعْنَى الْفُجُورِ؟ هُوَ الْمِيلُ إِلَى الْفَسَادِ، وَعَلَى الْإِنْبِعَاثِ فِي الْمَعَاصِي، وَالْمِيلُ عَنِ الْحَقِّ، وَالْإِحْتِيَالِ فِي رَدِّهِ، بَلْ قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ: (هُوَ اسْمٌ جَامِعٌ لِلشَّرِّ)^(٢). وَعَلَيْهِ؛ فَلَا عَجَبَ حِينَمَا صَارَ الْعَلَامَةُ الْبَارِزَةُ لِلنِّفَاقِ؛ بَلْ هُوَ أَسْهُ^(٣)، وَعَلَيْهِ يَدُورُ رَحَاهُ، كَمَا رَوَى الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا-: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَلَّةٌ مِنْهُنَّ»، أَيْ صِفَةٌ مِنْهُنَّ «كَانَتْ فِيهِ خَلَّةٌ مِنْ نِفَاقٍ حَتَّى يَدْعَهَا: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ»^(٤).

قَالَ الْإِمَامُ النَّوَوِيُّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-: (الَّذِي قَالَهُ الْمُحَقِّقُونَ وَالْأَكْثَرُونَ وَهُوَ الصَّحِيحُ الْمَخْتَارُ: أَنَّ مَعْنَاهُ أَنَّ هَذِهِ الْخِصَالَ خِصَالُ نِفَاقٍ، وَصَاحِبُهَا شَيْبَةٌ بِالْمُنَافِقِينَ فِي هَذِهِ الْخِصَالِ، وَمُتَخَلِّقٌ بِأَخْلَاقِهِمْ، فَإِنَّ النِّفَاقَ هُوَ إِظْهَارُ مَا يُبْطِنُ خِلَافَهُ، وَهَذَا الْمَعْنَى مَوْجُودٌ فِي صَاحِبِ هَذِهِ الْخِصَالِ... وَقَوْلُهُ ﷺ: «كَانَ

(١) أخرجه البخاري (٢٥/٨)، رقم (٦٠٩٤)، ومسلم (٤/٢٠١٢)، رقم (٢٦٠٧).

(٢) فتح الباري لابن حجر (٥٠٨/١٠).

(٣) الأس: الأساس. المعجم الوسيط (أسس).

(٤) أخرجه البخاري (١٦/١)، رقم (٣٤)، ومسلم (١/٧٨)، رقم (٥٨).

مُنَافِقًا خَالِصًا»، معناه: شديد الشَّبه بالمنافقين؛ بسبب هذه الخصال^(١).

ولهذا وَصَفَ الرسولُ ﷺ الكَذِبَ بأنه رِيَّةٌ، كما عند الترمذي في جامعه^(٢)، والله لا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ [النحل: ١٠٥].

بَارَكَ اللهُ لِي وَلَكُمْ فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، ونفعني -وإياكم- بما فيه من الآيات والذِّكْرِ الْحَكِيمِ، أَقُولُ مَا سَمِعْتُ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ لِي وَلَكُمْ وَلِسَائِرِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ وَخَطِيئَةٍ، فَاسْتَغْفِرُوهُ وَتُوبُوا إِلَيْهِ، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله على إحسانه، والشُّكْرُ على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله تعظيماً لشانه، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، الداعي إلى جنته ورضوانه، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَأَعْوَانِهِ.

أَمَّا بَعْدُ:

إِخْوَتِي فِي اللَّهِ: حينما نتكلم عن الكَذِبِ فإننا نتكلم عن واقِعِنَا في كل

(١) شرح النووي على مسلم (٢/٤٧).

(٢) انظر: سنن الترمذي (٤/٦٦٨، رقم ٢٥١٨).

مكان، في بيوتنا، وفي عَمَلِنَا، وفي أَسْوَاقِنَا، نتكلم عن حَدِيثِ الْكَبِيرِ مع الصغير، والأب مع ابنه، والمُعَلِّم مع تلميذه، والمُوظَّف مع مُرَاجِعِيهِ، كَم هي حَسْرَة شديدة أَنْ يَعْتَقِدَ المرءُ أَنَّ الْكَذِبَ سلاحٌ لِلتَّخَلُّصِ مِنَ النَّاسِ أو المراجعين أو الأبناء! بل إن الْكَذِبَ أحيانًا يكون على الله، وذلك بالكلام في الأحكام والقَوْل عليه بغير عِلْمٍ، وذلك مِنْ جاهِلٍ لا يعرف صِفَة الصلاة والوضوء بأدلتها.

إِنْ حَالَ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ يُزَاوِلُ الْكَذِبَ عَلَى أَنَّهُ ذَكَاءٌ وَدَهَاءٌ وَحُسْنُ تَصَرُّفٍ، وَهَذَا جَمَعَ بَيْنَ الْفَسَادِ الْعَمَلِيِّ وَالْفَسَادِ الْقَلْبِيِّ. عَنْ سُفْيَانَ بْنِ أُسَيْدٍ رضي الله عنه أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «كَبُرَتْ خِيَانَةٌ أَنْ تُحَدِّثَ أَخَاكَ حَدِيثًا هُوَ لَكَ بِهِ مُصَدِّقٌ، وَأَنْتَ لَهُ بِهِ كَاذِبٌ»^(١).

فَالْكَذَّابُ لِرَّصٍّ؛ لِأَنَّ اللَّصَّ يَسْرِقُ مَالَكَ، وَالْكَذَّابُ يَسْرِقُ عَقْلَكَ، أَجِبْ نَفْسَكَ بِصِرَاحَةٍ: كَمْ تَكْذِبُ فِي يَوْمِكَ وَلَيْلَتِكَ؟ مَرَّةً؟ أَمْ مَرَّتَيْنِ؟ فَبِكَمْ كَذْبَةٍ سَتَلْقَى اللَّهَ ﷻ؟

إِنَّ أَهَمَّ نَقْطَةٍ لِبَدَايَةِ الْعِلَاجِ هُوَ أَنْ تَسْتَشْعِرَ الدَّاءَ، وَأَنْ تَعْلَمَ خَطَرَهُ، وَأَنْ تَأْنِفَ مِنَ الْكَذِبِ وَأَسْبَابِهِ؛ لِأَنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ يَكْذِبُ وَيَنْسَى؛ بَلْ وَلَا يَشْعُرُ أَنَّهُ يَكْذِبُ.

إِخْوَتِي فِي اللَّهِ: إِنَّا حِينَمَا نَتَكَلَّمُ عَنِ الْكَذِبِ فَإِنَّا نُدَافِعُ عَنْ حَقُوقِ النَّاسِ، حَقُوقِهِمُ الَّتِي أُكِلَتْ وَضُيِّعَتْ بِسَبَبِ هَذَا الْمَسْئَلِ وَالْمَهْيَعِ^(٢)، حِينَمَا

(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (١/١٤٢)، رقم (٣٩٣)، وأبو داود (٤/٢٩٣)، رقم (٤٩٧١)، وابن أبي عاصم في الأحاد والمثاني (٥/٨٢)، رقم (٢٦٢٣).

(٢) المهيع من الطرق: البين. المعجم الوسيط (هيع).

نقف موقفاً جاداً مع أبنائنا وزملائنا ونُقصي هذا الكَذَابَ حينها -فعلاً- نستطيع أن نَتَّبَعَ القولَ العملَ، ألا يمر علينا كثيراً في اليوم الواحد من يُثْنِي على رَجُلٍ أو مُسْئُولٍ، وفي مَجْلِسٍ آخَرَ يَذُمُّه وَيَهْجُوهُ! ألا يَمُرُّ علينا مَنْ يَمْدَحُ فِعْلاً أو تَصَرُّفاً أو جِهَةً، وفي مكان آخَرَ يَسُبُّه! ما هذا التلون؟! ولم؟! وما الحاجة إليه؟!

رَوَى أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ أَنَّ نَاسًا قَالُوا لِابْنِ عَمْرٍ: إِنَّا نَدْخُلُ عَلَى السُّلْطَانِ فَنُحَدِّثُهُمْ بِكَلَامٍ خِلَافَ مَا نَقُولُ إِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِهِمْ، فَقَالَ ابْنُ عَمْرٍ: (كُنَّا بِعَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ نَعُدُّ هَذَا نِفَاقًا)^(١). وَفِي الصَّحِيحِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ شَرَّ النَّاسِ ذُو الْوَجْهَيْنِ»^(٢).

ووالله لو لم يكن في الكذب من عقوبة إلا ما رواه البخاري في صحيحه في رؤيا النبي ﷺ في نومه أنه رَأَى رَجُلًا مُلْقَى عَلَى قِفَاهِ، وَرَجُلٌ قَائِمٌ عَلَيْهِ بِكُلُوبٍ^(٣) مِنْ حَدِيدٍ، وَإِذَا هُوَ يَأْتِي أَحَدَ شِقْيَيْ وَجْهِهِ فَيُشْرِشِرُ^(٤) شِدْقَهُ إِلَى قِفَاهِ، وَمَنْخَرَهُ إِلَى قِفَاهِ، وَعَيْنَهُ إِلَى قِفَاهِ، ثُمَّ يَتَحَوَّلُ إِلَى الْجَانِبِ الْآخَرِ فَيَفْعَلُ بِهِ مِثْلَ مَا فَعَلَ بِالْجَانِبِ الْأَوَّلِ، فَمَا يَفْرَغُ مِنْ ذَلِكَ الْجَانِبِ حَتَّى يَصِحَّ ذَلِكَ الْجَانِبُ كَمَا كَانَ، ثُمَّ يَعُودُ عَلَيْهِ فَيَفْعَلُ مِثْلَ مَا فَعَلَ فِي الْمَرَّةِ الْأُولَى. وَحِينَ سَأَلَ عَنْهُ، قِيلَ لَهُ: (هُوَ الرَّجُلُ يَغْدُو مِنْ بَيْتِهِ فَيَكْذِبُ الْكَذْبَةَ تَبْلُغُ الْآفَاقَ)^(٥)، أَلَا فَلْتَعِظْ،

(١) أخرجه أحمد (٣/١٤٩، رقم ٥٤٧٣)، والطيايبي (٣/٤٦١، رقم ٢٠٦٧)، والطبراني (١٣/٦٨، رقم ١٣٦٩٧).

(٢) أخرجه البخاري (٩/٧١، رقم ٧١٧٩)، ومسلم (٤/٢٠١١، رقم ٢٥٢٦).

(٣) الكُّلُوبُ: حديدة مُعَوَّجَةٌ الرَّأْسِ. النهاية في غريب الحديث والأثر (كلب).

(٤) أي: يُشَقِّقُ ويقطع. النهاية (شرشر).

(٥) أخرجه البخاري (٩/٤٤، رقم ٧٠٤٧)، وأحمد (٩/٢٤، رقم ٢٠٤١١).

وَلْنَحْشَ اللَّهَ فِي أَلْسِنَتِنَا وَفِي كِتَابَاتِنَا، وَعَبَّرَ أَيَّ وَسِيلَةٍ.

ثُمَّ صَلُّوا وَسَلَّمُوا عَلَى رَسُولِ الْهُدَى، وَإِمَامِ الْوَرَى، فَقَدْ أَمَرَكُمْ رَبُّكُمْ فَقَالَ - جَل وَعَلَا -: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ، وَارْضَ اللَّهُمَّ عَنِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ، وَالْأَئِمَّةِ الْمُهَدِّينَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَلِيٍّ، وَعَنِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ، وَعَنَّا مَعَهُمْ بِعَفْوِكَ وَكَرَمِكَ يَا أَكْرَمَ الْأَكْرَمِينَ.

اللَّهُمَّ اعِزَّ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَانصِرْ عِبَادَكَ الْمُوَحِّدِينَ الَّذِينَ يَجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِكَ فِي كُلِّ مَكَانٍ، اللَّهُمَّ انصِرْهُمْ عَلَى عَدُوِّكَ وَعَدُوِّهِمْ، اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِالْيَهُودِ الْمُعْتَدِينَ، وَالنَّصَارَى الْمُحَارِبِينَ، اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِهِمْ؛ فَإِنَّهُمْ لَا يَعْجِزُونَكَ، اللَّهُمَّ أَحْصِهِمْ عَدَدًا.

اللَّهُمَّ آمِنَّا فِي أَوْطَانِنَا، وَأَصْلِحْ أَيْمَتَنَا وَوُلاةَ أُمُورِنَا، اللَّهُمَّ وَفِّقْهُمْ لِمَا يَرْضِيكَ، وَجَنِّبْهُمْ مَعَاصِيكَ، اللَّهُمَّ تَبْ عَلَى التَّائِبِينَ، وَاهْدِ ضَالَّ الْمُسْلِمِينَ، اللَّهُمَّ رُدِّهِمْ إِلَيْكَ رَدًّا جَمِيلًا، اللَّهُمَّ ارْفَعْ مَا نَزَلَ مِنَ الْفِتَنِ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِينَا.

عِبَادَ اللَّهِ! ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠]، فَادْكُرُوا اللَّهَ الْعَلِيَّ الْعَظِيمَ يَذْكُرْكُمْ، وَاشْكُرُوهُ عَلَى نِعَمِكُمْ يَزِدْكُمْ، ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

اللفو

الخطبة الأولى:

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ، وَمَنْ سَارَ عَلَى مَهْجِهِ وَاقْتَفَى أَثَرَهُ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

أَمَّا بَعْدُ:

فَاتَّقُوا اللَّهَ - أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ - حَقَّ تَقَاتِهِ، وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ.

مَعَشَرَ الْمُصَلِّينَ: مِنْ خِلَالِ وَسَائِلِ الْإِعْلَامِ الْمُنْتَوَعَةِ، وَوَسَائِلِ التَّوَاصُلِ الْاجْتِمَاعِيِّ أَصْبَحَ يَصِلُكَ كُلُّ شَيْءٍ، وَيُقَالُ كُلُّ شَيْءٍ، وَتَرَى كُلَّ شَيْءٍ، لَمْ يَعُدْ هُنَاكَ مَا لَا يُمَكِّنُ أَنْ تَسْمِعَهُ أَوْ تَرَاهُ، وَأَصْبَحَ أَهْلُ الضَّلَالِ يَكْتُبُونَ مَا لَا يُرْضَى مِنَ الْقَوْلِ، بَلْ تَكَادُ السَّمَوَاتُ أَنْ تَنْفَطِرَ وَتَنْشَقَّ الْأَرْضُ مِنْ فُحْشِ الْقَوْلِ الَّذِي نَقَرَاهُ أَوْ نَسْمِعُهُ كُلَّ يَوْمٍ فَيُسْتَنْفَرُ كَثِيرٌ مِنَ الْأَخْيَارِ، وَبِقَصْدِ الْخَيْرِ يَبْدُوونَ بِنَشْرِ الضَّلَالِ وَالْجَهْلِ عَلَى الْعَامَّةِ وَالنَّاسِ جَمِيعًا دُونَ أَنْ يَشْعُرُوا، فَيُخَالِفُونَ الْمَنْهَجَ الشَّرْعِيَّ.

ولذا كان لزاماً أن نتذكّر أصلاً شرعياً، هو علاج ناجع وبلسم شافٍ لهذه الجهالات، إنه قول الله تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ [الفرقان: ٦٣]، هذا وصفٌ لهم بالوقار والسكينة المُشعر بالثقة بالله، وبما يحمله المرء من الحق وجميل القيم، ثم إذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً، فمن هم الجاهلون؟ ليسوا المجانين ومن لا يعقل، والعُرف القرآني للفظ (الجاهل) يأتي لمن يترك الحق على بصيرة، ويستخف بأوامر الله وشرعه كما قال موسى ﷺ: ﴿أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [البقرة: ٦٧]، وكما قال الله لنوح ﷺ: ﴿إِنِّي أَعْطِكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [هود: ٤٦]، وكما قال الله: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِمِغْلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ﴾ [النساء: ١٧]، فهم كل من يقول الجاهل والفحش واللغو والهدر^(١) الذي لا طائل تحته، فيقولون لهم أهل الإيمان والصلاح سلاماً، أي: خاطبواهم خطاباً يسلمون فيه من الإثم، ويسلمون من مقابلة الجاهل بجهله. وهذا مدح لهم برزانة العقل الذي أوصلهم إلى هذه الحال، فلو تعاملنا مع من يُحاطبنا بجهل وإسفاف بالإغراض لأجرنا على ذلك ولحصل لنا الخير الكثير باتباع الشرع.

قال الطاهر بن عاشور: (لفظ التحية مستعمل في لازمه، وهو المتاركة؛ لأن أصل استعمال لفظ السلام في التحية أنه يؤذن بالتأمين، أي عدم الإهاجة^(٢)).

(١) الهدر: سقط الكلام. المعجم الوسيط (هدر).

(٢) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (١٩/٦٩).

وهذه الآية السابقة فيما إذا خاطبك الجاهل، فكيف إذا كان قد مرَّ وعُرِضَ عليك كما في وسائل الإعلام؟! تأمَّل قول الله تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْنِئُ الْجَاهِلِينَ﴾ [القصص: ٥٥]، وهذا أدب عظيم، فهو لاء سَمِعُوا اللَّغْوَ والباطل، فأول عَمَلٍ عَمِلُوهُ هو الإعراض، وهذا أصل عظيم في الشريعة، الإعراض عن الباطل، وعدم سماعه؛ لأنه يُؤثِّر على النَّفْس، وقد يشرب المرءُ حُبَّهُ.

ثم تأمَّل هذه الثقة التي تتكرر بالاعتزاز بِقِيَمِكَ ودينِكَ: ﴿وَقَالُوا لَنَا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْنِئُ الْجَاهِلِينَ﴾، قال السعدي: (كُلُّ سَيِّجَازِي بَعْمَلِهِ الَّذِي عَمِلَهُ وَحْدَهُ، ليس عليه من وَزْرِ غَيْرِهِ شَيْءٌ، وَلَزِمَ مِنْ ذَلِكَ، أَنَّهُمْ يَتَبَرَّءُونَ مِمَّا عَلَيْهِ الْجَاهِلُونَ، مِنَ اللَّغْوِ وَالْبَاطِلِ، وَالْكَلَامِ الَّذِي لَا فَائِدَةَ فِيهِ... وَلَنْ نَسْمَعُوا مِنْهُ إِلَّا الْخَيْرَ، وَلَا نَخَاطِبُكُمْ بِمُقْتَضَى جَهْلِكُمْ، فَإِنَّكُمْ -وإن رَضِيتُمْ لأنفسكم هذا المَرْتَعَ اللَّئِيمَ- فَإِنَّا نُنَزِّهُ أَنْفُسَنَا عَنْهُ، وَنُصَوِّمُهَا عَنِ الْخَوْضِ فِيهِ)^(١).

إن الإعراض عن اللَّغْوِ وأماكنه، وعدم مُجَادَلَةِ الجاهلين أَصْلُ تَأَهُُّلٍ وَضَاعٍ فِي خِصْمِ الْمَسَاجِلَاتِ وَالرَّدُودِ فِي إِفْرَاطٍ تَجَاوَزَ حَدَّهُ عِنْدَ كَثِيرٍ مِنْ أَهْلِ الْخَيْرِ، وَنَسُوا وَصَفَ اللَّهِ -جَلَّ وَعَلَا- لَهُمْ بِقَوْلِهِ: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ [الفرقان: ٧٢]، وَكُلُّ بَاطِلٍ زُورٌ وَزُخْرُفٌ، وَأَعْظَمُهُ الشُّرْكُ وَتَعْظِيمُ الْأَنْدَادِ، وَأَعْيَادُ الْمُشْرِكِينَ وَأَهْلُ الْبِدْعِ.

(١) تفسير السعدي (ص ٦٢٠).

وَتَأْمَلْ وَصَفَ مُرُورِهِمْ بقوله: ﴿كِرَامًا﴾، أي: مُعْرِضِينَ مُنْكَرِينَ لَا يَرْضَوْنَهُ، وَلَا يُيَالِثُونَ^(١) عليه، وَلَا يُجَالِسُونَ أَهْلَهُ.

وَانْظُرْ إِلَى تَطْبِيقِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مع أصحابه المؤمنين -فَضْلًا عن المنافقين وأهل الأهواء- في الحديث الذي رواه الشيخان عن ابنِ عَبَّاسٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- قَالَ: لَمَّا حُضِرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَفِي الْبَيْتِ رِجَالٌ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «هَلُمُّوا أَكْتُبْ لَكُمْ كِتَابًا لَا تَضِلُّوا بَعْدَهُ»، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ غَلَبَهُ الْوَجَعُ، وَعِنْدَكُمْ الْقُرْآنُ حَسْبُنَا كِتَابُ اللَّهِ، فَاخْتَلَفَ أَهْلُ الْبَيْتِ وَاخْتَصَمُوا، فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ: قَرَّبُوا يَكْتُبْ لَكُمْ كِتَابًا لَا تَضِلُّوا بَعْدَهُ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ غَيْرَ ذَلِكَ، فَلَمَّا أَكْثَرُوا اللَّغْوَ وَالْإِخْتِلَافَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «قُومُوا»^(٢).

وهذا هو معنى قول الله تعالى: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾^(١) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ^(٢) وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿[المؤمنون: ١: ٣].

بَارَكَ اللَّهُ لِي وَلَكُمْ فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، وَنَفَعَنِي وَإِيَّاكُمْ بِمَا فِيهِ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ، أَقُولُ مَا سَمِعْتُمْ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ لِي وَلَكُمْ وَلِسَائِرِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ وَخَطِيئَةٍ، فَاسْتَغْفِرُوهُ وَتَوَبُوا إِلَيْهِ، إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ.

(١) يقال: مالأه على الأمر: ساعده وعاونه. المعجم الوسيط (ملا).

(٢) أخرجه البخاري (٩/٦)، رقم (٤٤٣٢)، ومسلم (٣/١٢٥٩)، رقم (١٦٣٧).

الخطبة الثانية:

الحمد لله على إحسانه، والشُّكر على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله تعظيماً لشانه، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الداعي إلى جنته ورضوانه، صَلَّى الله عليه، وعلى آله وأصحابه وأعوانه.

أَمَّا بَعْدُ:

مَعَشَرَ الْمُصَلِّينَ: إن زمنا هذا بخاصة يُحْتَم علينا استشعار هذا الأصل، لا أقول في كل يوم؛ بل في كل لحظة تأتيك الأقوال الجاهلة، واللُّغُو الساقط، دون أن تَبْحَث عنها، فلست مَنْ يَمُرُّ عليها، بل هي مِمَّا يَمُرُّ عليك، فنحتاج إلى رَفْعِ راية هذا الأصل، وهو البُعْدُ عن اللُّغُو، والإِعْرَاضُ عن الجاهلين، والاشتغال بعبادة رب العالمين، وَمِنَ الحُطْأِ تَصُوِّرُ أَنْ تَتَّبِعَ هذا اللُّغُو وهذا الجهل من باب الأمر بالمعروف والنَّهْي عن المنكر، فليس كل لَغْوٍ يجب رَدُّه، ولا كل جَهْلٍ هو مُلْتَبَسٌ على الناس، وإنما يحتسب الناس فيما خَفِيَ على الناس ويحتاج إلى بيانه، وكثير من الباطل قَتْلُهُ وإِمَاتَتُهُ بتركه، وهذا هو مَعْنَى الإِعْرَاضِ عن اللُّغُو، فَإِنَّ اللُّغُوَ الَّذِي أُمِرْنَا بِالْإِعْرَاضِ عَنْهُ هُوَ مِنَ الْقَوْلِ الْمُحَرَّمِ، ومع ذلك أُمِرْنَا بِتَرْكِهِ وَهَجْرِهِ.

قال البيهقي:

(باب في الإِعْرَاضِ عن اللُّغُو، قال الله ﷻ: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ﴾ [القصص: ٥٥]، واللُّغُو: الباطل الذي لا يَتَّصِلُ بِقَيِّدٍ صحيح، ولا يكون لقائله فيه فائدة، وربما يكون وبالاً عليه، و يكون منه الخوض فيما لا

يَحِلُّ من ذِكْرِ الْفُجَّارِ والفجور والملاهي... وكل ما كان لَغْوًا فينبغي ألاَّ يُشْتَغَلَ به، قال رسول الله ﷺ: «مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ مَرْكُوهُ مَا لَا يَغْنِيهِ»^(١) (٢).

نعم، كُلُّ ما كان لَغْوًا يجب ألاَّ يُشْتَغَلَ به.

كَمْ أَخَذَ مِنَّا متابعَةٌ الجاهلين من الجُهدِ وَمِنْ تَرْكِ ما ينفع دون فائدة! بل أدى ذلك إلى نَشْرِ الشَّرِّ وأهله دون أن نشعر، بل لم نَسْلَمْ من غُبار هذا الجهل على قلوبنا.

كثيرًا ما يكون باعِثُ تَرْكِ الإعراض عن الجاهلين هو الانتصار للنفس، ومحاولة إسقاط الجاهل، وإظهار عيبته، وهذا ليس لصاحبه في الآخرة من خَلَاقٍ^(٣)، بل الواجب هو الإعراض.

وابن تيمية لما رَدَّ على مَنْ أَجَازَ بَعْضَ الشَّرَكِيَّاتِ الْمُجْمَعِ عليها قال: (ليس المقصودُ العدوانَ على أحد، ولا بَخْسَ حَقِّه، ولا ذَمَّ شَخْصٍ مُعَيَّنٍ؛ بل المقصودُ الكلامُ بِمُوجِبِ الْعِلْمِ والعدل والدين... وَيَحْذَرُ مِنَ الْخَطَا والضلال)^(٤).

وما يُوجَدُ في زماننا هذا أكثره من اللغو والزُّور الذي نحتاج فيه إلى

(١) أخرجه الترمذي، وقال: حديث غريب (٤/٥٥٨، رقم ٢٣١٧)، وابن ماجه (٢/١٣١٥، رقم ٣٩٧٦)، وأحد (١/٤٣٨، رقم ١٧٦١).

(٢) انظر: شعب الإيمان للبيهقي (١٣/٢٦٧).

(٣) الخَلَق: الحظ والنصيب من الخير. المعجم الوسيط (خلق).

(٤) انظر: الإخنائية (أو الرد على الإخنائي) لابن تيمية (١/١٩ - ٢٠).

أَصْلُ الإِعْرَاضِ، وَأَعْظَمَ مَا يُعْطَى الْمَرْءُ - كَمَا قَالَ أَنَسٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - حِلْمٌ يَرُدُّ بِهِ جَهْلَ الْجَاهِلِ^(١)، وَرُويَ مَرْفُوعًا^(٢) إِلَى النَّبِيِّ ﷺ. فَجِهَادُنَا مَعَ أَنْفُسِنَا فِي الإِعْرَاضِ، وَقَوْلُ: ﴿لَنَا أَعْمَلْنَا وَلَكُمْ أَعْمَلْتُمْ سَلَمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْنِئُ الْجَاهِلِينَ﴾ [القصص: ٥٥].

ثُمَّ صَلُّوا وَسَلِّمُوا عَلَى رَسُولِ الْهُدَى، وَإِمَامِ الْوَرَى، فَقَدْ أَمَرَكُمُ رَبُّكُمْ فَقَالَ - جَل وَعَلَا -: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ، وَارْضَ اللَّهُمَّ عَنِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ، وَالْأَئِمَّةِ الْمُهَدِّينَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَلِيٍّ، وَعَنِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ، وَعَنَّا مَعَهُمْ بِعَفْوِكَ وَكَرَمِكَ يَا أَكْرَمَ الْأَكْرَمِينَ.

اللَّهُمَّ اعْزِزْ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَانصِرْ عِبَادَكَ الْمُوَحِّدِينَ الَّذِينَ يَجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِكَ فِي كُلِّ مَكَانٍ، اللَّهُمَّ انصِرْهُمْ عَلَى عَدُوِّكَ وَعَدُوِّهِمْ، اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِالْيَهُودِ الْمُعْتَدِينَ، وَالنَّصَارَى الْمُحَارِبِينَ، اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِهِمْ؛ فَإِنَّهُمْ لَا يَعْجِزُونَكَ، اللَّهُمَّ أَحْصِهِمْ عَدَدًا.

اللَّهُمَّ آمِنَّا فِي أَوْطَانِنَا، وَأَصْلِحْ أَيْمَتَنَا وَوُلَاةَ أُمُورِنَا، اللَّهُمَّ وَفِّقْهُمْ لِمَا يَرْضِيكَ، وَجَنِّبْهُمْ مَعَاصِيكَ.

اللَّهُمَّ تَبْ عَلَى التَّائِبِينَ، وَاهْدِ ضَالَّ الْمُسْلِمِينَ، اللَّهُمَّ رُدِّهِمْ إِلَيْكَ رَدًّا

(١) أخرجه البزار (٨٨/١٣)، رقم (٦٤٤٣).

(٢) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان عن الحسن مرسلاً (١١/١٢)، رقم (٨٠٦٥).

جَمِيلًا، اللَّهُمَّ ارفع ما نزل من الفتن.

اللَّهُمَّ اغفر لنا ولوالدينا.

عباد الله! ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَنِ وَإِيتَايِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ
الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠]،
فاذكروا الله العلي العظيم يذكركم، واشكروه على نعمكم يزدكم، ﴿وَلَذِكْرُ
اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

المجاهر بالمعاصي

الخطبة الأولى:

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ، وَمَنْ سَارَ عَلَى مَهْجِهِ وَاقْتَفَى أَثَرَهُ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، وَسَلَّمَتْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

أَمَّا بَعْدُ:

فاتقوا الله أيها المسلمون والمسلمات: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ٢١].
مَعَشَرَ الْإِخْوَةِ: هل أتاكم نبأ النِّجْوَى والمناجاة فيما بين العبد وربِّه، وهي المناجاة التي تَقَعُ مِنَ الرَّبِّ -سبحانه وتعالى- يَوْمَ الْقِيَامَةِ مع المؤمنين؟ تَأَمَّلُوا هذا الحديثَ العظيمَ الذي رواه البخاري في صحيحه من حديث صفوان بن محرز: أن رجلاً سأل ابن عمر: كيف سمعت رسولَ الله ﷺ يقول في النِّجْوَى؟ قال (يَذْنُو أَحَدُكُمْ مِنْ رَبِّهِ حَتَّى يَضَعَ كَنَفَهُ عَلَيْهِ، فَيَقُولُ: عَمِلْتُ كَذَا وَكَذَا؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، وَيَقُولُ: عَمِلْتُ كَذَا وَكَذَا، فَيَقُولُ: نَعَمْ، فَيَقْرُرُهُ، ثُمَّ يَقُولُ: إِنِّي سَتَرْتُ عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، فَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ)^(١).

(١) أخرجه البخاري (٢٠/٨، رقم ٦٠٧٠)، وابن منده في الإبان (٢/٩٧٩، رقم ١٠٧٩)،

يقول الله: سترتها عليك في الدنيا، ما أعظم عفو الله وحلمه - جل وعلا - سِتِيرٌ كَرِيمٌ.

عِبَادَ اللَّهِ، كيف بعبد لا يريد سِتْرَ الله عليه، والله يستره وهو يُرَدُّ سِتْرَهُ عليه؟! أولئك المُجَاهِرُونَ بالمعاصي، تَجِدُ أَحَدَهُمْ يَمْلَأُ فَمَهُ بكل صَفَاقَةٍ، يَذْكُرُ مَا رَأَى أَوْ فَعَلَ مِنَ الفَوَاحِش والقاذورات من الذنوب، والله قد سَتَرَهُ، وهو يكشف سِتْرَ الله عليه، وأولئك قد تَوَعَّدَهُمْ رسول الله ﷺ في الحديث الذي رواه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يقول: «كُلُّ أُمَّتِي مُعَافٍ إِلَّا الْمُجَاهِرِينَ، وَإِنَّ مِنَ الْمُجَاهِرَةِ أَنْ يَعْمَلَ الرَّجُلُ بِاللَّيْلِ عَمَلًا، ثُمَّ يُصْبِحَ وَقَدْ سَتَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ، فَيَقُولَ: يَا فُلَانُ، عَمِلْتُ الْبَارِحَةَ كَذَا وَكَذَا، وَقَدْ بَاتَ يَسْتُرُهُ رَبُّهُ، وَيُصْبِحُ يَكْشِفُ سِتْرَ اللَّهِ عَنْهُ»^(١).

قال ابن بطّال: (وفي المجاهرة بالمعاصي استخفاف بحق الله وحق رسوله، وضرب من العناد لهما؛ فلذلك قال عليه السلام: «كُلُّ أُمَّتِي مُعَافٍ إِلَّا الْمُجَاهِرُونَ»^(٢)).

وقوله ﷺ: «كُلُّ أُمَّتِي مُعَافٍ» مِنَ الْعَافِيَةِ وَأَنَّ اللَّهَ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - يغفر الذنبَ وَيَقْبَلُ التَّوْبَةَ، «إِلَّا الْمُجَاهِرِينَ»، هؤلاء لَا يُعَافُونَ، المجاهرون بالمعاصي لَا يُعَافُونَ، الْأُمَّةُ كُلُّهَا يَعْفُو الْعَفْوُ عَنْ ذُنُوبِهَا، لَكِنَّ الْفَاسِقَ الْمُعْلِنَ لَا يُعَافِيهِ اللَّهُ تعالى.

والبيهقي في الأسماء والصفات (١/٥٤٥، رقم ٤٧٢).

(١) أخرجه البخاري (٨/٢٠، رقم ٦٠٦٩)، ومسلم (٤/٢٢٩١، رقم ٢٩٩٠).

(٢) شرح صحيح البخاري لابن بطال (٩/٢٦٣).

وقال بعض العلماء: (إِنَّ الْمَقْصُودَ بِالْحَدِيثِ: كُلُّ أُمَّتٍ يُتْرَكُونَ فِي الْغِيَّةِ إِلَّا الْمَجَاهِرِينَ، وَالْعَفْوُ بِمَعْنَى التَّرْكِ، وَالْمُجَاهِرُ هُوَ الَّذِي أَظْهَرَ مَعْصِيَتَهُ، وَكَشَفَ مَا سَتَرَ اللَّهُ عَلَيْهِ، فَيُحَدِّثُ بِهَا، وَقَدْ ذَكَرَ الْإِمَامُ النَّوَوِيُّ رحمته الله أَنَّ مَنْ جَاهَرَ بِفُسْيقِهِ أَوْ بَدَعَتِهِ جَازَ ذِكْرُهُ بِمَا جَاهَرَ بِهِ)^(١).

وهذه المُجَاهَرَةُ الَّتِي هِيَ التَّحَدُّثُ بِالْمَعَاصِي، يَجْلِسُ الرَّجُلُ فِي الْمَجْلِسِ كَمَا أَخْبَرَ النَّبِيُّ عليه السلام وَيَقُولُ: «عَمِلْتُ الْبَارِحَةَ كَذَا وَكَذَا»، يَتَحَدَّثُ بِمَا فَعَلَ، وَيَكْشِفُ مَا سَتَرَ، وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ عليه السلام كَمَا عِنْدَ الْحَاكِمِ: «اجْتَنِبُوا هَذِهِ الْقَادُورَةَ الَّتِي نَمَى اللَّهُ عَنْهَا، فَمَنْ أَلَمَ بِشَيْءٍ مِنْهَا فَلْيَسْتَرْ بِسِتْرِ اللَّهِ»^(٢).

وَرُوِيَ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه أَنَّهُ قَالَ: (لَا يَسْتَرْ اللَّهُ عَلَى عَبْدٍ فِي الدُّنْيَا إِلَّا سَتَرَ عَلَيْهِ فِي الْآخِرَةِ)^(٣).

فَكَيْفَ يُفَرِّطُ وَيَتَسَاهَلُ عَبْدٌ وَقَعَ فِي مَعَاصِي اللَّهِ بِالْجَهَارِ بِهَا وَيَرُدُّ سِتْرَ اللَّهِ عَلَيْهِ؟! وَكَمَا أَنَّ اللَّهَ أَمَرَ بِتَرْكِ الذُّنُوبِ، فَقَدْ أَمَرَ بِتَرْكِ التَّحَدُّثِ بِهَا، كَمَا قَالَ - عَزَّ مِنْ قَائِلٍ - فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ عَنِ الْإِثْمِ: ﴿وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ﴾ [الأنعام: ١٢٠].

قِيلَ: إِنْ ظَاهَرَهُ الْإِعْلَانُ بِهِ، وَبَاطِنَهُ الْاسْتِسْرَارُ، كَمَا ذَكَرَ ذَلِكَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ^(٤).

(١) فتح الباري لابن حجر (١٠/٤٨٦ - ٤٨٧).

(٢) أخرجه الحاكم، وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه (٤/٢٧٢، رقم ٧٦١٥)، ومالك (٢/٨٢٥، رقم ١٢)، والبيهقي في شعب الإيمان (١٢/١٧٠، رقم ٩٢٢٦).

(٣) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء (١/١٣٧)، والبيهقي في شعب الإيمان (١١/٣٢٣، رقم ٨٥٩٧)، والبغوي في شرح السنة (١٣/٦٤، رقم ٣٤٨٠).

(٤) انظر: زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي (٢/٧١).

عِبَادَ اللَّهِ، إِنَّ الْمُجَاهِرَةَ بِالْمَعْصِيَةِ وَالتَّبَجُّحَ بِهَا؛ بِلِ وَالْمُفَاخِرَةَ، قَدْ صَارَتْ سِمَةً مِنْ سِمَاتِ بَعْضِ النَّاسِ فِي هَذَا الزَّمَنِ، يُفَاخِرُونَ بِالْمَعَاصِي، يَتَبَاهَوْنَ بِهَا، وَيَنْبَغِي عَلَى الْإِنْسَانِ أَنْ يَتُوبَ وَيَسْتَرَّ، وَلَكِنَّ هَؤُلَاءِ يُجَاهِرُونَ، قَالَ النَّوَوِي رَحِمَهُ اللَّهُ: (يُكْرَهُ لِمَنْ ابْتُلِيَ بِمَعْصِيَةٍ أَنْ يُخْبِرَ غَيْرَهُ بِهَا -يعني: ولو شخصاً واحداً-، بَلْ يُقْلَعُ عَنْهَا وَيَنْدَمُ وَيَعْزَمُ أَلَّا يَعُودَ، فَإِنْ أَخْبَرَ بِهَا شَيْخَهُ الَّذِي يُعَلِّمُهُ أَوْ الَّذِي يُفْتِيهِ أَوْ نَحْوَهُ مِنْ صَدِيقٍ عَاقِلٍ صَاحِبِ دِينٍ مِثْلًا، يَرْجُو بِإِخْبَارِهِ أَنْ يُعَلِّمَهُ مُحَرِّجًا مِنْهَا، أَوْ مَا يَسْلَمُ بِهِ مِنَ الْوُقُوعِ فِي مِثْلِهَا، أَوْ يَعْرِفَهُ السَّبَبَ الَّذِي أَوْقَعَهُ فِيهَا، فَهُوَ حَسَنٌ، وَإِنَّمَا يَحْرُمُ الْإِجْهَارُ حَيْثُ لَا مَصْلَحَةٌ؛ لِأَنَّ الْمَفْسَدَةَ حِينَئِذٍ سَتَكُونُ وَاقِعَةً، فَالْكَشْفُ الْمَذْمُومُ هُوَ الَّذِي يَقَعُ عَلَى وَجْهِ الْمُجَاهِرَةِ وَالِاسْتِهْزَاءِ، لَا عَلَى وَجْهِ السُّؤَالِ وَالِاسْتِفْتَاءِ، بِدَلِيلِ خَبَرٍ مَنْ وَقَعَ امْرَأَتُهُ فِي رَمَضَانَ، فَجَاءَ فَأَخْبَرَ النَّبِيَّ ﷺ لَكِي يُعَلِّمَهُ الْمَخْرَجَ، وَلَمْ يُنْكِرْ عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ فِي إِخْبَارِهِ) (١).

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّي عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنٌ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّيْتُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الأنعام: ١٥١].

بَارَكَ اللَّهُ لِي وَلَكُمْ فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، وَنَفَعَنِي وَإِيَّاكُمْ بِمَا فِيهِ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ. أَقُولُ مَا سَمِعْتُمْ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ لِي وَلَكُمْ وَلِسَائِرِ

(١) انظر: فيض القدير للمناوي (٥ / ١١).

المسلمين من كل ذَنْبٍ وخطيئة، فاستغفروه وتوبوا إليه، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله على إحسانه، والشُّكر على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله تعظيماً لشانه، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، الداعي إلى جنته ورضوانه، صَلَّى الله عليه، وعلى آله وأصحابه وأعوانه.
أَمَّا بَعْدُ:

مَعَشَرَ الْمُصَلِّينَ: إن المجاهرَ بالمعاصي والمتحدِّثَ بها قد يَزِيدُ أحياناً في جِهَارِهِ كِبَائِرَ أُخْرَى، فهو يُجَاهِرُ بها لأنه يَشْعُرُ بذلك أنه يَغِيظُ أَهْلَ الْخَيْرِ، فَيَتَكَبَّرُ عَلَيْهِمْ بِفِعْلَتِهِ هَذِهِ، وأحياناً يُجَاهِرُ بالمعاصي لِيَدْعُو النَّاسَ إِلَى تَقْلِيدِهِ فيكون دَاعِيَةً شَرًّا بِذَلِكَ، وكل هذه مَعَاصٍ عَظِيمَةٌ، قد يَتَسَاهَلُ بها بَعْضُ النَّاسِ، وما عَلِمَ أنه قد تَلَبَّسَ بِمَخَازٍ عَظِيمَةٍ، وَيُلْ له إن لم يتداركه الله بعَفْوِهِ؛ ولهذا وَقَفَ أَهْلُ الْعِلْمِ أَمَامَ الْمُجَاهِرِ مَوْقِفًا صَارِمًا، فَنَصُّوا على كراهية الصلاة خَلْفَ الْفَاسِقِ الْمُجَاهِرِ بِفُسْقِهِ؛ بل قال بعضهم بإعادة الصلاة خلفه، وسُئِلَ ابن أبي زيد رحمته الله عَمَّنْ يَعْمَلُ الْمَعَاصِيَ: هل يكون إماماً؟ فأجاب: (أما الْمُصَرُّ الْمُجَاهِرُ فَلَا)، وقال: (لَا يُصَلِّي خَلْفَ الْمَشْهُورِ بِالْكَذِبِ، وَالْقَتَاتِ^(١))، والمُعْلَنِ

(١) هو الذي يتسمع كلام الناس من حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ، سَوَاءَ أَنْمَهَا أَمْ لَمْ يَنْمَهَا. المعجم الوسيط (قتت).

بالكبائر، مع صحة الصلاة^(١)، أي: أنها لا تُعاد، ولكن تُكره الصلاة وراء هذا الرجل. وقال مالك رحمته الله: (مَنْ هذا الذي ليس فيه شيء؟! كل إنسان يعصي، وليس المصْرُّ والمجاهرُ كغيره)^(٢).

وَشَدَّدُوا فِي الصَّلَاةِ عَلَيْهِ؛ حَتَّى قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةٍ رحمته الله: (يَنْبَغِي لِأَهْلِ الْخَيْرِ أَنْ يَهْجُرُوا الْمُظْهَرَ لِلْمُنْكَرِ مِثْلًا كَمَا هَجَرُوهُ حَيًّا، إِذَا كَانَ فِيهِ كَفٌّ لَأَمْثَالِهِ، فَيَتْرَكُونَ تَشْيِيعَ جَنَازَتِهِ)^(٣).

وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ، فَهَلْ يُشْرَعُ السِّرُّ عَلَى الْمَجَاهِرِينَ؟ قَالَ أَهْلُ الْعِلْمِ: (وَأَمَّا الْمَجَاهِرُ وَالْمُتَهَتِّكُ فَيَسْتَحَبُّ أَلَّا يُسْتَرَّ عَلَيْهِ، بَلْ يُظْهَرُ حَالُهُ لِلنَّاسِ؛ حَتَّى يَحْتَنِبُوهُ، وَيَنْبَغِي رَفْعُ أَمْرِهِ لِلْقَاضِي؛ حَتَّى يُقِيمَ عَلَيْهِ مَا يَسْتَحِقُّهُ؛ لِأَنَّ سِرَّ مِثْلِ هَذَا الرَّجُلِ أَوْ الْمَرَأَةِ يُطْمَعُ فِي مَزِيدٍ مِنَ الْأَذَى وَالْمَعْصِيَةِ، وَإِذَا كَانَتْ غَيْبَةً الْمُسْلِمِينَ حَرَامًا فَإِنَّ هَذَا الرَّجُلَ قَدْ أَبَاحَ لِلنَّاسِ أَنْ يَتَكَلَّمُوا فِي شَأْنِهِ بِمُجَاهَرَتِهِ، فَأَجَازَ الْعُلَمَاءُ غَيْبَةَ الْمَجَاهِرِ بِفُسْقِهِ أَوْ بِبِدْعَتِهِ، كَالْمَجَاهِرِ بِشُرْبِ الْخَمْرِ وَغَيْرِهِ)^(٤)، وَكَمَا قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ رحمته الله: (إِذَا كَانَ الرَّجُلُ مُعَلِّنًا بِفُسْقِهِ فَلَيْسَتْ لَهُ غَيْبَةٌ)^(٥)، لَكِنِ النَّوَوِيُّ رحمته الله أَشَارَ إِلَى أَنَّ غَيْبَتَهُ فِيهَا جَاهَرٌ فِيهِ فَقَطْ، وَيُهْتَكُ فِيهَا جَاهَرٌ فِيهِ، وَيُحَذَّرُ مِنْ شَأْنِهِ، وَيُحَذَّرُ النَّاسُ مِنْهُ.

(١) انظر: مواهب الجليل في شرح مختصر خليل للحطاب الرعيني المالكي (٢/ ٩٤).

(٢) المصدر السابق.

(٣) انظر: مجموع الفتاوى (٢٨/ ٢١٨).

(٤) انظر: الموسوعة الفقهية الكويتية (٣٦/ ١٢١).

(٥) الآداب الشرعية والمنح المرعية لابن مفلح (١/ ٢٤٤).

وأما هَجْرُهُ فإذا كان يَرْتَدِّعُ بِهِ فَيَجِبُ الهَجْرُ، والهَجْرُ بالمقاطعة، وَعَدَمُ الكلام، وَعَدَمُ الزيارة، وَعَدَمُ السلام عليه، قال الإمام أحمد رحمته الله: (ليس لِمَنْ يَسْكُرُ وَيُقَارِفُ شَيْئًا مِنَ الْفَوَاحِشِ حُرْمَةٌ وَلَا صَلََّةٌ إِذَا كَانَ مُعْلِنًا مُكَاشِفًا)^(١).

إن قضية المجاهرة قضية شرعية اجتماعية، ليس لأحد أن يتساهل بها، أو يُحاول أن يجد غِطَاءً له مثل أولئك، إن الرحمة بهم والدعوة لأن يتساهل بهم ليس من الرحمة في شيء، ولا من العقل أيضًا، فالقاتل تأخذك به رحمة عند قتله، والمحدود كذلك، ولكن الله قال: ﴿وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [النور: ٢].

وغريب جدًا عندما تتناول قضية المجاهرة لتجبر القضية إلى مَنْ أَعَانَ أو مَنْ تَسَبَّبَ فِي ذَلِكَ لِيُتْرَكَ الْمُبَاشِرُ لَهَا، وما هؤلاء إلا كمن يقول: لا تَقْتُلُوا الْقَاتِلَ، وَاقْتُلُوا مَنْ صَنَعَ السِّلَاحَ أو مَنْ بَاعَهُ، وَلَا تُعَاقِبُوا مَنْ شَرِبَ الْمُسْكِرَ، أو أَكَلَ الْمُخَدَّرَاتِ، وَعَاقِبُوا مَنْ بَاعَهَا وَرَوَّجَهَا، كل هؤلاء مُعَاقِبُونَ فِي دِينِ اللَّهِ. وَمَنْ قَدَّرَ السُّلْطَانُ عَلَى مَعَاقِبَتِهِ فَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ مَعَاقِبَتِهِ، وَإِنْ لَمْ يَقْدِرْ عَلَى بَعْضِهِمْ فَلَيْسَ هَذَا بِمُسَوِّغٍ لِتَرْكِ الْجَمِيعِ.

وختامًا، دعوة صادقة إلى ضَبْطِ نفوسنا، وَعَدَمِ الاستسلام للشيطان، فَإِنَّ اللَّهَ يَسْتُرُ عَلَيْكَ، وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَغْفِرُ لَكَ؛ إِنْ سَتَرْتَ عَلَى نَفْسِكَ، وَقُلْتَ: يَا رَبِّ، لَا حَوْلَ لِي، وَلَا طَوْلَ لِي، وَلَا قُوَّةَ لِي إِلَّا بِكَ، عَصَيْتُكَ وَأَنْتَ الْغَفُورُ، وَسَتَرْتَنِي وَأَنْتَ الْكَرِيمُ، فَاللَّهُمَّ اسْتُرْنِي فِي الْآخِرَةِ كَمَا سَتَرْتَنِي فِي الدُّنْيَا.

ثُمَّ صَلُّوا وَسَلِّمُوا عَلَى رَسُولِ الْهُدَى، وَإِمَامِ الْوَرَى، فَقَدْ أَمَرَكُمْ رَبُّكُمْ
فَقَالَ - جَل وَعَلَا -: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى نَبِيِّنَا
مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ، وَارْضَ اللَّهُمَّ عَنِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ،
وَالْأَئِمَّةِ الْمُهَدِّينَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَلِيٍّ، وَعَنِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ، وَعَنَّا
مَعَهُمْ بِعَفْوِكَ وَكَرَمِكَ يَا أَكْرَمَ الْأَكْرَمِينَ.

اللَّهُمَّ أعِزَّ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَانصِرْ عِبَادَكَ الْمُوَحِّدِينَ الَّذِينَ يَجَاهِدُونَ
فِي سَبِيلِكَ فِي كُلِّ مَكَانٍ، اللَّهُمَّ انصِرْهُمْ عَلَى عَدُوِّكَ وَعَدُوِّهِمْ، اللَّهُمَّ عَلَيْكَ
بِالْيَهُودِ الْمُعْتَدِينَ، وَالنَّصَارَى الْمُحَارِبِينَ، اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِهِمْ؛ فَإِنَّهُمْ لَا
يَعْجِزُونَكَ، اللَّهُمَّ أَحْصِهِمْ عَدَدًا.

اللَّهُمَّ آمِنَّا فِي أَوْطَانِنَا، وَأَصْلِحْ أَيْمَتَنَا وَوُلاةَ أُمُورِنَا، اللَّهُمَّ وَفِّقْهُمْ لِمَا
يَرْضِيكَ، وَجَنِّبْهُمْ مَعَاصِيكَ.

اللَّهُمَّ تَبَّ عَلَى التَّائِبِينَ، وَاهْدِ ضَالَّ الْمُسْلِمِينَ، اللَّهُمَّ رُدِّهِمْ إِلَيْكَ رَدًّا
جَمِيلًا، اللَّهُمَّ ارْفَعْ مَا نَزَلَ مِنَ الْفِتَنِ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِينَا.

عِبَادَ اللَّهِ! ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ
الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠]،
فَاذْكُرُوا اللَّهَ الْعَلِيَّ الْعَظِيمَ يَذْكُرْكُمْ، وَاشْكُرُوهُ عَلَى نِعَمِكُمْ يَزِدْكُمْ، ﴿وَلَذِكْرُ
اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

المشابهة بالكفار

الخطبة الأولى:

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ، وَمَنْ سَارَ عَلَى مَهْجِهِ وَاقْتَفَى أثرَهُ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ:

فَأَعْظُمُ وَصِيَّةً وَأَزْكَاهَا هِيَ الْوَصِيَّةُ بِتَقْوَى اللَّهِ ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الحشر: ١٨].

عِبَادَ اللَّهِ: لَقَدْ خَصَّ اللَّهُ هَذِهِ الْأُمَّةَ أُمَّةَ مُحَمَّدٍ ﷺ بِخَصَائِصٍ كَثِيرَةٍ، فَهِيَ مُقَدَّمَةٌ فِي الْفَضْلِ، سَابِقَةٌ فِي الشَّرَفِ وَالشُّوْذُودِ^(١)، قَالَ تَعَالَى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، وَإِنَّمَا حَازَتْ هَذِهِ الْأُمَّةُ قَصَبَ السَّبْقِ^(٢) إِلَى الْخَيْرَاتِ بَنِيِّهَا مُحَمَّدٍ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ، فَإِنَّهُ أَشْرَفُ خَلْقِ اللَّهِ، وَأَكْرَمُ الرُّسُلِ عَلَى اللَّهِ، بَعَثَهُ

(١) هو السيادة والمجد والشرف. المعجم الوسيط (سود).

(٢) يقال لمن سَبَقَ غَيْرَهُ إِلَى الْفَوْزِ فِي أَمْرٍ: حَازَ أَوْ أَحْرَزَ قَصَبَ السَّبْقِ. انظر: المعجم الوسيط (حرز).

اللَّهُ بِشَرِّعٍ كَامِلٍ عَظِيمٍ، لَمْ يُعْطَهُ نَبِيٌّ قَبْلَهُ، وَلَا رَسُولٌ مِنَ الرُّسُلِ، فَالْعَمَلُ عَلَى مَنِهَاجِهِ وَسَبِيلِهِ يَقُومُ الْقَلِيلُ مِنْهُ مَا لَا يَقُومُ الْعَمَلُ الْكَثِيرُ مِنْ أَعْمَالِ غَيْرِهِمْ مَقَامَهُ.

فَأَمَّتْنَا لَا تَشْتَكِي مِنْ فَقْرِهَا مِنَ الْقِيَمِ، كَلَّا، فَاللَّهُ يَقُولُ: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، لَيْسَتْ الْمَشْكَالَةُ فِي الْقِيَمِ وَالْمَثَلُ؛ إِنَّمَا الْمَشْكَالَةُ فِي الْجَهْلِ بِتِلْكَ الْقِيَمِ، وَالْعَجْزُ عَنِ التَّمَسُّكِ بِهَا، وَعَدَمُ الْقُدْرَةِ عَلَى تَنْزِيلِهَا عَلَى الْوَاقِعِ.

وَمِنْ كَمَالِ هَذِهِ الشَّرِيعَةِ أَنْ بَيَّنَّتْ أَعْظَمَ سَبَبٍ لِفَسَادِ بَعْضِ أَفْرَادِ هَذِهِ الْأُمَّةِ، أَلَا وَهُوَ التَّشَبُّهُ بِالْكَافِرِ، وَمُحَاكَاتُهُمْ فِي دِينِهِمْ، وَأَعْيَادِهِمْ وَطُقُوسِهِمْ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (١٨) إِنَّهُمْ لَنْ يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ ﴿[الجنَّة: ١٨ - ١٩]، فَكُلُّ مَنْ خَالَفَ شَرِيعَةَ الرَّسُولِ ﷺ هَوًى وَتَقْلِيدًا لِلْكَافِرِ؛ فَإِنَّهُ مِنْ أَهْوَاءِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ، فَهُمْ لَا يَنْفَعُونَكَ عِنْدَ اللَّهِ فَيَحْصُلُوا لَكَ الْخَيْرَ، وَيَدْفَعُوا عَنْكَ الشَّرَّ إِنْ اتَّبَعْتَهُمْ عَلَى أَهْوَائِهِمْ، وَلَا يَصْلُحُ أَنْ تُوَافِقَهُمْ وَتُؤَالِيَهُمْ، فَإِنَّ اللَّهَ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ.

كَمْ هِيَ تِلْكَ النُّصُوصُ الَّتِي تُحَذِّرُ مِنَ تَقْلِيدِ الْكَافِرِ وَالتَّشَبُّهِ بِهِ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ! بَلْ إِنَّكَ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ تَسْتَعِيدُ مِنْ هَذَا التَّقْلِيدِ فِي سُورَةِ (الْفَاتِحَةِ) وَأَنْتَ تَقْرَأُ: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ (١) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿[الفاتحة: ٦ - ٧]، فَكَيْفَ يَدْعُو بَعْضُ النَّاسِ بِهَذَا الدُّعَاءِ ثُمَّ تَجِدُ سُلُوكَهُ يُنَاقِضُ دُعَاءَهُ، وَقَدْ رَوَى الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ مِنْ

حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: «لَتَبْعَنَّ سَنَنْ^(١) مَنْ قَبْلَكُمْ شِبْرًا بِشِيرٍ وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ؛ حَتَّى لَوْ سَلَكَوا جُحَرَ ضَبٍّ لَسَلَكْتُمُوهُ»، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى؟ قَالَ: «فَمَنْ»^(٢)، وللبخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَأْخُذَ أُمَّتِي بِأَخِذِ الْقُرُونِ قَبْلَهَا شِبْرًا بِشِيرٍ وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ»، فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَفَارِسَ وَالرُّومَ؟ فَقَالَ: «وَمَنْ النَّاسُ إِلَّا أَوْلَئِكَ»^(٣).

فَأَخْبَرَ ﷺ أَنَّهُ سَيَكُونُ فِي أُمَّتِهِ مُضَاهَاةٌ لِلْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، وَهُمْ أَهْلُ الْكِتَابِ، وَمُضَاهَاةٌ لِفَارِسَ وَالرُّومِ، وَهُمْ الْأَعَاجِمُ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَآكْثَرَ أَمْوَالًا وَأَوْلَدًا فَاسْتَمَعُوا لِمَخْلِقِهِمْ فَاسْتَمَعْتُمْ مِخْلَقَكُمْ كَمَا اسْتَمَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ مِخْلَقَهُمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا﴾ [التوبة: ٦٩]، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا-: (مَا أَشَبَّهَ اللَّيْلَةَ بِالْبَارِحَةِ، هَؤُلَاءِ بَنُو إِسْرَائِيلَ شُبَّهْنَا بِهِمْ)^(٤). وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: (أَنْتُمْ أَشَبُّهُ الْأُمَمِ بَنِي إِسْرَائِيلَ سَمْتًا وَهَدْيًا، تَتَّبِعُونَ عَمَلَهُمْ حَذْوًا^(٥) الْقُدَّةَ^(٦) بِالْقُدَّةِ، غَيْرَ أَنِّي لَا أَدْرِي أَتَعْبُدُونَ الْعِجْلَ أَمْ لَا؟)^(٧).

(١) أي: طريق. انظر: النهاية (سنن).

(٢) أخرجه البخاري (٤/١٦٩، رقم ٣٤٥٦)، ومسلم (٤/٢٠٥٤، رقم ٢٦٦٩).

(٣) أخرجه البخاري (٩/١٠٢، رقم ٧٣١٩).

(٤) تفسير الطبري (١٤/٣٤٢).

(٥) الحذو: التقدير والقطع. انظر: النهاية (حذا).

(٦) القُدَّة: ريشة السهم، أي: تعملون مثل عملهم، كما تُقَدَّر كل واحدة منها على قدر صاحبها وتقطع. يُضْرَب مثلاً للشئيين يستويان ولا يتفاوتان. انظر: النهاية (قذذ).

كم هي النصوص المَحْدَرَة من التَّشْبِه! فها هو ﷺ يقول: «مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ»^(١)، «مَنْ أَحَبَّ قَوْمًا حُسِرَ مَعَهُمْ»^(٢)، «لَيْسَ مِنَّا مَنْ تَشَبَّهَ بِغَيْرِنَا»^(٣)، «خَالَفُوا الْمُشْرِكِينَ»^(٤)، «خَالَفُوا الْمَجُوسَ»^(٥)، «خَالَفُوا الْيَهُودَ»^(٦)، «خَالَفُوا أَهْلَ الْكِتَابِ»^(٧)، حتى قال اليهود لَمَّا رَأَوْهُ كَثِيرَ المخالفة لهم كما في صحيح مسلم قالوا: (مَا يُرِيدُ هَذَا الرَّجُلُ أَنْ يَدَعَ مِنْ أَمْرِنَا شَيْئًا إِلَّا خَالَفَنَا فِيهِ)^(٨).

وقد نهى ﷺ - كما في الصحيحين - عن الصلاة بعد الفجر حَتَّى تَرْتَفَعَ الشمسُ، وَنَهَى عَنِ الصلاة بعد العَصْرِ حَتَّى تَغْرُبَ الشَّمْسُ، وَعَلَّلَ ذَلِكَ بِأَنَّهَا «تَغْرُبُ بَيْنَ قَرْنَيْ شَيْطَانٍ، وَحِينَئِذٍ يَسْجُدُ لَهَا الْكُفَّارُ»^(٩). وَمَعْلُومٌ أَنَّ الْمُؤْمِنَ لَا يَقْصِدُ السُّجُودَ إِلَّا لِلَّهِ تَعَالَى، وَأَكْثَرُ النَّاسِ قَدْ لَا يَعْلَمُونَ أَنَّ طُلُوعَهَا

(١) تفسير الثعلبي المسمى: الكشف والبيان عن تفسير القرآن (٦٧/٥).

(٢) أخرجه أبو داود (٤٤/٤)، رقم (٤٠٣١)، وأحمد (١١٢/٣)، رقم (٥٢٠٩)، والطبراني في الأوسط (١٧٩/٨)، رقم (٨٣٢٧).

(٣) أخرجه الحاكم (١٨/٣)، رقم (٤٢٩٤)، والبيهقي في شعب الإيمان (١٩/١٢).

(٤) أخرجه الترمذي وَضَعَفَ إِسْنَادَهُ (٥٦/٥)، رقم (٢٦٩٥)، والطبراني في الأوسط (٢٣٨/٧)، رقم (٧٣٨٠)، والقضاعي في مسند الشهاب (٢/٢٠٥)، رقم (١١٩١).

(٥) أخرجه البخاري (٧/١٦٠)، رقم (٥٨٩٢)، ومسلم (١/٢٢٢)، رقم (٢٥٩).

(٦) أخرجه مسلم (١/٢٢٢)، رقم (٢٦٠).

(٧) أخرجه أبو داود (١/١٧٦)، رقم (٦٥٢).

(٨) أخرجه المحاملي في أماليه من حديث أبي الدرداء (١/١٢٢)، رقم (٢٣١).

(٩) أخرجه مسلم (١/٢٤٦)، رقم (٣٠٢).

(١٠) أخرجه البخاري (٤/١٢٢)، رقم (٣٢٧٢)، ومسلم (١/٥٦٩)، رقم (٨٣٢).

وغروبها بين قرني شيطان، ولا أن الكفار يسجدون لها؛ ومع ذلك فقد نهى عن الصلاة في هذا الوقت، حسماً لمادة المشابهة بكل طريق.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا بَدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ ﴿مُتَّبِعِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾﴾ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿[الروم: ٣٠: ٣٢]﴾.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعي وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول ما سمعتم، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنبٍ وخطيئة، فاستغفروه وتوبوا إليه، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله على إحسانه، والشكر على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله تعظيماً لشانه، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، الداعي إلى جنته ورضوانه، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأعوانه.

أَمَّا بَعْدُ:

إِخْوَتِي فِي اللَّهِ: وَإِنْ مِنْ التَّشَبُّهِ تَقْلِيدَ الْكَافِرِ فِي عَادَاتِهِ وَأَعْيَادِهِ، فَتَمَرَّدَ كَثِيرٌ مِنْ شَبَابِنَا عَلَى فِطْرِهِمْ، وَتَنَكَّرُوا لِمَجْتَمِعِهِمْ، بَهْرَتُهُمْ حُضَارَةُ الْغَرْبِ،

وُخِدِعُوا بِبَرِّقِهَا، فَسَارُوا فِي رَكَابِهَا، مُطَاطِئِينَ رُءُوسَهُمْ بِالْإِقْرَارِ لَهَا، فَلَبِسُوا مَا يَلْبَسُونَ، وَتَكَلَّمُوا كَمَا يَتَكَلَّمُونَ، مَنْ كَانَ يَعْتَقِدُ أَنَّ شَبَابَنَا يَهْتَمُّ بِأَعْيَادِ الْكُفَّارِ وَطُقُوسِهِمْ؟! وَمَا عِيدُ الْحُبِّ إِلَّا مَثَالًا حَيًّا وَتَصَرُّفًا سَادِجًا وَغَبِيًّا لِهَذِهِ الْمَصِيبَةِ، وَلَكِنَّ قُلْنَا هَؤُلَاءِ صَغَارُ، فَلَمَّاذَا نَدْخُلُ مَحَلَّاتِ الْبَاعَةِ وَأَصْحَابُهَا أَهْلُ الْفِطْرِ السَّالِمَةِ وَالْإِعْتِقَادِ الصَّحِيحِ يَجْلِبُونَ الْوُرُودَ الْحَمْرَاءَ، وَالْمَلَابِسَ الْحَمْرَاءَ، وَالْمَصَابِغَ الْحَمْرَاءَ، وَيَرَأْسُ هَؤُلَاءِ أَوْلَئِكَ الْكُتَّابُ الْخَوَنَةُ، وَأَصْحَابُ الْقَنَوَاتِ وَمُلَّاكِ الْمَوَاقِعِ الْإِلِكْتَرُونِيَّةِ.

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (اجْتَنِبُوا أَعْدَاءَ اللَّهِ فِي عِيدِهِمْ)^(١)، فكيف بمن يشاركونهم؟! وإن اللائمة على بعض تجار المسلمين كبيرة حينما يستعدون لهذه الأعياد بتوفير هذه الطلبات الحمراء، أين غيرتهم؟! وأين ولاؤهم لدينهم؟! أما في قلبهم رادع؟! أم أن المال قد أعمى بصائرهم؟!!

وإذا علمت أن هذه الفتاة أو هذا الشاب جاء ليشتري منك هذا الشيء مؤاكبة لعيد الحب فالبيع باطل ومحرّم، ومالك حرام وسُحَتْ، وقد نصّ جماهير أهل العلم على حرمة من يبيع البيض لمن يُقامر به، والعنب لمن يجعله خمرًا، وهذه محرّمات عمليّة، فكيف بالمحرّمات التي تُؤثّر على أصل المعتقد وصحة الديانة؟! قال ابن قدامة: (كل ما قصّد به الحرام؛ كبيع السلاح لأهل الحرب، أو لقطع الطريق، أو في الفتنّة، وبيع الأمة للغناء، أو إجارتها كذلك، فهذا حرام، والعقد باطل)^(٢).

(١) أخرجه البخاري في التاريخ الكبير (١٤/٤)، رقم (١٨٠٤)، والبيهقي في شعب الإيمان (١٨/١٢)، رقم (٨٩٤٠).

(٢) انظر: المغني لابن قدامة (٤/١٦٨).

مَعَشَرَ الإِخْوَةِ: إِنْ الْقَضِيَّةَ لَيْسَتْ هِيَ عِيدَ الْحُبِّ فَقَطْ، وَإِنَّمَا ذَكَرْتُ هَذَا مَثَالًا يُعْطِينَا سَدَاجَةَ عَقُولِ الْبَعْضِ مِنَّا فِي تَتَبُّعِ الْكَفَّارِ وَتَقْلِيدِهِمْ؛ حَتَّى رَأَيْنَا مِنَ الطَّلَابِ حِينَمَا يَلْعَبُونَ الْكُرَّةَ وَيُسَجِّلُ أَحَدُهُمْ يَقُومُ بِتَقْلِيدِ الْكَافِرِ، وَيَفْعَلُ إِشَارَةَ التَّثْلِيثِ؛ لِأَنَّهُ رَأَى كَافِرًا فِي مَلَاعِبِنَا يَفْعَلُهَا، وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ.

أَرَأَيْتُمْ حَجَمَ الْمَشْكَلَةِ وَخَطُورَتَهَا؟! لَمْ لَا نُشَابِهِهِمْ إِلَّا فِي أَحْسَنِّ وَأَزْدَلِ عَادَاتِهِمْ؟! لَمْ شَبَابِنَا وَفِتْيَانِنَا لَا يُقَلِّدُونَهُمْ فِي الْإِخْتِرَاعَاتِ وَتَقَدُّمِ الصَّنَاعَةِ؟! لَمْ تَقْلِيدُ هَؤُلَاءِ مُنَحَصِرٌ فِي قِصَّةِ شَعْرٍ، أَوْ إِحْدَاثِ عِيدٍ، أَوْ فِي لِبَاسٍ، أَوْ حَرَكَةٍ؟! إِنْ الْمَأْسَاءُ كَبِيرَةٌ، وَالْمَشْكَالَةُ تَحْتَاجُ إِلَى جُهُودِ تَرْبِيَةٍ مُتَضَافِرَةٍ.

وَأَوَّلُ مَسْئُولٍ هُمَا الْوَالِدَانِ حِينَ التَّنَشِئَةِ مِنَ الصَّغَرِ، وَذَلِكَ بِتَعْوِيدِهِ الْإِعْتِزَالَ بِدِينِهِ، وَالثِّقَةَ بِثِقَاتِهِ وَأَخْلَاقِهِ، وَكُلَّكُمْ رَاعٍ وَكُلَّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ.

ثُمَّ صَلُّوا وَسَلِّمُوا عَلَى رَسُولِ الْهُدَى، وَإِمَامِ الْوَرَى، فَقَدْ أَمَرَكُمْ رَبُّكُمْ فَقَالَ -جَل وَعَلَا-: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ، وَارْضَ اللَّهُمَّ عَنِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ، وَالْأَئِمَّةِ الْمُهَدِّدِينَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَلِيٍّ، وَعَنِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ، وَعَنَّا مَعَهُمْ بِعَفْوِكَ وَكَرَمِكَ يَا أَكْرَمَ الْأَكْرَمِينَ.

اللَّهُمَّ اعِزَّ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَانصِرْ عِبَادَكَ الْمُوَحِّدِينَ الَّذِينَ يَجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِكَ فِي كُلِّ مَكَانٍ، اللَّهُمَّ انصِرْهُمْ عَلَى عَدُوِّكَ وَعَدُوِّهِمْ، اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِالْيَهُودِ الْمُعْتَدِينَ، وَالنَّصَارَى الْمُحَارِبِينَ، اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِهِمْ؛ فَإِنَّهُمْ لَا

يعجزونك، اللهم أحصهم عددًا.

اللهم آمنا في أوطاننا، وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا، اللهم وفقهم لما يرضيك، وجنبهم معاصيك.

اللهم تب على التائبين، واهد ضال المسلمين، اللهم ردهم إليك ردًا جميلاً، اللهم ارفع ما نزل من الفتن.

اللهم اغفر لنا ولوالدينا.

عباد الله! ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠]،
فاذكروا الله العلي العظيم يذكركم، واشكروه على نعمكم يزدكم، ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

النظر إلى الخطوبة

الخطبة الأولى:

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ، وَمَنْ سَارَ عَلَى مَهْجِهِ وَاقْتَفَى أَثَرَهُ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

أما بعدُ:

فَأَوْصِيَكُمْ وَنَفْسِي بِتَقْوَى اللَّهِ -جَلَّ وَعَلَا- فَقَدْ قَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الحشر: ١٨].

إِخْوَةَ الْإِسْلَام: إِنَّهُ لَمِنَ الْمُؤَسِفِ وَالْمُحْزِنِ حَقًّا أَنَّا وَبَعْدَ انْتِشَارِ الْعِلْمِ وَمَعْرِفَةِ الْحَقِّ وَالسُّنَّةِ أَنْ يَسْتَمِرَّ الْبَعْضُ عَلَى عَادَاتٍ وَتَقَالِيدٍ تُخَالِفُ شَرِيعَةَ اللَّهِ، فَكَيْفَ إِذَا كَانَتْ هَذِهِ السُّنَّةُ سَبَبًا مِنْ أَسْبَابِ الْخَيْرِ وَأَحَدَ الْعِلَاجَاتِ الْقَوِيَّةِ لِمَشْكَلَةِ نَعَانِي مِنْهَا؟! إِنَّهَا -مَعَشَرَ الْإِخْوَةِ- النَّظَرُ إِلَى الْمَخْطُوبَةِ قَبْلَ الْعَقْدِ ثَبَتَ عِنْدَ جَمَاهِيرِ الْأُمَّةِ كَمَا قَالَ أَهْلُ الْعِلْمِ وَنَقَلُوا الْإِجْمَاعَ عَلَى ذَلِكَ، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿لَا يَحِلُّ لَكَ الْنِسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ

أَعَجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا ﴿٥٢﴾ [الأحزاب: ٥٢]، قال القرطبي: (في هذه الآية دليلٌ على جوازِ أن ينظرَ الرجلُ إلى مَنْ يريدُ زواجَها) (١).

وتضافرت السُّنَّةُ على الحثِّ على النظر للمخطوبة، مِنْ ذَلِكَ مَا رَوَاهُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ كُنْتُ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَأَتَاهُ رَجُلٌ، فَأَخْبَرَهُ أَنَّهُ تَزَوَّجَ امْرَأَةً مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَنْظَرْتَ إِلَيْهَا؟»، قَالَ لَا، قَالَ: «فَاذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا» (٢)، وَرَوَى أَبُو دَاوُدَ فِي سُنَنِهِ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا خَطَبَ أَحَدُكُمْ الْمَرْأَةَ، فَإِنْ اسْتَطَاعَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى مَا يَدْعُوهُ إِلَى نِكَاحِهَا فَلْيَفْعَلْ» (٣)، وَرَوَى أَحْمَدُ عَنْ أَبِي حُمَيْدٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «إِذَا خَطَبَ أَحَدُكُمْ امْرَأَةً فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَنْظُرَ إِلَيْهَا، إِذَا كَانَ إِنَّمَا يَنْظُرُ إِلَيْهَا لِلْخُطْبَةِ» (٤).

كُلُّ هَذِهِ الْأَحَادِيثِ فِيهَا الْحَثُّ وَالتَّوْجِيهُ بِرُؤْيَاةِ الْخَاطِبِ لِمَخْطُوبَتِهِ، وَرُؤْيَاةِهَا هِيَ لِمَخْطُوبِهَا، وَأَنَّ هَذَا هُوَ الْأَكْمَلُ وَالْأَحْسَنُ وَهُوَ شَرِيعَةُ اللَّهِ -جَلَّ وَعَلَا-

وَأَنَّ مِنَ الْبَلَاءِ وَالْجَهْلِ الْعَظِيمِ أَنْ يَرْفُضَ الْوَلِيُّ رُؤْيَاةَ الْخَاطِبِ لِمَخْطُوبَتِهِ، مَعَ أَنَّ الشَّرِيعَةَ أَمَرَتْ بِذَلِكَ، وَحَثَّتْ عَلَيْهِ؛ بَلْ ذَهَبَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ إِلَى

(١) تفسير القرطبي (١٤/٢٢١).

(٢) أخرجه مسلم (٢/١٠٤٠)، رقم (١٤٢٤).

(٣) أخرجه أبو داود (٢/٢٢٨)، رقم (٢٠٨٢)، وأحمد (٦/٢٤٣)، رقم (١٤٨١٠).

(٤) أخرجه أحمد (١٠/٤٨٢)، رقم (٢٤٠٨٩).

وجوبه، وتأثيم الولي إذا رفض ذلك، كما هو مذهبُ ابنِ حزم^(١)، فكيف إذا كانت الرؤية فيها من المصالح التي لولا الشريعة لما علمناها، وهي سرٌّ عجيب أودعه الله في النظرة الشرعية فقط، لا في غيرها، وذلك فيما روى الترمذي وغيره بإسناد صحيح عن المغيرة بن شعبه قال: خطبتُ امرأةً، فقال لي رسولُ الله ﷺ: «أَنْظَرْتَ إِلَيْهَا»، قُلْتُ لَا: قَالَ: «فَانْظُرْ إِلَيْهَا، فَإِنَّهُ أُخْرَى أَنْ يُؤَدَمَ بَيْنَكُمَا»^(٢).

قال الترمذي في قوله: «أُخْرَى أَنْ يُؤَدَمَ بَيْنَكُمَا»: (أي: أُخْرَى أَنْ تُدَوَّمَ المَوَدَّةُ بَيْنَكُمَا)^(٣).

إِذَنْ هُوَ سَبَبٌ مِنْ أَسْبَابِ دَوَامِ الْمَوَدَّةِ، وقال ابن الأثير: (أي: أُخْرَى أَنْ يُؤَدَمَ بَيْنَكُمَا المحبة والاتفاق)^(٤)، فغريب جداً أن يمتنع بعض الأولياء أو يتضايقوا عند طلب الرؤية الشرعية، مع هذه المصالح العظيمة؛ بل إن العقل وحسن التدبير هو أن يطلب ولي المرأة من الخاطب أن يرى، ولا ينتظر طلب الخاطب لأجل تحصيل هذه المصلحة الشرعية، وهي التوافق والمحبة، وقد نص أهل العلم على جواز تكرار النظر أكثر من مرة في أكثر من وقت مع وليها؛ من أجل أن يدخل الخاطب والمخطوبة وهما على بصيرة من أمرهما.

ولكن يُتَبَّهُ لأمرٍ مهم، وهو أن النظر لا يكون إلا بعد العزم على

(١) المحلى بالآثار لابن حزم (١٦١/٩).

(٢) أخرجه الترمذي (٣٨٩/٣)، وابن ماجه (٥٩٩/١)، رقم (١٨٦٥).

(٣) سنن الترمذي (٣٨٩/٣).

(٤) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير (أدو).

النكاح، أي أن الولي يكون قد اطمأنَّ إلى خُلُقهِ ودينه، وسأل عنه، وخرجت نتائج الكشف والتحليل الخاصة بالزواج، فلم يَبْقَ إلا الرؤية الشرعية هنا.

وكذلك يكون النظر من غير خلوة، فلا يجوز أن يخلو الخاطب بالفتاة، ولو لحظة، وإنما يكون مع وليِّها، كما نبّه على ذلك ابنُ قدامة^(١) وغيره، ولو لم يأت من النّظر الشرعي إلا أن يكون فيه راحة للفتاة وللولي وللخاطب وكذلك فيه السّتر الحسّن والجميل إن لم يوفق الله بينهما؛ لكان ذلك كافياً.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفّعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول ما سمعتم، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنبٍ وخطيئة، فاستغفروه وتوبوا إليه، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله على إحسانه، والشُّكر على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله تعظيماً لشانه، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، الداعي إلى جنته ورضوانه، صَلَّى الله عليه، وعلى آله وأصحابه وأعوانه.

(١) المغني لابن قدامة (٧/٩٦).

أَمَّا بَعْدُ:

مَعَشَرَ الإِخْوَةِ: وقد ذَكَرَ الشَّيْخُ ابن عثيمين شروطاً للنظر فقال: (النَّظَرُ إلى المخطوبة سُنَّةٌ، أَمَرَ به النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعلى آلِهِ وَسَلَّمَ، ولا سيما في وَقْتِنَا هذا، ولهذا أَمَرَ النبي ﷺ الخاطَبَ أَنْ يَرَى مِنْ مَخْطُوبَتِهِ ما يَدْعُوهُ إلى التَّقَدُّمِ لِحَظَّتَيْهَا، إلا أن العلماء اشتَرَطُوا لذلك شُرُوطاً دَلَّتْ عليها السُّنَّةُ:

الشَّرْطُ الأوَّلُ: أن يكون عنده الرغبة الأكيدة في أن يتزوج، وليست نيته أن يَطُوفَ بنساء العالم، كأنها يريد أن يشتري سيارةً من المَعْرِضِ، بل لا بد أن يكون عنده عَزْمٌ أكيد على أن يُخْطَبَ من هؤلاء القوم.

الشرط الثاني: أن يَغْلِبَ على ظَنِّه الإِجابة، وهذا مَعْلُومٌ أنهم إذا مَكَّنُوهُ من النظر إليها فَهُم مُوَافِقُونَ، وهذا الشرط إنما يكون فيما لو أراد الإنسان أن يَنْظُرَ إلى امرأة بدون اتفاق مع أهلها.

الشرط الثالث: أن يكون ذلك بلا خَلْوَةٍ، بأن ينظر إليها بحَضْرَةِ أَهْلِهَا، ولا يَحِلُّ له أن ينظرَ إليها بخلْوَةٍ؛ لأن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعلى آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «لَا يَحْلُونَنَّ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ»^(١)، وأخْبَرَ أَنَّهُ مَا خَلَا رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ أَجْنَبِيَّةٍ مِنْهُ إِلَّا كَانَ ثَالِثَهُمَا الشَّيْطَانُ.

الشرط الرابع: أن يكون النظرُ إلى ما يَظْهَرُ غالباً، مثل الوجهِ، والشَّعْرِ، والكَفَّيْنِ، والذَّرَاعَيْنِ، والقَدَمَيْنِ، وأطراف الساقَيْنِ، وما أَشَبَّ ذلك، ولا ينظر إلى شيء آخر).

(١) أخرجه البخاري (٤/٥٩، رقم ٣٠٠٦)، ومسلم (٢/٩٧٨، رقم ١٣٤١).

وَيَسْأَلُ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ فِي جَوَازِ مُكَالِمَةِ الْمَخْطُوبَةِ بِالْجَوَّالِ؟ وَقَدْ أَجَاظَهُ
سَمَاحَةُ الشَّيْخِ ابْنِ بَازٍ، بِشَرَطِ أَنْ يَكُونَ فِيهَا لَهُ حَاجَةٌ، قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: (لَا حَرَجَ
فِي التَّحَدُّثِ مَعَ الْمَخْطُوبَةِ عَنْ طَرِيقِ الْهَاتِفِ، إِذَا كَانَ الْحَدِيثُ فِي مَصْلَحَةِ
الزَّوْجِ لَا بِأَسَ بَذَلِكَ، أَمَّا إِذَا كَانَ الْحَدِيثُ قَدْ يَجْرُ إِلَى مُنْكَرٍ أَوْ فَاحِشَةٍ فَلَا
يَجُوزُ).

وَقَدْ حَدَّثَتْ مَشَاكِلَ كَثِيرَةً بِسَبَبِ التَّوَسُّعِ فِي الْمَكَالِمَاتِ بَيْنَ الْخَاطِبَيْنِ،
وَقَدْ مَنَعَهُ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ بِسَبَبِ ذَلِكَ، فَيَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ فِي مَصْلَحَةِ الزَّوْجِ،
كَأَنْ يَكُونَ عَنْ سَفَرِهِمْ، أَوْ عَنْ بَيْتِهِمْ وَأَثَانِهِمْ مَثَلًا.

وَإِذَا رَأَى الْخَاطِبُ مَخْطُوبَتَهُ وَرَفَضَ أَحَدُهُمَا بَعْدَ الرُّؤْيَا فَيَحْرُمُ عَلَيْهِمَا
الْحَدِيثُ فِي ذَلِكَ عِنْدَ أَحَدٍ، وَهَذَا مِنَ الْأَمَانَاتِ الَّتِي يَجِبُ حِفْظُهَا، وَهِيَ مِنَ
الْأَعْرَاضِ الَّتِي لَا يَجُوزُ الْمَسَاسُ بِهَا، وَلَا الْحَدِيثُ عَنْهَا، وَإِنَّمَا يَكْتُمُ ذَلِكَ، وَلَا
يَتَحَدَّثُ عَنْهُ، وَمَنْ أَعْظَمَ الْخِيَانَةَ أَنْ تَخُونَ مَنْ ائْتَمَنَكَ عَلَى حُرْمَتِهِ وَبَنَاتِهِ،
وَمَكَّنَكَ مِنْ رُؤْيَا ابْنَتِهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ
وَتَخُونُوا أَمْنَكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنفال: ٢٧].

وَخِتَامُ الْقَوْلِ: لِيَتَّقِ اللَّهُ كُلُّ وَلِيٍّ، وَلِيُطَبَّقَ سُنَّةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي النَّظَرِ
إِلَى الْمَخْطُوبَةِ، وَكَثِيرٌ مِنَ الْخُطَّابِ يَحْجُلُ أَنْ يَطْلُبَ النَّظَرَ؛ خَشْيَةً أَنْ يُسَيِّئُوا
الظَّنَّ بِهِ، فَأَعْرِضْ عَلَيْهِ الرُّؤْيَا، وَمَكَّنْهُ مِنْهَا؛ مِنْ أَجْلِ أَنْ تَحْصَلَ الْمَصْلَحَةُ
الْعَظِيمَةُ، وَعِ قَوْلَهُ ﷺ: «فَإِنَّهُ أُخْرَى أَنْ يُؤَدَّمَ بَيْنَكُمَا»^(١).

ثُمَّ صَلُّوا وَسَلِّمُوا عَلَى رَسُولِ الْهُدَى، وَإِمَامِ الْوَرَى، فَقَدْ أَمَرَكُم رُبُّكُمْ
فَقَالَ - جَل وَعَلَا -: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى نَبِيِّنَا
مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ، وَارْضَ اللَّهُمَّ عَنِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ،
وَالْأَئِمَّةِ الْمُهَدِّيِّينَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَلِيٍّ، وَعَنِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ، وَعَنَّا
مَعَهُمْ بِعَفْوِكَ وَكَرَمِكَ يَا أَكْرَمَ الْأَكْرَمِينَ.

اللَّهُمَّ اعْزِزْ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَانصِرْ عِبَادَكَ الْمُوَحِّدِينَ الَّذِينَ يَجَاهِدُونَ
فِي سَبِيلِكَ فِي كُلِّ مَكَانٍ، اللَّهُمَّ انصِرْهُمْ عَلَى عَدُوِّكَ وَعَدُوِّهِمْ، اللَّهُمَّ عَلَيْكَ
بِالْيَهُودِ الْمُعْتَدِينَ، وَالنَّصَارَى الْمُحَارِبِينَ، اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِهِمْ؛ فَإِنَّهُمْ لَا
يَعْجِزُونَكَ، اللَّهُمَّ أَحْصِهِمْ عَدَدًا.

اللَّهُمَّ آمِنَّا فِي أَوْطَانِنَا، وَأُصْلِحْ أُمَمَتَنَا وَوُلاةَ أُمُورِنَا، اللَّهُمَّ وَفِّقْهُمْ لِمَا
يَرْضِيكَ، وَجَنِّبْهُمْ مَعَاصِيكَ.

اللَّهُمَّ تَبَّ عَلَى التَّائِبِينَ، وَاهْدِ ضَالَّ الْمُسْلِمِينَ، اللَّهُمَّ رُدِّهِمْ إِلَيْكَ رَدًّا
جَمِيلًا، اللَّهُمَّ ارْفَعْ مَا نَزَلَ مِنَ الْفِتَنِ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِينَا.

عِبَادَ اللَّهِ! ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ
الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠]،
فَاذْكُرُوا اللَّهَ الْعَلِيَّ الْعَظِيمَ يَذْكُرْكُمْ، وَاشْكُرُوهُ عَلَى نِعَمِكُمْ يَزِدْكُمْ، ﴿وَلَذِكْرُ
اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

الهوية

الخطبة الأولى:

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ، وَمَنْ سَارَ عَلَى نَهْجِهِ وَاقْتَفَى أَثَرَهُ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

أَمَّا بَعْدُ:

فَاتَّقُوا اللَّهَ أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ، فَإِنَّهَا وَصِيَّةُ اللَّهِ لِلأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ﴾ [النساء: ١٣١].

إِخْوَةَ الْإِسْلَامِ: أُمَّةُ الْإِسْلَامِ هِيَ أَعْظَمُ الْأُمَمِ، وَدِينُهَا تَمَّ اللَّهُ بِهِ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ: ﴿أَلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٥]، هَذِهِ هِيَ أُمَّتُنَا وَهَوِيَّتُنَا، سَمَّانا اللَّهُ الْمُسْلِمِينَ: ﴿وَجَهْدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ﴾ [الحج: ٧٨].

دِينُنَا لَيْسَ كِبْقِيَةِ الْأُمَمِ يَتَمَايَزُونَ بِعُنْصُرِيَّةٍ أَوْ بِجِنْسٍ أَوْ نَسَبٍ، كَلَّا، نَحْنُ مَنْ قَالَ اللَّهُ فِيهِمْ: ﴿يَتَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ

لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴿١٣﴾ [الحجرات: ١٣]، وتاريخنا حافل بتطبيق هذه المعاني على مرّ التاريخ، ورسولنا ﷺ أوّل من رَسَخَ وطَبَّقَ هذه الأصول، فأصحابه -رضوان الله عليهم أجمعين- منهم القُرَشِيُّ والفارسي والحَبَشِيُّ والتاجر والفقير، نحن أُمَّةٌ بمجموعها، لكننا كالجسد الواحد بمشاعرنا وتعاوننا، نحن كما قال رسولنا ﷺ عنا كما في صحيح مسلم من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الْمُؤْمِنُونَ كَرَجُلٍ وَاحِدٍ، إِنْ اشْتَكَى رَأْسُهُ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالْحُمَّى وَالسَّهْرِ»^(١)، وفي رواية: «الْمُسْلِمُونَ كَرَجُلٍ وَاحِدٍ، إِنْ اشْتَكَى عَيْنُهُ، اشْتَكَى كُلُّهُ، وَإِنْ اشْتَكَى رَأْسُهُ اشْتَكَى كُلُّهُ»^(٢).

فما أعظمها من وشائج^(٣) وروابط، تجاوزت شَحَّ النفوس، وتغلّبت على (الأنأ)، بل إن العلاقة ليست محصورة بين المؤمنين من بني آدم، بل امتدت إلى خلق الله الملائكة، فقد ذَكَرَ الله لنا حالهم مع المؤمنين فقال جَلَّ وعَلَا: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ [الشورى: ٥]، وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَجْمَلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْحَجِيمِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ ءَابَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ﴾ [غافر: ٧: ٩].

(١) أخرجه مسلم (٤/ ٢٠٠٠، رقم ٢٥٨٦).

(٢) أخرجه مسلم (٤/ ٢٠٠٠، رقم ٢٥٨٦).

(٣) واحدة الوشيعة، وهي القرابة المشتبكة المتصلة. انظر: المعجم الوسيط (وشج).

والمؤمنون يُسَلِّمُونَ على بعضهم في كل وَقْتٍ، وَيُصِيبُ سَلَامُهُمْ كُلُّ عبد صالحٍ من أهل الأرض والسماء، فقد جاء في الصحيحين من حديث ابن مسعود رضي الله عنه في حديث التشهد في الصلاة وفيه: «السَّلَامُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ، فَإِنَّهُ إِذَا قَالَ ذَلِكَ، أَصَابَ كُلَّ عَبْدٍ صَالِحٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ»^(١)، فأَيُّ علاقةٍ هذه؟!

بل إِنَّ أُمَّتَنَا أُمَّةَ الدَّعْوَةِ، قال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، أَوَلَيْسَ رَسُولُنَا ﷺ خَتَمَتْ بِهِ الْأَنْبِيَاءُ؛ لَيْسَ رِثَتُهُ عَلَى مَنْهَجِهِ، وَهُوَ أَكْبَرُ الدَّعَاةِ وَأَفْضَلُهُمْ؟! أَوَلَيْسَ كِتَابُنَا أَفْضَلُ الْكُتُبِ، وَهُوَ مُحْفُوظٌ بِحِفْظِ اللَّهِ لَهُ مِنْ أَجْلِ الْأَلَّا يُحَرَّفَ أَوْ يُبَدَّلَ لِيَسِيرَ النَّاسُ عَلَى شِرْعَةٍ^(٢) وَاضِحَةٍ، فَلَا تَحْتَاجُ الْبَشَرِيَّةَ إِلَى بَعْثَةِ رَسُولٍ؟! أَوَلَيْسَتْ لُغَتُنَا هِيَ لُغَةُ الْقُرْآنِ الَّتِي نَزَلَ بِهَا، فَهِيَ بَاقِيَةٌ وَمُحْفُوظَةٌ بِحِفْظِهِ؟! إِنْ هَذِهِ الْمَقُومَاتُ وَغَيْرُهَا هِيَ هَوِيَّتُنَا الْحَقِيقِيَّةُ.

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ: ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَاللَّهُ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ [الحج: ٤١].

بَارَكَ اللَّهُ لِي وَلَكُمْ فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، وَنَفَعَنِي وَإِيَّاكُمْ بِمَا فِيهِ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ. أَقُولُ مَا سَمِعْتُمْ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ لِي وَلَكُمْ وَلِسَائِرِ

(١) أخرجه البخاري (٨/ ٥١، رقم ٦٢٣٠)، ومسلم (١/ ٣٠١، رقم ٤٠٢).

(٢) هي الطريقة والمذهب المستقيم. المعجم الوسيط (شرع).

المسلمين من كل ذَنْبٍ وخطيئة، فاستغفروه وتوبوا إليه، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله على إحسانه، والشُّكر على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله تعظيماً لشانه، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، الداعي إلى جنته ورضوانه، صَلَّى الله عليه، وعلى آله وأصحابه وأعوانه.
أَمَّا بَعْدُ:

أيها المسلمون: إن الفِتَنَ والتداعيات في وقتنا الحاضر تتابعت وتنوعت وتكاثرت على الجوارح والقلوب والعقول، وخاض الناس فيها غير مُبَالِين ولا عَالَمِينَ، وأصبحت عَقِيدَتُنَا وَأَخْلَاقُنَا وَهَوِيَّتُنَا تَتَعَرَّضُ إِلَى غَزْوٍ أَوْ تَهْجِينٍ وَلِقَاحٍ فَاسِدٍ عَلَى جَمِيعِ طَبَقَاتِ الْمَجْتَمَعِ، مُفَكِّرِيهَا وَكُتَّابِهَا، فَضْلاً عَنِ الشَّبَابِ، نَتَعَرَّضُ إِلَى هَجَمَاتٍ عَبَرَ قَنَوَاتِ الْإِعْلَامِ الْمُخْتَلِفَةِ، فِي مُحَاوَلَةِ لَغْسِيلِ الْقِيَمِ وَالْأَخْلَاقِ وَالْعُقُولِ، وَإِنَّا الْأُمَمُ الْأَخْلَاقُ مَا بَقِيَتْ.

كَمْ مِنَ الْعَادَاتِ وَالِدِنَاءَاتِ الْقَبِيحَةِ قَالَ عَنْهَا رَسُولُنَا الْكَرِيمُ ﷺ مَنْ فَعَلَهَا فَلَيْسَ مِنَّا كَمَا فِي غِشِّ النَّاسِ مَثَلًا، فَكَيْفَ بَمَا هُوَ أَفْظَعُ وَأَشْنَعُ مِنْهَا مِمَّا انْتَشَرَ فِي أَوْسَاطِ الْمَجْتَمَعِ مِمَّا يَنَافِي الْأَخْلَاقَ؟!

إِنَّ الْوَاجِبَ الْعَيْنِيَّ فِي هَذَا الْوَقْتِ هُوَ الْمَحَافَظَةُ عَلَى هَوِيَّتِنَا الْإِسْلَامِيَّةِ، بِأَخْلَاقِهَا وَقِيَمِهَا، وَالْإِعْتِرَازُ وَالْفَخْرُ بِهَا، فَنَصُوحُ الْعُقُولِ عَلَى حَمْلِ عَقِيدَةِ (لا

إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) مُعْتَقِدًا وَسَلُوكًا وَخُلُقًا: ﴿وَالَّذِينَ أَهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَءَانِهِمْ تَقُونَهُمْ﴾ [محمد: ١٧].

إِنَّ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ بَدَأَ بِالتَّوْحِيدِ بِأَنْوَاعِهِ الثَّلَاثَةِ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ
الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢]، فَتَضَمَّنَ تَوْحِيدَ الْأُلُوهِيَّةِ وَالرَّبُّوبِيَّةِ وَالْأَسْمَاءِ
وَالصِّفَاتِ، وَخَتَمَ اللَّهُ كِتَابَهُ بِهَذِهِ الْأَنْوَاعِ الثَّلَاثَةِ فِي قَوْلِهِ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ
النَّاسِ ١) مَلِكِ النَّاسِ ٢) إِلَهِ النَّاسِ﴾ [الناس: ١: ٣]، فَتَضَمَّنَ أَيْضًا
هَذِهِ الْأَنْوَاعَ الثَّلَاثَةَ؛ لِيُبَيِّنَ أَنَّ التَّوْحِيدَ وَالْعَقِيدَةَ هِيَ أَسُّ الْمَنْهَجِ وَأَسَاسُهُ،
فَإِحْيَاءُ مَذَلُولٍ (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ)، وَتَعْمِيقُ حَقِّهَا، وَالتَّحْذِيرُ مِنْ نَوَاقِضِهَا هُوَ
الْبَدَايَةُ وَهُوَ النِّهَايَةُ، وَإِنْ الِاعْتِقَادَ السَّلِيمَ السَّالِمَ مِنْ أَمْرَاضِ الشُّبُهَاتِ
وَالشَّهَوَاتِ سَبَبٌ لَصِفَاءِ الذُّهْنِ، وَتَقْوِيَةِ الْإِدْرَاكِ.

وَنَحْنُ فِي بَلَدِنَا هَذَا -بِحَمْدِ اللَّهِ- نَرْفَعُ هَذَا اللَّوَاءَ، وَتَحْتَ هَذَا الشُّعَارِ
وُلَاةُ الْأُمْرِ -أَيَّدَهُمُ اللَّهُ- يُعْلِنُونَهُ فِي كُلِّ مَحْفَلٍ، فَمَا بَقِيَ إِلَّا الْعَمَلُ، وَالْحُجَّةُ
قَائِمَةٌ عَلَيْنَا، وَمَسْئُورِيَّةُ الْوَالِدَيْنِ فِي هَذِهِ عَظِيمَةٌ جَدًّا فِي سَقْيِ هَذِهِ الْفِطْرَةِ،
وَالْمَحَافَظَةِ عَلَيْهَا، وَعَدَمَ تَعْرِيزِهَا لِلشَّوَابِ، وَكَذَلِكَ الْمُعَلِّمُونَ وَالْمُرَبُّونَ
وَأَهْلُ الْعِلْمِ، فَهَذِهِ مَسْئُولِيَّتُهُمْ، وَالتَّوْلِي عَنْهَا مِنَ التَّوْلِي يَوْمَ الزَّحْفِ، فَهُمْ
حُرَّاسُ الشَّرِيعَةِ، وَخَسَارَةُ الشَّبَابِ مَا بَعْدَهَا مِنْ خَسَارَةٍ.

إِنَّا فِي هَذِهِ الْمَرَحَلَةِ الْحَرْجَةِ وَمَعَ تَزَاوُجِ وَاخْتِلَاطِ الثَّقَافَاتِ لَا بَدَ أَنْ
نَكُونَ أَقْوَى يَقْظَةً مِنْ ذِي قَبْلُ.

لَسْنَا ضِدَّ الْإِسْتِفَادَةِ مِنَ الْآخَرِينَ، بَلْ لَوْ تَأَمَّلْنَا حَالَ النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ
يَفْتَحُ الدُّوْلَ، وَيَعْقِدُ الْهُدْنَ مَعَ الْآخَرِينَ، مِمَّا يَتَرْتَّبُ عَلَيْهِ الْإِخْتِلَاطُ، وَمَعَ هَذَا

كان الشارع يُدَكِّي رُوحَ الانتماء في المكَلَّف، وَعَدَمَ التأثير بما يُخَالِف الدين، ولم يجعل هذه المخالطة سبباً للانغلاق.

شَرَعْنَا وَاءَمَّ بين الدين والدنيا، بخِلَافِ الشرائع الأخرى، فإنها تَفْصِل بينها، وهذا سِرُّ شُمُوها وَدَيُمومتها، نريد شباباً واثقاً بِشَرْعِهِ، لديه دَافِعِيَّة ذاتِيَّة فَاعِلَة لِأَن يَتَرَسَّم الدين عقيدة وسلوكاً، ولا يُمكنُ هذا إلا بتضافر الجُهود؛ لإحياء هذا المَبْدَأ في نفوس الشباب.

ثُمَّ صَلُّوا وَسَلِّمُوا على رسولِ الهُدَى، وإمام الورى، فقد أمركم ربكم فقال -جل وعلا-: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وارْضَ اللَّهُمَّ عن الخلفاء الراشدين، وَالْأئِمَّةِ الْمُهَدِّينَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَلِيٍّ، وعن الصَّحابةِ أَجْمَعِينَ، وَعَنَّا معهم بعفوك وكرمك يا أكرم الأكرمين.

اللَّهُمَّ أعزَّ الإسلام والمسلمين، وانصر عبادك الموحدين الذين يجاهدون في سبيلك في كل مكان، اللَّهُمَّ انصرهم على عدوك وعدوهم، اللَّهُمَّ عليك باليهود المعتدين، والنصارى المحاربين، اللَّهُمَّ عليك بهم؛ فإنهم لا يعجزونك، اللَّهُمَّ أحصهم عدداً.

اللَّهُمَّ آمِنًا في أوطاننا، وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا، اللَّهُمَّ وفقهم لما يرضيك، وجنبهم معاصيك.

اللَّهُمَّ تب على التائبين، واهد ضالَّ المسلمين، اللَّهُمَّ رُدِّهم إليك ردًّا جميلاً، اللَّهُمَّ ارفع ما نزل من الفتن.

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِينَا.

عباد الله! ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ
الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠]،
فاذكروا الله العلي العظيم يذكركم، واشكروه على نعمكم يزدكم، ﴿وَلَذِكْرُ
اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

تدبير المال - الكفالة

الخطبة الأولى:

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ، وَمَنْ سَارَ عَلَى مَهْجِهِ وَاقْتَفَى أَثَرَهُ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، وَسَلَّمَتْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

أَمَّا بَعْدُ:

فَاتَّقُوا اللَّهَ مَعَاشِرَ الْمُؤْمِنِينَ، ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

مَعَشَرَ الْإِخْوَةِ: كم هي كارثة ألا يُفَرَّقَ النَّاسُ -وخاصَّةً الشَّبَابُ- بين الْكَرَمِ وَالنَّخْوَةِ وَالشَّهَامَةِ وَالصَّدَاقَةِ وَالشَّجَاعَةِ وَبَيْنَ تَحْمِيلِ النَّفْسِ مَا لَا تَحْتَمِلُ، أَوِ التَّهَوُّرِ وَعَدَمِ التَّفَكِيرِ بِالْعَوَاقِبِ وَالظُّلْمِ. يحتاج النَّاسُ إِلَى تَعْزِيزِ هَذِهِ الْمَفَاهِيمِ بِحَجْمِهَا الطَّبِيعِيِّ، دُونَ مَبَالِغَةٍ أَوْ تَطْبِيعِ، فِي مَجْتَعِنَا صُورٌ كَثِيرَةٌ لَضِيَاعِ هَذِهِ الْوَسْطِيَّةِ حَتَّى نَشَأَ شَبَابَنَا تَائِهًا بَيْنَ مَعَانٍ لَمْ يُنْزِلِ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ؛ بَلْ إِنَّ اللَّهَ نَهَى عَنْهَا. وَلِنَأْخُذْ صُورَةً مِنْ ضِيَاعِ هَذَا الْمَفْهُومِ:

كَمْ هُمْ الَّذِينَ رَكِبَتْهُمْ الدِّيُونُ وَالْأَمْوَالُ الطَّائِلَةُ بِسَبَبِ اخْتِلَاطِ مَفْهُومِ الْكَرَمِ وَالصَّدَاقَةِ وَالشَّجَاعَةِ وَبَيْنَ عَدَمِ السَّفَهَةِ فِي تَحْمِيلِ الْمَرْءِ مَا لَا يَقْدِرُ مِنَ الْأَمْوَالِ! أَلَا يُوجَدُ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَحَمَّلُ وَيَكْفُلُ شَخْصًا بَدِينٍ لَا يَمْلِكُ عُسْرَهُ، وَلَا يَقْدِرُ أَنْ يُسَدِّدَهُ لَوْ طُولِبَ بِهِ؟! تَجِدُ أَنْ رَاتِبَهُ لَا يَكْفِي لَصَرْفِهِ عَلَى أَوْلَادِهِ وَأَهْلِهِ، ثُمَّ يَكْفُلُ صَدِيقَهُ أَوْ قَرِيبَهُ بَدِينٍ يَعْجِزُ عَنْ سَدَادِهِ إِذَا طُولِبَ بِهِ، كُلُّ هَذَا مِنْ أَجْلِ الصَّدَاقَةِ أَوْ الْقَرَابَةِ، أَوْ يَظُنُّ أَنَّ هَذَا مِنَ الْوَفَاءِ، كَلَّا، إِنَّ رَسُولَنَا ﷺ أَكْرَمَ النَّاسِ وَأَوْفَى مَنْ قَامَ بِحَقِّ الصَّحْبَةِ، وَأَكْثَرَ النَّاسِ حِفَظًا عَلَى الْعَهْدِ، وَمَعَ ذَلِكَ لِنَنْظُرَ إِلَى مَوْقِفِهِ ﷺ حِينَ تَأْتِي مِثْلُ هَذِهِ الْأُمُورِ، وَلِنَنْظُرَ إِلَى تَصَرُّفِهِ، رَوَى الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ سَلَمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ رضي الله عنه قَالَ: كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ إِذْ أُتِيَ بِجِنَازَةٍ فَقَالُوا: صَلِّ عَلَيْهَا، قَالَ: «هَلْ عَلَيْهِ دَيْنٌ؟»، قِيلَ: نَعَمْ، ثَلَاثَةُ دَنَانِيرٍ، قَالَ: «هَلْ تَرَكَ شَيْئًا؟»، قَالُوا: لَا، قَالَ: «صَلُّوا عَلَى صَاحِبِكُمْ»، قَالَ أَبُو قَتَادَةَ: صَلِّ عَلَيْهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَعَلَى دَيْنِهِ، فَصَلَّى عَلَيْهِ^(١).

لَمْ يَتَحَمَّلْهُ وَلَمْ يَكْفُلْهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، مَعَ أَنَّهُ أَكْرَمُ الْخَلْقِ وَأَوْفَاهُمْ؛ وَلَكِنَّهُ كَانَ فِي حَالٍ لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ، وَلَوْ قَدَّرَ لَتَحَمَّلَهُ ﷺ، بِدَلِيلِ أَنَّهُ لَمَّا اعْتَزَّ الْإِسْلَامُ، وَكَثُرَتْ مَوَارِدُ الدَّوْلَةِ تَكَفَّلَهُ وَتَحَمَّلَهُ، وَالدَّلِيلُ عَلَى ذَلِكَ مَا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يُؤْتَى بِالرَّجُلِ الْمَتَوَقِّفِ عَلَيْهِ الدَّيْنُ، فَيَسْأَلُ: «هَلْ تَرَكَ لِدَيْنِهِ فَضْلًا؟»، فَإِنْ حَدَّثَ أَنَّهُ تَرَكَ لِدَيْنِهِ وَفَاءً صَلَّى، وَإِلَّا قَالَ لِلْمُسْلِمِينَ: «صَلُّوا عَلَى صَاحِبِكُمْ»، فَلَمَّا فَتَحَ

(١) أخرجه البخاري (٣/ ٩٤، رقم ٢٢٨٩)، ومسلم (٣/ ١٢٣٧، رقم ١٦١٩).

الله عَلَيْهِ الْفَتْوحَ قَالَ: «أَنَا أَوَّلِي بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ، فَمَنْ تُوِّفِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَتَرَكَ دِينًا فَعَلِيَ قِضَاؤُهُ، وَمَنْ تَرَكَ مَالًا فَلِوَرَثَتِهِ»^(١).

وعليه فَمِنْ الخطأ الكبير في حَقِّ نفسك وَحَقِّ أهلك أن تكون ثقافة الكفالة والكفيل مرتبطة بشهامتنا وَكَرَمنا وَحُسْن صداقتنا، ليس من العيب ولا من الخطأ مَنْ لَا يَقْدِر على السداد أن يقول: لَا أَسْتَطِيع أَنْ أَكْفُلَكَ، وبدون أَيِّ مجاملة، بل هذا هو الشرع، وهذا هو العقل، وَلْيَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قُدْوَتَكَ.

إِنَّ الشَّارِعَ الْحَكِيمَ رَاعَى مَسْأَلَةَ عَدَمِ الاستطاعة المالية أَيَّمَا مَرَاعَاةٍ، فلم يُوجِبِ الْحَجَّ عَلَى غَيْرِ الْمُسْتَطِيعِ، ولم يُوجِبْ عَلَيْهِ الزَّكَاةَ إِذَا لم يَمْلِكِ النَّصَابَ؛ بل يُسْتَنْى مِنَ الْعَاقِلَةِ^(٢) عِنْدَ تَحْمُلِهَا لِلدَّيْنِ.

كل هذا وغيره من أَجْلِ أَنَّ الشَّارِعَ لَا يُحْمَلُ الْمَكْلَفَ مَا لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ، وَكَمْ هُمُ الَّذِينَ أَتَوْا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَعَلَيْهِمْ كَفَّارَةٌ لَا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَدْفَعُوهَا، ومع هذا لم يُحْمَلْهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَهُمْ.

ثم لَا تَسَلْ -بعد ذلك- عن حال هذا الْكَفِيلِ حِينَما يَتَحَمَّلُ الدَّيْنَ وَيُطَالِبُ بِهِ وَلَا يَقْدِرُ عَلَى السِّدَادِ كَمْ هِيَ الْعَوَائِلُ الَّتِي ضَاعَتْ وَتَفَكَّكَتْ، بل مِنْهُمْ مَنْ سَجِنَ وَتَرَكَ عِيَالَهُ بِلا مُعِيلٍ، فَالْكَفَالَةُ أَوْهَا نَحْوَةٌ، وَآخِرُهَا فُرْقَةٌ.

(١) أخرجه البخاري (٩٧/٣)، رقم ٢٢٩٨، ومسلم (١٢٣٧/٣)، رقم ١٦١٩.

(٢) هِيَ الْعَصَبَةُ وَالْأَقَارِبُ مِنْ قَبْلِ الْأَبِ الَّذِينَ يُعْطَوْنَ دِيَةً قَتِيلِ الْخَطَا. النِّهَايَةُ فِي غَرِيبِ الْحَدِيثِ لابن الأثير (عقل).

ومن الأخطاء الشرعية في باب الكفالة أن بعض الناس يأخذ أجرًا على كفالته، أو يشترط مبلغًا مقابل كفالته، وهذا أمرٌ مُحَرَّم، ولا يجوز؛ بل نُقِلَ الإجماع على حُرْمَةِ أَخْذِ الْمَالِ مُقَابِلَ الْكِفَالَةِ؛ لأنها من عقود الإحسان والإرفاق، وكذلك هو ذريعة إلى الربا المُحَرَّم، وذلك في حالِ عَدَمِ السَّدَادِ. وقد أَفْتَتِ اللّجْنَةُ الدَّائِمَةُ للبحوث العلمية والإفتاء بحُرْمَةِ ذَلِكَ فَقَالُوا فِي سَوَالٍ وَرَدَّهِمْ عَنْ حُكْمِ أَخْذِ الْأَجْرَةِ عَلَى الْكِفَالَةِ فَأَجَابُوا: (هَذَا الْمَالُ حَرَامٌ؛ لَأَنَّهُ عَوَضٌ عَنِ الْكِفَالَةِ، وَهِيَ مِنْ عُقُودِ الْإِحْسَانِ)^(١).

والسؤال الذي لا بد أن نطرحه: على مَنْ يَبِيعُ النَّاسَ بِالْأَجَلِ وَيَقْبَلُ بِكِفَالَةِ الْفُقَرَاءِ وَالْمُحْتَاجِينَ بِمَبَالِغٍ عَالِيَةٍ؟ وَكَمْ يَنْتَلِجُ الصَّدْرُ حِينَمَا نَسْمَعُ أَنَّ بَعْضَ تُجَّارِنَا يَرْفُضُ كِفَالَةَ الْفُقَرَاءِ، وَمَنْ لَا يَقْدِرُ عَلَى السَّدَادِ، وَقَدْ انْتَشَرَ وَاسْتَفَاضَ عَنْ ذَلِكَ، حَتَّى عُرِفَ بَيْنَ النَّاسِ، فَبَارَكَ اللَّهُ لَهُمْ فِي أَمْوَالِهِمْ.

بَارَكَ اللَّهُ لِي وَلَكُمْ فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، وَنَفْعَنِي -وَأَيَاكُمْ- بِمَا فِيهِ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ، أَقُولُ مَا سَمِعْتُمْ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ لِي وَلَكُمْ وَلِسَائِرِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ وَخَطِيئَةٍ، فَاسْتَغْفِرُوهُ وَتُوبُوا إِلَيْهِ، إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ.

الخطبة الثانية:

الحمد لله على إحسانه، والشُّكْرُ على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله تعظيمًا لشأنه، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، الداعي إلى جنته ورضوانه، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَأَعْوَانِهِ.

(١) فتاوى اللجنة الدائمة (١٤/ ١٩٠).

أَمَّا بَعْدُ:

مَعَشَرَ الْإِخْوَةِ: وَمِنْ صُورَ ضَيَاعِ هَذَا الْمَفْهُومِ مَا يَفْعَلُهُ بَعْضُ الشَّبَابِ مِنْ اسْتِثْمَانِ بَعْضِ أَصْدِقَائِهِمْ أَوْ أَقَارِبِهِمْ حِينَمَا يَطْلُبُ مِنْهُمْ نَقْلَ بَعْضِ الْأَشْيَاءِ مِنْ مَكَانٍ إِلَى آخَرَ، وَهُوَ لَا يَدْرِي مَاذَا يَنْقُلُ، وَقَدْ يَكُونُ هَذَا الْمَنْقُولُ شَيْئًا مَمْنُوعًا أَوْ مُحَرَّمًا.

كَمْ هُمْ الَّذِينَ قُبِضَ عَلَيْهِمْ وَهُمْ يَنْقُلُونَ الْمُخَدَّرَاتِ، أَوْ الْمُسْكِرَاتِ، أَوْ الْأَسْلِحَةَ، وَهُمْ يَجْهَلُونَ أَنَّهُمْ يَحْمِلُونَهَا، وَعِنْدَ ذَلِكَ لَا يُقْبَلُ التَّبَرُّيرُ وَالْإِعْتِذَارُ، وَتَضِيعُ الْأَعْمَارُ فِي السُّجُونِ؛ بِدَعْوَى الصَّدَاقَةِ وَالْقَرَابَةِ!

لَيْسَ مِنَ الْعَيْبِ أَنْ تَحْتَاطَ لِنَفْسِكَ بِشَتَّى الطَّرُقِ الَّتِي تَحْمِيكَ وَتَحْفَظُكَ، وَأَنْ تَقُولَ: لَا أَقْدِرُ عَلَى نَقْلِهَا، وَتَعْتَذِرَ عَمَّا لَا تَقْدِرُ عَلَيْهِ، جَاءَ فِي الصَّحِيحِينَ مِنْ حَدِيثِ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فِي نَفَرٍ مِنْ الْأَشْعَرِيِّينَ نَسَخِمِلُهُ فَقَالَ: «وَاللَّهِ لَا أَحْمِلُكُمْ، وَمَا عِنْدِي مَا أَحْمِلُكُمْ»، وَأَتَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِنَهَبٍ^(١) إِبِلٍ فَسَأَلَ عَنَّا فَقَالَ: «أَيُّ النَّفَرِ الْأَشْعَرِيِّينَ»، فَأَمَرَ لَنَا بِخَمْسِ ذَوْدٍ^(٢) غُرٍّ^(٣) الذُّرَى^(٤) فَلَمَّا انْطَلَقْنَا قُلْنَا: مَا صَنَعْنَا لَا يُبَارِكُ لَنَا، فَارْجَعْنَا إِلَيْهِ فَقُلْنَا إِنَّا سَأَلْنَاكَ أَنْ تَحْمِلَنَا، فَحَلَفْتَ أَنْ لَا تَحْمِلَنَا، أَفَنَسِيتَ؟ قَالَ: «لَسْتُ

(١) النهب: الغنيمة. انظر: النهاية (نهب).

(٢) الذَّوْدُ مِنَ الْإِبِلِ: مَا بَيْنَ الثَّانَتَيْنِ إِلَى الثَّلَاثِ. وَقِيلَ: مَا بَيْنَ الثَّلَاثِ إِلَى الْعَشْرِ. وَاللَّفْظَةُ مُؤَنَّثَةٌ، وَلَا وَاحِدَ لَهَا مِنْ لَفْظِهَا كَالنَّعَمِ. النِّهَايَةُ (ذود).

(٣) أَي: فِي وَجُوهِهِمْ بِيَاضٍ. انظر: النهاية (غرر).

(٤) جَمْعُ ذُرْوَةٍ، وَهِيَ أَعْلَى سَنَامِ الْبَعِيرِ. النِّهَايَةُ (ذرا).

أَنَا حَمَلْتُكُمْ، وَلَكِنَّ اللَّهَ حَمَلَكُمْ، وَإِنِّي وَاللَّهِ إِن شَاءَ اللَّهُ لَا أَخْلِفُ عَلَى يَمِينٍ فَأَرَى غَيْرَهَا خَيْرًا مِنْهَا إِلَّا أَتَيْتُ الَّذِي هُوَ خَيْرٌ وَتَحَلَّلْتُهَا»^(١).

قال الحافظ ابن حجر في الفتح معلقاً على هذا الحديث: (وفيه أنه ﷺ لا يتكلف الإجابة إلى ما سُئِلَ بالقرض مثلاً أو بالاستيهاب؛ إذ لا اضطرار حينئذٍ إلى ذلك)^(٢).

ومن المظاهر الظاهرة في عدم تصوّر الوَسْطِيَّة بين الصداقة والتَّهَوُّر والشجاعة والتَّعَقُّل ما اعتاده بعض الشباب مما يُسَمُّونه بالفزعات في المضاربات حتى ولو كان صديقه على خطأ وهو المُعْتَدِي، فيأتي الصديق، ويتدخل في مشاكل لا ناقة له فيها ولا جمل؛ ظناً منه أن هذا فقط مُقْتَضَى الصداقة. ومُقْتَضَى الصداقة أن تُبْعَدَ عن الخطأ، لا أن تُعِينَهُ عليه، والرسول ﷺ يقول كما في صحيح البخاري من حديث أنسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَنْصُرَ أَهْلَكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا»، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنْصُرُهُ إِذَا كَانَ مَظْلُومًا، أَفَرَأَيْتَ إِذَا كَانَ ظَالِمًا كَيْفَ أَنْصُرُهُ؟ قَالَ: «تَحْجُزُهُ، أَوْ تَمْنَعُهُ، مِنَ الظُّلْمِ فَإِنَّ ذَلِكَ نَصْرُهُ»^(٣).

ثُمَّ صَلُّوا وَسَلِّمُوا عَلَى رَسُولِ الْهُدَى، وإمام الورى، فقد أمركم ربكم فقال - جل وعلا-: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا

(١) أخرجه البخاري (٨٩/٤)، رقم (٣١٣٣)، ومسلم (٣/١٢٦٨)، رقم (١٦٤٩).

(٢) فتح الباري لابن حجر (٤٥٨/١٠).

(٣) أخرجه البخاري (٢٢/٩)، رقم (٦٩٥٢)، والترمذي وقال: حديث حسن صحيح (٥٢٣/٤)، رقم (٢٢٥٥)، وأحمد (٥/٢٥٣)، رقم (١٢١٣٠).

صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿ [الأحزاب: ٥٦]، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى نَبِيِّنا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ، وَارْضَ اللَّهُمَّ عَنِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ، وَالْأَئِمَّةِ الْمُهَدِّينَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَلِيٍّ، وَعَنِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ، وَعَنْهُمْ بِعَفْوِكَ وَكَرَمِكَ يَا أَكْرَمَ الْأَكْرَمِينَ.

اللَّهُمَّ اعِزَّ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَانصِرْ عِبَادَكَ الْمُوَحِّدِينَ الَّذِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِكَ فِي كُلِّ مَكَانٍ، اللَّهُمَّ انصِرْهُمْ عَلَى عَدُوِّكَ وَعَدُوِّهِمْ، اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِالْيَهُودِ الْمُعْتَدِينَ، وَالنَّصَارَى الْمُحَارِبِينَ، اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِهِمْ؛ فَإِنَّهُمْ لَا يَعْجِزُونَكَ، اللَّهُمَّ أَحْصِهِمْ عَدَدًا.

اللَّهُمَّ آمِنَّا فِي أَوْطَانِنَا، وَأَصْلِحْ أَمْرَنَا وَوُلاةَ أُمُورِنَا، اللَّهُمَّ وَفِّقْهُمْ لِمَا يَرْضِيكَ، وَجَنِّبْهُمْ مَعَاصِيكَ.

اللَّهُمَّ تَبْ عَلَى التَّائِبِينَ، وَاهْدِ ضَالَّ الْمُسْلِمِينَ، اللَّهُمَّ رُدِّهِمْ إِلَيْكَ رَدًّا جَمِيلًا، اللَّهُمَّ ارْفَعْ مَا نَزَلَ مِنَ الْفِتَنِ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِينَا.

عباد الله! ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠]، فَادْكُرُوا اللَّهَ الْعَلِيَّ الْعَظِيمَ يَذْكُرْكُمْ، وَاشْكُرُوهُ عَلَى نِعَمِكُمْ يَزِدْكُمْ، ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

تربية البنات

الخطبة الأولى:

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ، وَمَنْ سَارَ عَلَى نَهْجِهِ وَاقْتَفَى أَثَرَهُ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

أَمَّا بَعْدُ:

فَاتَّقُوا اللَّهَ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، فَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ.

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ فِي اللَّهِ: وَقَفْتُ نَمْلَةً أَحَسَّتْ بِخَطَرٍ يَهْدُدُ قَوْمَهَا، فَمَا كَانَ مِنْهَا إِلَّا إِنْذَارُ قَوْمِهَا، وَبِأَعْلَى صَوْتِهَا بِخَطَابٍ لَا مِبَالِغَةَ فِيهِ، مَصْحُوبًا بِطَرِيقِ النِّجَاةِ وَإِيجَادِ الْحُلُولِ: ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَأَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ، وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [النمل: ١٨]، فَحَذَّرَتْهُمْ مِنَ الْخَطَرِ الْقَادِمِ، وَهُوَ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ، وَذَكَرَتْ لَهُمْ حَجَمَ الْخَطَرِ، وَمَا يَتَسَبَّبُ فِيهِ، وَهُوَ تَحْطِيمُهُمْ، ثُمَّ اعْتَذَرَتْ لِسُلَيْمَانَ وَجُنُودِهِ بِأَنَّهُمْ لَا يَقْصِدُونَ ذَلِكَ، فَهَلْ تَكُونُ نَمْلَةُ سُلَيْمَانَ أَحْذَرَ مِنَّا وَأَحْرَصَ عَلَىٰ جَنْسِهَا وَقَوْمِهَا مِنَّا؟!

جَمِيعَنَا يَرَى الْخَطَرَ عَيَانًا وَاضِحًا، تَتَعَرَّضُ لَهُ بَنَاتُنَا وَأَخَوَاتُنَا، لَقَدْ دَاهَمَهُمْ شَرٌّ عَظِيمٌ مِنْ فِتَنِ الزَّمَانِ، وَكَثِيرٍ مِنَ الْأَوْلِيَاءِ مِنَ الْآبَاءِ وَالْإِخْوَانِ

منشغلون بأنفسهم في تحصيل مكاسبهم تجارياً، أو ترويحاً في الاستراحات وغيرها، ثم بعد ذلك نتألم لواقعنا.

إن الله تعالى أوصاكم وعهد إليكم عهداً عظيماً خصَّكم به، قال تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ﴾ [النساء: ١١].

فيا معشر الوالدَيْن: أولادكم عندكم ودائع، قد وصاكم الله عليهم؛ لتقوموا بمصالحهم الدينية والدنيوية، فتعلموهم، وتؤدّبوهم، وتكفّوهم عن المفسد، وتأمروهم بطاعة الله، وملازمة التقوى على الدوام كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ [التحريم: ٦].

فأولادكم عندكم موصى بهم، فمن قام بتلك الوصية فله جزيل الثواب، ومن ضيّعها فهو مُستحقّ الوعيد والعقاب.

في كل يوم نسمع خبراً - عَنْ حُماة الفضيلة من رجال الحسبة - أنهم أَمَسَكُوا فتاةً في خلوة محرّمة، والأدهى والأمر أن تكون صغيرةً في المرحلة الثانوية، والأدهى من ذلك أيضاً أن تكون في بيت مُحَافِظٍ يُعَظِّمُ الأَعْرَاضَ والمَحَارِمَ، وقد تَسَوَّرَ عليها اللصوصُ والذئابُ من أجهزة الجوّال والإنترنت، وهي في غُرْفَتِهَا، والأُمُّ والأبُّ في غَفْلَةٍ من هذا، ففي جهاز الإنترنت تستطيع البنتُ أن تُكَلِّمَ الشابَّ بالصوت والصورة، ويُجَادِعُهَا هذا الشابُّ بالكلام والتودّد؛ حتى يُوَاعِدَهَا إذا خرجت من المدرسة أو السُّوقِ أو مكانٍ آخر.

والسؤال الذي يطرح نفسه: لمَ تَفْعَلُ البنتُ هذا؟ لمَ تَبْحَثُ البنتُ عن نهاية مأساوية؟ والجواب الذي أثبتته الدراسات التربوية والنفسية - وأرجو

أن تتأملوا هذا جيداً- الجواب: هو خُلُوُ العلاقة بين الأب والإخوة مع أخواتهم من العاطفة والصلة والحديث والجلوس مع بعضهم.

مِنَ الْخَطِّ أَنْ تَعْتَقِدَ أَنَّ الْبِنْتَ تَبْحَثُ عَنْ شَهْوَةٍ مُحَرَّمَةٍ فِي أَوَّلِ أَمْرِهَا، كَلَّا، بِخِلَافِ الذُّبِّ اللَّئِيمِ، فَهُوَ مَنْ يَنْوِي ذَلِكَ، أَمَّا الْبِنْتُ فَخِلَقْتُهَا وَفَطَرْتُهَا بِحَاجَةٍ إِلَى عَاطِفَةٍ مِنْ أَيِّ رَجُلٍ، تُحِبُّ أَنْ تَتَحَدَّثَ مَعَ أَبِيهَا، مَعَ أَخِيهَا، وَلَكِنْ مَاذَا تَفْعَلُ الْبِنْتُ وَهِيَ تَرَى أَبَاهَا وَأَخَاهَا يَفْرِضُونَ عَلَيْهَا تَعَامُلًا جَادًّا فِي الْعِلَاقَةِ وَصَرَامَةً فِي الْحَدِيثِ وَجِدِّيَّةً فِي الْمَجْلِسِ؟! بَلْ وَصَلَ الْأَمْرُ أَنَّ الْبِنْتَ أَصْبَحَتْ لَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تَضَعَ عَيْنَهَا فِي عَيْنِهِ، وَالْأَبُ يَقُولُ: (ابْنَتِي تَسْتَحِي)، كَلَّا، إِنَّ هَذَا لَهُ أَثَرٌ عَظِيمٌ عَلَى سُلُوكِهَا، فَإِنَّهَا حُرِمَتْ مِنْ عَاطِفَةٍ كَبِيرَةٍ، وَهِيَ عَلَى خَطَرٍ - إِنْ لَمْ تُشَبَّعْ مِنْ هَذِهِ الْعَاطِفَةِ - أَنْ يَسْتَغْلِيَهَا مَنْ يَسْتَغْلِيهَا.

هل هذا هو فعل رسول الله ﷺ؟! انظروا إلى فعله مع فاطمة بنته رضي الله عنها وقد تزوجت، وذلك فيما رواه النسائي عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: ما رأيتُ أحدًا من الناس أشبهَ كلامًا برسول الله ﷺ، ولا حديثًا، ولا جلسةً من فاطمة، قالت: كان رسول الله ﷺ إذا رآها قد أقبلت قال: «مَرْحَبًا بِابْنَتِي»، ثم قام إليها فقبلها، ثم أخذَ بيدها فجاء بها حتى يجلسها في مكانه، وكانت إذا رأت النبي ﷺ رَحَّبَتْ بِهِ، ثم قامت إليه فقبلته، وإنها دخلت على النبي ﷺ في مَرَضِهِ الَّذِي قُبِضَ فِيهِ فَرَحَّبَ بِهَا وَقَبَّلَهَا، ثُمَّ أَسَرَّ إِلَيْهَا فَبَكَتْ، ثُمَّ أَسَرَّ إِلَيْهَا فَضَحِكَتْ، فَقُلْتُ لِلنِّسَاءِ: مَا كُنْتُ أَرَى إِلَّا أَنَّ لَهَا فَضْلًا عَلَى النِّسَاءِ، فَقُلْتُ لَهَا: مَا يُبْكِيكِ؟ فَقَالَتْ: مَا كُنْتُ لِأُفْشِيَ سِرَّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. فَقُلْتُ: مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ فَرَحًا أَقْرَبَ مِنْ حُزْنٍ. فَقُلْتُ لَهَا حِينَ بَكَتْ: أَخْصَكِ

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِحَدِيثِهِ دُونَنَا ثُمَّ تَبَكَّيْنَ؟ وَسَلَّتُهَا عَمَّا قَالَ، فَقَالَتْ: مَا كُنْتُ
لَأُفْشِيَ سِرَّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. حَتَّى إِذَا قُبِضَ سَأَلْتُهَا، فَقَالَتْ: إِنَّهُ كَانَ حَدَّثَنِي
«أَنَّ جِبْرِيلَ كَانَ يُعَارِضُهُ بِالْقُرْآنِ كُلَّ عَامٍ مَرَّةً وَإِنَّهُ عَارَضَهُ بِهِ فِي الْعَامِ مَرَّتَيْنِ،
وَلَا أُرَانِي إِلَّا قَدْ حَضَرَ أَجْلِي، وَإِنَّكَ أَوَّلُ أَهْلِي لِحُوقًا بِي وَنِعَمَ السَّلَفُ أَنَا لَكَ».
فَبَكَيْتُ لِدَلِكِ، ثُمَّ إِنَّهُ سَارَّنِي فَقَالَ: «أَلَا تَرْضَيْنَ أَنْ تَكُونِي سَيِّدَةَ نِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ
أَوْ سَيِّدَةَ نِسَاءِ هَذِهِ الْأُمَّةِ؟!»، فَصَحَّحْتُ لِدَلِكِ^(١).

إن هذه العاطفة أساس في بناء حفظ البنت لنفسها، والثقة بها في
خلواتها، أمّا أن تكون العلاقة صامتة فلا حوار ولا ابتسامة بريئة ولا ممازحة
لطيفة فإنها قد تَبَحَثُ عنها من خارج السور

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾
[الأحزاب: ٧٢].

بَارَكَ اللَّهُ لِي وَلَكُمْ فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، وَنَفَعَنِي وَإِيَّاكُمْ بِمَا فِيهِ مِنَ الْآيَاتِ
وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ، أَقُولُ مَا سَمِعْتُمْ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ لِي وَلَكُمْ وَلِسَائِرِ
الْمُسْلِمِينَ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ وَخَطِيئَةٍ، فَاسْتَغْفِرُوهُ وَتُوبُوا إِلَيْهِ، إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ
الرَّحِيمُ.

(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (٣٢٦/١، رقم ٩٤٧)، والنسائي في الكبرى (٣٩٣/٧)،
رقم ٨٣١٠).

الخطبة الثانية:

الحمد لله على إحسانه، والشُّكر على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله تعظيماً لشانه، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، الداعي إلى جنته ورضوانه، صَلَّى الله عليه، وعلى آله وأصحابه وأعوانه.

أَمَّا بَعْدُ:

مَعَشَرَ الإِخْوَةِ: إِنَّ رَسَمَ هذه العلاقة يكون مِنْ صِغَرِ الفتاة مِنْ طُفُولَتِهَا، فِي تَقْبِيلِهَا وَمَلَاعِبَتِهَا، وَاسْتِجْلَابِ مَوَدَّتِهَا، فَإِذَا مَا ظَفَرَتْ بِهَذَا مِنَ الصَّغَرِ فَإِيَّاكَ أَنْ تُفَرِّطَ فِي هذه العلاقة؛ لِأَنَّ البنتَ إِذَا وَصَلَتْ لِسِنَ الخامسة أَوِ السادسة أَوْ بعدها بِسَنَةٍ فَإِنَّ طَبِيعَتَهَا تَتَغَيَّرُ وَتَتَأَثَّرُ وَتَمِيلُ إِلَى الْعُزْلَةِ أَوِ الانكِماشِ وَالْحِيَاءِ، فَإِيَّاكَ أَنْ تُوَافِقَهَا عَلَى رَغْبَتِهَا، عَلَيْكَ أَنْ تَقْتَرِبَ مِنْهَا، وَأَنْ تَتَوَدَّدَ إِلَيْهَا، وَأَنْ تَعْتَادَ هِيَ دُخُولَكَ عَلَيْهَا فِي غُرْفَتِهَا؛ لِتَشْعُرَ أَنَّكَ قَرِيبٌ مِنْهَا.

افْتَحُوا قُلُوبَكُمْ لَهُنَّ، وَأَرُوهُنَّ الْحِرْصَ وَالشَّفَقَةَ، وَعِيشُوا مَشَاكِلَهُنَّ، وَكُونُوا عَوْنًا لَهُنَّ عَلَيْهَا، كُونُوا الْحِصْنَ الدَّافِعِي وَالْحِصْنَ الْأَمِنَ، وَحَاوِرُوهُنَّ، وَاسْمَعُوا مِنْهُنَّ، فَهَذَا لِقَمَانِ الْحَكِيمِ ذَكَرَ اللَّهُ حَوَارَهُ مَعَ وَلَدِهِ وَهُوَ مَمْتَلِئٌ شَفَقَةً وَحُبًّا وَعَطْفًا، فَمَا أَوْصَاهُ بِشَيْءٍ إِلَّا وَيَقُولُ لَهُ: (يَا بُنَيَّ)، فَأَوْصَاهُ بِعَلَاقَتِهِ مَعَ رَبِّهِ، وَعَلَاقَتِهِ مَعَ الْوَالِدِيَّهِ، وَعَلَاقَتِهِ مَعَ النَّاسِ، وَعَلَاقَتِهِ مَعَ نَفْسِهِ، كُلُّ هَذَا بِأَسْلُوبِ هَيِّنٍ لَيِّنٍ.

وهذا رَسُولُنَا ﷺ عَلَّمَ الْغُلَامَ الصَّغِيرَ وَهُوَ خَلْفَهُ كَلِمَاتٍ عَظِيمَاتٍ، وَهُوَ يُسِرُّ إِلَيْهِ بِهَذَا الْكَلَامِ، مِمَّا يُعْطِيهِ فِي نَفْسِهِ الثِّقَةَ وَصِدْقَ الْمَحَبَّةِ، فَيَقُولُ لَهُ:

«يَا غُلَامُ، احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ»^(١)، ولم يَحْتَفِرْهُ، ولم يُصَغِّرْ من أمره وهو ينقل إلينا هذا الحديث؛ لناخذه مِمَّنْ تَحَمَّلَهُ فِي الصَّغَرِ.

أَيُّهَا الْآبَاءُ وَالْأُمَّهَاتُ: لَا أَحَدَ يَشُكُّ فِي مَحَبَّتِكُمْ وَمَوَدَّتِكُمْ لِأَبْنَائِكُمْ، وَأَنْكُمْ أَوَّلُ مَنْ يَفْرَحُ بِصَلَاحِهِمْ، وَيَتَرَحُّ لِفَسَادِهِمْ، وَلَكِنْ اْعْمَلُوا أَسْبَابَهَا بِجِدٍّ وَمَوَاصِلَةٍ، أَيْنَ أَنْتُمْ مِنَ الدَّعَاءِ؟! كَمْ مَرَّةً دَعَوْتَ لِأَبْنَائِكَ بِصَلَاحِهِمْ؟ وَالْمُشَاهِدَ -وَلِلْأَسَفِ- أَنَّا نَرَى الدَّعَاءَ بِكَثْرَةٍ مِنْ طَبَقَةِ كِبَارِ السَّنِّ، وَأَمَّا مِنَ الشَّبَابِ -أَوْ فَوْقَ ذَلِكَ بِقَلِيلٍ - فَقَلِيلٌ، وَسَبَبُ ذَلِكَ الْغَفْلَةُ، فَاللَّهُ اللَّهُ بِالْحَاحِ الدَّعَاءَ عَلَى اللَّهِ أَنْ يُصْلِحَهُمْ، وَأَنْ يَجْعَلَهُمْ قُرَّةَ عَيْنٍ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

وَرِسَالَتِي إِلَى الْإِخْوَةِ: اللَّهُ اللَّهُ فِي أَخَوَاتِكُمْ، لَيْسَ مِنَ الرَّجُولَةِ وَلَا مِنَ الْحِجَابِ^(٢) أَنْ تَظُنَّ أَنْ أَمْرَكَ وَسَيِّطَرَتَكَ عَلَى أَخَوَاتِكَ هِيَ إِثْبَاتُ رُجُولَتِكَ، كَلَّا وَاللَّهِ، إِنَّ رَجُولَتَكَ فِي نُصْحِكَ لِهِنَّ، وَمَحَبَّتِهِنَّ لَكَ.

اْخْرِصْ عَلَى اخْتِرَامِهِنَّ، وَمَخَالِطَتِهِنَّ، وَالْحَدِيثِ مَعَهُنَّ، وَقَضَاءِ حَوَائِجِهِنَّ، وَأَشْعِرْهُنَّ بِعِلَاقَتِكَ الصَّادِقَةِ مَعَهُنَّ، وَأَبْشِرْ بِالْأَجْرِ الْعَظِيمِ، وَلِإِنَّ كَانَ السَّاعِي عَلَى قَضَاءِ حَوَائِجِ الْمَرْأَةِ الْبَعِيدَةِ لَهُ مَا لَهُ مِنَ الْأَجْرِ كَالصَّائِمِ الَّذِي لَا يُفْطِرُ، وَالْقَائِمِ الَّذِي لَا يَفْتُرُ؛ فَمَا بِالِكَ إِذَا كَانَ مَعَ الصَّلَةِ وَالْقَرَابَةِ!

(١) أخرجه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح (٤/٦٦٧، رقم ٢٥١٦)، وأحمد (٢/١٧٨)، رقم (٢٧١٣)، والطبراني (١١/١٧٨، رقم ١١٤١٦)، واللفظ له.

(٢) أي: العقل. المعجم الوسيط (حجا).

أَكْرَمَ بَرَجُلٍ يَقُومُ عَلَى حَوَائِجِ أَخَوَاتِهِ كَمَا يَقُومُ عَلَى حَوَائِجِ أَبَوَيْهِ، إِنْ فِي
 الْمَجْتَمَعِ رَجُلًا يَضْرِبُونَ أَرْوَاعَ الْأَمْثَالِ فِي الْقِيَامِ بِحَقُوقِ أَخَوَاتِهِمْ رِعَايَةً
 وَصِدَاقَةً؛ بَلْ وَنَفَقَةً، مَا أَعْظَمَ هَذِهِ النُّفُوسَ الْكَبِيرَةَ، وَمَا أَجْمَلَ وَأَطْهَرَ فُؤَادَهَا!
 أَوَلَيْسَ هَذَا هُوَ الْبِرُّ؟! أَوَلَيْسَ هَذَا هُوَ الصَّلَاةُ؟! وَفِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ أَنَّ
 جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ لَمَّا تُوفِّيَ أَبُوهُ وَكَانَ لَهُ سِتُّ أَخَوَاتٍ فَقَامَ عَلَيْهِنَ رَضِيَ اللَّهُ
 عَنْهُ^(١)، فَكَيْفَ إِذَا كَانَ مَا يُطْلَبُ مِنَ الْوَلَدِ هُوَ الْمَعَامَلَةُ الْحَسَنَةُ، وَالْعِلَاقَةُ
 الصَّافِيَةُ مِنَ الْحَدِيثِ وَالْمَخَالَطَةِ وَالتَّوَدُّدِ؟!

ثُمَّ صَلُّوا وَسَلِّمُوا عَلَى رَسُولِ الْهُدَى، وَإِمَامِ الْوَرَى، فَقَدْ أَمَرَكُمُ رَبُّكُمْ
 فَقَالَ -جَلَّ وَعَلَا-: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
 صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الْأَحْزَابُ: ٥٦]، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى نَبِيِّنَا
 مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ، وَارْضَ اللَّهُمَّ عَنِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ،
 وَالْأَئِمَّةِ الْمُهَدِّدِينَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَلِيٍّ، وَعَنِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ، وَعَنَّا
 مَعَهُمْ بِعَفْوِكَ وَكَرَمِكَ يَا أَكْرَمَ الْأَكْرَمِينَ.

اللَّهُمَّ أَعِزِّ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَانصِرْ عِبَادَكَ الْمُوَحِّدِينَ الَّذِينَ يَجَاهِدُونَ
 فِي سَبِيلِكَ فِي كُلِّ مَكَانٍ، اللَّهُمَّ انصِرْهُمْ عَلَى عَدُوِّكَ وَعَدُوِّهِمْ، اللَّهُمَّ عَلَيْكَ
 بِالْيَهُودِ الْمُعْتَدِينَ، وَالنَّصَارَى الْمُحَارِبِينَ، اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِهِمْ؛ فَإِنَّهُمْ لَا
 يَعْجِزُونَكَ، اللَّهُمَّ أَحْصِهِمْ عَدَدًا.

اللَّهُمَّ آمِنَّا فِي أَوْطَانِنَا، وَأَصْلِحْ أَمْتَنَا وَوُلَاةَ أُمُورِنَا، اللَّهُمَّ وَفِّقْهُمْ لِمَا
 يَرْضِيكَ، وَجَنِّبْهُمْ مَعَاصِيكَ.

(١) أخرجه البخاري (٤/ ٥١، رقم ٢٩٦٧)، ومسلم (٢/ ١٠٨٧، رقم ٧١٥).

اللَّهُمَّ تب على التائبين، واهد ضالَّ المسلمين، اللَّهُمَّ رُدَّهُمْ إِلَيْكَ رَدًّا
 جميلاً، اللَّهُمَّ ارفع ما نزل من الفتن.
 اللَّهُمَّ اغفر لنا ولوالدينا.

عباد الله! ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ
 الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠]،
 فاذكروا الله العلي العظيم يذكركم، واشكروه على نعمكم يزدكم، ﴿وَلَذِكْرُ
 اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

تقديم محبة الله على المعاصي

الخطبة الأولى:

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ، وَمَنْ سَارَ عَلَى نَهْجِهِ وَاقْتَفَى أَثَرَهُ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

أَمَّا بَعْدُ:

فَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ، ﴿يَأْتِيهَا الْإِنْسَنُ مَا غَرَكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ (٦) الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّنَكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾ [الانفطار: ٦: ٨].

مَعَشَرَ الْمُصَلِّينَ: قَدْ يُبْتَلَى الْمَرْءُ بِمَعْصِيَةِ مِنَ الْمَعَاصِي لَا تَكَادُ تُفَارِقُهُ، وَهُوَ مَعَ هَذَا يَسْأَلُ اللَّهَ الْخَلَاصَ مِنْهَا، غَيْرَ أَنَّهُ لَمْ تَكُنْ سَبَبًا لتركِ أَمْرٍ مِنْ أَوْامِرِ اللَّهِ، وَلَمْ تَقِفْ حَاجَزًا أَمَامَ الْقِيَامِ بِطَاعَةِ اللَّهِ، فَهَذَا سَبِيلُهُ الْإِنَابَةُ وَالِدَعَاءُ إِلَى رَبِّهِ، وَالْحَرَصُ عَلَى الزِّيَادَةِ مِنَ الْخَيْرِ، وَالشَّانُ كُلُّ الشَّانِ حِينَهَا تَكُونُ الْمَعْصِيَةُ سَبَبًا لتركِ الْوَاجِبَاتِ، وَتَضْيِيعِ الْأَوْامِرِ الشَّرْعِيَّةِ، فَيَسَبِّبُ هَذِهِ الْمَعْصِيَةُ صَارَ مُضَيِّعًا لِدِينِ اللَّهِ أَوْ بَعْضِهِ مِنَ الْفَرَائِضِ، بَلْ قَدْ تَكُونُ لِمَحَبَةِ لُبِّهَا مِنَ الْمُبَاحَاتِ تُؤَدِّي إِلَى هَذَا الشَّيْءِ نَفْسَهُ مِنْ تَرَكِ الْوَاجِبَاتِ الشَّرْعِيَّةِ، هُنَا لَا بَدَّ مِنْ وَقْفَةٍ حَازِمَةٍ،

لا تَقْبَلِ التَّاجِيلَ والتَّأخِيرَ والانتظارَ، فلا بد من مُحاسبة النَّفْس حينما تَرى هذه المعصية أو هذا المباح قد جَرَّ عليك ضِياعَ واجباتك فهنا الأمر مختلف، ومختلف جِدًّا، لا بد من التَّضحية بكل شيء.

يُذَكِّرنا هذا المعنى بِقِصَّةِ يوسف عليه السلام لما عَرَضَتْ لَهُ النِّسْوَةُ، أَدْرَكَ أَنَّ هذه المعصية ستكون نُقْطَةً تَحُولُ كَبِيرٌ فِي مَسِيرَتِهِ وَحَيَاتِهِ، وَلَنْ يَنْتَهِيَ أَبَدًا، وَلِهَذَا قَالَ فِي دُعَائِهِ لِرَبِّهِ: ﴿وَلَا أَتَصَرَّفُ عَنْ كَيْدِهِنَّ أَصَبُّ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾ [يوسف: ٣٣]، وَتَأَمَّلْ كَلِمَةَ ﴿أَصَبُّ﴾، وَهُوَ إِفْرَاطُ الْحُبِّ وَالشَّوْقِ، أَيِ إِنِّي سَأَكُونُ مُقَيَّدًا ذَلِيلًا بِذُلِّ المعصية وَالهُوَى، فَمَا كَانَ اللَّهُ إِلَّا سَمِيعًا عَلِيمًا، ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ، فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [يوسف: ٣٤]، هَذَا هُوَ الطَّلَبُ الصَّادِقُ، وَهَذَا هُوَ الشُّعُورُ الْإِيَّانِي الْكَامِلُ، أَتَرَى مَنْ ابْتَلِيَ بِمَعْصِيَةٍ يَسْتَحْضِرُ هَذَا الْمَعْنَى؟! أَتَرَاهُ يَسْتَحْضِرُ الْإِدْمَانَ عَلَيْهَا؟! أَتَرَاهُ يَسْتَحْضِرُ ذَلِكَ بِسَبَبِهَا؟! لَوْ اسْتَحْضَرَ لَنَجَا.

وَمِثْلُ ذَلِكَ مَا حَصَلَ لِنَبِيِّ اللَّهِ سَلِيمَانَ عليه السلام لَمَّا عُرِضَتْ عَلَيْهِ الْخَيْلُ الْجَيَادُ السَّرِيعَةُ وَهُوَ مُعْجَبٌ بِجَمَالِهَا وَسُرْعَتِهَا، فَمَا زَالَتْ تُعَرِّضُ عَلَيْهِ حَتَّى غَابَتِ الشَّمْسُ، وَأَلْهَتْهُ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ. فَقَالَ نَدَمًا عَلَى مَا مَضَى مِنْهُ، وَتَقَرُّبًا إِلَى اللَّهِ بِمَا أَلْهَاهُ عَنْ ذِكْرِهِ، وَتَقْدِيمًا لِحُبِّ اللَّهِ عَلَى حُبِّ غَيْرِهِ: ﴿إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ﴾، وَالْمُرَادُ الْخَيْلُ؛ لِأَنَّهَا مِنْ جَمَلَةِ الْمَالِ ﴿عَنْ ذِكْرِ رَبِّي﴾ [ص: ٣٢]، فَقَالَ ﴿رُدُّوْهَا عَلَيَّ﴾ [ص: ٣٣]، فَجَعَلَ يَعْرِضُهَا^(١) بِسَيْفِهِ، فِي سُوقِهَا^(٢) وَأَعْنَاقِهَا.

(١) أي: يذبحها. انظر: المعجم الوسيط (عقر).

(٢) جمع ساق، وهي ما بين الرُّكْبَةِ وَالْقَدَمِ. المعجم الوسيط (سوق).

أَتَرَى مَنْ فَاتَتْهُ فَرِيضَةُ اللَّهِ فِي وَقْتِهَا يَلْتَفِتُ إِلَى أَسْبَابِ تَرْكِهِ لِلْفَرِيضَةِ، ثُمَّ يَقِفُ مَوْقِفًا حَازِمًا إِمَّا بِسَبَبِ رُفْقَةٍ أَوْ شَيْءٍ آخَرَ، هَذَا هُوَ الصَّدَقُ وَالْمَحَاسِبَةُ الْمُثْمِرَةُ، وَنَبِينَا ﷺ كَمَا فِي الصَّحِيحِينَ مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: أَهْدَى أَبُو جَهْمِ بْنِ حَزِيْفَةَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَمِيصَةً^(١) شَامِيَّةً لَهَا عِلْمٌ، فَشَهِدَ فِيهَا الصَّلَاةَ، فَلَمَّا انْصَرَفَ قَالَ: «اذْهَبُوا بِحَمِيصَتِي هَذِهِ إِلَى أَبِي جَهْمٍ وَأَتُونِي بِأَنْبَجَانِيَّةٍ^(٢) أَبِي جَهْمٍ، فَإِنَّهَا أَهْتُنِي أَنْفًا عَنْ صَلَاتِي، كُنْتُ أَنْظُرُ إِلَى عِلْمِهَا، وَأَنَا فِي الصَّلَاةِ فَأَخَافُ أَنْ تَفْتِنَنِي»^(٣)، وَفِي رَوَايَةِ أَحْمَدَ فِي مُسْنَدِهِ: فَقَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ الْحَمِيصَةَ هِيَ خَيْرٌ مِنَ الْأَنْبَجَانِيَّةِ، قَالَ: فَقَالَ: «إِنِّي كُنْتُ أَنْظُرُ إِلَى عِلْمِهَا فِي الصَّلَاةِ»^(٤)، لَيْسَتْ الْقَضِيَّةُ عِنْدَهُ أُيُّهَا أَفْضَلُ، إِنَّمَا الْأَمْرُ أَشَدُّ مِنْ ذَلِكَ عِنْدَهُ، فَإِنْ هَذَا الْكِسَاءُ أَهْلُهُ وَأَخْلَ عَلَيْهِ صَلَاتُهُ، فَلَا يُمْكِنُ أَنْ يَسْتَسْلِمَ وَيَقِفَ مُنْتَظِرًا وَمُسَوِّفًا، فَمَا كَانَ مِنْهُ إِلَّا أَنْ رَدَّ الْهَدِيَّةَ، مَعَ أَنَّهُ لَا يَرُدُّ الْهَدِيَّةَ، وَأَخْبَرَ أَبَا جَهْمٍ بِسَبَبِ رَدِّهَا، وَطَيَّبَ خَاطِرَهُ بِأَنْ قَالَ لَهُ: أَعْطِنِي كِسَاءً لَا خُطُوطَ فِيهِ، وَعَلَى هَذَا سَارَ أَهْلُ الْإِيمَانِ.

حِينَمَا تَقِفُ مَعْصِيَةً مِنَ الْمَعَاصِي أَوْ مَبَاحٍ مِنَ الْمُبَاحَاتِ حَجَرَ عَثْرَةٍ أَمَامَ الْقِيَامِ بِأَمْرِ اللَّهِ أَوْ طَاعَةٍ مِنْ طَاعَاتِهِ فَهَنَا لَا يُمْكِنُ التَّوَقُّفُ وَالْإِنْتَظَارُ؛ بَلْ

(١) الحَمِيصَةُ: ثَوْبٌ أَسْوَدٌ أَوْ أَحْمَرُ لَهُ أَعْلَامٌ. الْمُعْجَمُ الْوَسِيطُ (خَصَصَ).

(٢) كِسَاءٌ يُتَّخَذُ مِنَ الصُّوفِ، وَلَهُ حُمْلٌ، وَلَا عِلْمُ لَهُ، وَهِيَ مِنْ أَدَوْنِ الثِّيَابِ الْغَلِيظَةِ، مَنْسُوبَةٌ إِلَى مَنْبِجِ الْمَدِينَةِ الْمَعْرُوفَةِ، أَوْ إِلَى مَوْضِعِ اسْمِهِ أَنْبَجَانٍ. انْظُرْ: النِّهَايَةَ (أَنْبَجَانِ).

(٣) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (١/ ٨٤، رَقْمُ ٣٧٣)، وَمُسْلِمٌ (١/ ٣٩١، رَقْمُ ٥٥٦).

(٤) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (١١/ ١٥٠، رَقْمُ ٢٤٨٢٧)، وَإِسْحَاقُ بْنُ رَاهُوَيْهِ فِي مُسْنَدِهِ (٢/ ١٣٧، رَقْمُ ٦٢٣).

الحالة تستدعي الفورية في القرار بأن تتخلص مما وَقَفَ أمامك وفي طريقك عن القيام بالأمر. إن هذه المحاسبة هي ما مَيَّزَ الله به المؤمنين الصادقين أَهْلَ اليمين، قال الحسن رحمته: (إن المؤمنَ والله ما تراه إلا يلوُمُ نفسه على كلِّ حالاته، يَسْتَقْصِرُها في كل ما يَفْعَلُ، فيندُمُ ويلوُمُ نفسه، وإنَّ الفاجرَ يَمْضِي قُدُماً لا يعاتبُ نفسه)^(١).

وقال ابن القيم رحمته: (وهلاكُ القلب من إهمالِ محاسبتها - أي النفس - ومن موافقتها واتباع هواها)^(٢).

ف عجيب حال هذا الغافل؛ يُوقِنُ بالموت ثم ينساه، ويتَحَقَّقُ من الضَّرَرِ ثم يغشاه، أَيْحَشَى الناسَ والله أَحَقُّ أن يخشاه، يَغْتَرُّ بالصحة وينسى السَّقَمَ، ويفرح بالعافية ولا يَتَذَكَّرُ الألمَ، يَزْهُو بأيام الشباب وينسى الهرمَ، يطوُلُ عمره ويزداد ذَنْبُهُ، يبيضُ شعره ويسودُّ قلبه، يَجْمَعُ المالَ من المتشابهِ والحرامِ، ويسعى بقدَمَيْهِ إلى التفريط والإجرامِ، ناسياً نزولَ الموت وحُلُولَ الأجلِ، وشِدَّةَ الكربِ وانقطاعَ العملِ، حينما يتلجلج اللسان، ويَبْكِي الأهلَ والإخوانَ، وهذا المحتَضِرُ لا يستطيع الكلامَ، قد شَخَصَ بَصَرُهُ، وبدَأَ له عَمَلُهُ، فإِذَا يُبَشِّرُ بِرُوحٍ وَرِيحَانٍ أو جَحِيمٍ وَنِيرَانٍ.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي ءِامَنًا يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [فصلت: ٤٠].

(١) التفسير البسيط للواحيدي (٢٢/٤٧٦).

(٢) إغاثة اللهفان لابن القيم (١/٧٨).

بَارَكَ اللهُ لِي وَلَكُمْ فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، وَنَفَعَنِي وَإِيَّاكُمْ بِمَا فِيهِ مِنَ الْآيَاتِ
وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ، أَقُولُ مَا سَمِعْتُمْ، وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ الْعَظِيمَ لِي وَلَكُمْ وَلِسَائِرِ
الْمُسْلِمِينَ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ وَخُطِيئَةٍ، فَاسْتَغْفِرُوهُ وَتُوبُوا إِلَيْهِ، إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ
الرَّحِيمُ.

الخطبة الثانية:

الحمد لله على إحسانه، والشُّكْرُ على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله
إلا الله تعظيماً لشانه، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، الداعي إلى جنته
ورضوانه، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَأَعْوَانِهِ.
أَمَّا بَعْدُ:

مَعَاشِرَ الْإِخْوَةِ: كَمْ مِنْ رَجُلٍ وَقَفَتِ الْمَحَدَّرَاتِ وَالْخُمُورُ أَمَامَهُ حَاجِزًا
عَنْ طَاعَةِ رَبِّهِ وَلَا يَزَالُ وَاقِفًا دُونَ حِرَاكٍ وَخَلَاصٍ! وَكَمْ مِنْ رَجُلٍ وَقَفَتِ
أَمْرَأَتُهُ وَزَوْجَتُهُ عَائِقًا عَنْ بِرِّ أُمِّهِ وَأَبِيهِ وَهُوَ لَا يُجَرِّكُ سَاكِنًا! وَكَمْ مِنْ رَجُلٍ
مَنَعَتْهُ صُحْبَتُهُ الْفَاسِدَةُ عَنِ الصَّلَاةِ وَالْمَحَافَظَةِ عَلَيْهَا! وَكَمْ مِنْ رَجُلٍ اعْتَادَ
تَرْكَ صَلَاةِ الْفَجْرِ بِسَبَبِ طُولِ السَّهَرِ وَلَا يَزَالُ فِي عِنَادِهِ! وَكَمْ مِنْ رَجُلٍ
تَسَبَّبَ مَالُهُ الْمَحْرَمُ بِعَدَمِ قَبُولِ صَدَقَتِهِ وَبِرِّهِ وَإِحْسَانِهِ وَلَمْ يَفْعَلْ شَيْئًا! نِهَاجِ
كَثِيرَةٍ مِنَ الْمَعَاصِي وَالْمُبَاحَاتِ الَّتِي تَسَبَّبَتْ لِتَضْيِيعِ أَوَامِرِ اللهِ، وَالَّتِي لَا يَجُوزُ
أَنْ يُسَوِّفَ الْعَبْدُ فِيهَا التَّوْبَةَ، أَوْ أَنْ يَقِفَ مَوْقِفَ الْمُتَفَرِّجِ.

لَيْسَتْ الْقَضِيَّةُ أَنْكَ وَاقِعٌ فِي مَعْصِيَةِ تَسْأَلُ اللهُ التَّخْلَصَ مِنْهَا وَتَتُوبَ

وترجع، كلاً، إن القضية هنا أن الأمر تجاوزَ إلى أشدّ من ذلك، وهو تضييع حدود الله، فحتاج إلى توضيح، فأر الله من نفسك خيراً، ولهذا تأملوا الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه من حديث أبي سعيد الخدري أن نبي الله ﷺ قال: «كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ رَجُلٌ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا، فَسَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الْأَرْضِ، فَذُلَّ عَلَى رَاهِبٍ، فَأَتَاهُ، فَقَالَ إِنَّهُ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا، فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَقَالَ: لَا. فَقَتَلَهُ، فَكَمَلَ بِهِ مِائَةً، ثُمَّ سَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الْأَرْضِ، فَذُلَّ عَلَى رَجُلٍ عَالِمٍ، فَقَالَ إِنَّهُ قَتَلَ مِائَةَ نَفْسٍ فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَقَالَ: نَعَمْ، وَمَنْ يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ التَّوْبَةِ، أَنْطَلِقْ إِلَى أَرْضٍ كَذَا وَكَذَا، فَإِنَّ بِهَا أَنْاسًا يَعْبُدُونَ اللَّهَ فاعْبُدِ اللَّهَ مَعَهُمْ، وَلَا تَرْجِعْ إِلَى أَرْضِكَ فَإِنَّهَا أَرْضُ سَوْءٍ. فَاَنْطَلَقَ حَتَّى إِذَا نَصَفَ الطَّرِيقَ، أَتَاهُ الْمَوْتُ، فَاخْتَصَمَتْ فِيهِ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ وَمَلَائِكَةُ الْعَذَابِ، فَقَالَتْ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ: جَاءَ تَائِبًا مُقْبِلًا بِقَلْبِهِ إِلَى اللَّهِ. وَقَالَتْ مَلَائِكَةُ الْعَذَابِ: إِنَّهُ لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ. فَأَتَاهُم مَلَكٌ فِي صُورَةِ آدَمِيٍّ فَجَعَلُوهُ بَيْنَهُمْ، فَقَالَ: قِيسُوا مَا بَيْنَ الْأَرْضَيْنِ فَإِلَى أَيَّتِهِمَا كَانَ أَذْنَى فَهُوَ لَهُ. فَقَاسُوهُ فَوَجَدُوهُ أَذْنَى إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي أَرَادَ، فَقَبَضَتْهُ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ»^(١).

فهذا عمل عملاً وهو أنه هاجرَ وخرجَ فتوبته صادقة، فرحمه ربه وهياً له أسباب الرحمة، فهناك فرق كبير بين التَّمنِّي وبين الصدق في التمني والرجبة.

فَإِنَّ فَسَادَ الرَّأْيِ أَنْ تَتَرَدَّدَا

إِذَا كُنْتَ ذَا رَأْيٍ فَكُنْ ذَا عَزِيمَةٍ

(١) أخرجه مسلم (٤/٢١١٨، رقم ٢٧٦٦).

كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: (حَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُحَاسَبُوا، وَزِنُوا أَعْمَالَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُوزَنُوا، فَإِنَّهُ أَهْوَنُ عَلَيْكُمْ فِي الْحِسَابِ غَدًا أَنْ تُحَاسَبُوا أَنْفُسَكُمْ الْيَوْمَ)^(١).

وقال سعيد بن مسعود - رحمه الله تعالى -: (إِذَا رَأَيْتَ الْعَبْدَ تَزْدَادُ دُنْيَاهُ وَتَنْقُصُ آخِرَتُهُ وَهُوَ بِذَلِكَ رَاضٍ فَذَلِكَ الْمَغْبُونُ الَّذِي يُلْعَبُ بِوَجْهِهِ وَهُوَ لَا يَشْعُرُ)^(٢).

وَالْكَيْسُ^(٣) مَنْ دَانَ نَفْسَهُ^(٤) وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ، وَالْعَاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا وَتَمَتَّى عَلَى اللَّهِ الْأَمَانِيِّ. ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مِمَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الحشر: ١٨].

ثُمَّ صَلُّوا وَسَلِّمُوا عَلَى رَسُولِ الْهُدَى، وَإِمَامِ الْوَرَى، فَقَدْ أَمَرَكُمْ رَبُّكُمْ فَقَالَ - جَل وَعَلَا -: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ، وَارْضَ اللَّهُمَّ عَنِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ، وَالْأَئِمَّةِ الْمُهَدِّينَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَلِيٍّ، وَعَنِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ، وَعَنَّا مَعَهُمْ بِعَفْوِكَ وَكَرَمِكَ يَا أَكْرَمَ الْأَكْرَمِينَ.

(١) أخرجه ابن المبارك في الزهد (١/١٠٣)، رقم (٣٠٦)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (١/٥٢).

(٢) إحياء علوم الدين (٣/٢٠٩).

(٣) أي: العاقل. النهاية (كيس).

(٤) أي: أذلها واستعبدها. وقيل: حاسبها. النهاية (دين).

اللَّهُمَّ أعزِّ الإسلام والمسلمين، وانصر عبادك الموحدين الذين يجاهدون في سبيلك في كل مكان، اللَّهُمَّ انصرهم على عدوك وعدوهم، اللَّهُمَّ عليك باليهود المعتدين، والنصارى المحاربين، اللَّهُمَّ عليك بهم؛ فإنهم لا يعجزونك، اللَّهُمَّ أحصهم عددًا.

اللَّهُمَّ آمِنًا في أوطاننا، وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا، اللَّهُمَّ وفقهم لما يرضيك، وجنبهم معاصيك.

اللَّهُمَّ تب على التائبين، واهد ضالَّ المسلمين، اللَّهُمَّ رُدِّهم إليك ردًّا جميلًا، اللَّهُمَّ ارفع ما نزل من الفتن.
اللَّهُمَّ اغفر لنا ولوالدينا.

عباد الله! ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠]،
فاذكروا الله العلي العظيم يذكركم، واشكروه على نعمكم يزدكم، ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

رحمة الرسول بأمته والبدع

الخطبة الأولى:

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ، وَمَنْ سَارَ عَلَى نَهْجِهِ وَاقْتَفَى أَثَرَهُ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

أَمَّا بَعْدُ:

فَاتَّقُوا اللَّهَ أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ، فَإِنَّهَا وَصِيَّةُ اللَّهِ لِلأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ﴾ [النساء: ١٣١].

مَعَشَرَ الْإِخْوَةِ: إِنَّ مِنْ أَعْظَمِ الْمَنِّ الَّتِي أَمَنَّ اللَّهُ بِهَا عَلَى عِبَادِهِ هِيَ إِرْسَالُ مُحَمَّدٍ ﷺ، قَالَ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤]، وَكَيْفَ لَا يَمُنُّ اللَّهُ وَفِيهَا أَمَنَّ بِهِ عَلَى عِبَادِهِ الْحَيَاةَ الْحَقِيقِيَّةَ، حَيَاةَ الْقُلُوبِ، وَالْفَوْزَ بِدَارِ الْخُلُودِ، قَالَ رَبُّنَا جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يَدْخُلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَنْ يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الفتح: ١٧].

بُعِثَ نَبِيًّا ﷺ فَأَهَانَهُ قَوْمُهُ وَحَقَّرُوهُ وَسَفَّهَوْهُ، وَهُوَ مَعَ هَذَا صَابِرٌ مُحْتَسِبٌ، صَرَبُوهُ، وَطَرَدُوهُ، وَهُوَ صَابِرٌ مُحْتَسِبٌ، آذَوْهُ فِي أَهْلِهِ، وَأَسَالُوا دَمَهُ، وَهُوَ صَابِرٌ مُحْتَسِبٌ، تَكَلَّمُوا فِي عِرْضِهِ، وَأَبَاحُوا دَمَهُ، وَهُوَ صَابِرٌ مُحْتَسِبٌ، كَانَ هَدَفُهُ أَنْ يُعْبَدَ اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، رَوَى الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ أَنَّ عَائِشَةَ زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ حَدَّثَتْهُ أَنَّهَا قَالَتْ لِلنَّبِيِّ ﷺ: هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمٍ أُحُدٍ؟ قَالَ: «لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكَ مَا لَقِيتُ، وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَةِ، إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كِلَالٍ، فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ، فَأَنْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلَّا وَأَنَا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي، فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظْلَتْنِي، فَتَنَظَرْتُ، فَإِذَا فِيهَا جَبْرَيْلُ، فَنَادَانِي فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ، فَنَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ فَسَلَّمَ عَلَيَّ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، فَقَالَ، ذَلِكَ فِيمَا شِئْتَ، إِنَّ شِئْتَ أَنْ أَطْبِقَ عَلَيْهِمُ الْأَخْشَبِينَ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يُعْبَدُ اللَّهَ وَحْدَهُ، لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا»^(١).

وروى البخاري عن عروة بن الزبير رضي الله عنه قال: سألت عبد الله بن عمرو عن أشد ما صنع المشركون برسول الله ﷺ، قال: (رَأَيْتُ عُقْبَةَ بْنَ أَبِي مُعَيْطٍ جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ يُصَلِّي، فَوَضَعَ رِدَاءَهُ فِي عُنُقِهِ فَخَنَقَهُ بِهِ خَنْقًا شَدِيدًا، فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ حَتَّى دَفَعَهُ عَنْهُ، فَقَالَ: ﴿أَنْتَقُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [غافر: ٢٨])^(٢).

(١) أخرجه البخاري (١١٥/٤)، رقم (٣٢٣١)، ومسلم (١٤٢٠/٣)، رقم (١٧٩٥).

(٢) أخرجه البخاري (١٠/٥)، رقم (٣٦٧٨).

الله أكبر، ما أعظمه من رسول بعثه الله -جلّ وعلا-، وكان لا يُخَيَّر بين أمرين إلا اختار أيسرهما على أمته؛ بل إنه ﷺ راجع ربه -جلّ وعلا- في الصلاة حتى استقرت على خمس صلوات، كل ذلك لأجل ألا يلحق العنت بأُمته، وربنا المستعان، فبعض أمته يتكاسل عن خمس صلوات، فكيف لو كانت خمسين صلاة؟!

وتأملوا رحمته في الحديث الذي رواه مسلم من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص أن النبي ﷺ تلا قول الله ﷻ في إبراهيم: ﴿ رَبِّ إِنِّنَّ هَـٰذَا صَـٰلِحٌ مِّنَ النَّاسِ فَمَنْ يَبْعِنِي فَإِنَّهُ مِنِّي ﴾ [إبراهيم: ٣٦]، وقال عيسى عليه السلام: ﴿ إِن تَعِدْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [المائدة: ١١٨]، فرفع يديه وقال: «اللهم أمتي أمتي»، وبكى، فقال الله ﷻ: «يا جبريل، اذهب إلى محمد، وربك أعلم، فسله ما يُبكيك؟»، فأتاه جبريل عليه السلام، فسأله فأخبره رسول الله ﷺ بما قال، وهو أعلم، فقال الله: «يا جبريل، اذهب إلى محمد، فقل: إِنَّا سَنَرْضِيكَ فِي أَمَّتِكَ، وَلَا نَسُوءُكَ»^(١).

وأما شفاعته ﷺ لهذه الأمة في يوم القيامة فهي منة من الله -جلّ وعلا- على هذه الأمة، فهو يشفع لهذه الأمة لمحبيته لها، كما في حديث أنس رضي الله عنه في الصحيحين في حديث الشفاعة وفيه: «فأقول: أنا لها. فأنتلي فأستأذن على ربي فيؤذن لي فأقوم بين يديه، فأحمدُه بمحامد لا أقدر عليه الآن، يلهمنيهِ الله، ثم أخرج له ساجدا، فيقال لي: يا محمد، ارفع رأسك، وقل يسمع لك، وسل تعطه، واشفع تشفع، فأقول: رب أمتي أمتي. فيقال: انطلق، فمن كان

(١) أخرجه مسلم (١/ ١٩١، رقم ٢٠٢).

فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ بُرَّةٍ^(١) أَوْ شَعِيرَةٍ مِنْ إِيْمَانٍ فَأَخْرَجَهُ مِنْهَا. فَأَنْطَلِقُ فَأَفْعَلُ، ثُمَّ أَرْجِعُ إِلَى رَبِّي فَأُحْمَدُهُ بِتِلْكَ الْمُحَامِدِ، ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا، فَيُقَالُ لِي: يَا مُحَمَّدُ، ارْزُقْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمِعْ لَكَ، وَسَلْ تُعْطَهُ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ. فَأَقُولُ: أُمَّتِي أُمَّتِي. فَيُقَالُ لِي: انْطَلِقْ، فَمَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيْمَانٍ فَأَخْرَجَهُ مِنْهَا. فَأَنْطَلِقُ فَأَفْعَلُ، ثُمَّ أَعُودُ إِلَى رَبِّي فَأُحْمَدُهُ بِتِلْكَ الْمُحَامِدِ، ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا، فَيُقَالُ لِي: يَا مُحَمَّدُ، ارْزُقْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمِعْ لَكَ، وَسَلْ تُعْطَهُ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَقُولُ: يَا رَبَّ أُمَّتِي أُمَّتِي. فَيُقَالُ لِي: انْطَلِقْ، فَمَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ أَذْنَى أَذْنَى مِنْ مِثْقَالِ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيْمَانٍ فَأَخْرَجَهُ مِنَ النَّارِ، فَأَنْطَلِقُ فَأَفْعَلُ». هَذَا حَدِيثُ أَنَسِ بْنِ اللَّيْثِ أَنَبَانَا بِهِ، فَخَرَجْنَا مِنْ عِنْدِهِ، فَلَمَّا كُنَّا بِظَهْرِ الْجَبَانِ قُلْنَا: لَوْ مَلْنَا إِلَى الْحَسَنِ فَسَلَّمْنَا عَلَيْهِ وَهُوَ مُسْتَخْفٍ فِي دَارِ أَبِي خَلِيفَةَ، -قَالَ- فَدَخَلْنَا عَلَيْهِ، فَسَلَّمْنَا عَلَيْهِ، فَقُلْنَا: يَا أَبَا سَعِيدٍ جِئْنَا مِنْ عِنْدِ أَخِيكَ أَبِي حَمْزَةَ، فَلَمْ نَسْمَعْ مِثْلَ حَدِيثِ حَدَّثَنَاهُ فِي الشَّفَاعَةِ قَالَ هِيه. فَحَدَّثَنَاهُ الْحَدِيثَ. فَقَالَ: هِيه. قُلْنَا: مَا زَادْنَا. قَالَ: قَدْ حَدَّثَنَا بِهِ مُنْذُ عِشْرِينَ سَنَةً وَهُوَ يَوْمَئِذٍ جَمِيعٌ، وَلَقَدْ تَرَكَ شَيْئًا مَا أَذْرِي أَنَسِي الشَّيْخُ أَوْ كَرِهَ أَنْ يُحَدِّثَكُمْ فَتَتَكَلَّمُوا. قُلْنَا لَهُ: حَدَّثْنَا. فَضَحِكَ وَقَالَ: خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ، مَا ذَكَرْتُ لَكُمْ هَذَا إِلَّا وَأَنَا أُرِيدُ أَنْ أُحَدِّثَكُمْوهُ: «ثُمَّ أَرْجِعُ إِلَى رَبِّي فِي الرَّابِعَةِ، فَأُحْمَدُهُ بِتِلْكَ الْمُحَامِدِ، ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا، فَيُقَالُ لِي: يَا مُحَمَّدُ، ارْزُقْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمِعْ لَكَ، وَسَلْ تُعْطَ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ. فَأَقُولُ: يَا رَبَّ، ائْذَنْ لِي فِيمَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ. قَالَ: لَيْسَ ذَاكَ لَكَ» -أَوْ قَالَ: «لَيْسَ ذَاكَ إِلَيْكَ، وَلَكِنْ وَعِزِّي وَكِبْرِيَّاي وَعِظَمَتِي وَجَبْرِيَّاي لِأَخْرِجَنَّ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»^(٢).

(١) واحدة البر، وهو القمح. انظر: لسان العرب (برر).

(٢) أخرجه البخاري (٩/ ١٢١، رقم ٧٤١٠)، ومسلم (١/ ١٨٢، رقم ١٩٣).

أَعُوذُ بِاللّٰهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨].

بَارَكَ اللهُ لِي وَلَكُمْ فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، وَنَفَعَنِي وَإِيَّاكُمْ بِمَا فِيهِ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ، أَقُولُ مَا سَمِعْتُمْ، وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ الْعَظِيمَ لِي وَلَكُمْ وَلِسَائِرِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ وَخَطِيئَةٍ، فَاسْتَغْفِرُوهُ وَتَوَبُوا إِلَيْهِ، إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ.

الخطبة الثانية:

الحمد لله على إحسانه، والشُّكْر على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله تعظيماً لشانه، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، الداعي إلى جنّته ورضوانه، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَأَعْوَانِهِ.
أَمَّا بَعْدُ:

هذا هو رسولكم ﷺ، وهذه شفقتُهُ وَرَحْمَتُهُ، مَا مِنْ خَيْرٍ إِلَّا دَلَّنَا عَلَيْهِ، وَلَا شَرٍّ إِلَّا حَذَّرْنَا مِنْهُ، وَالْخَيْرُ فِي الْإِيمَانِ بِهِ وَاتِّبَاعِهِ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا، رَوَى مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ، مِنْ حَدِيثِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمَطْلَبِ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «ذَاقَ طَعْمَ الْإِيمَانِ مَنْ رَضِيَ بِاللَّهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ ﷺ رَسُولًا»^(١).

(١) أخرجه مسلم (١/٦٢، رقم ٣٤).

وما فَتِيَ أعداءُ الله ورسوله وَمَنْ تَأَثَّرَ بِهِمْ فِي النَّيْلِ مِنْهُ، تصرِيحًا أو تلميحًا، وهذه سُنَّةٌ جَارِيَةٌ لِكُلِّ أعداءِ الرُّسُلِ، فعَادَتُهُمُ التَّشْوِيهُ الإِعلامِيُّ، وَرَسْمُ الخِطَطِ؛ لِإِضْلالِ النَّاسِ عَنْ دِينِهِمْ، فَمَرَّةٌ يَنَالُونَ مِنْهُ بِتَشْوِيهِ دِينِهِ، وَمَرَّةٌ بِالْخَوْصِ فِي شَرْعِهِ بِمَا يُوهِمُ التَّنَاقُضَ وَالتَّعَارُضَ، وَمَرَّةٌ بِالْكَلامِ بِحَمَلَةٍ شَرْعِهِ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ، فَأَمَّا الْكَلَامُ عَلَى الرُّسُلِ فَقَدْ أَخْبَرْنَا رَبَّنَا -جَلَّ وَعَلَا- بِذَلِكَ فَقَالَ: ﴿وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَنْجُونٌ﴾ [القلم: ٥١]. وَأَمَّا الْكَلَامُ عَلَى أَتْبَاعِهِ فَقَدْ ذَكَرَهُ رَبَّنَا بِقَوْلِهِ: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْعَدْوَىٰ وَالْعَصَىٰ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٢﴾ وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مِنْ اللَّهِ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيِّنَاتٍ﴾ [الأنعام: ٥٢ - ٥٣]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ﴾ [الأحقاف: ١١].

وَأَمَّا أَهْلُ الْإِسْلَامِ فَإِنْ أَعْظَمَ مُنَاكَفَةً لَشَرِيعَةِ رَسُولِ اللَّهِ هِيَ الزِّيَادَةُ عَلَى شَرْعِهِ.

إِنَّ مِنْ أَعْظَمِ مَا يُنَاقِضُ مَحَبَّتَهُ ﷺ الزِّيَادَةُ فِي شَرْعِهِ، وَالْإِبْتِدَاعُ فِي أَمْرِهِ، وَهُوَ يَقُولُ كَمَا فِي الصَّحِيحِينَ: «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ»^(١)، وَإِنْ مِنْ أَعْظَمِ مَا ابْتُلِيَتْ بِهِ الْأُمَّةُ هُوَ كَثْرَةُ هَذِهِ الْبِدَعِ الَّتِي عَجَّتْ وَرَاجَتْ عَلَى كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ؛ بَلْ إِنْ بَعْضُ الْبِدَعِ صَارَتْ مَحَلًّا وَلَاءٍ وَبِرَاءٍ، فَمَنْ لَمْ يَقُلْ بِهَا أَصْبَحَ هُوَ الْمُبْتَدِعُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، فَلَا زَالَتْ بِدْعُ

(١) أخرجه البخاري (٣/ ١٨٤)، رقم (٢٦٩٧)، ومسلم (٣/ ١٣٤٣)، رقم (١٧١٨).

الشَّيْعَةُ تتوالى في كل يوم، وما يَحْدُثُ في يوم عاشوراءٍ مِنَ الضَّرْبِ وَاللَّطْمِ وَشَقِّ الجيوبِ وإسالة الدماء هُوَ أَعْظَمُ تشويه للإسلام والمسلمين، وما يَحْدُثُ أيضًا من الأعياد التي تُخَصُّ في كل عام من إحيائها وتخصيص القراءة فيها هو مِنَ الشَّرْعِ الذي لم يَأْتِ به محمدٌ ﷺ، كَلِيلَةِ المَوْلِدِ، وَلِيلَةِ الإسراءِ وغيرها، وَلَيْتَ شِعْرِي ما معنى طاعة الرسول ﷺ وأتباعه في شيء لم يَشْرعهُ الرسولُ ﷺ؟! أهنأك أعظم من اتِّهامٍ لرسوله ﷺ بكتُم الشريعة؟!!

إذا كان رسولُكم ﷺ أَكْثَرَ على مَنْ أَرَادَ أَنْ يُحْدِثَ عِبَادَةً خالصةً أصلها في شريعته في الرجل الذي أَرَادَ أَنْ يَقُومَ ولا ينام، والآخر الذي أَرَادَ أَنْ يَعْتَزَلَ النساءِ، والآخر الذي أَرَادَ أَنْ يَصُومَ ولا يُفْطِرَ، فقال ﷺ كَلِمَتُهُ المشهورة التي تَقْطَعُ على مَنْ أَرَادَ الابتداع في الدين: «مَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي»^(١)، كما في الصحيحين.

والعجيب أن كثيرا ممن يقومون على بعض البدع هم من أكسل الناس عن الواجبات، أتدرون لماذا؟ لأنه ما من بدعة إلا وثميت سنة أو سننا، فترى بعض الناس لا يحضر صلاة العيد الحقيقي، ولا يمكن أن يترك عيد المولد؛ فضلا عن الصلوات الخمس.

ولا شك أن الأمر يحتاج إلى تضافر الجهود؛ من أجل اجتثاث البدع، والاقتصار على السنن: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيثًا﴾ وَإِذَا لَا تَبْنَهُمْ مِّنْ لَّدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهْدَيْنَهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴿٦٨﴾ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ

(١) أخرجه البخاري (٢/٧)، رقم (٥٠٦٣)، ومسلم (١٠٢٠/٢)، رقم (١٤٠١).

وَالصَّالِحِينَ وَحَسَنَ أَوْلِيَّكَ رَفِيقًا ﴿ [النساء: ٦٦: ٦٩].

ثُمَّ صَلُّوا وَسَلِّمُوا عَلَى رَسُولِ الْهُدَى، وَإِمَامِ الْوَرَى، فَقَدْ أَمَرَكُمْ رَبُّكُمْ فَقَالَ - جَل وَعَلَا -: ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٥٦]، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ، وَارْضَ اللَّهُمَّ عَنِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ، وَالْأَئِمَّةِ الْمُهَدِّينَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَلِيٍّ، وَعَنِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ، وَعَنَّا مَعَهُمْ بِعَفْوِكَ وَكَرَمِكَ يَا أَكْرَمَ الْأَكْرَمِينَ.

اللَّهُمَّ اعْزِزْ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَانصِرْ عِبَادَكَ الْمُوَحِّدِينَ الَّذِينَ يَجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِكَ فِي كُلِّ مَكَانٍ، اللَّهُمَّ انصِرْهُمْ عَلَى عَدُوِّكَ وَعَدُوِّهِمْ، اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِالْيَهُودِ الْمُعْتَدِينَ، وَالنَّصَارَى الْمُحَارِبِينَ، اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِهِمْ؛ فَإِنَّهُمْ لَا يَعْجِزُونَكَ، اللَّهُمَّ أَحْصِهِمْ عَدَدًا.

اللَّهُمَّ آمِنَّا فِي أَوْطَانِنَا، وَأَصْلِحْ أَمْتَنَا وَوُلَاةَ أُمُورِنَا، اللَّهُمَّ وَفِّقْهُمْ لِمَا يَرْضِيكَ، وَجَنِّبْهُمْ مَعَاصِيكَ، اللَّهُمَّ تَبْ عَلَى التَّائِبِينَ، وَاهْدِ ضَالَّ الْمُسْلِمِينَ، اللَّهُمَّ رُدِّهِمْ إِلَيْكَ رَدًّا جَمِيلًا، اللَّهُمَّ ارْفَعْ مَا نَزَلَ مِنَ الْفِتَنِ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِينَا.

عباد الله! ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [النحل: ٩٠]، فَاذْكُرُوا اللَّهَ الْعَلِيَّ الْعَظِيمَ يَذْكُرْكُمْ، وَاشْكُرُوهُ عَلَى نِعَمِكُمْ يَزِدْكُمْ، ﴿ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

القرض

الخطبة الأولى:

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ
 أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ
 لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ
 عَلَيْهِ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ، وَمَنْ سَارَ عَلَى نَهْجِهِ، وَاقْتَفَى أَثَرَهُ إِلَى يَوْمِ
 الدِّينِ، وَسَلَّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

أَمَّا بَعْدُ:

فَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ: ﴿وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ﴾ (١٣٢) أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَمِ وَبَيْنَ
 (١٣٣) وَجَنَّتِ وَعُيُونُ ﴿[الشعراء: ١٣٢ - ١٣٣].

مَعَشَرَ الْإِخْوَةِ: لقد مرَّ على رسولِ الله ﷺ في حياته مِنْ قِلَّةِ ذَاتِ
 الْيَدِ، وَالْجُوعِ، وَالْحَاجَةِ مَعَ كَثْرَةِ الْأَهْلِ وَالْإِلْتِزَامَاتِ الْيَوْمِيَةِ الْمَادِيَةِ؛ مَا
 جَعَلَتْهُ يَقْتَرِضُ مِنْ غَيْرِهِ، وَهُوَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَأَجْمَعَ الْعُلَمَاءُ عَلَى أَنَّ
 الْقَرْضَ وَالْإِقْرَاضَ جَائِزَانِ، وَقَالَ جَاهِيزُهُمْ: إِنَّ الْقَرْضَ فِي حَقِّ
 الْمُقْرِضِ مُسْتَحَبٌّ وَمَنْدُوبٌ إِلَيْهِ؛ لِمَا جَاءَ فِي ذَلِكَ مِنَ الْأَحَادِيثِ

الصحيحة، وأما في حقِّ المُقْتَرَضِ فهو مباح؛ إن شاء اقْتَرَضَ لِحَاجَتِهِ، وإن شاء صَبَرَ، قال الإمامُ أحمدُ - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى -: (ليس طَلَبُ القَرْضِ مِنَ المسْأَلَةِ المَكْرُوْهَةِ)^(١). وذلك لأنَّ النبيَّ ﷺ اقْتَرَضَ واستَسَلَفَ، وهذا يَدُلُّ على أنَّ طَلَبَ القَرْضِ ليس مِنَ المسْأَلَةِ التي حَرَّمَها الشَّرْعُ أو كَرِهَها؛ فإنَّ طَلَبَ القَرْضِ لأَجْلِ أَنْ يَفِيَّ الإنسانُ بِحَاجَتِهِ هو على نِيَّةِ المعَاوَضَةِ، وعلى نِيَّةِ القَضَاءِ؛ فهو يَعْرِضُ لِإِخْوَانِهِ لِلْفَضْلِ والإِحْسَانِ العامِّ، وهو يَنْوِي قَضَاءَ ذلك، وَيَنْوِي رَدَّهُ.

وقد رَوَى مُسْلِمٌ في صحيحه، عَنْ أَبِي رَافِعٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ اسْتَسَلَفَ مِنْ رَجُلٍ بَكْرًا^(٢)، فَقَدِمَتْ عَلَيْهِ إِبِلٌ مِنْ إِبِلِ الصَّدَقَةِ، فَأَمَرَ أَبَا رَافِعٍ أَنْ يَقْضِيَ الرَّجُلَ بَكْرَهُ، فَرَجَعَ إِلَيْهِ أَبُو رَافِعٍ فَقَالَ: لَمْ أَجِدْ فِيهَا إِلَّا خِيَارًا رِبَاعِيًّا^(٣)، فَقَالَ: «أَعْطِهِ إِيَّاهُ، إِنَّ خِيَارَ النَّاسِ أَحْسَنُهُمْ قَضَاءً»^(٤).

إِنَّ تَفْرِيجَ الكُرْبَةِ عَنْ أَخِيكَ الْمُؤْمِنِ بِإِقْرَاضِهِ مِنْ أَحَبِّ القُرْبِ إِلَى اللهِ تَعَالَى، وقد ثَبَتَ في صَحِيحِ مُسْلِمٍ أَنَّ النبيَّ ﷺ قَالَ: «مَنْ نَفَسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ الدُّنْيَا، نَفَسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ،

(١) انظر: مسائل أحمد بن حنبل رواية ابنه عبد الله: (١/ ٣١١، رقم ١١٥٥)، والشرح الكبير على متن المقنع لابن قدامة: (٤/ ٣٥٣).

(٢) هو الْفَتِيُّ مِنَ الإِبِلِ. النهاية (بكر).

(٣) هو من الإبل: ما طعلت رباعيته - وهي السن التي بين الثنية والتاب -، وذلك إذا دخل في السنة السابعة. انظر: النهاية، ومختار الصحاح (ربع).

(٤) أخرجه البخاري: (٣/ ١١٦، رقم ٢٣٩٢)، ومسلم: (٣/ ١٢٢٤، رقم ١٦٠٠).

وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ يَسِّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ^(١).

والقرض لا يختص بالفقير أو المحتاج؛ بل قد يحتاجه من ليس كذلك؛ إما لنقص مال، أو عُروض ضائقة.

وقد تواترت النصوص بفضل الإقراض، فروى ابن ماجه، وابن حبان في صحيحه من حديث ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُقْرِضُ مُسْلِمًا قَرْضًا مَرَّتَيْنِ إِلَّا كَانَ كَصَدَقَتِهَا مَرَّةً»^(٢)، يعني: أن من أقرض أخاه المسلم مَرَّتَيْنِ كان كمن تصدق بذلك المال مَرَّةً واحدةً وخرج من ملكه.

وروى البيهقي في شعب الإيمان أن الأسود بن يزيد كان يستقرض من تاجر، فإذا خرج عطاؤه قضى به دينه، وأنه مرة خرج عطاؤه، فقال له الأسود: إِن شِئْتَ أَخَرْتَ عَنَّا، فَإِنَّهُ قَدْ كَانَ عَلَيْنَا حُقُوقٌ فِي هَذَا الْعَطَاءِ، فقال له التاجر: لَسْتُ فَاعِلًا، فَنَقَدَهُ الْأَسْوَدُ خَمْسِيَّةَ دِرْهَمٍ، حَتَّى إِذَا قَبَضَهَا التَّاجِرُ، قَالَ لَهُ التَّاجِرُ: دُونَكَ فَخُذْهَا، فَقَالَ لَهُ الْأَسْوَدُ: قَدْ سَأَلْتُكَ هَذَا فَأَيِّتَ، فَقَالَ لَهُ التَّاجِرُ: إِنِّي سَمِعْتُكَ تَحَدِّثُنَا عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ

(١) أخرجه مسلم: (٢٠٧٤/٤)، رقم (٢٦٩٩).

(٢) أخرجه ابن ماجه: (٨١٢/٢)، رقم (٢٤٣٠)، وابن حبان (٥٠٤٠) وهو بلفظ الحديث الذي بعده.

مَسْعُودٍ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقُولُ: «مَنْ أَقْرَضَ شَيْئًا مَرَّتَيْنِ كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ أَحَدِهِمَا لَوْ تَصَدَّقَ بِهِ»^(١).

ولهذا قال أَبُو الدَّرْدَاءِ حَكِيمُ هَذِهِ الْأُمَّةِ رحمته الله: (لَأَنْ أَقْرِضَ دِينَارَيْنِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَتَصَدَّقَ بِهِمَا؛ لِأَنِّي أَقْرِضُهُمَا فِيرْجَعَانِ إِلَيَّ، فَأَتَصَدَّقُ بِهِمَا، فَيَكُونُ لِي أَجْرُهُمَا مَرَّتَيْنِ)^(٢)، يعني: لِأَنَّهُ حَصَلَ لَهُ الْفَضْلُ بِالصَّدَقَةِ مَرَّةً، وَبِالْإِقْرَاضِ مَرَّةً أُخْرَى، حَيْثُ رَجَعَ إِلَيْهِ مَالُهُ، ثُمَّ هُوَ يَرْجِعُ فَيُقْرِضُهُ آخَرِينَ، ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ يَتَصَدَّقُ بِهِ، وَبِهَذَا يَتَحَقَّقُ لَنَا أَنَّ الْقَرْضَ فِيهِ فَضْلٌ عَظِيمٌ.

وَمِنْ فَضْلِهِ أَنَّهُ إِذَا أَقْرَضَ الْإِنْسَانَ كَانَ فِي ذَلِكَ زَكَاءُ نَفْسِهِ، وَكَانَ فِي ذَلِكَ سَلَامَةٌ نَفْسِهِ مِنْ حُبِّ الْمَالِ، وَكَانَ فِي ذَلِكَ تَفْرِيجُ حَوَائِجِ الْمُسْلِمِينَ، وَتَفْرِيجُ كُرْبَاتِهِمْ، وَقَضَاءُ حَوَائِجِهِمْ، وَعَوْنُهُمْ عَلَى أَمْرِ دُنْيَاهُمْ. وَهَذَا مِنْ التَّوَاصُلِ وَالتَّعَاوُنِ عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى.

وَرَوَى الْبَيْهَقِيُّ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كُلُّ قَرْضٍ صَدَقَةٌ»^(٣).

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَانْتَهَى﴾ ﴿وَصَدَقَ بِالْحَسَنَى﴾ ﴿٦﴾

(١) أخرجه البيهقي في الشعب: (١٨٧/٥)، رقم (٣٢٨٤).

(٢) أورده الشيرازي في المذهب في فقه الإمام الشافعي: (٨٢/٢).

(٣) أخرجه الطبراني في الأوسط: (١٧/٤)، رقم (٣٤٩٨)، والبيهقي في شعبه: (١٨٨/٥)، رقم (٣٢٨٥).

فَسَيِّئَرُهُ لِلْعَسْرَى ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِالْحَسَنَى ﴿٩﴾ فَسَيِّئَرُهُ لِلْعَسْرَى ﴿١٠﴾
[الليل: ٥ - ١٠].

بَارَكَ اللَّهُ لِي وَلَكُمْ فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، وَنَفَعَنِي وَإِيَّاكُمْ بِمَا فِيهِ مِنَ
الآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ، أَقُولُ مَا سَمِعْتُمْ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ لِي وَلَكُمْ
وَلِسَائِرِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ وَخَطِيئَةٍ، فَاسْتَغْفِرُوهُ وَتُوبُوا إِلَيْهِ، إِنَّهُ هُوَ
الْغَفُورُ الرَّحِيمُ.

الخطبة الثانية:

الحمد لله على إحسانه، والشكر على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا
إله إلا الله تعظيماً لشانه، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الداعي إلى جنته
ورضوانه، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَأَعْوَانِهِ.
أَمَّا بَعْدُ:

مَعَاشِرَ الْمُصَلِّينَ: وَلَوْ لَمْ يَأْتِ فِي فَضْلِ الْإِقْرَاضِ إِلَّا مَا رَوَاهُ ابْنُ
مَاجَهٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ مَعَ الدَّائِنِ
حَتَّى يَقْضِيَ دَيْنَهُ، مَا لَمْ يَكُنْ فِيهَا يَكْرَهُهُ اللَّهُ»، قَالَ: فَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ
يَقُولُ لِحَازِنِهِ: أَذْهَبَ فَأَقْرِضْ، فَإِنِّي أَكْرَهُ أَنْ أَبِيتَ لَيْلَةً إِلَّا وَاللَّهُ مَعِي، بَعْدَ
الَّذِي سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ^(١).

(١) أخرجه ابن ماجه: (٢/ ٨٠٥، رقم ٢٤٠٩)، والحاكم وصححه: (٢/ ٢٧، رقم ٢٢٠٥).

فلو لم يأتِ إلا مثلُ هذا الفضلِ لكفى به غنيمةٌ؛ ولهذا فإنَّ من العَجَبِ أن يكونَ بعضُ الأثرياءِ يتركُ ماله في البنوكِ سنواتٍ، يُحرِّمُ من خيرِها، وهي باقيةٌ عنده لا تذهبُ عنه، كم من الثقات الذين يذهبون إلى البنوكِ ليشترُوا منها عن طريقِ المُرَابَحَةِ والتورُّقِ وهو بحاجةٌ لها من أجلِ إكمالِ بَيْتِهِ، أو زواجهِ، أو لعلاجِ مريضِهِ، أو شراءِ سيارَتِهِ!

إننا نعرفُ من عنده مِائَتُ الآلافِ لِسَنَوَاتٍ لم يُحرِّكها من البنكِ، لم هذا الحرمانُ؟! لم هذا الشُّحُّ والبُخلُ؟! نتفهَّمُ ألا يُقرضَها من لا يعرفُ بالسداد أو اللامبالاة؛ ولكننا نعلمُ من الثقات من لا يتأخَّرُ عن السداد، فلم لا يستغلُّ التاجرُ هؤلاء الثقات -ولا أقولُ يُعينُهُم، بل يُعينُ نفسه- ومن الذين وفَّقَهُمُ اللهُ من يَبْحَثُ عن المحتاجِ الذي يَعمُرُ بيته، ويعرضُ عليه، ويلجُّ عليه بأخذها، والله إنَّها غنيمةٌ باردةٌ، وكما قال رسولُ الله ﷺ: «مَنْ أَخَذَ أَمْوَالَ النَّاسِ يُرِيدُ أَدَاءَهَا، أَدَّى اللَّهُ عَنْهُ»^(١).

ومن التنبيهاتِ المهمَّةِ: أنَّ المقرِّضَ إذا أخذَ القرضَ عليه أن يبيِّنَ للمقرِّضِ حالَهُ، وكيف سيرُدُّها، ومتى يستطيعُ، ويبيِّنُ حالَهُ من القدرةِ وعدمِها، فهذا من كمالِ الأمانةِ.

ومن الآدابِ أنَّ المقرِّضَ إذا أدَّى القرضَ فإنَّه يُستحبُّ له أن يكونَ قضاؤه أحسنَ من القرضِ؛ كما فعلَ الرسولُ ﷺ وقال: «إِنَّ خِيَارَ النَّاسِ أَحْسَنُهُمْ قِضَاءً»^(٢)، بشرطٍ ألا يكونَ عن اشتراطٍ، فإنَّ هذا هو

(١) أخرجه البخاري: (٣/ ١١٥)، رقم (٢٣٨٧).

(٢) تقدم تخريجه.

الرَّبَّاءَ الْمُحَرَّمُ، فَإِنْ اِمْتَنَعَ ذَلِكَ مِنَ الْقَبُولِ حُزَّتِ الْفَضْلَيْنِ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ.

وَمِنْ آدَابِ الْقَرْضِ أَلَّا يَتَحَدَّثَ الْمُقْرِضُ عَنْ قَرْضِهِ، وَأَنْ يَكْتُمَ ذَلِكَ؛ حَتَّى لَا يُخْرِجَهُ، وَلَا يُكَدِّرَ عَلَيْهِ، وَهُوَ نَوْعٌ مِنَ الْمَنِّ الَّذِي نَهَاهُ اللَّهُ عَنْهُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا بُطْلُواْ صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى﴾ [البقرة: ٢٦٤]، قَالَ الْقُرْطُبِيُّ: (الْمَنُّ: التَّحَدُّثُ بِمَا أُعْطِيَ حَتَّى يَبْلُغَ ذَلِكَ الْمُعْطَى فَيُؤْذِيهِ)^(١).

وَكَذَلِكَ لَا تُقْرِضُ وَأَنْتَ تُرِيدُ مِنْهَا شَيْئًا غَيْرَ وَجْهِ اللَّهِ تَعَالَى؛ مِنْ مَنْصِبٍ، أَوْ سُمْعَةٍ، أَوْ شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَمْنُنْ فَتَسْتَكَثِرُ﴾ [المدثر: ٦]، أَي: لَا تُعْطِ عَطِيَّةً تَلْتَمِسُ بِهَا أَفْضَلَ مِنْهَا.

ثُمَّ صَلُّوا وَسَلِّمُوا عَلَى رَسُولِ الْهُدَى، وَإِمَامِ الْوَرَى، فَقَدْ أَمَرَكُمُ رَبُّكُمْ فَقَالَ -جَل وَعَلَا-: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ، وَارْضَ اللَّهُمَّ عَنِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ، وَالْأَئِمَّةِ الْمُهَدِّينَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَلِيٍّ، وَعَنِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ، وَعَنَّا مَعَهُمْ بِعَفْوِكَ وَكَرَمِكَ يَا أَكْرَمَ الْأَكْرَمِينَ.

اللَّهُمَّ أَعِزَّ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَانصِرْ عِبَادَكَ الْمُوَحِّدِينَ الَّذِينَ يَجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِكَ فِي كُلِّ مَكَانٍ، اللَّهُمَّ انصِرْهُمْ عَلَى عَدُوِّكَ وَعَدُوِّهِمْ، اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِالْيَهُودِ الْمُعْتَدِينَ، وَالنَّصَارَى الْمُحَارِبِينَ، اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِهِمْ؛ فَإِنَّهُمْ لَا يَعْجِزُونَكَ، اللَّهُمَّ أَحْصِهِمْ عَدَدًا.

(١) تفسير القرطبي: (٣/ ٣٠٨).

اللَّهُمَّ آمِنَّا فِي أَوْطَانِنَا، وَأَصْلِحْ أَيْمَتَنَا وَوُلاةَ أُمُورِنَا، اللَّهُمَّ وَفِّقْهُمْ لِمَا يَرْضِيكَ، وَجَنِّبْهُمْ مَعَاصِيكَ.

اللَّهُمَّ تَبْ عَلَى التَّائِبِينَ، وَاهْدِ ضَالَّ الْمُسْلِمِينَ، اللَّهُمَّ رُدِّهِمْ إِلَيْكَ رَدًّا جَمِيلًا، اللَّهُمَّ ارْفَعْ مَا نَزَلَ مِنَ الْفِتَنِ.

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا.

عباد الله! ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠]،
فاذكروا الله العلي العظيم يذكركم، واشكروه على نعمكم يزدكم، ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

قصة يونس والمعصية والخوف من الله

الخطبة الأولى:

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَمَنْ سَارَ عَلَى نَهْجِهِ وَاقْتَفَى أَثَرَهُ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

أَمَّا بَعْدُ:

فَاتَّقُوا اللَّهَ - أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ - حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ.

مَعَشَرَ الْمُصَلِّينَ: حِينَمَا يَقُولُ اللَّهُ عَنْ نَفْسِهِ: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر: ٦٧]، ويقول عَنْ نَفْسِهِ: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [لقمان: ٢٦]، ونحوها مِنَ الْآيَاتِ إِنَّمَا يُرَادُ مِنْهَا كَمَالُ الْقُوَّةِ وَالْمَجْدُ وَالْجَبَرُوتُ وَالْعِظَمَةُ وَالْقُدْرَةُ، فَعَنْ أَيِّ مَخْلُوقٍ نَتَحَدَّثُ، ذَاكَ

المخلوق الذي يَعِصِي اللهَ على بصيرةٍ، وبدونِ أَذْنَى تَأْنِيبِ ضَمِيرٍ، عَنْ ذاكِ الإنسانِ الذي يَعِيشُ بِنِعَمِ اللهِ، وَتَحْتَ قُدْرَةِ اللهِ، وَتَحْتَ سَطْوَتِهِ وَمُلْكِهِ، وعلى نَظَرِهِ وإِبْصَارِهِ، عن إنسانٍ لا حَوْلَ له في حِمَايَةِ نَفْسِهِ ولا حِمَايَةِ قَلْبِهِ ولا جَوَارِحِهِ، يَقْتَرِفُ المعاصِيَ كَبِيرَهَا وصَغِيرَهَا، وَيَتَمَنَّى على الله الأمانِي.

لو عَرَفْنَا اللهَ حَقَّ المعرفةِ ما أُتْخِمَتِ البيوتُ بالمعاصي، ولما مُلِئَتِ العقولُ بالشبهاتِ، ولما أُتْرِعَتِ^(١) النفوسُ بالشهواتِ، تُسْمَعُ الْمُعْصِيَةُ وَقَلَّ مَنْ يُنْكِرُهَا، وَيُشَاهِدُ الْمُنْكَرُ وَكَأَنَّهُ الْمَعْرُوفُ.

لو عَرَفْنَا غَضَبَ اللهِ حينَ نَشْهَكُ مَحَارِمَهُ ما قَرَّتْ لَنَا عَيْنٌ، ولا لَدَّ لَنَا طَعَامٌ، أَتَعْلَمُونَ قِصَّةَ يُونُسَ بْنِ مَتَّى عَلَيْهِ السَّلَامُ، نَبِيٍّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، بَلْ قَالَ عَنْهُ الرَّسُولُ ﷺ كَمَا فِي الصَّحِيحَيْنِ: «لَا أَقُولُ إِنَّ أَحَدًا أَفْضَلُ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّى عَلَيْهِ السَّلَامُ»^(٢)، وَذَلِكَ أَنَّ يُونُسَ بْنَ مَتَّى أَرْسَلَهُ اللهُ إِلَى أَهْلِ قَرْيَةٍ، قِيلَ اسْمُهَا نَيْنَوَى بِالْمَوْصِلِ، فَاسْتَبَطَّ إِيمَانَهُمْ، وَشَقَّ عَلَيْهِ تَلَكُّوهُمْ، فَتَرَكَهُمْ مُغَاضِبًا، ظَانًّا فِي نَفْسِهِ كَمَا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: أَنْ لَنْ نَقْضِيَ عَلَيْهِ عُقُوبَةً وَلَا بَلَاءً فِي تَرْكِهِ لِقَوْمِهِ، وَخُرُوجِهِ مِنْهُمْ، وَمَعْصِيَتِهِ رَبَّهُ بِأَنْ خَرَجَ وَلَمْ يُؤْذَنْ لَهُ^(٣).

(١) أي: امتلأت. انظر: تاج العروس (ترع).

(٢) أخرجه البخاري: (٤/١٥٩)، رقم ٣٤١٥، ومسلم: (٤/١٨٤٣)، رقم ٢٣٧٣.

(٣) انظر: تفسير الطبري: (١٦/٣٧٩).

قال مجاهد: ظَنَّ أَنْ لَنْ نُعَاقِبَهُ بِذَنْبِهِ^(١). وقال الإمام الطبري: ظَنَّ يُونُسُ أَنْ لَنْ نَحْبِسَهُ وَنُضَيِّقَ عَلَيْهِ، عُقُوبَةً لَهُ عَلَى مُغَاضَبَتِهِ رَبَّهُ^(٢).

هذا ظَنَّ يُونُسَ؛ لِأَنَّهُ نَبِيٌّ، وَهُوَ مِنَ الْأَصْفِيَاءِ، فَوَقَعَ فِي نَفْسِهِ أَنَّ اللَّهَ لَنْ يُعَاقِبَهُ، وَكَثِيرٌ مِمَّا يَفْعَلُ الْكِبَائِرَ وَالْمَعَاصِيَ وَالظُّلْمَ وَيَظُنُّ أَنَّ اللَّهَ لَنْ يُعَاقِبَهُ؛ لِأَنَّ اللَّهَ رَحِيمٌ، أَوْ لِأَنَّهُ يُصَلِّي، أَوْ لِأَنَّهُ يَقُومُ اللَّيْلَ، أَوْ لِأَنَّهُ عَالِمٌ أَوْ طَالِبٌ عِلْمٍ، أَوْ لِأَنَّهُ يَنْفَعُ النَّاسَ، وَهَذَا نَبِيٌّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، انْظُرْ مَا فَعَلَ اللَّهُ بِهِ، فَقَادَهُ الْغَضَبُ وَالضِّيْقُ إِلَى شَاطِئِ الْبَحْرِ، حَيْثُ رَكِبَ سَفِينَتَهُ، فَلَمَّا كَانُوا فِي وَسْطِ اللَّجِّ^(٣) ثَقُلَتِ السَّفِينَةُ، وَتَعَرَّضَتْ لِلْغَرَقِ، فَأَقْرَعُوا بَيْنَ الرُّكَّابِ؛ لِلتَّخْفِيفِ مِنْ وَاحِدٍ مِنْهُمْ؛ لِتَخِفَّ السَّفِينَةُ. فَكَانَتِ الْقُرْعَةُ عَلَى يُونُسَ، فَأَلْقَوْهُ فِي الْيَمِّ، فَابْتَلَعَهُ الْحَوْتُ، فَعَرَفَ ذَنْبَهُ، وَأَتَابَ إِلَى رَبِّهِ، فَأَصْبَحَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ، وَالتَّجَأَ إِلَى رَبِّهِ، وَعِنْدَئِذٍ نَادَى يُونُسُ وَهُوَ كَظِيمٌ فِي هَذَا الْكَرْبِ الشَّدِيدِ فِي الظُّلُمَاتِ، فِي بَطْنِ الْحَوْتِ، وَفِي وَسْطِ اللَّجَّةِ، نَادَى رَبَّهُ: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧]، فَتَدَارَكَتْهُ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ، وَإِلَّا ﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ﴾^(١٤٣) لَلَيْتَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ ﴿[الصافات: ١٤٣-١٤٤]، ﴿لَوْلَا أَنْ تَدَارَكُكُمْ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُمْ مَذْمُومٌ﴾ [القلم: ٤٩]، أَيْ مُذْنِبٌ، وَلَكِنَّ اللَّهَ رَحِيمٌ، وَتَابَ عَلَيْهِ، وَاجْتَبَاهُ، فَنَبَذَهُ الْحَوْتُ عَلَى الشَّاطِئِ، لَحْمًا بِلَا جِلْدٍ، ذَابَ جِلْدُهُ فِي بَطْنِ

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق: (١٦ / ٣٨١).

(٣) اللج: جمع اللجة، وهي معظم البحر وتردد أمواجه. المعجم الوسيط (لجج).

الحوث. وحَفِظَ اللهُ حَيَاتَهُ بِقُدْرَتِهِ، فَلَوْلَا هَذِهِ النِّعْمَةُ لَنَبَذَهُ الْحَوْتُ وَهُوَ مَذْمُومٌ مُذْنِبٌ عَلَى فَعْلَتِهِ، وَقِلَّةُ صَبْرِهِ، وَتَصَرُّفِهِ فِي شَأْنِ نَفْسِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْذَنَ اللهُ لَهُ.

إِنَّ هَذَا الْمَوْقِفَ الَّذِي ذَكَرَهُ اللهُ عَنْ يُونُسَ هَلْ تَعْلَمُونَ مُوجَّهٌ لِمَنْ؟ إِنَّهُ مُوجَّهٌ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ خَلِيلِ اللهِ، وَمَعَ ذَلِكَ يَقُولُ اللهُ لَهُ: ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾ (٤٨) لَوْلَا أَنْ تَذَرَكُمُ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّي لَنُبَذَ بِالْعُرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴿٤٩﴾ فَاجْتَنِبْهُ رَبُّهُ، فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿[القلم: ٤٨-٥٠]﴾.

هَذَا خِطَابُ اللهِ لِنَبِيِّهِ ﷺ إِنْ عَصَاهُ، بَلْ قَالَ اللهُ: ﴿وَلَوْ نَقُولَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ﴾ (٤٤) لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ﴿[الحاقة: ٤٤-٤٧]﴾.

أَمَّا طُرْدُ آدَمَ ﷺ وَهُوَ أَبُو الْأَنْبِيَاءِ مِنَ الْجَنَّةِ بِسَبَبِ الْمَعْصِيَةِ وَقَالَ اللهُ: ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ، فَغَوَى﴾ [طه: ١٢١].

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ: ﴿إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [الزمر: ٧].

بَارَكَ اللهُ لِي وَلَكُمْ فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، وَنَفَعَنِي وَإِيَّاكُمْ بِمَا فِيهِ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ، أَقُولُ مَا سَمِعْتُمْ، وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ الْعَظِيمَ لِي وَلَكُمْ وَلِسَائِرِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ وَخَطِيئَةٍ، فَاسْتَغْفِرُوهُ وَتُوبُوا إِلَيْهِ، إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ.

الخطبة الثانية:

الحمد لله على إحسانه، والشكر على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله تعظيماً لشانه، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الداعي إلى جنته ورضوانه، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأعوانه.

أما بعد:

مَعَاشِرَ الإِخْوَةِ: هذه هي آثارُ المعاصي التي نَزَاوِلُهَا كُلُّ يَوْمٍ وَلَا بُدَّ، هذه هي قساوة قُلُوبِنَا وَغَفْلَتُهَا فِي كُلِّ يَوْمٍ، وَنَتَمَنَّى عَلَى اللَّهِ الْأَمَانِي، وَأَنَّ اللَّهَ لَنْ يُعَاقِبَنَا بِذُنُوبِنَا. نَتَسَاهَلُ بِالذُّنُوبِ، وَنَنْسَى عِظَمَةَ اللَّهِ وَغَضَبَهُ.

رَوَى الْبُخَارِيُّ عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: (إِنَّكُمْ لَتَعْمَلُونَ أَعْمَالًا هِيَ أَدْقُ فِي أَعْيُنِكُمْ مِنَ الشَّعْرِ، إِنْ كُنَّا نَعُدُّهَا عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم مِنَ الْمُبَقَّاتِ)، قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ: يَغْنِي بِذَلِكَ الْمُهْلَكَاتِ ^(١).

وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رضي الله عنه كَمَا فِي الصَّحِيحَيْنِ: (لَسْتُ تَارِكًا شَيْئًا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَعْمَلُ بِهِ إِلَّا عَمِلْتُ بِهِ، فَإِنِّي أَخْشَى إِنْ تَرَكْتُ شَيْئًا مِنْ أَمْرِهِ أَنْ أَزِيغَ) ^(٢).

قَالَ أَبُو أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيُّ: (إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ الْحَسَنَةَ، يَتَكَلَّمُ عَلَيْهَا،

(١) أخرجه البخاري: (٨/١٠٣)، رقم (٦٤٩٢).

(٢) أخرجه البخاري: (٤/٧٩)، رقم (٣٠٩٢)، ومسلم: (٣/١٣٨١)، رقم (١٧٥٩).

وَيَعْمَلُ الْمُحَقَّرَاتِ؛ حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهَ وَقَدْ أَخْطَرَتْهُ^(١)، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ السَّيِّئَةَ فَيَفْرُقُ^(٢) مِنْهَا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهَ آمِنًا^(٣).

أَيْنَ نَحْنُ مِنْ هَذَا الْحَدِيثِ الْعَظِيمِ الَّذِي رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صلی الله علیه و آله أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ يَغَارُ، وَغَيْرَةُ اللَّهِ أَنْ يَأْتِيَ الْمُؤْمِنُ مَا حَرَّمَ اللَّهُ»^(٤).

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ عَائِشَةَ أَنَّ الرَّسُولَ صلی الله علیه و آله قَالَ: «يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ، وَاللَّهِ مَا مِنْ أَحَدٍ أَغْيَرُ مِنَ اللَّهِ أَنْ يَزْنِيَ عَبْدُهُ، أَوْ تَزْنِيَ أَمَتُهُ، يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ، وَاللَّهِ لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمَ لَصَحَحْتُمْ قَلِيلًا، وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا»^(٥).

فَمَا أَعْظَمَ غَيْرَةَ اللَّهِ عَلَى مُحَارِمِهِ! لَكَ أَنْ تَتَأَمَّلَ غَيْرَةَ السَّيِّدِ أَنْ تَزْنِيَ أَمَتُهُ مِنْ وَرَائِهِ! مَا الَّذِي يَقَعُ فِي نَفْسِهِ مِنَ الْغَضَبِ وَالْانْزِعَاجِ! وَلِهَذَا حَرَّمَ رَبُّنَا الْمَعَاصِيَ وَالْفَوَاحِشَ؛ سَوَاءَ كَانَتْ عَمَلًا أَوْ قَوْلًا، فَبَعْضُنَا يَأْتِي بَعْضَ هَذِهِ الْفَوَاحِشِ، وَيَظُنُّ أَنَّهُ عِنْدَ اللَّهِ هَيِّنًا، وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ.

فَلَا تَنْظُرْ إِلَى صِغَرِ الْمَعْصِيَةِ؛ وَلَكِنْ انْظُرْ إِلَى عَظَمَةِ مَنْ عَصَيْتَ، وَلَا يَكُنِ اللَّهُ أَهْوَنَ النَّاطِرِينَ عِنْدَكَ.

(١) أي: جعلته بين السلامة والهلاك. انظر: المعجم الوسيط (خطر).

(٢) أي: يخاف. المصباح المنير (فرق).

(٣) أخرجه ابن المبارك في الزهد: (١/٥٢، رقم ١٦٣)، والبيهقي في الشعب: (٩/٤٠٥، رقم ٦٨٨٠).

(٤) أخرجه البخاري: (٧/٣٥، رقم ٥٢٢٢)، ومسلم: (٤/٢١١٤، رقم ٢٧٦١).

(٥) أخرجه البخاري: (٢/٣٤، رقم ١٠٤٤)، ومسلم: (٢/٦١٨، رقم ٩٠١).

رَبَّنَا فَاعْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا، وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا، وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ، رَبَّنَا لَا تُخِزْنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ.

ثُمَّ صَلُّوا وَسَلِّمُوا عَلَى رَسُولِ الْهُدَى، وَإِمَامِ الْوَرَى، فَقَدْ أَمَرَكُمْ رَبُّكُمْ فَقَالَ -جل وعلا-: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ، وَارْضَ اللَّهُمَّ عَنِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ، وَالْأَئِمَّةِ الْمُهَدِّينَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَلِيٍّ، وَعَنِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ، وَعَنَّا مَعَهُمْ بِعَفْوِكَ وَكَرَمِكَ يَا أَكْرَمَ الْأَكْرَمِينَ.

اللَّهُمَّ اعْزِزْ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَانصِرْ عِبَادَكَ الْمُوَحِّدِينَ الَّذِينَ يَجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِكَ فِي كُلِّ مَكَانٍ، اللَّهُمَّ انصِرْهُمْ عَلَى عَدُوِّكَ وَعَدُوِّهِمْ، اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِالْيَهُودِ الْمُعْتَدِينَ، وَالنَّصَارَى الْمُحَارِبِينَ، اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِهِمْ؛ فَإِنَّهُمْ لَا يَعْجِزُونَكَ، اللَّهُمَّ أَحْصِهِمْ عَدَدًا.

اللَّهُمَّ آمِنَّا فِي أَوْطَانِنَا، وَأُصْلِحْ أُمَمَتَنَا وَوُلاةَ أُمُورِنَا، اللَّهُمَّ وَفِّقْهُمْ لِمَا يَرْضِيكَ، وَجَنِّبْهُمْ مَعَاصِيكَ.

اللَّهُمَّ تَبْ عَلَى التَّائِبِينَ، وَاهْدِ ضَالَّ الْمُسْلِمِينَ، اللَّهُمَّ رُدِّهِمْ إِلَيْكَ رَدًّا جَمِيلًا، اللَّهُمَّ ارْفَعْ مَا نَزَلَ مِنَ الْفِتَنِ.

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِينَا.

عباد الله! ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠]،

فاذكروا الله العلي العظيم يذكركم، واشكروه على نعمكم يزدكم، ﴿وَلَذِكْرُ
 اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

العلاقة مع الله

الخطبة الأولى:

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ
 أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ
 لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ
 عَلَيْهِ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ، وَمَنْ سَارَ عَلَى نَهْجِهِ وَاقْتَفَى أَثَرَهُ إِلَى يَوْمِ
 الدِّينِ، وَسَلَّمَتْ سَلِيمًا كَثِيرًا.

أَمَّا بَعْدُ:

فَاتَّقُوا اللَّهَ ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ، وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ
 مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

مَعَشَرَ الْمُصَلِّينَ: إِنَّ مِنْ فِطَرِ النَّاسِ وَطَبَائِعِهِمْ أَنْ يَبْحَثُوا عَمَّنْ
 يَنْتَفِعُوا بِعَلَاqَتِهِمْ مَعَهُ، مِنْ أَنْسٍ، أَوْ مَالٍ، أَوْ جَاهٍ، أَوْ نَفْعٍ أُخْرَوِيٍّ، ثُمَّ لَا
 تَلْبُثُ هَذِهِ الْعَلَاqَاتُ فِي مَدٍّ وَجَزَرٍ، تَقْوَى تَارَةً، وَتَخَفُّو تَارَةً بِحَسَبِ
 الْأَمْرِجَةِ وَالْأَسْبَابِ وَالتَّصَرُّفَاتِ، وَلَا يَزَالُونَ فِي حِرْصٍ عَلَى تَقْوِيَّتِهَا مَا
 دَامَ النِّفْعُ قَائِمًا؛ بَلْ وَيُرَاعُونَهَا أَشَدَّ الْمُرَاعَاةِ.

إِنَّ هُنَاكَ عِلَاقَةً هِيَ أَعْظَمُ الْعِلَاقَاتِ وَأَحْلَاهَا، عِلَاقَةُ تَبَعُ السُّكُونِ وَالْأُنْسِ وَالطَّمَانِينَةِ، إِنَّهَا عِلَاقَتُكَ بِرَبِّكَ وَمَوْلَاكَ، إِنَّ هَذِهِ الْعِلَاقَةَ الَّتِي يَشْرَفُ بِهَا الْعَبْدُ وَيَرْتَفِعُ تَخْتَلِفُ عَنْ كُلِّ عِلَاقَةٍ، عِلَاقَةُ الْعَبْدِ بِالسَّيِّدِ، عِلَاقَةُ الرَّبِّ بِالْمَرْبُوبِ.

إِنَّ اسْتِشْعَارَ هَذِهِ الْعِلَاقَةِ وَمَشَاهِدَتَهَا فِي كُلِّ حِينٍ لَهُ أَثَرٌ عَجِيبٌ عَلَى دِينِ الْمَرْءِ وَعَلَى خُلُقِهِ، لَهُ أَثَرُهُ عَلَيْهِ فِي خَلَوْتِهِ وَفِي جَلَوْتِهِ^(١)، لَهُ أَثَرٌ عَلَيْهِ عِنْدَ رَخَائِهِ وَعِنْدَ مُصِيبَتِهِ، فِي فَقْرِهِ وَفِي غِنَاهُ؛ لِأَنَّ اسْتِشْعَارَهَا سَيَجْعَلُكَ تَجْعَلُهَا الْأَوَّلَى اسْتِحْضَارًا؛ بَلْ تَنْسَى نَفْسَكَ وَإِمْكَانِيَّاتِهَا وَقُدْرَاتِهَا وَتَتَوَجَّهَ إِلَى رَبِّكَ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ.

لِنَتَأَمَّلَ قِصَّةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَمَا فِي الصَّحِيحَيْنِ لَمَّا خَرَجَ مِنْ مَكَّةَ مُهَاجِرًا إِلَى الْمَدِينَةِ، حِينَ ضَاقَتْ قَرِيشٌ بِمُحَمَّدٍ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ذَرْعًا^(٢)، كَمَا تَضَيَّقُ الْقُوَّةُ الْغَاشِمَةُ دَائِمًا بِكَلِمَةِ الْحَقِّ، لَا تَمْلِكُ لَهَا دَفْعًا، وَلَا تَطِيقُ عَلَيْهَا صَبْرًا، فَأَثَمَرَتْ بِهِ، وَقَرَّرَتْ أَنْ تَتَخَلَّصَ مِنْهُ؛ فَأُطْلِعَهُ اللَّهُ عَلَى مَا ائْتَمَرَتْ، وَأَوْحَى إِلَيْهِ بِالْخُرُوجِ، فَخَرَجَ وَحِيدًا إِلَّا مِنْ صَاحِبِهِ الصَّدِيقِ، لَا جَيْشَ وَلَا عُدَّةَ، وَأَعْدَاؤُهُ كَثُرُوا، وَقُوَّتُهُمْ إِلَى قُوَّتِهِ ظَاهِرَةٌ، قَالَ أَبُو بَكْرٍ الصَّدِيقُ: فَكَانَ الْقَوْمُ يَطْلُبُونَا، فَلَمْ يُدْرِكْنَا أَحَدٌ مِنْهُمْ غَيْرُ سُرَاقَةَ بْنِ مَالِكِ بْنِ جُعْشَمٍ عَلَى فَرَسٍ لَهُ، فَقُلْتُ: هَذَا الطَّلَبُ قَدْ لَحِقَنَا يَا رَسُولَ

(١) أي: انكشافه للناس. انظر: المعجم الوسيط (جلو).

(٢) يقال: ضاق بالأمر ذرعًا: تألم أو ضجر منه، أو شقَّ عليه وعجز عنه. المعجم الوسيط (ضيق).

الله، فَقَالَ: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنْ أَلَّاهُ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠]. فقلتُ للنبي ﷺ وأنا في الغار: لو أَنَّ أَحَدَهُمْ نَظَرَ تَحْتَ قَدَمَيْهِ لَأَبْصَرَنَا، فقال: «مَا ظَنُّكَ - يَا أَبَا بَكْرٍ - بِاثْنَيْنِ اللهُ ثَالِثُهُمَا»^(١). وفي هذا قَالَ اللهُ تعالى: ﴿إِلَّا نَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنْ أَلَّاهُ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللهِ هِيَ الْغَالِبَةُ﴾ [التوبة: ٤٠].

اللهُ أَكْبَرُ! ما أَعْظَمَ استشعارَ هذه العَلاقة! لم يَلْتَفِتْ إلى الأسبابِ المادِّيَةِ التي هي بِطَبِيعَةِ الْمَرْءِ أَنْ يَبْحَثَ عَنْهَا مَبَاشَرَةً عِنْدَ نُزُولِ الْبَلَاءِ مِنَ التَّخْفِيِّ مِثْلًا، أَوْ الْهَرَبِ، بَلْ أَوَّلُ مَا وَقَعَ عَلَى لِسَانِهِ ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ فكان ماذا بعد ذلك؟ انْظُرْ إلى الثمراتِ: أَنْزَلَ اللهُ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمَا، وَأَيَّدَهُ بِالْجُنُودِ وَنَصَرَهُمْ وَحَفِظَهُمْ وَنَصَرَ اللهُ رَسُولَهُ بِدَفْعِهِ عَنْهُ، وَهَذَا هُوَ النَّصْرُ الْمَذْكُورُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ، قَالَ السَّعْدِيُّ رحمته الله: (فإنَّ النَّصْرَ عَلَى قِسْمَيْنِ:

الأوَّلُ: نَصْرُ الْمُسْلِمِينَ إِذَا طَمَعُوا فِي عَدُوِّهِمْ بِأَنْ يُتِمَّ اللهُ لَهُمْ مَا طَلَبُوا وَقَصَدُوا، وَيَسْتَوِلُّوا عَلَى عَدُوِّهِمْ وَيُظْهِرُوا عَلَيْهِمْ.

والثَّانِي: نَصْرُ الْمُسْتَضْعَفِ الَّذِي طَمِعَ فِيهِ عَدُوُّهُ الْقَادِرُ، فَنَصَرَ اللهُ إِيَّاهُ أَنْ يَرُدَّ عَنْهُ عَدُوُّهُ، وَيُدَافِعَ عَنْهُ، وَلَعَلَّ هَذَا النَّصْرَ أَنْفَعُ النَّصْرَيْنِ، وَنَصَرَ اللهُ رَسُولَهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ مِنْ هَذَا النَّوْعِ^(٢).

(١) أخرجه البخاري: (٤/٥)، رقم (٣٦٥٣)، ومسلم: (٤/١٨٥٤)، رقم (٢٣٨١).

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي: (٣٣٧/١).

إِنَّ هَذِهِ الْعَلَاقَةَ الْعَظِيمَةَ بَيْنَ الْعَبْدِ وَرَبِّهِ هِيَ الْعَلَاقَةُ الَّتِي تَحْتَاجُ مَنَّا إِلَى عَنَایَةٍ وَرَعَايَةٍ، تَحْتَاجُ إِلَى اسْتِشْعَارٍ فِي كُلِّ وَقْتٍ، إِنَّ مَلَكًا سَمَحَ لَنَا أَنْ نَتَّصَلَ بِهِ فِي كُلِّ وَقْتٍ فِي صَلَوَاتِنَا وَدَعَائِنَا فِي مَحَنِنَا وَشَقَائِنَا، بَلْ وَعِنْدَ إِسَاءَتِنَا وَتَقْصِيرِنَا لِحَرِيٍّ أَنْ نَحْرَصَ عَلَيْهَا، أَيْنَ هُوَ مَنْ يُرِيدُنَا فِي كُلِّ وَقْتٍ؟! هَلْ فِي عَلَاقَتِنَا مَنْ يَتَفَرَّغُ لَطَلْبَاتِنَا، مَنْ يَغْفُو عَنْ تَقْصِيرِنَا، مَنْ يَغْفِرُ زَلَّاتِنَا الْكَبِيرَةَ، كَلَّا كَلَّا، بَلِ الْعَلَاقَةُ بِاللَّهِ فِيهَا مَلْحَظٌ عَجِيبٌ، تَأَمَّلُوا مَا جَاءَ فِي الصَّحِيحِينَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَقُولُ اللَّهُ ﻋَزَّ وَجَلَّ: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ حِينَ يَذْكُرُنِي، إِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَأٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَأٍ هُمْ خَيْرٌ مِنْهُمْ، وَإِنْ تَقَرَّبَ مِنِّي شَبْرًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا^(١)، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً^(٢)»^(٣).

بَلْ رَوَى الْبُخَارِيُّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لِأَعْطِيَتَهُ، وَلَكِنْ اسْتَعَاذَنِي لِأَعِذَّنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ

(١) هُوَ قَدْرُ مَدِّ الْبَدَنِ وَمَا بَيْنَهُمَا مِنَ الْبَدَنِ. النِّهَايَةُ (بُوع).

(٢) الْهَرْوَلَةُ: بَيْنَ الْمَشْيِ وَالْعَدُو. النِّهَايَةُ (هَرْوَل).

(٣) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ: (٩/ ١٢١)، رَقْم ٧٤٠٥، وَمُسْلِمٌ: (٤/ ٢٠٦١)، رَقْم ٢٦٧٥.

الْمُؤْمِنِ، يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ»^(١). أَيُّ عَلاَقَةٍ هَذِهِ؟! وَأَيُّ رَحْمَةٍ وَصِلَةٍ أَنْ يَكْرَهُ الرَّبُّ الْقَدِيرُ الْعَلِيمُ الْغَنِيُّ مَسَاءَةً مَنْ أَحْسَنَ عَلاَقَتَهُ بِهِ؟! أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾ (٢١٧) الَّذِي يَرِنَاكَ حِينَ نَقُومُ (٢١٨) وَتَقْلُبَكَ فِي السَّجْدَيْنِ (٢١٩) إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿[الشعراء: ٢١٧-٢٢٠].

بَارَكَ اللَّهُ لِي وَلَكُمْ فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، وَنَفَعَنِي وَإِيَّاكُمْ بِمَا فِيهِ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ، أَقُولُ مَا سَمِعْتُمْ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ لِي وَلَكُمْ وَلِسَائِرِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ وَخَطِيئَةٍ، فَاسْتَغْفِرُوهُ وَتُوبُوا إِلَيْهِ، إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ.

الخطبة الثانية:

الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى إِحْسَانِهِ، وَالشُّكْرُ عَلَى تَوْفِيقِهِ وَامْتِنَانِهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى لِحَاشَانِهِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الدَّاعِي إِلَى جَنَّتِهِ وَرِضْوَانِهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَأَعْوَانِهِ.

أَمَّا بَعْدُ:

مَعَاشِرَ الْإِخْوَةِ: إِنَّ هَذِهِ الْعَلاَقَةَ حِينَ تَكُونُ فِي أَذْهَانِنَا وَاسْتِشْعَارِنَا وَحُضُورِنَا وَمُرَاعَاتِنَا فَإِنَّ الْمَرْءَ سَيَزْدَانُ حَالَهُ، وَسَيَصْلُحُ عَمَلُهُ، لَا يَنْبَغِي أَبَدًا أَنْ تَغِيبَ هَذِهِ الْعَلاَقَةُ عَنِ الشُّعُورِ، فَحِينَمَا تَذْهَبُ لِلْمَسْجِدِ اسْتَشْعِرْ

(١-) أخرجه البخاري: (٨/ ١٠٥)، رقم (٦٥٠٢).

أَنَّهَا زِيَادَةُ صَلَٰةٍ وَعَلَاقَةٍ مَعَ اللَّهِ، وَحِينَ تَجْلِسُ مَعَ النَّاسِ اسْتَشْعِرْ عِلَاقَتَكَ بِهِ، وَحِينَ تَفْعَلُ الذَّنْبَ اسْتَشْعِرْ عِلَاقَتَكَ بِهِ، وَأَنَّهَا سَبَبٌ لِبُعْدِكَ عَنْهُ، وَحِينَ تُفَرِّطُ فِي الْوَاجِبَاتِ تَذَكَّرْ أَنَّ هَذَا سَبَبٌ لِضَعْفِ عِلَاقَتِكَ بِرَبِّكَ، وَلَئِنْ وَصَلَ الْمَرْءُ إِلَى هَذَا الْمَعْنَى أَوْ قَرِيبَ مِنْهُ؛ فَإِنَّ حَالَهُ سَيَصْلُحُ وَيَسْمُو وَيَرْتَفِعُ، وَلَيَعْلَمَنَّ أَنَّ أَعْظَمَ عِلَامَةٍ عَلَى قُوَّةِ الْعِلَاقَةِ هِيَ صَلَاحُ الْبَاطِنِ قَبْلَ صَلَاحِ الظَّاهِرِ، هِيَ صَلَاحُ الْقَلْبِ قَبْلَ الْجَوَارِحِ، أَيُّ مَعْنَى لظُهُورِ عِلَامَاتِ التَّدِينِ عَلَى ظَاهِرِكَ وَقَلْبِكَ مِلْيَةً بِالْحَقِّدِ وَالْكَرَاهِيَةِ وَالْبُغْضِ وَالْكِبْرِ وَبُغْضِ عِبَادِ اللَّهِ وَتَمَنِّي الشَّرِّ لَهُمْ؟! بَلْ أَيُّ عِلَاقَةٍ مَعَ رَبِّكَ وَعِلَاقَتِكَ بِوَالِدَيْكَ مُنْقَطِعَةً، أَوْ تَكُونُ قَدْ خَاصَمْتَهُمْ وَأَغْضَبْتَهُمْ؟! وَأَيُّ عِلَاقَةٍ مَعَ اللَّهِ قَرِيبَةً وَأَنْتَ تُؤْذِي عِبَادَ اللَّهِ مِنَ الْجِيرَانِ وَالْأَقَارِبِ وَزَمَلَاءِ الْعَمَلِ وَتَتَرَصَّدُ لَهُمْ وَتَكِيدُ بِهِمْ؟!

إِنَّ رَبَّكَ مُطَّلِعٌ عَلَى قَلْبِكَ، هَذَا هُوَ سِرُّ الْعِلَاقَةِ، لَئِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تُقِيمَ عِلَاقَةً مَتِينَةً مَعَ أَيِّ شَخْصٍ، وَأَظْهَرْتَ لَهُ الْوُدَّ، وَاسْتَطَعْتَ أَنْ تَأْسِرَ لُبَّهُ وَمَحَبَّتَهُ، وَأَنْتَ تَخَاطَلُ وَتُخَادِعُ، فَإِنَّ الْعِلَاقَةَ مَعَ اللَّهِ لَيْسَتْ كَذَلِكَ، فَهُوَ يَرَاكَ وَمُطَّلِعٌ عَلَيْكَ، يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ، وَتَقْلُبُكَ فِي السَّاجِدِينَ، وَيَرَاكَ حِينَ تَعْصِيهِ، وَيَعْلَمُ مَا فِي قَلْبِكَ.

وَقَدْ رَوَى مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى أَجْسَادِكُمْ، وَلَا إِلَى صُورِكُمْ؛ وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ». وَأَشَارَ بِأَصَابِعِهِ إِلَى صَدْرِهِ ^(١).

(١) أخرجه مسلم: (٤/١٩٨٦، رقم ٢٥٦٤).

فلنَجْتَهِدْ عِبَادَ اللَّهِ فِي اسْتِحْضَارِ هَذِهِ الْعَلَاقَةِ، وَلِنَنْعَمْ بِعَوَائِدِهَا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

ثُمَّ صَلُّوا وَسَلِّمُوا عَلَى رَسُولِ الْهُدَى، وَإِمَامِ الْوَرَى، فَقَدْ أَمَرَكُمُ رَبُّكُمْ فَقَالَ - جَل وَعَلَا -: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ، وَارْضَ اللَّهُمَّ عَنِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ، وَالْأَئِمَّةِ الْمُهَدِّينَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَلِيٍّ، وَعَنِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ، وَعَنَّا مَعَهُمْ بِعَفْوِكَ وَكَرَمِكَ يَا أَكْرَمَ الْأَكْرَمِينَ.

اللَّهُمَّ أَعِزِّ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَانصِرْ عِبَادَكَ الْمُوَحِّدِينَ الَّذِينَ يَجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِكَ فِي كُلِّ مَكَانٍ، اللَّهُمَّ انصِرْهُمْ عَلَى عَدُوِّكَ وَعَدُوِّهِمْ، اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِالْيَهُودِ الْمُعْتَدِينَ، وَالنَّصَارَى الْمُحَارِبِينَ، اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِهِمْ؛ فَإِنَّهُمْ لَا يَعْجِزُونَكَ، اللَّهُمَّ أَحْصِهِمْ عَدَدًا.

اللَّهُمَّ آمِنَّا فِي أَوْطَانِنَا، وَأَصْلِحْ أَمْنَتَنَا وَوُلاةَ أُمُورِنَا، اللَّهُمَّ وَفِّقْهُمْ لِمَا يَرْضِيكَ، وَجَنِّبْهُمْ مَعَاصِيكَ.

اللَّهُمَّ تَبْ عَلَى التَّائِبِينَ، وَاهْدِ ضَالَّ الْمُسْلِمِينَ، اللَّهُمَّ رُدَّهُمْ إِلَيْكَ رَدًّا جَمِيلًا، اللَّهُمَّ ارْفَعْ مَا نَزَلَ مِنَ الْفِتَنِ.

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا وَلِوَلَدِنَا.

عِبَادَ اللَّهِ! ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠]،

فاذكروا الله العلي العظيم يذكركم، واشكروه على نعمكم يزدكم، ﴿وَلَذِكْرُ
اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

الطموح والإحباط

الخطبة الأولى:

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ
 أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ
 لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ
 عَلَيْهِ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ، وَمَنْ سَارَ عَلَى نَهْجِهِ، وَاقْتَفَى أَثَرَهُ إِلَى يَوْمِ
 الدِّينِ، وَسَلَّمَتْ سَلِيمًا كَثِيرًا.

أَمَّا بَعْدُ:

فَاتَّقُوا اللَّهَ - أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ - حَقَّ تَقَاتِهِ، وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ
 مُسْلِمُونَ.

مَعَشَرَ الْمُصَلِّينَ: تَمْضِي الْأَيَّامُ بِحُلُوهَا وَمُرَّهَا، وَسَرَائِهَا وَضَرَائِهَا،
 وَتَمْضِي أَعْمَارُ النَّاسِ مَعَ مُضِيِّهَا، يَسْتَوِي فِي انْقِضَاءِ الْأَعْمَارِ مُؤْمِنٌ وَكَافِرٌ،
 وَبَرٌّ وَفَاجِرٌ، وَطَائِعٌ وَعَاصٍ، وَجَادٌ وَبَطَّالٌ، وَلَيْسَ الْخُلْدُ فِي الدُّنْيَا لِأَحَدٍ
 مَهْمَا كَانَ، فَالْسَّنَةُ مَاضِيَةٌ عَلَى الْجَمِيعِ، بِأَشْهُرِهَا وَأَيَّامِهَا وَسَاعَاتِهَا،
 فَمُسْتَوْدَعٌ فِيهَا عَمَلًا صَالِحًا، وَمُسْتَوْدَعٌ فِيهَا عَمَلًا سَيِّئًا.

والمَرْءُ في حياته يَخْتَارُ مَسِيرَهُ، وَيُحَدِّدُ غَايَتَهُ، فَإِمَّا أَنْ تَطْمَحَ نَفْسُهُ
لِمَعَالِي الْأُمُورِ أَوْ سَفَاسِفِهَا وَحَقِيرِهَا.

إِنَّ طُمُوحَ الْمَرْءِ إِلَى بُلُوغِ الدَّرَجَاتِ الْعُلَى وَابْتِغَاءَهُ الْفَضَائِلِ وَسَعْيِهِ
إِلَى اكْتِسَابِ الْمَحَامِدِ وَتَطَلُّعِهِ إِلَى الْأَفْضَلِ وَالْأَكْمَلِ دَلِيلٌ وَاضِحٌ وَأَيَّةٌ بَيِّنَةٌ
عَلَى طَيْبِ جَوْهَرِهِ وَكَرَمِ مَعْدِنِهِ، وَاسْتِحْقَاقِهِ الظَّفَرَ بِكُلِّ خَيْرٍ يَرْتَفِعُ
بِمَقَامِهِ عَنْ مَنَازِلِ سَاقِطِي الْهَمَّةِ الْقَاعِدِينَ عَنْ طَلَبِ الْخَيْرَاتِ، الْمُرْتَضِينَ
لَأَنْفُسِهِمُ الْعَيْشَ عَلَى هَامِشِ الْحَيَاةِ، وَعَلَى الْعَكْسِ مِنْ ذَلِكَ أَنْ يَعْمَدَ
أَنَاسٌ إِلَى التَّطَلُّعِ إِلَى مَا لَا يَصْلُحُ أَنْ يَطْمَحَ إِلَيْهِ الْعَاقِلُ، وَلَا يَجُوزُ أَنْ
تَضُبُّوا إِلَيْهِ نَفْسُهُ، أَوْ يَمْتَدَّ إِلَيْهِ بَصَرُهُ، أَوْ تَنْصَرَفَ إِلَيْهِ هِمَّتُهُ مِنْ اجْتِرَاحِ^(١)
السَّيِّئَاتِ، وَاقْتِرَافِ^(٢) الْخَطَايَا، وَاسْتِبَاحَةِ الْمُحَرَّمَاتِ الَّتِي حَرَّمَهَا اللَّهُ
وَرَسُولُهُ، وَحَذَرَ مِنْ غَشْيَانِهَا، وَتَوَعَّدَ عَلَى اتِّهَاكِهَا بِالْإِيمِ الْعِقَابَ، أَوْ
يَكُونُ مُنْتَهَى طُمُوحِهِ هُوَ التَّمَنِّي بِمَا لَا عَمَلَ، فَإِذَا جَلَسَ قَالَ: لَيْتَ لِي كَذَا،
وَلَيْتَ عِنْدِي كَذَا، وَهُوَ خَامِلٌ كَسْلَانٌ، يَنْتَظِرُ السَّمَاءَ أَنْ تُثْطِرَّ عَلَيْهِ
الذَّهَبَ، وَقَدْ نَعَى اللَّهُ قَوْمًا تَمَنَّوْا مَا لَيْسَ فِي أَيْدِيهِمْ مِنَ الْمُسْتَحِيلِ وَمِنْ
الْمُمْكِنِ فَقَالَ لَهُمْ: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ
مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ وَسَأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ

كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ [النساء: ٣٢].

(١) أي: اكتساب. المصباح المنير (جرح).

(٢) اقتراف الذنب: فعله. المصباح المنير (قرف).

فَنَهَى تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ عَنْ أَنْ يَتَمَنَّى بَعْضُهُمْ مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ غَيْرَهُ مِنَ الْأُمُورِ الْمُمْكِنَةِ وَغَيْرِ الْمُمْكِنَةِ. فَلَا تَتَمَنَّى النِّسَاءُ خِصَائِصَ الرِّجَالِ الَّتِي بِهَا فَضَّلَهُمْ عَلَى النِّسَاءِ، وَلَا صَاحِبَ الْفَقْرِ وَالنَّقْصِ حَالَةَ الْغِنَى وَالْكَهَالِ تَمَنِّيًا مُجَرَّدًا؛ لِأَنَّهُ يَقْتَضِي السَّخَطَ عَلَى قَدَرِ اللَّهِ، وَالْإِخْلَادَ إِلَى الْكَسَلِ وَالْأَمَانِي الْبَاطِلَةِ الَّتِي لَا يَقْتَرِنُ بِهَا عَمَلٌ وَلَا كَسَبٌ. وَإِنَّمَا الْمَحْمُودُ أَمْرَانِ: أَنْ يَسْعَى الْعَبْدُ عَلَى حَسَبِ قُدْرَتِهِ بِمَا يَنْفَعُهُ مِنْ مَصَالِحِ الدِّينِ وَالْدُنْيَا، وَيَسْأَلَ اللَّهَ تَعَالَى مِنْ فَضْلِهِ، فَلَا يَتَّكِلُ عَلَى نَفْسِهِ، وَلَا عَلَى غَيْرِ رَبِّهِ؛ وَهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا﴾ أَيُّ: مِنْ أَعْمَالِهِمُ الْمُنْتَجَةِ لِلْمَطْلُوبِ، ﴿وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ﴾ فَكُلُّ مَنْهُم لَا يَنَالُهُ إِلَّا مَا كَسَبَهُ وَتَعَبَ فِيهِ. ثُمَّ قَالَ بَعْدَ الْأَمْرِ بِالْاِكْتِسَابِ: ﴿وَسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ﴾ أَيُّ: مِنْ جَمِيعِ مَصَالِحِكُمْ فِي الدِّينِ وَالْدُنْيَا.

فَهَذَا كِهَالُ الْعَبْدِ، وَعُنْوَانُ سَعَادَتِهِ؛ لَا مَنْ يَتْرُكُ الْعَمَلَ، أَوْ يَتَّكِلُ عَلَى نَفْسِهِ غَيْرَ مُفْتَقِرٍ لِرَبِّهِ، أَوْ يَجْمَعُ بَيْنَ الْأَمْرَيْنِ، فَإِنَّ هَذَا مَخْذُولٌ خَاسِرٌ.

وَهَذَا رَوَى الْحَاكِمُ وَصَحَّحَهُ عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ كَرِيمٌ يُحِبُّ الْكَرَمَ، وَمَعَالِي الْأَخْلَاقِ، وَيُبْغِضُ سَفْسَافَهَا»^(١). وَفِي رَوَايَةٍ: «وَيَكْرَهُ سَفْسَافَهَا»^(٢)، وَالسَّفْسَافُ: الْأَمْرُ الْحَقِيرُ، وَالرَّدِيءُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ.

(١) أَخْرَجَهُ الْحَاكِمُ: (١١٢/١)، وَرَقْمُ (١٥٢)، وَابِيهَقِي فِي الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ: (١٤٣/١)، رَقْمُ (٨٨).

(٢) أَخْرَجَهُ الطَّبْرَانِيُّ: (١٣١/٣)، وَرَقْمُ (٢٨٩٤)، وَابِيهَقِي فِي شُعَبِ الْإِيمَانِ: (٣٧٢/١٠)، رَقْمُ

لقد ذمَّ الإسلامُ أن يكونَ دَيْدَنُ المسلمِ البطالة والنومَ واللَّهُو، أو أن يَشْتَغَلَ بها لا نَفْعَ فيه في دُنْيَاهُ أو أُخْرَاهُ، وَجَعَلَ مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكَهُ ما لا يَعْنِيهِ؛ لِيَشْتَغَلَ بما يَعْنِيهِ، وما يَنْتَفِعُ منه مِنْ طَلَبِ الْعُلُومِ، وَرَفْعِ الْجَهْلِ، أو باكتسابِ صَنْعَةٍ أو مِهْنَةٍ، أو يَعْمَلَ وَيُنْتِجَ وَيُطَوِّرَ نَفْسَهُ؛ لِيَتَرَقَّى بَيْنَ الْوُظَائِفِ وَالْمِهَامِ.

وَتَأَمَّلْ كَيْفَ يَبُثُّ الرَّسُولُ ﷺ رُوحَ الطُّمُوحِ وَالْمَثَابِرَةِ وَالْجِدِّ فِي نَفُوسِ أُمَّتِهِ وَهُوَ يَقُولُ كَمَا فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ عَنْ الزَّيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ رضي الله عنه عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَأَنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ أَحْبَلًا، فَيَأْخُذَ حُزْمَةً مِنْ حَطَبٍ، فَيَبِيعَ، فَيَكْفِيَ اللَّهُ بِهِ وَجْهَهُ عَنِ الْمُسْأَلَةِ؛ خَيْرٌ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ النَّاسَ أُعْطِيَ أَمْ مُنِعَ»^(١)، فَلَوْ كَانَ هُنَاكَ مَا هُوَ أَسْهَلُ مِنْ أَخْذِ الْحَبْلِ وَالِاحْتِطَابِ لَذَكَرَهُ؛ وَلَكِنْ لَمَّا كَانَ النَّاسُ شُرَكَاءَ فِي الْكَلَالِ، وَالْحَبْلُ مُتَسَرِّ ذَكَرَهُ، فَهُوَ عَمَلٌ لَا يَحْتَاجُ إِلَى رَأْسِ مَالٍ، وَلَا إِلَى قُوَّةٍ زَائِدَةٍ؛ بَلْ يُطِيقُهُ كُلُّ أَحَدٍ، وَتَأَمَّلْ قَوْلَهُ: «أُعْطِيَ أَمْ مُنِعَ»، أَيْ حَتَّى وَلَوْ أُعْطِيتَ بِمَسْأَلَتِكَ آلافَ الْأَمْوَالِ، فَإِنَّ هَذَا لَيْسَ شَرِيفًا، وَلَا يَلِيقُ بِالْإِبْلَاءِ الْأَزْكِيَاءِ الْمُؤْمِنِينَ، كُلُّ هَذَا مِنْ أَجْلِ أَنْ يَرْفَعَ الطُّمُوحَ وَالْهَمَّةَ فِي نَفُوسِ الْمُؤْمِنِينَ.

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ: ﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَى﴾ (٣٧) ﴿وَأَثَرَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ (٣٨) فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى ﴿[النازعات: ٣٧ - ٣٩].

(١) أخرجه البخاري: (٣/ ١١٣)، رقم (٢٣٧٣).

بَارَكَ اللَّهُ لِي وَلَكُمْ فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، وَنَفَعَنِي وَإِيَّاكُمْ بِمَا فِيهِ مِنَ
الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ، أَقُولُ مَا سَمِعْتُمْ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ لِي وَلَكُمْ
وَلِسَائِرِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ وَخَطِيئَةٍ، فَاسْتَغْفِرُوهُ وَتُوبُوا إِلَيْهِ، إِنَّهُ هُوَ
الْغَفُورُ الرَّحِيمُ.

الخطبة الثانية:

الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى إِحْسَانِهِ، وَالشُّكْرُ عَلَى تَوْفِيقِهِ وَامْتِنَانِهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا
إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ تَعْظِيمًا لِسَانِهِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الدَّاعِي إِلَى جَنَّتِهِ
وَرِضْوَانِهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَأَعْوَانِهِ.

أَمَّا بَعْدُ:

مَعَاشِرَ الْإِخْوَةِ: لَيْسَ سِرًّا أَنْ نُعْلِنَ أَنَّ بَعْضَ مَنْ شَبَابِنَا وَفَتَاتِنَا
أَصْبَحَتْ هِمُّهُمْ فِي أَحْطَ الدُّونِ، وَأَصْبَحَ الْكَسَلُ شِعَارَهُمْ، وَاللَّعِبُ
وَاللَّهُوُ مُرَادَهُمْ، بَلْ وَرَتَعُوا فِيهَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ؛ مِنْ تَتَبَعَ السَّقَطِ،
وَمَرَاعِ الْفُجُورِ.

الْآبَاءُ وَالْأُمَّهَاتُ يَسْتَكُونُ مِنْ هَذِهِ الْهِمَمِ، وَفُتُورِ الْعِزَائِمِ، حِينَما
تُحَادِثُ كَثِيرًا مِنْهُمْ عَنِ الْمُسْتَقْبَلِ وَالتَّطْوِيرِ، وَعَنْ طَلَبِ الرِّزْقِ، وَالسَّعْيِ
فِي الْأَرْضِ، وَالْمَشْيِ فِي مَنَاكِهَا يَسْخَرُ بِحَدِيثِكَ، وَيَتَنَدَّرُ بِمَلْفُوظِكَ، كَثِيرٌ

منهم قد حَبَسَ نَفْسَهُ فِي سِجْنِ الإِحْبَاطِ وَالمُثَبِّطِينَ وَالبَطَّالِينَ، لَا تَرْتَفِعُ عَيْنُهُ إِلَى صُعُودِ الْجِبَالِ، وَلَا أَعَالِي الْقِمَمِ.

وَمِمَّا جُبِلَ عَلَيْهِ الْحُرُّ الْكَرِيمُ، أَلَّا يَقْنَعَ مِنْ شَرَفِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ بِشَيْءٍ مِمَّا انْبَسَطَ لَهُ، أَمَلًا فِيهَا هُوَ أَسْنَى مِنْهُ دَرَجَةً، وَأَرْفَعُ مَنْزِلَةً.

نَعَمْ إِنَّ مَعَالِيَ الْأُمُورِ وَغَرَّةَ^(١) الْمَسَالِكِ، مُحْفُوفَةٌ بِالْمَكَارِهِ، وَالْعِلْمُ أَرْفَعُ مَقَامٍ تَطْمَحُ إِلَيْهِ الْهَمَمُ، وَأَشْرَفُ غَايَةٍ تَتَسَابَقُ إِلَيْهَا الْأُمَمُ، فَلَا يَخْلُصُ إِلَيْهِ الْمُتَعَلِّمُ دُونَ أَنْ يُقَاسِيَ شِدَائِدَ، وَيَحْتَمِلُ مَتَاعِبَ، وَلَا يَسْتَهِينُ بِالشَّدَائِدِ إِلَّا كَبِيرُ الْهَمَّةِ، مَاضِي الْعَزِيمَةِ.

فِيهَا أَيُّهَا النَّبَهَاءُ؛ أَقْبِلُوا عَلَى الْعُلُومِ -عُلُومِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ- بِهَمٍّ كَبِيرَةٍ؛ صِيَانَةً لِلْوَقْتِ مِنْ أَنْ يُنْفَقَ فِي غَيْرِ فَائِدَةٍ، وَعَزْمَ يَبْلَى الْجَدِيدَانِ^(٢) وَهُوَ صَارِمٌ صَقِيلٌ^(٣)، وَحِرْصٍ لَا يَشْفِي غَلِيلَهُ إِلَّا أَنْ يَغْتَرَفَ مِنَ الْعُلُومِ بِأَكْوَابِ طَافِحَةٍ، وَغَوْصٍ فِي الْبَحْثِ لَا تُحَوِّلُهُ وَغُورَةُ الْمَسْلَكِ، وَلَا طُولُ مَسَافَةِ الطَّرِيقِ، لَا يَسْعَى لِلنَّجَاحِ مَنْ لَا يَمْلِكُ طُمُوحًا، وَلِذَلِكَ كَانَ الطَّمُوحُ هُوَ الْكَثْرُ الَّذِي لَا يَقْنَى.

فَكُنْ طُمُوحًا، وَانْظُرْ إِلَى الْمَعَالِي، وَمَا أَجْمَلَ قَوْلَ شَيْخِ الْإِسْلَامِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ:

(١) أي: صعوبة. انظر: المصباح المنير (وعر).

(٢) هما الليل والنهار. المصباح المنير (جدد).

(٣) الصارم: القاطع. والصقيل: المجلؤ. يقال: سيف صقيل، ومعدن صقيل. المعجم الوسيط (صرم، صقل).

(العامَّة تقول: قِيَمَةُ كُلِّ امْرِئٍ مَا يُحْسِنُ، والخاصَّةُ تقول: قِيَمَةُ كُلِّ امْرِئٍ مَا يَطْلُبُ، وفي بَعْضِ الكُتُبِ المتقدمة: إِنِّي لَا أَنْظُرُ إِلَى كَلَامِ الْحَكِيمِ وَإِنَّمَا أَنْظُرُ إِلَى هِمَّتِهِ^(١)).

فِي وَاقِعِنَا الْمَعَاصِرِ أَمْثَلُهُ حَيَّةٌ لِمَنْ سَمَتْ هِمَّتُهُ، وَحَيَّتْ نَفْسُهُ، فَأُولَئِكَ مِنْهُمْ مَنْ تَرَكَ دِرَاسَتَهُ لظُرُوفٍ خَاصَةٍ ثُمَّ رَجَعَ وَدَرَسَ فِي الدِّرَاسَةِ الْمَسَائِيَّةِ، حَتَّى أَتَمَّ الْمَرْحَلَةَ الْجَامِعِيَّةَ، وَحَسَّنَ مِنْ مَعِيشَتِهِ، وَتَزَوَّدَ مِنَ الْعِلْمِ، بَلْ مِنْهُمْ مَنْ كَانَ حَارِسَ أَمْنٍ فِي إِحْدَى الْجَامِعَاتِ، فَبَدَأَ مِنْ جَدِيدٍ، وَهُوَ الْآنَ أَسْتَاذٌ فِي نَفْسِ الْجَامِعَةِ الَّتِي كَانَ يَخْرُسُهَا، بَلْ مِنْهُمْ مَنْ كَانَ يَذْهَبُ إِلَى أَحَدِ التَّجَارِ يَسْأَلُهُ كُلَّ شَهْرٍ مَا يَعُولُ بِهِ نَفْسَهُ، فَحَيًّا ضَمِيرُهُ، وَبَدَأَ يَحْمِلُ الْأَغْرَاضَ لِلْمُتَسَوِّقِينَ، وَهُوَ الْآنَ مِنْ أَكْثَرِ مُلَّاكِ الْمَحَلَّاتِ فِي نَفْسِ السُّوقِ.

إِنَّ الْأَمْرَ لَيْسَ اخْتِرَاعًا، وَلَا مَعْجَزَةً، إِنَّمَا هُوَ إِيقَاطٌ لِلْعَرَبَةِ الَّتِي تَتَحَرَّكُ بِهَا، وَهِيَ الطَّمُوحُ، فَقَامُوا بِتَشْغِيلِهَا وَانْطَلَقُوا.

كَثِيرٌ مِنَ الشَّبَابِ قَدْ أَوْقَفُوا رَوَاحِلَهُمْ جَانِبًا وَتَرَكُوهَا وَرَكِبُوا الْإِحْبَاطَ وَاللَّامِبَالَاتَةَ، وَلَا زَمُوا الْمُثَبِّطِينَ، وَإِلَّا فَبِاللَّهِ عَلَيْكَ كَيْفَ تُفَسِّرُ بَرْنَامَجَ ذَلِكَ الشَّبَابِ وَهُوَ يَنَامُ إِلَى الظُّهْرِ أَوْ الْعَصْرِ ثُمَّ يَخْرُجُ مَعَ رُفَقَتِهِ فِي اسْتِرَاحَةٍ أَوْ تَسْكُعٍ أَوْ لَعِبٍ وَلَهْوٍ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى الْبَيْتِ لِيُعِيدَ بَرْنَامَجَهُ، أَهَذِهِ هِيَ الْحَيَاةُ؟! أَيْنَ مَصَارَعَةُ الْحَيَاةِ؟! وَأَيْنَ صِنَاعَةُ الذَّاتِ؟! أَيْنَ الطَّمُوحُ فِي حَيَاةٍ هَؤُلَاءِ؟! قَدْ أَشَقُّوا أَنْفُسَهُمْ، وَأَشَقُّوا أَهْلِيَهُمْ.

(١) انظر: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح: (٦/ ٣٤، ٣٥).

ثُمَّ صَلُّوا وَسَلِّمُوا عَلَى رَسُولِ الْهُدَى، وَإِمَامِ الْوَرَى، فَقَدْ أَمَرَكُم رُبُّكُمْ
فَقَالَ - جَل وَعَلَا -: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى نَبِيِّنَا
مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ، وَارْضَ اللَّهُمَّ عَنِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ،
وَالْأَئِمَّةِ الْمُهَدِّينَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَلِيٍّ، وَعَنِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ، وَعَنَّا
مَعَهُمْ بِعَفْوِكَ وَكَرَمِكَ يَا أَكْرَمَ الْأَكْرَمِينَ.

اللَّهُمَّ اعْزِزْ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَانصِرْ عِبَادَكَ الْمُوَحِّدِينَ الَّذِينَ يَجَاهِدُونَ
فِي سَبِيلِكَ فِي كُلِّ مَكَانٍ، اللَّهُمَّ انصِرْهُمْ عَلَى عَدُوِّكَ وَعَدُوِّهِمْ، اللَّهُمَّ عَلَيْكَ
بِالْيَهُودِ الْمُعْتَدِينَ، وَالنَّصَارَى الْمُحَارِبِينَ، اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِهِمْ؛ فَإِنَّهُمْ لَا
يَعْجِزُونَكَ، اللَّهُمَّ أَحْصِهِمْ عَدَدًا.

اللَّهُمَّ آمِنَّا فِي أَوْطَانِنَا، وَأَصْلِحْ أَيْمَتَنَا وَوُلاةَ أُمُورِنَا، اللَّهُمَّ وَفِّقْهُمْ لِمَا
يَرْضِيكَ، وَجَنِّبْهُمْ مَعَاصِيكَ.

اللَّهُمَّ تَبْ عَلَى التَّائِبِينَ، وَاهْدِ ضَالَّ الْمُسْلِمِينَ، اللَّهُمَّ رُدِّهِمْ إِلَيْكَ رَدًّا
جَمِيلًا، اللَّهُمَّ ارْفَعْ مَا نَزَلَ مِنَ الْفِتَنِ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِينَا.

عِبَادَ اللَّهِ! ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ
الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠]،
فَاذْكُرُوا اللَّهَ الْعَلِيَّ الْعَظِيمَ يَذْكُرْكُمْ، وَاشْكُرُوهُ عَلَى نِعَمِكُمْ يَزِدْكُمْ، ﴿وَلَذِكْرُ
اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

أين السعادة الحقيقية؟!

الخطبة الأولى:

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ، وَمَنْ سَارَ عَلَى مَهْجِهِ، وَاقْتَفَى أَثَرَهُ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، وَسَلَّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

أَمَّا بَعْدُ:

فَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۖ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: ٢، ٣].

مَعَشَرُ الْإِخْوَةِ: مَنْ يُقَاسِي شِدَّةَ الْفَاقَةِ وَالْبُؤْسِ يَرَى السَّعَادَةَ فِي الْغِنَى وَعِنْدَ الْأَغْنِيَاءِ، وَمَنْ تَتَقَلَّبُ بِهِ الْأَوْجَاعُ وَالْأَمْرَاضُ يَرَى السَّعَادَةَ فِي صِحَّةِ الْأَبْدَانِ وَسَلَامَةِ الْأَعْضَاءِ، وَالْمُسْتَضَعْفُ الَّذِي سُلِبَتْ حُقُوقُهُ، وَلَمْ يَقَوْ عَلَى خَلَاصِهَا يَرَى السَّعَادَةَ عِنْدَ ذَوِي السُّلْطَانِ وَالْجَاهِ، وَمَنْ أَشْرَبَ قَلْبُهُ الْفُسُوقَ وَالْمُجُونَ وَالْخَلَاعَةَ وَالدَّعَارَةَ يَرَى السَّعَادَةَ أَنْ تُخَفَّ بِهِ الشَّهَوَاتُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ؛ لِيُطْلَقَ لَهَا الْعِنَانُ كَيْفَ يَشَاءُ، فَيَسَافِرُ إِلَى بِلَادِ الْكُفْرِ وَالْعُرَى عَلَى حِسَابِ دِينِهِ وَوَلَائِهِ وَبَرَائِهِ مِنَ الْكُفَّارِ، يَبْحَثُ فِي

الناس عَنِ السَّكِينَةِ وَالطُّمَأْنِينَةِ، وَيَنْشُدُ السَّعَادَةَ وَالرِّضَا، وَيَبْتَغِي السَّرُورَ وَالْحُبُورَ، وَيَطْلُبُهَا فِي الْقُوَّةِ وَالْجَاهِ، وَالثَّرَاءِ وَالْحَرِيَةِ، وَالْمَنَاصِبِ وَالرُّتَبِ.

لَا يُعْرِفُ مَفْقُودُ تَوَاطُّأِ النَّاسِ عَلَى الْبَحْثِ عَنْهُ، وَالْجَدُّ فِي تَحْصِيلِهِ، وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ يَسِيرُونَ فِي غَيْرِ مَسَارِهِ، وَيَلْتَمِسُونَهُ فِي غَيْرِ مَظَانِّهِ، مِثْلُ السَّعَادَةِ وَالطُّمَأْنِينَةِ وَالْبَالِ الصَّالِحِ. كُلُّ يَبْحَثُ عَنِ السَّعَادَةِ الَّتِي تُطَارِدُ الْجَزَعَ، وَالرِّضَا الَّذِي يُزِيلُ السَّخَطَ.

السَّعَادَةُ الَّتِي يُعَبِّرُ عَنْهَا شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي أَوْجِ إِحْسَاسِهِ بِهَا: مَا يَفْعَلُ أَعْدَائِي بِي؟! إِنَّ سِجْنِي خَلْوَةٌ، وَإِنَّ قَتْلِي شَهَادَةٌ، وَإِنَّ إِخْرَاجِي مِنْ بَلَدِي سِيَاحَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ^(١).

وَاللَّهُ يَقُولُ لِنَبِيِّهِ ﷺ: ﴿طه ١﴾ مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشَفَى ﴿طه: ١-٢﴾، وَيَقُولُ: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٣٨]. السَّعَادَةُ هِيَ جَنَّةُ الْأَحْلَامِ الَّتِي يَنْشُدُهَا كُلُّ الْبَشَرِ مِنَ الْمُتَّقِيفِ الْمُتَعَلِّمِ فِي قِمَّةِ تَفْكِيرِهِ وَتَجْرِيدِهِ، إِلَى الْعَامِّيِّ فِي بَسَاطَتِهِ، وَمَنِ السُّلْطَانِ فِي قَصْرِهِ الْمَشِيدِ، إِلَى الْفَقِيرِ فِي كُوْخِهِ الصَّغِيرِ. وَلَا نَحْسَبُ أَحَدًا مِنْهُمْ يَبْحَثُ عَمْدًا عَنِ الشَّقَاءِ لِنَفْسِهِ، أَوْ يَرْضَى بِتَعَاسَتِهَا.

وإِنَّ الْحَقِيقَةَ الَّتِي لَا مَنَاصَ مِنْهَا أَنَّ الْعَبْدَ بَغِيرِ إِيْمَانٍ مَخْلُوقٌ ضَعِيفٌ، وَإِنَّ مَنْ ضَعْفُهُ أَنَّهُ إِذَا أَصَابَهُ شَرٌّ جَزَعَ، وَإِذَا أَصَابَهُ خَيْرٌ مَنَعَ، وَهُوَ فِي كُلِّتَا الْحَالَيْنِ قَلِقٌ هَلِيعٌ: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾ (١٩) إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا (٢٠) وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا (٢١) إِلَّا الْمُصَلِّينَ ﴿[المعارج: ١٩-٢٢].

(١) انظر: المستدرك على مجموع الفتاوى: (١/١٥٣).

وإنَّ فَقْدَانَ السَّعَادَةِ مِنْ قَلْبِ الْمَرْءِ يَعْنِي -بَدَاهَةً- حُلُولَ الْقَلْبِ
والاضطراب النفسيِّ فِي شَخْصِهِ، فَتَجْتَمِعُ عَلَيْهِ الْمُنْغَصَّاتُ: الْهَمُّ،
وَالْحُزْنُ، وَالْأَرْقُ، وَالسَّهَرُ.

السَّعَادَةُ دِينَ يُتَّبَعُهُ عَمَلٌ، وَيَضْحَبُهُ حَمْلُ النَّفْسِ عَلَى الْمَكَارِهِ،
وَأَطْرُهَا^(١) عَلَى تَحْمُلِ الْمَشَاقِّ وَالْمَتَاعِبِ، وَتَوَطُّيْنُهَا لِمُلَاقَاةِ الْبَلَاءِ بِالصَّبْرِ،
وَالشَّدَائِدِ بِالْجَلَدِ.

وَالسَّعِيدُ مَنْ أَثَرَ الْبَاقِي عَلَى الْفَائِي: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ [مريم: ٩٦]، ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعِظْمْ شَعَثِيرَ
اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ [الحج: ٣٢].

السَّعَادَةُ هِيَ الرِّضَا بِاللَّهِ، وَالْقَنَاعَةُ بِالْمَقْسُومِ، وَالثِّقَةُ بِاللَّهِ، وَاسْتِمْدَادُ
الْمَعُونَةِ مِنْهُ، وَمَنْ ذَاقَ طَعْمَ الْإِيمَانِ ذَاقَ طَعْمَ السَّعَادَةِ، كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ
ﷺ كَمَا فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ: «ذَاقَ طَعْمَ الْإِيمَانِ مَنْ رَضِيَ بِاللَّهِ رَبًّا،
وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ ﷺ رَسُولًا»^(٢)؛ وَلِذَا فَإِنَّ مَنْ أَضَاعَ نِعْمَةَ
الرِّضَا؛ أَصَابَهُ سُعَارُ الْحِرْصِ وَالْجَشَعِ، فَهُوَ يَطْمَعُ وَلَا يَقْنَعُ، وَيَجْمَعُ وَلَا
يَذْفَعُ، يَأْكُلُ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ، وَيَشْرَبُ كَمَا تَشْرَبُ الْهَيْمُ^(٣)، وَلَقَدْ صَدَّقَ
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي الْحَدِيثِ الَّذِي رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ: «مِنْ سَعَادَةِ ابْنِ آدَمَ
رِضَاهُ بِمَا قَضَى اللَّهُ لَهُ... وَمِنْ شَقَاوَةِ ابْنِ آدَمَ سَخَطُهُ بِمَا قَضَى اللَّهُ لَهُ»^(٤).

(١) يقال: أطر العود: عطفه وحناه. المعجم الوسيط (أطر).

(٢) أخرجه مسلم: (١/٦٢، رقم ٣٤).

(٣) هي الإبل العطاش. وقيل: هي التي يصيبها داء فلا تروى من الماء. انظر: تاج العروس (هيم).

(٤) أخرجه أحمد: (١/١٦٨، رقم ١٤٤٤)، والتِّرْمِذِيُّ: (٤/٤٥٥، رقم ٢١٥١).

ولقد كَتَبَ الفاروقُ إلى أَبِي مُوسَى الأشْعَرِيِّ -رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمَا- يَقُولُ له: (أَمَّا بَعْدُ: فَإِنَّ الْخَيْرَ كُلَّهُ فِي الرِّضَا، فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَرْضَى، وَإِلَّا فَاصْبِرْ)^(١). وفي الحديثِ الْقُدْسِيِّ كما فِي الصَّحِيحَيْنِ: «أَنَا عِنْدَ حُسْنِ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَأٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَأٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ»^(٢).

بهذا الحديث وأمثاله بَدَتِ السَّعَادَةُ فِي وُجُوهِ السُّعَدَاءِ، وَالتِّي يُعْبَرُ عَنْهَا مَنْ أَحْسَسَ بِنَشْوَتِهَا مِنْ أَيْمَةِ الْإِسْلَامِ وَالَّذِينَ يَقُولُ: إِنَّا فِي سَعَادَةٍ، لَوْ عَلِمَ بِهَا الْمُلُوكُ وَأَبْنَاءُ الْمُلُوكِ؛ لَجَالَدُونَا عَلَيْهَا بِالسُّيُوفِ.

تِلْكَ السَّعَادَةُ الَّتِي يُمَثِّلُهَا مَنْ يَغْدُو فِي خِمَائِلِهَا^(٣)، وَيَقُولُ: إِنَّهُ لَتَمُرُّ عَلَيَّ سَاعَاتٍ أَقُولُ فِيهَا: لَوْ كَانَ أَهْلُ الْجَنَّةِ فِي مِثْلِ مَا أَنَا فِيهِ الْآنَ إِنَّهُمْ - إِذَا- لَفِي عَيْشٍ طَيِّبٍ^(٤).

إِنَّ أَمْثَالَ هَؤُلَاءِ هُمُ الَّذِينَ ابْتَسَمُوا لِلْحَيَاةِ حِينَمَا كَثُرَتْ عَنْ أَنْيَابِهَا، وَاسْتَقْبَلُوا الْآلَامَ بِالرِّضَا وَالتَّسْلِيمِ، الَّذِينَ يُحَوِّلُونَهَا إِلَى نِعْمَةٍ تَسْتَحِقُّ الشُّكْرَ وَالْحَمْدَ، عَلَى حِينِ أَنَّهَا عِنْدَ غَيْرِهِمْ مَصَائِبُ تَسْتَوْجِبُ الصُّرَاحَ وَالْعَوِيلَ.

(١) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي: (٣/ ٨٥).

(٢) أخرجه البخاري: (٩/ ١٢١، رقم ٧٤٠٥)، ومسلم: (٤/ ٢٠٦١، رقم ٢٦٧٥).

(٣) الخُمائل: واحدة الخميعة، وهو الشجر المجتمع الكثير الملتف الذي لا يرى فيه شيء إذا وقع في وسطه. انظر: المعجم الوسيط (خل).

(٤) هذا قول لبعض العارفين، كما جاء في كتاب (إغاثة اللفهان من مصائد الشيطان) لابن قيم الجوزية: (١/ ٧٢).

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أَنَّىٰ
وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾
[النحل: ٩٧].

بَارَكَ اللَّهُ لِي وَلَكُمْ فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، وَنَفَعَنِي وَإِيَّاكُمْ بِمَا فِيهِ مِنَ
الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ، أَقُولُ مَا سَمِعْتُمْ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ لِي وَلَكُمْ
وَلِسَائِرِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ وَخَطِيئَةٍ، فَاسْتَغْفِرُوهُ وَتُوبُوا إِلَيْهِ، إِنَّهُ هُوَ
الْغَفُورُ الرَّحِيمُ.

الخطبة الثانية:

الحمد لله على إحسانه، والشُّكْرُ على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا
إله إلا الله تعظيماً لشانه، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الداعي إلى جنَّته
ورِضوانه، صَلَّى اللهُ عليه وعلى آله وأصحابه وأعوانه.
أَمَّا بَعْدُ:

مَعَشَرَ الْإِخْوَةِ: السَّعَادَةُ شَيْءٌ دَاخِلُ الْجَوَانِحِ، يَغْتَبِطُ بِهِ الْجَنَانُ^(١)،
وَيَمْتَلِئُ بِهِ الْجَبْنَانِ، صَفَاءٌ فِي النَّفْسِ، وَطُمَأْنِينَةٌ فِي الْقَلْبِ، وَانْشِرَاحٌ فِي
الصَّدْرِ، وَرَاحَةٌ فِي الضَّمِيرِ، وَهُدُوءٌ فِي الْبَالِ. إِنَّهَا سُعُورٌ جَمِيلٌ بِالْغَبْطَةِ،
وَإِحْسَاسٌ لَدِيدٌ بِالطُّمَأْنِينَةِ، مَعَ بَهْجَةٍ وَانْطِلَاقِ نَفْسٍ فِي سَكِينَةٍ.

(١) أي: القلب. تاج العروس (جنن).

تَصَوَّرَ أَنَّ وَاحِدًا مِنْ ذَوِي الْجَاهِ وَالثَرَاءِ ابْتُلِيَ بِمَرَضٍ مُزْمِنٍ، يُؤْتَى لَهُ بِأَطْيَابِ الطَّعَامِ فَلَا يَأْكُلُ، وَإِنْ أَكَلَ فَلَا يَسْتَلِدُّ، أَشْرَفَ مَرَّةً مِنْ نَافِذَةِ بَيْتِهِ الْمُنِيفِ^(١)، وَأَطْلَّ مِنْ سَرِيرِ مَرَضِهِ الْوَثِيرِ^(٢)، فَلَا حَتَّ مِنْهُ الْتِفَاتُهُ إِلَى عَامِلٍ مِنْ عُمَّالِهِ، قَدْ افْتَرَشَ جَانِبًا مِنَ الْأَرْضِ تَحْتَ ظِلِّ شَجَرَةٍ، يَأْكُلُ رَغِيفَهُ مَعَ إِدَامٍ يَسِيرٍ، لُقْمَةً فِي فَمِهِ، وَأُخْرَى فِي يَدِهِ، وَثَالِثَةٌ تَرْقُبُهَا عَيْنُهُ، كَمْ يَتَمَنَّى هَذَا الْوَجِيهَ لَوْ كَانَ فِي مُتَعَةٍ هَذَا الْعَامِلِ وَصِحَّتِهِ!

إِنَّ السَّعَادَةَ مَصْدَرُهَا الْقَلْبُ، وَمَظْهَرُهَا الرِّضَا، وَدَلِيلُهَا إِدْرَاكُ النِّعْمَةِ، وَالاعْتِرَافُ بِهَا، وَلَا تَرَى أَوْضَحَ وَلَا أَفْضَحَ مِنْ خِيَةِ إِنْسَانٍ يَطْلُبُ السَّعَادَةَ فِي شَهَوَاتِ الدُّنْيَا، وَقَدْ عَلِمَ -وَعَلِمْتُمْ- أَنَّ طَالِبَهَا يَظَلُّ مِنْهُومًا لَا تَنْقُضِي شَهَوَاتُهُ، وَتَتَشَعَّبُ رَغْبَاتُهُ، ثُمَّ يَقُودُهُ هُمُّهُ إِلَى مَنَازَعَةِ الْآخَرِينَ أَرْزَاقَهُمْ، وَخِصَامِهِمْ فِي حُقُوقِهِمْ، فَيُشْقِي وَيَشْقَى، وَفِي الْعِدَاوَةِ وَالْبَغْضَاءِ يَسْعَى، وَمِنْ الْهَمِّ وَالنَّكَدِ يَزْدَادُ، مَلَأَ فِكْرُهُ بِهِمُومَ الْحَيَاةِ، وَفَتَنَهُ اللَّهْوُ وَالْمُجُونُ، وَلَوْ دَقَّقَ هَذَا وَحَقَّقَ لَوَجَدَ أَنَّ كُلَّ مَا ظَفَرَ بِهِ فَعُقْبَاهُ حُزْنٌ، وَعَاقِبَتُهُ خُسْرَانٌ؛ إِمَّا بِذَهَابِ الْمَأْمُولِ، أَوْ بِذَهَابِ الْأَمَالِ.

وَلَنْ يَجِدَ امْرُؤٌ مَا يَمْلَأُ نَفْسَهُ رِضًا بِأَقْدَارِ الْحَيَاةِ سِوَى الْإِيمَانِ بِاللَّهِ، وَاللَّجْوَاءِ إِلَى جَنَابِ رَبِّهِ، وَالانْطِرَاحِ بَيْنَ يَدَيْهِ.

إِنَّ السَّعَادَةَ لَا تَحْصُلُ بِالْهَرُوبِ وَالْإِهْمَالِ؛ وَلَكِنَّهَا فِي مُوَاجَهَةِ الْحَيَاةِ وَغَايَاتِهَا، وَإِنْ مِنْ مَصَادِرِ الشَّقَاءِ وَأَسْبَابِ التَّعَاسَةِ أَنْ تَكْثُرَ الْبَطَالَةُ،

(١) أي: الطويل. المعجم الوسيط (نيف).

(٢) أي: الوطيء. المعجم الوسيط (وثر).

وَيَتَشَرَّ الَّذِينَ يَتَكَفَّفُونَ النَّاسَ، وَيَنْصُمُ إِلَيْهِمْ رُؤَاذُ الْمُقَاهِي وَالْأَنْدِيَةِ
الْبَطَّالُونَ، الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ أَيْ عَمَلٍ، وَإِنَّ السَّعَادَةَ لَمَنْ كَانَ فِي مُقْتَبَلِ
عُمُرِهِ يَخْرِصُ عَلَى تَعَلُّمِهِ، وَزِيَادَةِ مَعَارِفِهِ، وَيَخْرِصُ عَلَى دِرَاسَتِهِ، وَعَلَى
الْمُتَخَرِّجِ أَنْ يَخْرِصَ عَلَى وَظِيفَتِهِ، وَأَدَاءِ عَمَلِهِ، فَهِيَ مِنْ أَسْبَابِ سَعَادَتِهِ.

فِيهَا أَيُّهَا الطَّلَابُ وَالطَّالِبَاتُ؛ جِدُّوا فِي مَنَابِرِ الْعِلْمِ وَالطَّلَبِ، وَإِنَّمَا
الْأُمَمُ بَعُلُومُهَا، وَالْمَرْءُ بِمَعَارِفِهِ، وَإِنَّمَا يَسْمُو عَقْلُ الرَّجُلِ وَيَسْعَدُ بِمَا مَعَهُ
مِنَ الْمَعَارِفِ، وَقَدَرُ كُلِّ امْرِئٍ مَا كَانَ يَعْلَمُهُ، وَبِالْعِلْمِ يَزْكُو الْعَقْلُ،
وَتَهْذَبُ الرُّوحُ وَتَفْرَحُ، وَتَرْتَفِعُ عَنْ أَدْرَانِ الْجَهْلِ وَالسَّفَهَةِ.

أَيُّهَا الطَّلَبَةُ: أَقْبِلُوا عَلَى مَدَارِسِكُمْ وَجَامِعَاتِكُمْ بِرُوحٍ مُتَوَقِّدَةٍ،
وَنَفْسٍ تَسْتَسْهِلُ الصَّعْبَ؛ بَلْ وَتَسْتَمْتِعُ بِهِ، ازْفَعُوا هِمَمَكُمْ، ضَعُوا حَدًّا
لِلْكَسَلِ، وَانْفُضُوا عَنْكُمْ لُوثَةَ^(١) الْإِسْتِهْتَارِ بِالتَّعْلِيمِ وَتَحْصِيلِ الْمَجْدِ،
أَقْبِلُوا عَلَى دِرَاسَتِكُمْ، وَاجْتَهِدُوا فِي التَّعَلُّمِ، وَانْوُوا النِّيَّةَ الطَّيِّبَةَ فِي
دِرَاسَتِكُمْ بِأَنْ تَحْدِثُوا دِينَكُمْ وَبِلَدَّكُمْ وَمُجْتَمَعَكُمْ، وَاجْمَعُوا خَيْرِي الدُّنْيَا
وَالْآخِرَةِ: ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ
حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾^(٢٠١) أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿
[البقرة: ٢٠١، ٢٠٢].

ثُمَّ صَلُّوا وَسَلِّمُوا عَلَى رَسُولِ الْهُدَى، وَإِمَامِ الْوَرَى، فَقَدْ أَمَرَكُمُ رَبُّكُمْ
فَقَالَ - جَل وَعَلَا -: ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا

(١) اللُّوْثَةُ: الْإِسْتِرْخَاءُ وَالْبَطْءُ. تَاجُ الْعُرُوسِ (لُوثٌ).

صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿[الأحزاب: ٥٦]﴾، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ، وَارْضَ اللَّهُمَّ عَنِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ، وَالْأَئِمَّةِ الْمُهَدِّينَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَلِيٍّ، وَعَنِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ، وَعَنَّا مَعَهُمْ بِعَفْوِكَ وَكَرَمِكَ يَا أَكْرَمَ الْأَكْرَمِينَ.

اللَّهُمَّ اعِزَّ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَانصِرْ عِبَادَكَ الْمُوَحِّدِينَ الَّذِينَ يَجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِكَ فِي كُلِّ مَكَانٍ، اللَّهُمَّ انصِرْهُمْ عَلَى عَدُوِّكَ وَعَدُوِّهِمْ، اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِالْيَهُودِ الْمُعْتَدِينَ، وَالنَّصَارَى الْمُحَارِبِينَ، اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِهِمْ؛ فَإِنَّهُمْ لَا يَعْجِزُونَكَ، اللَّهُمَّ أَحْصِهِمْ عَدَدًا.

اللَّهُمَّ آمِنَّا فِي أَوْطَانِنَا، وَأَصْلِحْ أَيْمَتَنَا وَوُلاةَ أُمُورِنَا، اللَّهُمَّ وَقِّهِمْ لِمَا يَرْضِيكَ، وَجَنِّبْهُمْ مَعَاصِيكَ.

اللَّهُمَّ تَبْ عَلَى التَّائِبِينَ، وَاهْدِ ضَالَّ الْمُسْلِمِينَ، اللَّهُمَّ رُدِّهِمْ إِلَيْكَ رَدًّا جَمِيلًا، اللَّهُمَّ ارْفَعْ مَا نَزَلَ مِنَ الْفِتَنِ.

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا.

عباد الله! ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠]،
فاذكروا الله العلي العظيم يذكركم، واشكروه على نعمكم يزدكم، ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

الزواج - البرنامج الصحي واستخدام السلاح

الخطبة الأولى:

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ
أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ
لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ، وَمَنْ سَارَ عَلَى نَهْجِهِ، وَاقْتَفَى أَثَرَهُ إِلَى يَوْمِ
الدين، وَسَلَّمَتْ سَلِيمًا كَثِيرًا.

أَمَّا بَعْدُ:

فَأَوْصِيكُمْ وَنَفْسِي بِتَقْوَى اللَّهِ - جَلَّ وَعَلَا -، فَقَدْ قَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مِمَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ
بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الحشر: ١٨].

إخوة الإسلام: لقد يَسَّرَ اللَّهُ - جَلَّ وَعَلَا - لكثير من الشباب
والفتيات الزواج، وتيسرت أموره لهم بِحَمْدِ اللَّهِ، وَلَا شَكَّ أَنَّ الزَّوْجَ
حياةً جديدةً، تحتاج إلى تصوُّرٍ من الزوجين لِطَبِيعَةِ عَلاَقَتِهِمَا، وَطَرِيقَةِ
حَيَاتِهِمَا؛ بَعِيدًا عَنْ خَيَالَاتِ الْمَسْلَسَلَاتِ وَأَكَاذِيبِهَا الْعَاطْفِيَّةِ، وَبَعِيدًا عَنْ

بعض التصورات الغابرة من الصرامة والشدة، فالمبالغة العاطفية في تحلٍ العلاقة الزوجية يصدّمها الواقع والعقل، فالحياة لا بُدَّ فيها من المنغصات والمكدرات، فالواجب أن يتفهّم الزوجان - وخاصة الزوج - كيف يُواجهانها؛ لا البحث عن إزالتها، فالحياة طُبعت على كدرٍ، ولا بُدَّ أن يمرَّ الخيرُ والشرُّ، والسَّراءُ والضَّراءُ، وكذلك المبالغة في طلب المثالية في العلاقة، وتوطيدها بالشدة والصرامة، وفقر المشاعر والعاطفة يُنتج القسوة والملل، فتجدُ الزوجة تعيش ظلماً لا يُطاق؛ جرّاء الفهم المغلوط للعلاقة الزوجية، علاقة لا تُعرف التسامح، ولا التنازل، ولا الإدارة. فبعض الأزواج يريدُ زوجةً لا تُكدره أبداً، تسمع وتطيع، ولا يحقُّ لها الشكوى ولا الأنين، وهذا طلبُ المحال.

لِنَتَأَمَّلَ حَالِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ في هذه القصة المؤثرة التي رواها الإمام مسلمٌ من حديث جابر بن عبد الله قال: دَخَلَ أَبُو بَكْرٍ يَسْتَأْذِنُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَوَجَدَ النَّاسَ جُلُوسًا بَبَابِهِ لَمْ يُؤْذَنَ لِأَحَدٍ مِنْهُمْ، قَالَ: فَأُذِنَ لِأَبِي بَكْرٍ فَدَخَلَ، ثُمَّ أَقْبَلَ عُمَرُ فَاسْتَأْذَنَ، فَأُذِنَ لَهُ، فَوَجَدَ النَّبِيَّ ﷺ جَالِسًا حَوْلَهُ نِسَاؤُهُ وَاجِمًا^(١) سَاكِتًا، قَالَ: فَقَالَ: لَا قَوْلَ شَيْئًا أَضْحِكُ النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَوْ رَأَيْتَ بِنْتَ خَارِجَةَ سَأَلْتَنِي النَّفَقَةَ، فَقُمْتُ إِلَيْهَا فَوَجَأْتُ^(٢) عُنُقَهَا. فَضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَقَالَ: «هِنَّ حَوْلِي كَمَا تَرَى يَسْأَلْنِي النَّفَقَةَ». فَقَامَ أَبُو بَكْرٍ إِلَى عَائِشَةَ يَجُؤُ عُنُقَهَا، فَقَامَ

(١) أي: ساكتاً من الهم والكآبة. انظر: النهاية (وجم).

(٢) أي: ضربت. انظر: النهاية (وجأ).

عُمِرُ إِلَى حَفْصَةَ يَجَا عُنُقَهَا، كِلَاهُمَا يَقُولُ: تَسْأَلَنَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَا لَيْسَ عِنْدَهُ؟! فَقُلْنَا: وَاللَّهِ لَا نَسْأَلُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ شَيْئًا أَبَدًا لَيْسَ عِنْدَهُ. ثُمَّ اعْتَزَلَهُنَّ شَهْرًا، أَوْ تِسْعًا وَعَشْرِينَ، ثُمَّ نَزَلَتْ عَلَيْهِ هَذِهِ الْآيَةُ ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ﴾، حَتَّى بَلَغَ: ﴿لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٢٨، ٢٩]، قَالَ: فَبَدَأَ بِعَائِشَةَ فَقَالَ: «يَا عَائِشَةُ، إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَعْرِضَ عَلَيْكَ أَمْرًا أَحَبُّ إِلَيَّ أَلَّا تَعْجَلِي فِيهِ حَتَّى تَسْتَشِيرِي أَبَوَيْكَ»، قَالَتْ: وَمَا هُوَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَتَلَا عَلَيْهَا الْآيَةَ، قَالَتْ: أَفِيكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَسْتَشِيرُ أَبَوَيَّ؟! بَلْ أَخْتَارُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالِدَارَ الْآخِرَةَ، وَأَسْأَلُكَ أَلَّا تُخْبِرَ امْرَأَةً مِنْ نِسَائِكَ بِالَّذِي قُلْتَ. قَالَ «لَا تَسْأَلْنِي امْرَأَةً مِنْهُنَّ إِلَّا أَخْبَرْتُهَا، إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَبْعَثْنِي مُعْتَتًا وَلَا مُتَعَتَّتًا، وَلَكِنْ بَعَثَنِي مُعَلِّمًا مُبْسِّرًا». كَانَتْ عَائِشَةُ رَضِيَتْ عَنْهَا تَوَقَّعَتْ أَنَّهُ إِذَا لَمْ يُخْبِرْ أَحَدًا مِنْ زَوْجَاتِهِ يَكُونُ فِيهِنَّ مَنْ يَخْتَارُ الدُّنْيَا، فَيُفَارِقُهَا النَّبِيُّ ﷺ، وَأَنْهَنَ إِذَا سَمِعْنَ بِاخْتِيَارِهَا هِيَ لَهَا اقْتَدَيْنَ بِهَا فَيَخْتَرْنَهُ.

فَإِذَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَمُرُّ بِبَعْضِ هَذَا مَعَ أَزْوَاجِهِ - مَعَ أَهْنٍ أَمَهَاتٍ الْمُؤْمِنِينَ - فَكَيْفَ بَغْيُهُ؟!

فَالزَّوْجُ عَلَيْهِ أَنْ يَتَّقِيَ اللَّهَ فِي تَعَامُلِهِ مَعَ زَوْجَتِهِ، وَقَدْ قَالَ ﷺ فِي خُطْبَتِهِ الَّتِي سُمِّيَتْ بِخُطْبَةِ الْوَدَاعِ: «اتَّقُوا اللَّهَ فِي النِّسَاءِ، فَإِنَّكُمْ أَخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمَانٍ مِنَ اللَّهِ، وَاسْتَحْلَلْتُمْ فُرُوجَهُنَّ بِكَلِمَةِ اللَّهِ»^(١)، جَاءَ فِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا»^(٢).

(١) أخرجه مسلم: (٢/ ١١٠٤)، رقم (١٤٧٨).

(٢) أخرجه البخاري: (٧/ ٢٦)، رقم (٥١٨٥)، ومسلم: (٢/ ١٠٩١)، رقم (١٤٦٨).

وتأمل قول النبي ﷺ فيما رواه أحمد وغيره، من حديث أبي هريرة
 رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا،
 وَخِيَارُكُمْ خِيَارُكُمْ لِنِسَائِهِمْ»^(١)، إِنَّ هَذِهِ الْأَحَادِيثَ كُلَّهَا جَاءَتْ لِتَحْفِيزِ
 الْأَزْوَاجِ أَنْ يَكُونُوا مُتَسَامِحِينَ مَعَ زَوْجَاتِهِمْ، هَيَّئِينَ لِنَافْسِكُنَّ مَعَهُنَّ.

ليس عيباً أن تُشاركك زوجتك في قراراتك ومشاكلك، وليس عيباً
 أن تعتذر من زوجتك إذا أخطأت، وليس عيباً أن تتحمل بعض
 قصورها، وتسعى في استصلاحها، والرسول ﷺ يقول كما في صحيح
 مسلم: «لَا يَفْرُكُ» أي لا يبغض «مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةً، إِنْ كَرِهَ مِنْهَا خُلُقًا رَضِيَ
 مِنْهَا آخَرَ»^(٢)، فكيف إذا كان الزوج مصدرَ النقص والعوج والمرأة
 تتحمل أخطاءه وهو لا يتحمل منها شيئاً؟! بل -وبكل أسف- إذا
 كانت المرأة هي مَنْ تُنفق عليه وعلى أولاده؛ ومع هذا لا يتحمل منها
 شيئاً، ولا يشفع لها هذا العمل في استرضائها وتقديرها واحتمالها، من
 الزوجات مَنْ تقوم بترية الأولاد، ومتابعتهن، بل وأحياناً هي مَنْ
 يذهب لشراء مؤنة^(٣) البيت، وأحياناً من راتبها، ومع ذلك هذا الزوج لم
 يُقدّر لها هذه التضحية، ولا هذا الجهد الجبار، وإنما يَمُنُّ عليها أن
 تزوجته، ورضيت به.

(١) أخرجه أحمد: (٢/ ٢٥٠، رقم ٧٣٩٦)، والترمذي: (٣/ ٤٥٨، رقم ١١٦٢)، وقال: حديث
 حسن صحيح.

(٢) أخرجه مسلم: (٢/ ١٠٩١، رقم ١٤٦٩).

(٣) المؤنة: القوت. المعجم الوسيط (مأن).

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبَنَّى
مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [التحریم: ١].

بَارَكَ اللَّهُ لِي وَلَكُمْ فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، وَنَفَعَنِي وَإِيَّاكُمْ بِمَا فِيهِ مِنَ
الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ، أَقُولُ مَا سَمِعْتُمْ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ لِي وَلَكُمْ
وَلِسَائِرِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ وَخَطِيئَةٍ، فَاسْتَغْفِرُوهُ وَتُوبُوا إِلَيْهِ، إِنَّهُ هُوَ
الْغَفُورُ الرَّحِيمُ.

الخطبة الثانية:

الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى إِحْسَانِهِ، وَالشُّكْرُ عَلَى تَوْفِيقِهِ وَامْتِنَانِهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا
إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى لِسَانَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الدَّاعِي إِلَى جَنَّتِهِ
وَرِضْوَانِهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَأَعْوَانِهِ.

أَمَّا بَعْدُ:

مَعَشَرَ الْإِخْوَةِ: وَمَا دَمْنَا نَتَكَلَّمُ عَنِ الزَّوْجِ فِيهِ وَقَفَاتٍ وَتَنْبِيهَاتٍ
لَازِمَةً:

الْأَوَّلُ: هُوَ لَزُومُ تَوْعِيَةِ النَّاسِ بِأَهْمِيَةِ الزَّوْجِ الصَّحِيِّ وَفِعْلِ أَسْبَابِهِ،
وَأَهْمِيَةِ الدُّورَاتِ التَّدْرِيبِيَّةِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِتَثْقِيفِ الْمُقْبِلِينَ عَلَى الزَّوْجِ مِنَ
الْجَنَسَيْنِ؛ مِنْ أَجْلِ تَبْصِيرِهِمَا بِمَتَغِيرَاتِ الْحَيَاةِ الْجَدِيدَةِ الْمُقْبِلِينَ عَلَيْهَا،

وكذلك تَوَعَّيْتُهُمْ بأهمية الفَحْصِ الطَّبِيِّ؛ للتَّأَكُّدِ مِنْ عَدَمِ وُجُودِ الأمراضِ الوراثيةِ كَبَعْضِ أمراضِ الدَّمِ الوراثيةِ، وَبَعْضِ الأمراضِ المُعْدِيَةِ، وهي تُسَاهِمُ في تَجَنُّبِ المشاكلِ الاجتماعيةِ والنفسيةِ، والتَّعَرُّفِ على العيوبِ المُبَكَّرَةِ في الزَّوْجَيْنِ، وَأَخْذُ الْمَشُورَةِ الطَّبِيَةِ الصَّحِيحَةِ يُسَاعِدُ على هذا، وهذا البرنامجُ مُتَوَافِقٌ مع مقاصدِ الشريعةِ مِنَ المحافظةِ على النسلِ، وَطَلَبِ سَلَامَةِ الْأَبْدَانِ، وَفِعْلِ الْأَسْبَابِ الَّتِي تُبْعَدُ الْأَمْرَاضَ عَنِ النَّاسِ، وَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَا يُورَدُ مُرْرَضٌ عَلَى مُصَحٍّ»^(١)، فَالْأَخْذُ بِهِ مُوَافِقٌ لِقَوَاعِدِ الشَّرِيعَةِ

أَمَّا التَّنْبِيهُ الثَّانِي: فَهُوَ مَا يَحْصُلُ فِي بَعْضِ الْأَعْرَاسِ مِنْ اسْتِخْدَامِ السِّلَاحِ، مِنْ مُسَدَّسٍ، أَوْ رَشَّاشٍ؛ مِنْ أَجْلِ التَّعْبِيرِ عَنِ الْفَرَحِ وَالِابْتِهَاجِ، وَلَا يَخْفَى عَلَى الْجَمِيعِ مَا نَتَجَّ عَنْ اسْتِخْدَامِهَا مِنْ أَضْرَارٍ وَحَوَادِثَ، فَيَتَحَوَّلُ الْفَرَحُ إِلَى تَرَحٍّ، وَقَدْ نَهَى النَّبِيُّ ﷺ عَنِ اسْتِخْدَامِ السِّلَاحِ فِي مَجَامِعِ النَّاسِ وَأَسْوَاقِهِمْ، فَقَدْ ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ أَنَّ الرَّسُولَ ﷺ نَهَى عَنِ اسْتِخْدَامِ السِّلَاحِ بِغَيْرِ حَاجَةٍ، وَقَالَ: «إِنَّهُ لَا يَكْدِرِي لَعَلَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ فِي يَدِهِ»^(٢) فَيَقَعُ فِي حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ»^(٣).

(١) أخرجه البخاري: (١٣٨/٧)، رقم: (٥٧٧٠)، ومسلم: (٤/١٧٤٣)، رقم: (٢٢٢١).

(٢) قوله: «لعل الشيطان ينزع في يده». أي: يقلعه من يده فيصيب به. وقيل: يشد يده فيصبيه. التوضيح لشرح الجامع الصحيح: (٣٢/٣١٠).

(٣) أخرجه البخاري: (٤٩/٩)، رقم: (٧٠٧٢)، ومسلم: (٤/٢٠٢٠)، رقم: (٢٦١٧).

ثُمَّ صَلُّوا وَسَلِّمُوا عَلَى رَسُولِ الْهُدَى، وَإِمَامِ الْوَرَى، فَقَدْ أَمَرَكُمْ رَبُّكُمْ
فَقَالَ - جَل وَعَلَا -: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى نَبِيِّنَا
مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ، وَارْضَ اللَّهُمَّ عَنِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ،
وَالْأَئِمَّةِ الْمُهَدِّينَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَلِيٍّ، وَعَنِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ، وَعَنَّا
مَعَهُمْ بِعَفْوِكَ وَكَرَمِكَ يَا أَكْرَمَ الْأَكْرَمِينَ.

اللَّهُمَّ أَعِزِّ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَانصِرْ عِبَادَكَ الْمُوَحِّدِينَ الَّذِينَ يَجَاهِدُونَ
فِي سَبِيلِكَ فِي كُلِّ مَكَانٍ، اللَّهُمَّ انصِرْهُمْ عَلَى عَدُوِّكَ وَعَدُوِّهِمْ، اللَّهُمَّ عَلَيْكَ
بِالْيَهُودِ الْمُعْتَدِينَ، وَالنَّصَارَى الْمُحَارِبِينَ، اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِهِمْ؛ فَإِنَّهُمْ لَا
يَعْجِزُونَكَ، اللَّهُمَّ أَحْصِهِمْ عَدَدًا.

اللَّهُمَّ آمِنَّا فِي أَوْطَانِنَا، وَأُصْلِحْ أُمَمَتَنَا وَوَلَاةَ أُمُورِنَا، اللَّهُمَّ وَفِّقْهُمْ لِمَا
يَرْضِيكَ، وَجَنِّبْهُمْ مَعَاصِيكَ.

اللَّهُمَّ تَبْ عَلَى التَّائِبِينَ، وَاهْدِ ضَالَّ الْمُسْلِمِينَ، اللَّهُمَّ رُدِّهِمْ إِلَيْكَ رَدًّا
جَمِيلًا، اللَّهُمَّ ارْفَعْ مَا نَزَلَ مِنَ الْفِتَنِ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِينَا.

عِبَادَ اللَّهِ! ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ
الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠]،
فَاذْكُرُوا اللَّهَ الْعَلِيَّ الْعَظِيمَ يَذْكُرْكُمْ، وَاشْكُرُوهُ عَلَى نِعَمِكُمْ يَزِدْكُمْ، ﴿وَلَذِكْرُ
اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

الموظف المرتشي

الخطبة الأولى:

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ
 أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ
 لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ
 عَلَيْهِ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ، وَمَنْ سَارَ عَلَى نَهْجِهِ، وَاقْتَفَى أَثَرَهُ إِلَى يَوْمِ
 الدِّينِ، وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

أَمَّا بَعْدُ:

فَاتَّقُوا اللَّهَ -أيُّهَا المسلمون- حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَكُونُوا إِلَّا وَأَنْتُمْ
 مُسْلِمُونَ.

مَعَشَرَ الْمُصَلِّينَ: النَّاسُ يَتَحَدَّثُونَ فِي مَجَالِسِهِمْ عَنْ أَكَلَةِ الرِّشْوَةِ فِي
 بَعْضِ الدَّوَائِرِ الْحُكُومِيَّةِ، وَلَا يَكَادُ الْعَاقِلُ يُصَدِّقُ ذَلِكَ، فَمَنْ لَدَيْهِ ذَرَّةٌ
 مِنْ إِيْمَانٍ فَلَا بُدَّ أَنْ يَرُدَّعَهُ إِيْمَانُهُ عَنْ أَكْلِهَا وَأَخْذِهَا، مُوَظَّفٌ اسْتُعْمِلَ عَلَى
 هَذِهِ الْوُظَيْفَةِ، وَالَّذِي يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يَقُومَ بِإِنْهَاءِ مُعَامَلَاتِ النَّاسِ، وَيَأْخُذُ
 عَلَى عَمَلِهِ رَاتِبًا، وَمَعَ هَذَا يَشْتَرِطُ إِمَّا لَفْظًا وَإِمَّا سُلُوكًا وَتَعْقِيدًا
 لِلْمُرَاجِعِينَ؛ لِيَدْفَعُوا لَهُ مَبْلَغًا مَالِيًّا؛ لِيَتَحَرَّكَ مِنْ كُرْسِيِّهِ وَيَقُومَ بِعَمَلِهِ،
 يَتَوَانَى فِي الْقِيَامِ بِعَمَلِهِ؛ حَتَّى يَضْطَرَّ النَّاسُ إِلَى بَذْلِ الرِّشْوَةِ.

أَلَا فَلْيَعْلَمَ -بِكُلِّ وُضُوحٍ- أَنَّ مَنْ يَأْخُذُ مِنْ مُرَاجِعِيهِ مَالًا أَوْ خِدْمَةً لِيُنْهِيَ مَعَامَلَاتِهِمْ فَإِنَّهُ مَلْعُونٌ مَطْرُودٌ بِلِسَانِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَدْ رَوَى ابْنُ حَبَّانَ فِي صَحِيحِهِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «لَعَنَ اللَّهُ الرَّاشِيَّ وَالْمُرْتَشِيَّ»^(١)، وَكَذَلِكَ لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الَّذِي بَيْنَهُمَا -وَهُوَ الْوَسِيطُ- الَّذِي يَكُونُ بَيْنَ الْمُوظَّفِ الْآخِذِ وَبَيْنَ الدَّافِعِ، وَسَمَّاهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الرَّائِشَ، كَمَا رَوَاهُ الْحَاكِمُ فِي مُسْتَدْرَكِهِ وَصَحَّحَهُ، عَنْ ثَوْبَانَ رضي الله عنه: عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَعَنَ اللَّهُ الرَّاشِيَّ وَالْمُرْتَشِيَّ وَالرَّائِشَ الَّذِي يَمْشِي بَيْنَهُمَا»^(٢)، وَلَقَدْ قَالَ اللَّهُ فِي وَصْفِ الْيَهُودِ وَذَمِّهِمْ: ﴿سَمِعُونَ لِلْكَذِبِ أَكْثَرُونَ لِلسَّخْتِ﴾ [المائدة: ٤٢]، قَالَ الْحَسَنُ وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: السُّخْتُ هُوَ الرِّشْوَةُ^(٣).

وَرَوَى الْبَيْهَقِيُّ فِي شُعَبِ الْإِيمَانِ عَنْ مَسْرُوقٍ قَالَ: سَأَلْتُ عَبْدَ اللَّهِ -يَعْنِي ابْنَ مَسْعُودٍ- عَنِ السُّخْتِ فَقَالَ الرَّشَاءُ^(٤). قَالَ الْقُرْطُبِيُّ: وَلَا خِلَافَ بَيْنَ السَّلَفِ أَنَّ أَخْذَ الرِّشْوَةِ عَلَى إِبْطَالِ حَقِّ أَوْ مَا لَا يَجُوزُ سُخْتُ حَرَامٌ^(٥).
وَلْيَعْلَمَ أَنَّهُ إِنْ سَتَرَ فِي الدُّنْيَا، وَلَمْ يُعْلَمْ عَنْهُ؛ فَإِنَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَفْضُوحٌ أَمَامَ الْأَشْهَادِ.

(١) أخرجه ابن حبان: (٤٦٨/١١)، رقم (٥٠٧٧)، والطبراني: (٣٨٤/١٣)، رقم (١٤٢٠٢).

(٢) أخرجه أحمد: (٢٧٩/٥)، رقم (٢٢٧٦٢)، والحاكم: (١١٥/٤)، رقم (٧٠٦٨).

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في التفسير: (١١٣٥/٤)، رقم (٦٣٨٤).

(٤) أخرجه الطبراني في الدعاء: (٥٨٠/١)، رقم (٢١٠٣)، وفي الكبير: (٢٢٥/٩)، رقم (٩٠٩٨).

والبيهقي في الشعب: (٣٥٥/٧)، رقم (٥١١٦).

(٥) تفسير القرطبي: (١٨٣/٦).

وَتَأْمَلُوا هَذَا الْحَدِيثَ وَهَذَا النَّذِيرَ لِكُلِّ مَنْ يَأْخُذُ هَذِهِ الرَّشَا، وَيَأْكُلُ
 الْأَمْوَالَ بِالْحَرَامِ كَمَا جَاءَ فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ:
 قَامَ فِينَا النَّبِيُّ ﷺ فَذَكَرَ الْغُلُولَ فَعَظَّمَهُ وَعَظَّمَ أَمْرَهُ، قَالَ: «لَا أُلْفِينَ»^(١)
 أَحَدَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رَقَبَتِهِ شَاةٌ لَهَا ثُغَاءٌ^(٢)» أَي: قَدْ أَخَذَهَا بِغَيْرِ حَقٍّ
 «عَلَى رَقَبَتِهِ فَرَسٌ لَهُ حَمْحَمَةٌ»^(٣) يَقُولُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَغْنِنِي، فَأَقُولُ: لَا أَمْلِكُ
 لَكَ شَيْئًا، قَدْ أَبْلَغْتُكَ، وَعَلَى رَقَبَتِهِ بَعِيرٌ لَهُ رُغَاءٌ^(٤) يَقُولُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ
 أَغْنِنِي، فَأَقُولُ: لَا أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا، قَدْ أَبْلَغْتُكَ، وَعَلَى رَقَبَتِهِ صَامِتٌ» أَيِ
 الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ «فَيَقُولُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَغْنِنِي، فَأَقُولُ: لَا أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا،
 قَدْ أَبْلَغْتُكَ، أَوْ عَلَى رَقَبَتِهِ رِقَاعٌ تَخْفُقُ» وَهِيَ الثِّيَابُ «فَيَقُولُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ
 أَغْنِنِي، فَأَقُولُ: لَا أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا، قَدْ أَبْلَغْتُكَ»^(٥). قَالَ الْقَاضِي: (مَعْنَى:
 «لَا أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا»، أَي: مِنَ الْمَغْفِرَةِ وَالشَّفَاعَةِ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ تَعَالَى)^(٦)،
 وَقَالَ الْقُرْطُبِيُّ: (يَأْتِي بِهِ مُعَذَّبًا بِحِمْلِهِ وَثِقَلِهِ، وَمَرْعُوبًا بِصَوْتِهِ، وَمُؤَبَّخًا
 بِإِظْهَارِ خِيَانَتِهِ عَلَى رُءُوسِ الْأَشْهَادِ)^(٧).

(١) أَي: أَجْدَ وَأَلْقَى. النِّهَايَةُ (لِفَا).

(٢) الثُّغَاءُ: صِيَاغُ الْغَنَمِ. النِّهَايَةُ (ثُغَا).

(٣) الْحَمْحَمَةُ: صَوْتُ دَوْنِ الصَّهِيلِ. النِّهَايَةُ (حَمَحَم).

(٤) هُوَ صَوْتُ الْإِبِلِ. النِّهَايَةُ (رُغَا).

(٥) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ: (٤/ ٧٤، رَقْم ٣٠٧٣)، وَمُسْلِمٌ: (٣/ ١٤٦١، رَقْم ١٨٣١).

(٦) انْظُرْ: شَرْحُ النَّوَوِيِّ عَلَى صَحِيحِ مُسْلِمٍ: (١٢/ ٢١٧).

(٧) تَفْسِيرُ الْقُرْطُبِيِّ: (٤/ ٢٥٦).

أَيُّ عَاقِلٍ يَرِيدُ أَنْ يَكُونَ مَوْقِفُهُ كَمَوْقِفِ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَقُولُ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا»؟! أَيُّ عَاقِلٍ يَرِيدُ أَنْ تَظْهَرَ فُضِيحَتُهُ أَمَامَ الْأَشْهَادِ مِنْ أَجْلِ بَضْعَةِ آلَافٍ لَعَلَّهُ يُنْفِقُهَا فِي سَاعَةٍ وَتَزُولُ وَيَبْقَى الْحَرَامُ وَعُقُوبَتُهُ؟!

انْظُرْ إِلَى هَذَا الْعَمَلِ الْوَاحِدِ وَإِلَى آثَارِهِ، صَاحِبُهُ مَلْعُونٌ مَطْرُودٌ، وَصَاحِبُهُ يَتَبَرَّأُ مِنْهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَصَاحِبُهُ يُفْضَحُ أَمَامَ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

وَقَدْ لَبَسَ الشَّيْطَانُ عَلَى النَّاسِ فَسَمَّوْهَا هَدِيَّةً، وَقَدْ حَسَمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هَذَا الْأَمْرَ فِي قِصَّةٍ وَاضِحَةٍ حَازِمَةٍ فِي الْمَوْظِفِينَ لِلدَّوْلَةِ؛ جَاءَ فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ أَبِي حُمَيْدٍ السَّاعِدِيِّ قَالَ: اسْتَعْمَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَجُلًا عَلَى صَدَقَاتِ بَنِي سُلَيْمٍ يُدْعَى ابْنُ اللَّتْبِيَّةِ، فَلَمَّا جَاءَ حَاسِبُهُ قَالَ: هَذَا مَالُكُمْ، وَهَذَا هَدِيَّةٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فَهَلَّا جَلَسْتَ فِي بَيْتِ أَبِيكَ وَأُمِّكَ حَتَّى تَأْتِيَكَ هَدِيَّتُكَ إِنْ كُنْتَ صَادِقًا»، ثُمَّ خَطَبَنَا فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي أَسْتَعْمِلُ الرَّجُلَ مِنْكُمْ عَلَى الْعَمَلِ مِمَّا وَلَانِي اللَّهُ، فَيَأْتِيَنِي فَيَقُولُ: هَذَا مَالُكُمْ، وَهَذَا هَدِيَّةٌ أُهْدِيَتْ لِي، أَفَلَا جَلَسَ فِي بَيْتِ أَبِيهِ وَأُمِّهِ حَتَّى تَأْتِيَهُ هَدِيَّتُهُ، وَاللَّهِ لَا يَأْخُذُ أَحَدٌ مِنْكُمْ شَيْئًا بَغَيْرِ حَقِّهِ إِلَّا لَقِيَ اللَّهَ يَحْمِلُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَلَا عَرَفَنَ أَحَدًا مِنْكُمْ لَقِيَ اللَّهَ يَحْمِلُ بَعِيرًا لَهُ رُغَاءٌ، أَوْ بَقَرَةً لَهَا خَوَارٌ^(١)، أَوْ شَاةً تَيْعَرُ^(٢)» ثُمَّ رَفَعَ يَدَهُ حَتَّى رُئِيَ

(١) هو صوت البقر. النهاية (خور).

(٢) أي: تصيح. انظر: النهاية (بعر).

بَيَاضُ إِبْطِهِ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ هَلْ بَلَغْتُ»^(١). قال النووي: وفي هذا الحديث بيان أن هدايا العَمَالِ - أي المُوَظَّفِينَ - حرامٌ وغلُولٌ؛ لأنَّه خَانَ فِي وِلَايَتِهِ وَأَمَانَتِهِ، ولهذا ذُكِرَ فِي الْحَدِيثِ فِي عَقُوبَتِهِ وَحَمْلِهِ مَا أُهْدَى إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَمَا ذُكِرَ مِثْلُهُ فِي الْغَالِ، وَقَدْ بَيَّنَّ ﷺ فِي نَفْسِ الْحَدِيثِ السَّبَبَ فِي تَحْرِيمِ الْهَدِيَّةِ عَلَيْهِ، وَأَنَّهَا بِسَبَبِ الْوَلَايَةِ؛ بِخِلَافِ الْهَدِيَّةِ لَغَيْرِ الْعَامِلِ فَإِنَّهَا مُسْتَحَبَّةٌ^(٢).

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتَذَلُّوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٨].

بَارَكَ اللَّهُ لِي وَلَكُمْ فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، وَنَفَعَنِي -وَيَاكُمْ- بِمَا فِيهِ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ، أَقُولُ مَا سَمِعْتُمْ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ لِي وَلَكُمْ وَلِسَائِرِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ وَخَطِيئَةٍ، فَاسْتَغْفِرُوهُ وَتُوبُوا إِلَيْهِ، إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ.

الخطبة الثانية:

الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى إِحْسَانِهِ، وَالشُّكْرُ عَلَى تَوْفِيقِهِ وَامْتِنَانِهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى لِسَانَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الدَّاعِي إِلَى جَنَّتِهِ وَرِضْوَانِهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَأَعْوَانِهِ.

(١) أخرجه البخاري: (٢٨/٩)، رقم ٦٩٧٩، ومسلم: (٣/١٤٦٣)، رقم ١٨٣٢.

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم: (٢١٩/١٢).

أَمَّا بَعْدُ:

مَعَاشِرَ الإِخْوَةِ: إِنَّ الرِّشْوَةَ فسادٌ في المَجْتَمَعِ، وتَضْيِيعٌ للأمانة، وظُلْمٌ للنَّفْسِ، يَظْلِمُ الرّاشِي نَفْسَهُ بِبَذْلِ المَالِ؛ لِنَيْلِ الباطلِ، وَيَظْلِمُ الْمُرتَشِي نَفْسَهُ بِالمُحَابَاةِ في أَحكامِ الله، يَأْكُلُ كُلُّ مَنُهَا ما لَيْسَ مِنْ حَقِّهِ، وَيَكْتَسِبُ حرامًا لا يَنْفَعُهُ؛ بَلْ يَضُرُّهُ، وَيَسْحَتُ مَالُهُ، أَوْ بَرَكَةُ مَالِهِ إِنْ بَقِيَ المَالُ.

إِنَّ مِنْ أَعْظَمِ ما ابْتُلِيَ بِهِ ابنُ آدَمَ هُوَ فِي هَذَا المَالِ وَكَسْبِهِ، فَهُوَ مِنْ أَعْظَمِ الأسبابِ وَأَكْثَرِها لِلإِثْمِ ودُخُولِ النارِ، فَالعَاقِلُ هُوَ مَنْ حَزَمَ أَمْرَهُ ودَقَّقَ فِي كَسْبِهِ ودَفَعِهِ، وَقَدْ رَوَى البخاريُّ في صَحِيحِهِ عَنْ خَوْلَةَ الأَنْصَارِيَّةِ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ رِجَالًا يَتَخَوَّضُونَ فِي مَالِ اللَّهِ ^(١) بَغَيْرِ حَقٍّ، فَلَهُمُ النَّارُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» ^(٢). وَرواه الترمذي في سُنَنِهِ بَلْفَظٍ: «إِنَّ هَذَا المَالُ خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ، مَنْ أَصَابَهُ بِحَقِّهِ بُورِكَ لَهُ فِيهِ، وَرَبٌّ مُتَخَوِّضٍ فِيهَا شَاءَتْ بِهِ نَفْسُهُ مِنْ مَالِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ لَيْسَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا النَّارُ» ^(٣).

قال الشيخُ ابنُ عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: (إِنَّ الرِّشْوَةَ تكونُ في الوظائفِ والمسابقةِ فيها، فيَقْدَمُ مَنْ أَجْلَها مَنْ لا يَنْجَحُ، أَوْ تُعْطَى لَهُ أَسْئَلَةُ المِسابِقَةِ

(١) أي: يتصرفون في مال المسلمين بالباطل. فتح الباري: (٦/٢١٩).

(٢) أخرجه البخاري: (٤/٨٥، رقم ٣١١٨).

(٣) أخرجه أحمد: (٦/٣٧٨، رقم ٢٧٦٦٥)، والترمذي: (٤/٥٨٧، رقم ٢٣٧٤)، وقال: هذا

حديث حسن صحيح.

قَبْلَ الامْتِحَانِ، فَيُوَلَّى الْوُضِيفَةَ مَنْ غَيْرُهُ أَحَقُّ مِنْهُ، وَفِي الْحَدِيثِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - كَمَا عِنْدَ الْحَاكِمِ - أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ اسْتَعْمَلَ رَجُلًا مِنْ عِصَابَةٍ» - أَيْ مِنْ طَائِفَةٍ - «وَفِي تِلْكَ الْعِصَابَةِ مَنْ هُوَ أَرْضَى اللَّهُ مِنْهُ؛ فَقَدْ خَانَ اللَّهَ، وَخَانَ رَسُولَهُ، وَخَانَ الْمُؤْمِنِينَ»^(١). وَإِنَّ الرِّشْوَةَ تَكُونُ فِي تَنْفِيزِ الْمَشَارِيعِ، يَنْزِلُ مَشْرُوعُ عَمَلٍ فِي الْمُنَاقَصَةِ، فَيَبْذُلُ أَحَدُ الْمُتَقَدِّمِينَ رِشْوَةً، فَيَرْسُوَ الْمَشْرُوعُ عَلَيْهِ، مَعَ أَنَّ غَيْرَهُ أَنْصَحُ قَضَاءً، وَأَنْقَنُ عَمَلًا؛ وَلَكِنَّ الرِّشْوَةَ عَمَلَتْ عَمَلَهَا. وَإِنَّ الرِّشْوَةَ تَكُونُ فِي التَّحْقِيقَاتِ الْجَنَائِيَّةِ، أَوِ الْحَوَادِثِ، أَوْ غَيْرِهَا، فَيَتَسَاهَلُ الْمُحَقِّقُونَ فِي التَّحْقِيقِ مِنْ أَجْلِ الرِّشْوَةِ، أَوْ يَتَسَاهَلُ الْمُرَاقِبُ فِي مُرَاقَبَةِ الطَّالِبِ مِنْ أَجْلِهَا، فَيَتَقَدَّمُ هَذَا الطَّالِبُ - مَعَ ضَعْفِ مَسْتَوَاهِ الْعِلْمِيِّ -، وَيَتَأَخَّرُ مَنْ هُوَ أَحَقُّ مِنْهُ؛ لِقُوَّةِ مَسْتَوَاهِ الْعِلْمِيِّ).

وَمَنْ أَخَذَ مِنْ هَذِهِ الرِّشَا شَيْئًا فَلْيَتُبْ إِلَى اللَّهِ، وَلْيُرِدِّهَا إِلَى أَصْحَابِهَا، وَإِلَى مَنْ أَهْدَاهُ، فَإِنْ تَعَذَّرَ فَلْيُؤْتِ الْمَالَ، وَقَدْ وَضَعَتِ الدَّوْلَةُ حِسَابًا بَنَكِيًّا لِرَدِّ الْأَمَانَاتِ، فَاعْتَنِمِ الْعُمُرَ، وَبَادِرْ بِتَخْلِصِ نَفْسِكَ قَبْلَ فَوَاتِ الْأَوَانِ، وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ.

ثُمَّ صَلُّوا وَسَلِّمُوا عَلَى رَسُولِ الْهُدَى، وَإِمَامِ الْوَرَى، فَقَدْ أَمَرَكُمُ رَبُّكُمْ فَقَالَ - جَل وَعَلَا -: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ، وَارْضَ اللَّهُمَّ عَنِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ،

(١) أخرجه الحاكم: (٤/ ١٠٤، رقم ٧٠٢٣)، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه.

وَالْأُتَمَّةَ الْمُهْدِيَّينَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَلِيًّا، وَعَنِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ، وَعَنَّا
مَعَهُمْ بِعَفْوِكَ وَكَرَمِكَ يَا أَكْرَمَ الْأَكْرَمِينَ.

اللَّهُمَّ أعِزَّ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَانصِرْ عِبَادَكَ الْمُوَحِّدِينَ الَّذِينَ يَجَاهِدُونَ
فِي سَبِيلِكَ فِي كُلِّ مَكَانٍ، اللَّهُمَّ انصِرْهُمْ عَلَى عَدُوِّكَ وَعَدُوِّهِمْ، اللَّهُمَّ عَلَيْكَ
بِالْيَهُودِ الْمُعْتَدِينَ، وَالنَّصَارَى الْمُحَارِبِينَ، اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِهِمْ؛ فَإِنَّهُمْ لَا
يَعْجِزُونَكَ، اللَّهُمَّ أَحْصِهِمْ عَدَدًا.

اللَّهُمَّ آمِنَّا فِي أَوْطَانِنَا، وَأُصْلِحْ أَيْمَتَنَا وَوُلاةَ أُمُورِنَا، اللَّهُمَّ وَفِّقْهُمْ لِمَا
يَرْضِيكَ، وَجَنِّبْهُمْ مَعَاصِيكَ.

اللَّهُمَّ تَبْ عَلَى التَّائِبِينَ، وَاهْدِ ضَالَّ الْمُسْلِمِينَ، اللَّهُمَّ رُدَّهُمْ إِلَيْكَ رَدًّا
جَمِيلًا، اللَّهُمَّ ارْفَعْ مَا نَزَلَ مِنَ الْفِتَنِ.
اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِينَا.

عِبَادَ اللَّهِ! ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ
الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠]،
فَاذْكُرُوا اللَّهَ الْعَلِيَّ الْعَظِيمَ يَذْكُرْكُمْ، وَاشْكُرُوا عَلَى نِعْمَتِهِ يَزِدْكُمْ، ﴿وَلَذِكْرُ
اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

الانبهار بالغرب

الخطبة الأولى:

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ
أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ
لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ، وَمَنْ سَارَ عَلَى نَهْجِهِ، وَاقْتَفَى أَثَرَهُ إِلَى يَوْمِ
الدِّينِ، وَسَلَّمَتْ سُلَيْمًا كَثِيرًا.

أَمَّا بَعْدُ :

فَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ: ﴿وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ﴾ (١٣٢) أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَمِ وَبَيْنِ
(١٣٢) وَجَّهَتْ وَعُيُونٍ ﴿[الشعراء: ١٣٢-١٣٤].

مَعَشَرَ الْإِخْوَةِ: إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا، وَأَوْدَعَ فِيهَا مِنَ الْمَتَعِ
وَالْمَلَذَاتِ وَالشَّهَوَاتِ مَا تَجْعَلُهُ أُسِيرًا لَهَا، مُوَلِّعًا بِهَا، زِينَتًا وَبَهْرَجًا^(١) لَا
يَكَادُ يُفَارِقُ الْحَاطِرَ، وَإِذَا مَا رَأَى مَنْ أُعْطِيَ شَيْئًا مِنْهَا انْبَهَرَ إِعْجَابًا،
وَتَعَاضَمَتِ الدُّنْيَا فِي عَيْنِهِ، وَطَارَ لُبُّهُ وَعَقْلُهُ وَتَرَكِيزُهُ؛ وَلِهَذَا تُصْبِحُ هَذِهِ
الْحَيَاةُ عِنْدَهُ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ هِيَ هَذِهِ الْمُتَعَةُ، وَكَيْفَ يَحْصُلُ عَلَيْهَا، وَيَتَسَلَّلُ
إِلَى قَلْبِهِ الْحَرْمَانُ، وَمَعَانِي الْإِحْبَاطِ.

(١) البهرج: الباطل، وهو فارسي مُعَرَّب. معجم ديوان الأدب للفارابي (٢/ ٢٣).

وقد قَصَّ اللهُ لَنَا قِصَّةَ مَنْ أَنْبَهَرَ مِنْ مُتَعِ قَارُونَ؛ حينما خَرَجَ ذَاتَ يَوْمٍ فِي زِينَتِهِ، وَبِحَالَةٍ مِنْ أَرْفَعِ مَا يَكُونُ مِنْ أَحْوَالِ دُنْيَاهُ، وَقَدْ اسْتَعَدَّ وَتَجَمَّلَ بِأَعْظَمِ مَا يُمَكِّنُهُ، وَتِلْكَ الزَّيْنَةُ - فِي الْعَادَةِ - مِنْ مِثْلِهِ تَكُونُ هَائِلَةً، جَمَعَتْ زِينَةَ الدُّنْيَا وَزَهْرَتَهَا وَبَهْجَتَهَا وَغَضَارَتَهَا وَفَخْرَهَا، فَرَمَقَتْهُ^(١) فِي تِلْكَ الْحَالَةِ الْعَيُونُ، وَمَلَأَتْ بَرَزُهُ^(٢) الْقُلُوبَ، وَاخْتَلَبَتْ^(٣) زِينَتُهُ النُّفُوسَ، فَانْقَسَمَ فِيهِ النَّاظِرُونَ قِسْمَيْنِ، كُلٌّ تَكَلَّمَ بِحَسَبِ مَا عِنْدَهُ مِنَ الْهِمَّةِ وَالرَّغْبَةِ:

فَأَمَّا الْقِسْمُ الْأَوَّلُ: فَهُمْ الَّذِينَ قَالَ اللهُ عَنْهُمْ: ﴿قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ أَيُّ: الَّذِينَ تَعَلَّقَتْ إِرَادَتُهُمْ بِهَا، وَصَارَتْ مُنْتَهَى رَغْبَتِهِمْ، لَيْسَ لَهُمْ إِرَادَةٌ فِي سِوَاهَا، ﴿يَلْبِثَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ﴾ مِنْ الدُّنْيَا وَمَتَاعِهَا وَزَهْرَتِهَا ﴿إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [القصص: ٧٩]، وَصَدَقُوا، إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ، لَوْ كَانَ الْأَمْرُ مُنْتَهِيًا إِلَى رَغْبَاتِهِمْ، وَأَنَّهُ لَيْسَ وَرَاءَ الدُّنْيَا دَارٌ أُخْرَى، فَإِنَّهُ قَدْ أُعْطِيَ مِنْهَا مَا بِهِ غَايَةُ التَّنَعُّمِ بِنَعِيمِ الدُّنْيَا، وَاقْتَدَرَ بِذَلِكَ عَلَى جَمِيعِ مَطَالِبِهِ، فَصَارَ هَذَا الْحَظُّ الْعَظِيمُ، بِحَسَبِ هِمَّتِهِمْ.

وَأِنْ هِمَّةً جَعَلَتْ هَذَا غَايَةَ مُرَادِهَا، وَمُنْتَهَى مَطْلَبِهَا؛ لَمِنْ أَدْنَى الْهِمَمِ وَأَسْفَلِهَا، وَلَيْسَ لَهَا أَدْنَى صُعُودٍ إِلَى الْمُرَادَاتِ الْعَالِيَةِ، وَالْمَطَالِبِ الْغَالِيَةِ.

وَأَمَّا الْقِسْمُ الثَّانِي مِنَ النَّاظِرِينَ: فَهُمْ ﴿الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ الَّذِينَ

(١) يقال: رمقه ببصره: أتبعه بصره يتعهده. المعجم الوسيط (رمق).

(٢) البزة: الهيئة. المعجم الوسيط (بزز).

(٣) أي: خدعته وفتنت قلبه. المعجم الوسيط (خلب).

عَرَفُوا حَقَائِقَ الْأَشْيَاءِ، وَنَظَرُوا إِلَى بَاطِنِ الدُّنْيَا، حِينَ نَظَرَ أُولَئِكَ إِلَى ظَاهِرِهَا: فَقَالُوا لِلْقِسْمِ الْأَوَّلِ مِنَ النَّازِلِينَ ﴿وَيَلَكُمْ﴾ مُتَوَجِّعِينَ مِمَّا تَمَنَّوْا لَأَنْفُسِهِمْ، رَاثِينَ لِحَالِهِمْ^(١)، مُنْكَرِينَ لِمَقَالِهِمْ: ﴿ثَوَابُ اللَّهِ﴾ الْعَاجِلُ: مِنْ لَذَةِ الْعِبَادَةِ، وَمَحَبَّتِهِ، وَالْإِنَابَةُ إِلَيْهِ، وَالْإِقْبَالُ عَلَيْهِ، وَالْأَجَلُ: مِنَ الْجَنَّةِ وَمَا فِيهَا، مِمَّا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ بِهِ الْأَعْيُنُ ﴿خَيْرٌ﴾ [القصص: ٨٠] مِنْ هَذَا الَّذِي تَمَنَّيْتُمْ وَرَغِبْتُمْ فِيهِ، فَهَذِهِ حَقِيقَةُ الْأَمْرِ، وَلَكِنْ؛ مَا كُلُّ مَنْ يَعْلَمُ ذَلِكَ يُؤَثِّرُ الْأَعْلَى عَلَى الْأَدْنَى، فَمَا يُلْقَى ذَلِكَ وَيُوفَّقُ لَهُ إِلَّا الصَّابِرُونَ، الَّذِينَ حَبَسُوا أَنْفُسَهُمْ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ، وَعَنْ مَعْصِيَتِهِ، وَعَلَى أَقْدَارِهِ الْمُؤَلَّةِ، وَصَبَرُوا عَلَى جَوَائِبِ الدُّنْيَا وَشَهَوَاتِهَا، أَنْ تَشْغَلَهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ، وَأَنْ تَحُولَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا خُلِقُوا لَهُ، فَهَؤُلَاءِ هُمُ الَّذِينَ يُؤَثِّرُونَ ثَوَابَ اللَّهِ عَلَى الدُّنْيَا الْفَانِيَةِ^(٢).

إِنَّا -وَبِكُلِّ أَسْفٍ- نَرَى كَثِيرًا مِنَّا حِينَمَا يَتَعَامَلُ مَعَ الدُّنْيَا فَإِنَّهُ يَتَعَامَلُ مَعَهَا كَمَا الْمَفْتُونُ، الْمَأْسُورُ بِهَوَاهَا، وَكَأَنَّمَا هِيَ غَايَةُ الْمَرْءِ، فَإِذَا لَمْ تَسْتَقِمْ مَعَهُ؛ صَارَ آيِسًا، مُتَوَجِّعًا، مُتَبَرِّمًا، وَيَنْسَى ﴿وَيَلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ [القصص: ٨٠]، وَيَنْسَى قَوْلَ الرَّسُولِ ﷺ: «فَاتَّقُوا الدُّنْيَا»^(٣) كَمَا فِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ».

وَرَسُولُنَا ﷺ لَمْ يَقُلْ (اتْرُكُوا الدُّنْيَا)؛ وَلَكِنْ قَالَ اتَّقَوْهَا، أَيِ:

(١) يقال: رثى لحاله: إِذَا رَقَّ لَهُ. انظر: المعجم الوسيط (رثى).

(٢) تفسير السعدي.

(٣) أخرجه مسلم: (٤/ ٢٠٩٨ رقم ٢٧٤٢).

احذروا منها، وانتبهوا لحفَايَا نُفُوسِكُمْ وخيانتِها أَنْ تَسْتَدْرِجَكُمُ إِلَى مُتَعِهَا عَنْ طَرِيقِ الْحَرَامِ.

فِي كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ تَسْتَهْوِي زِينَةُ الْأَرْضِ بَعْضَ الْقُلُوبِ، وَتَبْهَرُ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا، وَلَا يَتَطَلَّعُونَ إِلَى مَا هُوَ أَعْلَى وَأَكْرَمُ مِنْهَا؛ فَلَا يَسْأَلُونَ بِأَيِّ ثَمَنِ اشْتَرَى صَاحِبُ الزَّيْنَةِ زِينَتَهُ، وَلَا بِأَيِّ الْوَسَائِلِ نَالَ مَا نَالَ مِنْ عَرَضِ الْحَيَاةِ، مِنْ مَالٍ أَوْ مَنْصِبٍ أَوْ جَاهٍ. وَمِنْ ثَمَّ تَتَهَافَتُ نُفُوسُهُمْ وَتَتَهَاوَى، كَمَا يَتَهَافَتُ الذُّبَابُ عَلَى الْحُلُوى وَيَتَهَاوَى! وَيَسِيلُ لُعَابُهُمْ عَلَى مَا فِي أَيْدِي الْمُخْطُوطِينَ مِنْ مَتَاعٍ، غَيْرِ نَاطِرِينَ إِلَى الثَّمَنِ الْبَاهِظِ الَّذِي أَدَّوهُ، وَلَا إِلَى الطَّرِيقِ الدَّنَسِ الَّذِي خَاضُوهُ، وَلَا إِلَى الْوَسِيلَةِ الْخَسِيسَةِ الَّتِي اتَّخَذُوهَا.

فَأَمَّا الْمُتَصِلُونَ بِاللَّهِ؛ فَلَهُمْ مِيزَانٌ آخَرُ يُقَيِّمُ الْحَيَاةَ، وَفِي نُفُوسِهِمْ قِيَمٌ أُخْرَى غَيْرُ قِيَمِ الْمَالِ وَالزَّيْنَةِ وَالْمَتَاعِ. وَهُمْ أَعْلَى نَفْسًا، وَأَكْبَرُ قَلْبًا مِنْ أَنْ يَتَهَاوَوْا وَيَتَصَاغَرُوا أَمَامَ قِيَمِ الْأَرْضِ جَمِيعًا. وَلَهُمْ مِنْ اسْتِعْلَائِهِمْ بِاللَّهِ عَاصِمٌ مِنَ التَّخَاذُلِ أَمَامَ جَاهِ الْعِبَادِ. وَهَؤُلَاءِ هُمُ ﴿الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾، الْعِلْمُ الصَّحِيحُ الَّذِي يُقَوِّمُونَ بِهِ الْحَيَاةَ حَقَّ التَّقْوِيمِ.

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ: ﴿زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَقَابِ﴾ [آل عمران: ١٤].

بَارَكَ اللهُ لِي وَلَكُمْ فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، وَنَفَعَنِي -وَيَاكُمْ- بِمَا فِيهِ مِنَ
الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ.
أَقُولُ مَا سَمِعْتُمْ، وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ الْعَظِيمَ لِي وَلَكُمْ وَلِسَائِرِ الْمُسْلِمِينَ
مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ وَخَطِيئَةٍ، فَاسْتَغْفِرُوهُ وَتُوبُوا إِلَيْهِ، إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ.

الْخُطْبَةُ الثَّانِيَّةُ:

الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى إِحْسَانِهِ، وَالشُّكْرُ عَلَى تَوْفِيقِهِ وَامْتِنَانِهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا
إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى لِسَانَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الدَّاعِي إِلَى جَنَّتِهِ
وَرِضْوَانِهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَأَعْوَانِهِ.
أَمَّا بَعْدُ:

مَعَاشِرَ الْمُصَلِّينَ: وَمَنْ بَيْنَ الْإِنْبِهَارِ بِمُتَعِ الدُّنْيَا: الْإِنْبِهَارُ بِحَضَارَةِ
الْغَرْبِ، وَالْهَزِيمَةُ النَّفْسِيَّةُ الَّتِي يَعِيشُهَا بَعْضُ مَنْ تَأَثَّرَ بِهِمْ، وَأَسْرَتَهُمْ
بِمُتَعِهَا، لَيْسَ مِنَ الْمُنْطَقِيِّ أَبَدًا أَنْ يَكُونَ الْحُكْمُ وَالْإِنْبِهَارُ مِنْ خِلَالِ
التَّطَوُّرِ وَالْأَدَوَاتِ؛ بَعِيدًا عَنْ أُسَاسَيْنِ مُهِمَّيْنِ، وَمُكَوِّنَيْنِ كَبِيرَيْنِ فِي
التَّقْيِيمِ؛ أَلَا وَهُمَا: الْإِنْسَانُ وَالْمَجْتَمَعُ؛ أَمَّا الْمَادَّةُ وَالطَّبِيعَةُ وَالصَّنَاعَةُ فَقَدْ
أَخْبَرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَنَّهُمْ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، قَدْ تَوَجَّهَتْ قُلُوبُهُمْ
وَأَهْوَاؤُهُمْ وَإِرَادَاتُهُمْ إِلَى الدُّنْيَا وَشَهَوَاتِهَا وَحُطَامِهَا، فَعَمِلَتْ لَهَا، وَسَعَتْ
وَأَقْبَلَتْ بِهَا وَأَدْبَرَتْ، وَغَفَلَتْ عَنِ الْآخِرَةِ؛ فَلَا الْجَنَّةَ تَشْتَاقُ إِلَيْهَا، وَلَا
النَّارَ تَخَافُهَا وَتَخْشَاهَا، وَلَا الْمَقَامَ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَلِقَاءَهُ يُرَوِّعُهَا وَيُزْعِجُهَا،
وَهَذَا عَلَامَةُ الشَّقَاءِ، وَعُنْوَانُ الْغَفْلَةِ عَنِ الْآخِرَةِ.

وَمِنَ الْعَجَبِ أَنَّ هَذَا الْقِسْمَ مِنَ النَّاسِ قَدْ بَلَغَتْ بكَثِيرٍ مِنْهُمْ الْفِطْنَةُ
وَالذِّكَاءُ فِي ظَاهِرِ الدُّنْيَا إِلَى أَمْرِ يُحَيِّرُ الْعُقُولَ، وَيُدْهِشُ الْأَلْبَابَ. وَأَظْهَرُوا
مِنَ الْعَجَائِبِ الذَّرِّيَّةَ وَالْكَهْرِبَائِيَّةَ، وَالْمَرَاقِبَ الْبَرِّيَّةَ وَالْبَحْرِيَّةَ وَالْهَوَائِيَّةَ؛ مَا
فَأُقُوا بِهِ وَبَرَزُوا، وَأُعْجَبُوا بِعُقُوبِهِمْ، وَرَأَوْا غَيْرَهُمْ عَاجِزًا عَمَّا أَقْدَرَهُمُ اللَّهُ
عَلَيْهِ، فَنَظَرُوا إِلَيْهِمْ بَعَيْنِ الْاِحْتِقَارِ وَالْاِزْدِرَاءِ، وَهُمْ -مَعَ ذَلِكَ- أَبْلَدُ
النَّاسِ فِي أَمْرِ دِينِهِمْ، وَأَشَدُّهُمْ غَفْلَةً عَنْ آخِرَتِهِمْ، وَأَقْلَهُهُمْ مَعْرِفَةً
بِالْعَوَاقِبِ، فَأَيْنَ الْإِنْسَانُ، وَأَيْنَ الْمُجْتَمَعُ؟!

فَلَمْ تُثْمِرْ فِي مُجْتَمَعَاتِهِمْ إِلَّا هُبُوطَ الْأَخْلَاقِ، وَأَسْبَابَ الْفَنَاءِ
وَالْتَدْمِيرِ وَالْحُرُوبِ، أَيْنَ الْإِنْسَانُ مِنْ هَذِهِ الْحَضَارَةِ؟!

هَلْ نَتَكَلَّمُ عَنْ حَالَاتِ الْقَتْلِ وَالْاِعْتِدَاءِ وَأَعْدَادِهَا فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ،
أَمْ عَنْ حَالَاتِ الْخَطْفِ وَالْجَرِيمَةِ وَالسَّرِقَةِ، أَمْ نَتَكَلَّمُ عَنِ التَّفَكُّكِ
الْأَسْرِيِّ لِلْعَائِلَةِ وَالْقَطِيعَةِ وَدَوْرِ الْعَجْزَةِ وَالْمُنْبُذِينَ؟!

أَيْنَ أَخْلَاقِيَّاتُ الْإِنْسَانِ فِي هَذِهِ الْحَضَارَةِ الْمُؤَهَّمَةِ؟! إِنَّ رَجُلًا مُسْلِمًا
يَلْتَزِمُ الصَّلَاةَ الْخَمْسَ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ، وَيُنْفِقُ عَلَى زَوْجِهِ وَوَالِدَيْهِ
وَأُسْرَتِهِ، وَيَتَفَقَّدُ أَعْمَامَهُ وَأَخْوَالَهُ وَجِيرَانَهُ، وَيُعْطِي الْفُقَرَاءَ وَالْمَسَاكِينَ،
وَيُوَاسِي أَهْلَ الْمَصَائِبِ، وَيَلْتَزِمُ تَرْكَ الْمَحْرَمَاتِ الَّتِي حَرَّمَهَا اللَّهُ مِنْ
أَمْرَاضِ الْقُلُوبِ الْكَثِيرَةِ، وَأَثَامِ الْجَوَارِحِ كُلِّهَا، وَيَحَاسِبُ نَفْسَهُ عِنْدَ
التَّقْصِيرِ فِيهَا، وَيَلْتَزِمُ مَا اسْتَطَاعَ مِنْ نِظَامِ الدَّوْلَةِ وَحُقُوقِ الْمُجْتَمَعِ؛ إِنَّ
هَذِهِ هِيَ حَضَارَةُ الْإِنْسَانِ الْمُسْلِمِ، أَنْقَارُهَا بِإِنْسَانِ الْعَرَبِ حِينَ يَلْتَزِمُ
بِوَضَائِفِهِ، وَلَا يَقُومُ بِمَعْشَارِ الْحُقُوقِ الَّتِي يَقُومُ بِهَا الْمُسْلِمُ، وَلَا يَنْتَهِي عَنْ

مِعْشَارٍ مِعْشَارٍ مَا يَنْتَهِي عَنْهُ الْمُسْلِمُ لِحَقِّ اللَّهِ وَحَقِّ عِبَادِهِ، ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ نَقُولُ: الْإِنْسَانُ الْغَرْبِيُّ يَعِيشُ رُقِيًّا وَالتَّزَامًا! إِنَّهَا قِسْمَةٌ ضِيزَى^(١).

بَلِ الْعَجَبُ كُلُّ الْعَجَبِ مِنَ الْإِنْسَانِ الْمُسْلِمِ كَيْفَ اسْتَطَاعَ أَنْ يَقُومَ بِهَذِهِ الْوَاجِبَاتِ كُلِّهَا - مِنْ حُقُوقِ اللَّهِ، وَحُقُوقِ عِبَادِهِ - فَمَهْمَا بَلَغَ بِهِ التَّقْصِيرُ فَإِنَّهُ لَا يُمَكِّنُ أَنْ يُسَاوِيَ بِالتَّزَامِ وَحَضَارَتِهِ بِمَنْ ضَيَّعَ حُقُوقَ اللَّهِ، وَأَكْثَرَ حُقُوقَ خَلْقِهِ، هَذَا هُوَ الْمُنْطِقُ السَّلِيمُ، وَلِهَذَا لَوْ أَنَّ مَشْهُورًا غَرْبِيًّا أَنْقَذَ قِطَّةً مِنَ الْمَوْتِ، أَوْ تَوَقَّفَ لِيُعِينَ رَجُلًا مُسِنًّا عَلَى اجْتِيَازِ الطَّرِيقِ؛ لَضَجَّ إِعْلَامُهُ، وَسَارَتْ فِي الْخَافِقِينَ^(٢).

وَهَا هُوَ الْمُسْلِمُ - لَا أَقُولُ فِي كُلِّ يَوْمٍ - بَلْ فِي كُلِّ لَحْظَةٍ يَمُرُّ عَلَى مَنْ لَا يَعْرِفُ وَيُسَلِّمُ عَلَيْهِ، وَيَحْضُرُ جَنَازَةً مَنْ عَرَفَ وَمَنْ لَمْ يَعْرِفْ، وَيَخَاطِرُ بِنَفْسِهِ مِنْ أَجْلِ نَفْعِ النَّاسِ، وَيَبْذُلُ وَقْتَهُ وَمَالَهُ لَذَلِكَ، وَهَا هُوَ الْعَالِمُ يَنْشُرُ عِلْمَهُ لَا يَتَقَاضَى عَلَيْهِ أَجْرًا، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي لَا نَابَهُ لَهَا؛ لَيْسَ لِاحْتِقَارِهَا، وَإِنَّمَا لِأَنَّهَا مُكُونٌ مِنَّا، وَأَسَاسٌ فِي شَخْصِيَاتِنَا الْإِسْلَامِيَّةِ.

فَلِمَاذَا - إِذَا - نَعِيشُ هَزِيمَةً نَفْسِيَّةً أَمَامَ الْإِنْسَانِ الْغَرْبِيِّ؟! لِمَاذَا نُقَلِّدُهُ فِي ضَيَاعِهِ؟! لِمَ نَسْتَوْرِدُ أَخْلَاقِيَّاتِهِ الْفَاسِدَةَ، وَعَادَاتِهِ الْقَبِيحَةَ؟! فَهَذَا عِيدُ الْحُبِّ، وَهَذِهِ قِصَّةُ الشَّعْرِ الْفَرَنْسِيَّةِ وَالْكُوبَرَا وَغَيْرُهَا، بَلْ حَتَّى فِي لُبْسِهِ السَّاقِطِ الْمَاجِنِ الْمُرَرِّي بِالْإِنْسَانِ السُّوِّيِّ! أَصْبَحْنَا نَتَلَقَّفُ سَخَافَاتِ

(١) الْقِسْمَةُ الضِيزَى: الْجَائِزَةُ. الْمَعْجَمُ الْوَسِيطُ (ضَبَاز).

(٢) الْخَافِقَانِ: أَفُقُ الْمَشْرِقِ وَأَفُقُ الْمَغْرِبِ. الْمَعْجَمُ الْوَسِيطُ (خَفَق).

الإنسان الغربيّ، هذه هي قصّة حضارة الإنسان الغربيّ، والمجتمع الغربيّ.

لقد أطلق كثيرٌ من عُقلاء الغرب صافرات الإنذار الأخلاقية والاقتصادية بلّ والسياسية، ورفَعُوا أصواتهم بأنّ حالات التدهور المجتمعيّ والإنسانيّ في انحدارٍ رهيب، بل وأشادوا بالنُظم الإسلامية على وجه الخصوص، كَيْتَ انبهارنا يُثْمِرُ صناعةً مثلَ صناعتِهِمْ، وتطورًا طَيِّبًا مثلَ أبحاثِهِمْ، إلى غير ذلك في علوم الدنيا، لَكَانَ هذا هو الحِجَا^(١)، ولكنّ المؤسّف أنّ الشباب يَغْرُقُ في الإغراء الإدراكيّ والمتعبيّ فقط، فاعتبرُوا يا أولي الأبصار.

ثمّ صلُّوا وسلِّمُوا على رسولِ الهدى، وإمام الورى، فقد أمركم ربُّكم فقال -جل وعلا-: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]، اللهم صلّ وسلِّم على نبينا محمدٍ، وعلى آله وصحبه أجمعين، وارْضَ اللهم عن الخلفاء الراشدين، والأئمّة المهديّين أبي بكرٍ وعُمَرُ وعُثْمَانُ وعليٌّ، وعن الصّحابة أجمعين، وعنّا معهم بعفوك وكرمك يا أكرم الأكرمين.

اللهم أعزّ الإسلام والمسلمين، وانصر عبادك الموحدين الذين يجاهدون في سبيلك في كل مكان، اللهم انصرهم على عدوك وعدوهم، اللهم عليك باليهود المعتدين، والنصارى المحاربين، اللهم عليك بهم؛ فإنهم لا يعجزونك، اللهم أحصهم عددًا.

(١) أي: العقل. المصباح المنير (حجو).

اللَّهُمَّ آمِنَّا فِي أوطَانِنَا، وَأَصْلِحْ أئِمَّتَنَا وَوَلَاةَ أُمُورِنَا، اللَّهُمَّ وَفِّقْهُمْ لِمَا يَرْضِيكَ، وَجَنِّبْهُمْ مَعَاصِيكَ.

اللَّهُمَّ تَبْ عَلَى التَّائِبِينَ، وَاهْدِ ضَالَّ الْمُسْلِمِينَ، اللَّهُمَّ رُدِّهِمْ إِلَيْكَ رَدًّا جَمِيلًا، اللَّهُمَّ ارْفَعْ مَا نَزَلَ مِنَ الْفِتَنِ.

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا.

عباد الله! ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠]،
فاذكروا الله العلي العظيم يذكركم، واشكروه على نعمكم يزدكم، ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

صبر الرسول والغضب

الخطبة الأولى:

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ
 أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ
 لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ
 عَلَيْهِ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَمَنْ سَارَ عَلَى مَنَاجِيهِ، وَاقْتَفَى أَثَرَهُ إِلَى يَوْمِ
 الدِّينِ، وَسَلِّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

أَمَّا بَعْدُ:

فَاتَّقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ - حَقَّ التَّقْوَى وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ.

مَعَشَرَ الْإِخْوَةِ: إِنَّ مَنْ يَتَأَمَّلُ سُنَّةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَسِيرَتَهُ؛ لَا بُدَّ أَنْ
 تَسْتَوْفِقَهُ خَصْلَةً عَظِيمَةً فِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَلَا وَهِيَ سَعَةُ صَبْرِهِ، وَمَتَانَةُ
 عَزَمِهِ، فَهِيَ مِنْ أَسْمَى الْخِصَالِ وَالْخِلَالِ الَّتِي بَلَغَ بِهَا الْغَايَةَ مِنَ الدَّعْوَةِ،
 وَلِهَذَا كَانَ مِنْ أَوَائِلِ الْأَوَامِرِ الَّتِي نَزَلَتْ عَلَيْهِ فِي سُورَةِ الْمَدَّثِرِ الْأَمْرُ
 بِالصَّبْرِ ﴿وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾ [المدثر: ٧]، فَاِمْتَثَلْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأَمْرِ رَبِّهِ،
 وَبَادَرَ إِلَيْهِ، وَصَبَرَ اللَّهُ أَكْمَلَ صَبْرٍ، فَصَبَرَ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ، وَعَنْ مَعَاصِي اللَّهِ،

وعلى أقدارِ الله المؤلمة؛ حتَّى فاقَ أُولِي العِزِّ مِنَ المُرسَلِينَ، صلواتُ الله وسلامُهُ عليه وعليهم أجمعين.

وفي القرآن عَشْرَاتُ المواضعِ بأمرِهِ بالصبرِ؛ بل لا تكادُ تُفْقِدُهُ وأنتَ تَقْرَأُ القرآنَ، مما يَدُلُّ على أَهمِّيَّتِهِ وتعظيمِهِ.

ويتَجَلَّى صَبْرُ رسولِ الله ﷺ في استقامتِهِ كما أَمَرَهُ اللهُ، ومواصلتِهِ العبادةَ آناءَ الليلِ وأطرافَ النهارِ، تراه مُتَهَجِّدًا ناسكًا، جاء في الصحيحينَ عَنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ صَلَّى حتَّى انْتَفَخَتْ قَدَمَاهُ فَقِيلَ لَهُ: أَتَكْلِفُ هَذَا وَقَدْ غَفَرَ اللهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ؟! فَقَالَ: «أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا»^(١).

يتَجَلَّى صَبْرُهُ وَشِدَّةُ عَزْمِهِ في احتمالِ ما تَجْرِي بهِ صُرُوفُ الأقدارِ مِنَ الشدائدِ والخطوبِ^(٢)، فقد كان يَتَلَقَّى المنغصاتِ والمكدراتِ والخطوبَ فلا يَخْضَعُ لها، ولا تَسْتَفِزُّهُ الأحوالُ؛ وإلَّا فكيف بكِ بِمَنْ كُسِرَتْ رَبَاعِيَّتُهُ^(٣)، وشُجَّ^(٤) وَجْهُهُ وهو يَمْسَحُ الدَّمَ عَنْ وَجْهِهِ ويقول: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ»^(٥)، قَتَلُوا عَمَّهُ وَأَحَبَّ النَّاسِ إِلَيْهِ؛ بل مُثَلِّ

(١) أخرجه البخاري: (٢/ ٥٠)، ومسلم: (٤/ ٢١٧١)، رقم (٢٨١٩).

(٢) جمع الخطب، وهو الأمر الشديد ينزل. المصباح المنير (خطب).

(٣) هي السن التي بين الثنية والناب. المصباح المنير (ربع).

(٤) أي: شقَّ جلدُ وجهه. انظر: المعجم الوسيط (شجج).

(٥) أخرجه البخاري: (٤/ ١٧٥)، رقم (٣٤٧٧)، ومسلم: (٣/ ١٤١٧)، رقم (١٧٩٢).

به أَفْبَحَ تَمْثِيل، ومع ذلك لَا يَنْتَقِمُ انتصارًا لِنَفْسِهِ وَثَأْرَهُ، بل يَكْسِرُ سَوْرَةَ^(١) غَضَبِهِ، يَزْلِقُونَهُ^(٢) بأبصارهم، وَيَنْشُرُونَ عنه الدعاياتِ الكاذبةَ، وَيَصِفُونَهُ بِأَشْنَعِ الْأَلْفَاظِ فِي عَقْلِهِ وَفِي خُلُقِهِ، بل وَفِي عِرْضِهِ، وَيَسْمَعُ النَّاسَ يَتَحَدَّثُونَ بِهَا، وَهُوَ صَابِرٌ، واقِفٌ وَقُوفَ الشُّجْعَانِ، فَهَمَّتْهُ أَسْمَى مِنْ هِمَمِ قَطِيعِ الْغَابِ، جَاءَ فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَجُلًا تَقَاضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَأَغْلَظَ لَهُ، فَهَمَّ أَصْحَابُهُ، فَقَالَ: «دَعُوهُ، فَإِنَّ لِصَاحِبِ الْحَقِّ مَقَالًا»^(٣)، وَاشْتَرَوْا لَهُ بَعِيرًا فَأَعْطُوهُ إِيَّاهُ وَقَالُوا: لَا نَجِدُ إِلَّا أَفْضَلَ مِنْ سِنِّهِ، قَالَ: «اشْتَرَوْهُ، فَأَعْطُوهُ إِيَّاهُ، فَإِنَّ خَيْرَكُمْ أَحْسَنُكُمْ قَضَاءً»^(٤).

فهو قَوِيٌّ بِتَجَلُّدِهِ وَعَزْمِهِ وَصَبْرِهِ؛ حَتَّى كَانَ الْيَهُودُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِ وَيُحَرِّفُونَ السَّلَامَ إِلَى: السَّامِ^(٥)، كَمَا قَالَتْ عَائِشَةُ رضي الله عنها كَمَا فِي الصَّحِيحَيْنِ كَانَ الْيَهُودُ يُسَلِّمُونَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ يَقُولُونَ: السَّامُ عَلَيْكَ، فَفَطِنَتْ عَائِشَةُ إِلَى قَوْلِهِمْ، فَقَالَتْ: عَلَيْكُمُ السَّامُ وَاللَّعْنَةُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَهْلًا يَا عَائِشَةُ، إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ» فَقَالَتْ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ أَوَلَمْ تَسْمَعْ

(١) أي: حِلَّة. انظر: المعجم الوسيط (سور).

(٢) يقال: زَلَقَهُ عَنْ مَكَانِهِ: بَعَدَهُ وَنَحَاهُ. والمعنى: يَعْثَاؤُنَكَ بِعُيُوزِهِمْ، فَيُزِيلُونَكَ عَنْ مَقَامِكَ الَّذِي أَقَامَكَ اللَّهُ فِيهِ عَدَاوَةً لَكَ. انظر: تاج العروس (زلق).

(٣) أخرجه البخاري: (٣/ ٩٩، رقم ٢٣٠٦)، ومسلم: (٣/ ١٢٢٥، رقم ١٦٠١).

(٤) أخرجه البخاري: (٣/ ٩٩، رقم ٢٣٠٥)، ومسلم: (٣/ ١٢٢٥، رقم ١٦٠١).

(٥) أي: الموت. المعجم الوسيط (سوم).

مَا يَقُولُونَ؟ قَالَ: «أَوَلَمْ تَسْمَعِي أَنِّي أَرَدْتُ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ فَأَقُولُ وَعَلَيْكُمْ»^(١).

إِنَّ هَذَا الصَّبْرَ، وَهَذَا التَّجَلُّدَ فَهَمَهُ أَعْدَاؤُهُ قَبْلَ أَصْحَابِهِ بِأَنَّهُ الْقُوَّةُ الْكَامِنَةُ فِي نَفْسِهِ، وَأَنَّهُ لَيْسَ رَجْعًا لِمُصَدِّ النَّفْسِ وَالشَّيْطَانِ، وَإِنَّمَا لَهُ قُوَّةٌ تَغْلِبُ الْهَوَى، وَتَتَّبِعُ الْهُدَى، وَلِهَذَا غَيَّرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَفْهُومَ الْقُوَّةِ الَّتِي كَانَ يَفْهَمُهَا أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ، وَالَّتِي هِيَ مَفْهُومُ سَاحَاتِ الْغَابِ وَالْحَيَوَانِ؛ حِينَمَا سَأَلَهُمْ: «فَمَا تَعُدُّونَ الصَّرْعَةَ^(٢) فِيكُمْ»، قَالَ: قُلْنَا: الَّذِي لَا يَضْرَعُهُ الرَّجَالُ، قَالَ: «لَيْسَ بِذَلِكَ، وَلَكِنَّهُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ»^(٣).

نَعَمْ، الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْمُخَاصَمَةِ وَالْمَنَازَعَةِ وَالطَّيْشِ هُوَ الْقَوِيُّ، الْقَوِيُّ الَّذِي يَتَعَجَّبُ النَّاسُ مِنْ قُوَّتِهِ؛ وَإِلَّا فَكُلُّ حَيٍّ لَهُ رَدَّةٌ فِعْلٍ طَائِثَةٌ؛ لَكِنَّ الْقَوِيَّ هُوَ الَّذِي يَمْلِكُ زِمَامَ نَفْسِهِ، وَيُفَكِّرُ بِالْعَوَاقِبِ وَالْمَالَاتِ، وَيَتَصَبَّرُ وَيَقْوَى عَلَى نَزَغَاتِهِ، وَهَذِهِ السَّيْرَةُ أَيْضًا تُرْشِدُ كُلَّ مَنْ لَهُ وَلَايَةٌ، أَوْ رِئَاسَةٌ، أَوْ إِدَارَةٌ، أَوْ كَانَ تَحْتَهُ مُوظَّفُونَ أَنْ يُوسَّعَ صَدْرُهُ لِمَنْ يُنَاقِشُهُ وَيُجَادِلُهُ، وَلَوْ صَاحَ أَلْفَاظُهُ فِي غِلَظٍ وَجَفَاءٍ، فَعَلَيْهِ أَنْ يَتَصَبَّرَ وَيَتَذَكَّرَ سِيرَةَ رَسُولِهِ ﷺ، وَكَيْفَ عَامَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَتَحَمَّلَ الْأَذَى، فَإِنَّهُ إِنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَقَدْ تَعَبَّدَ لِلَّهِ بِعِبَادَةِ الَّذِينَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ.

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ

(١) أخرجه البخاري: (٨٤/٨)، رقم ٦٣٩٥، ومسلم: (١٧٠٦/٤)، رقم ٢١٦٥.

(٢) هو المبالغ في الصَّراع الذي لا يُغْلَب. النهاية (صرع).

(٣) أخرجه مسلم: (٢٠١٤/٤)، رقم ٢٦٠٨.

حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ [الأحزاب: ٢١].

بَارَكَ اللَّهُ لِي وَلَكُمْ فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، وَنَفَعَنِي وَإِيَّاكُمْ بِمَا فِيهِ مِنَ
الآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ، أَقُولُ مَا سَمِعْتُمْ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ لِي وَلَكُمْ
وَلِسَائِرِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ وَخَطِيئَةٍ، فَاسْتَغْفِرُوهُ وَتُوبُوا إِلَيْهِ، إِنَّهُ هُوَ
الْغَفُورُ الرَّحِيمُ.

الخطبة الثانية:

الحمد لله على إحسانه، والشُّكْرُ على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا
إله إلا الله تعظيماً لشانه، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الداعي إلى جنته
ورضوانه، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَأَعْوَانِهِ.

أَمَّا بَعْدُ:

مَعَشَرَ الْإِخْوَةِ: إِنَّ الْغَضَبَ سَبَبُهُ قَلَّةُ الصَّبْرِ؛ بَلْ أَحْيَانًا يَكُونُ الصَّبْرُ
سَهْلًا، وَمَعَ هَذَا يَسْتَسْلِمُ الْمَرْءُ لِحِمْرَةِ غَضَبِهِ، مَعَ قُدْرَتِهِ عَلَى إِطْفَائِهَا؛
خَوْفًا مِنْ وَصْفِ النَّاسِ لَهُ بِالضَّعِيفِ، أَوْ الْجُبْنِ وَالْخَوَرِ، وَالسُّؤَالُ: لِمَ لَمْ
يَرِدْ هَذَا الْوَارِدُ عَلَى أَعْظَمِ رَجُلٍ عَرَفَهُ التَّارِيخُ؟! لِمَ لَمْ يَقُلْ سَيَحْفَظُ النَّاسُ
وَالتَّارِيخُ خَوْفِي وَيَتَحَدَّثُونَ بِهِ؟! كَلَّا، لَمْ يَرِدْ عَلَيْهِ هَذَا الْوَسْوَاسُ، بَلِ

الواقعُ المُشاهدُ أَنَّ المُتصَبِّرَ لهذه النزغاتِ هو الذي تُعقَدُ عليه الخِناصِرُ^(١).

نَزغاتُ الشيطانِ في كُلِّ يومٍ نراها لَأَتَفَهُ الأسبابِ، الطَّلَّابُ في مدارسهم، والناسُ في شوارعهم وأماكنِ عَمَلِهِمْ، بل وفي بُيُوتِهِمْ مع أبنائِهِمْ وأزواجِهِمْ، مَعَارِكُ كَلَامِيَّةٍ، وَأُخْرَى قِتَالِيَّةٍ، مضارباتٌ ومهارشاتٌ، بأسبابٍ تافهةٍ، تَرى الرجلَ والطالِبَ فيُعْجِبُكَ مَظْهَرُهُ وهِنْدَامُهُ^(٢)، وكَلَامُهُ، فإذا ما ضاقتْ نَفْسُهُ، واحْتَمَقَتْ؛ خَرَجَ المَارِدُ الشيطانيُّ الذي في نَفْسِهِ، فَقَوِيَ عليه وسَخِرَ منه وبه، وأَصْبَحَ الناسُ حَيَارَى، أَهَذَا هو فلانٌ؟! أَهَذَا هو الرجلُ المُتَدَيِّنُ؟! أَهَذَا هو الرجلُ المُتَقَفُّ؟! أَهَذَا كبيرُ العائلةِ؟! أَهَذَا الذي تُعَرِّضُ عليه مشاكلُ الناسِ؟!

إِنَّا -وبِكُلِّ أَسَفٍ- نعيشُ واقِعًا مُتَأَزِّمًا بكثرةِ الغَضَبِ، الناسُ يَخْرُجونَ في صباحِهِمْ إلى أَعْمَالِهِمْ بأنْفُسٍ مُحْتَقِنَةٍ، يَسْتَفْتِحُونَهَا بالغَضَبِ والتَّكْدِيرِ على أَهْلِهِمْ وأَوْلَادِهِمْ وزملائِهِمْ، في عَمَلِهِمْ وسُوقِهِمْ، لا يَسْتَفْتِحُونَهُ بالذِّكْرِ والتَّهْلِيلِ والتَّسْبِيحِ، وسُؤالِ الله الإِعانةَ والمَغْفِرَةَ والرِّزْقَ الواسِعَ الطَّيِّبَ، وَمِنْ ثَمَّ تَرى تِلْكَ النفوسَ المتوحشةَ الغاضبةَ.

نَعَمْ، الدنيا ليست جَنَّةً، وليست خالِيَةً مِنَ الأكْدارِ؛ وَلَكِنْ لِنَقْتَفِ أثرَ رَسولِنَا ﷺ بالتَّعَبُّدِ بالصَّبْرِ وقُوَّةِ العِزمِ، لِنُحَاوِلَ جَاهِدِينَ أَنْ نُصْلِحَ

(١) يقال: هذا أمرٌ تُعقَدُ عليه الخِناصِرُ: يُعْتَدُ به، ويحتفظ به. المعجم الوسيط (خنصر).

(٢) الهندام: حُسْنُ الْقَدِّ، وتنظيم الملابس. المعجم الوسيط (هندم).

مِنْ حَالِنَا فِي اسْتِسْلَامِنَا لِأَنْفُسِنَا وَأَهْوَانِنَا، وَإِذَا نَاقَشْتَ أَحَدَهُمْ قَالَ لَكَ: أَنَا غَضُوبٌ، كَثِيرُ الْغَضَبِ، وَلَا يَذْرِي أَنَّهُ يَسُبُّ نَفْسَهُ، وَيَصِفُهَا بِأَقْبَحِ الْأَوْصَافِ، مِنَ الضَّعْفِ وَقِلَّةِ الْحِيلَةِ وَالْعَزِيمَةِ.

كثِيرٌ مِنَ النَّاسِ يَقُولُهَا عَلَى وَجْهِ التَّفَاخُرِ وَالتَّشْبِيعِ؛ إِذْ إِنَّ أَعْظَمَ أَسْبَابِ الْغَضَبِ هُوَ الْعَجَبُ وَالْغُرُورُ وَرُؤْيَةُ النَّفْسِ وَالْإِعْجَابُ بِهَا، وَهَذَا أَحَدُ أَسْبَابِ انْتِشَارِهِ، وَلَوْ أَنَّنَا تَمَثَّلْنَا أَمْرَ اللَّهِ بِالْإِسْتِعَاذَةِ مِنْ نَزَعَاتِ الشَّيَاطِينِ لَذَهَبَ مَا فِيهِ، وَبَرَدَتْ نَفْسُهُ: ﴿وَمَا يَنْزَعُكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [فصلت: ٣٦].

ثُمَّ صَلُّوا وَسَلَّمُوا عَلَى رَسُولِ الْهُدَى، وَإِمَامِ الْوَرَى، فَقَدْ أَمَرَكُم رُبُّكُمْ فَقَالَ -جَل وَعَلَا-: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ، وَارْضَ اللَّهُمَّ عَنِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ، وَالْأَئِمَّةِ الْمُهَدِّينَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَلِيٍّ، وَعَنِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ، وَعَنَّا مَعَهُمْ بِعَفْوِكَ وَكَرَمِكَ يَا أَكْرَمَ الْأَكْرَمِينَ.

اللَّهُمَّ أَعِزَّ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَانصِرْ عِبَادَكَ الْمُوَحِّدِينَ الَّذِينَ يَجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِكَ فِي كُلِّ مَكَانٍ، اللَّهُمَّ انصِرْهُمْ عَلَى عَدُوِّكَ وَعَدُوِّهِمْ، اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِالْيَهُودِ الْمُعْتَدِينَ، وَالنَّصَارَى الْمُحَارِبِينَ، اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِهِمْ؛ فَإِنَّهُمْ لَا يَعْجِزُونَكَ، اللَّهُمَّ أَحْصِهِمْ عَدَدًا.

اللَّهُمَّ آمِنَّا فِي أَوْطَانِنَا، وَأُصْلِحْ أَيْمَتَنَا وَوُلاةَ أُمُورِنَا، اللَّهُمَّ وَفِّقْهُمْ لِمَا

يرضيك، وجنبهم معاصيك.

اللهم تب على التائبين، واهد ضالَّ المسلمين، اللهم رُدَّهم إليك ردًّا
جميلًا، اللهم ارفع ما نزل من الفتن.
اللهم اغفر لنا ولوالدينا.

عباد الله! ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ
الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠]،
فاذكروا الله العلي العظيم يذكركم، واشكروه على نعمكم يزدكم، ﴿وَلَذِكْرُ
اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

المحتويات

٥	المقدمة
٦	محقرات الذنوب
١٤	لقاء الله وتكليمه لعبده
٢١	قطع الرحم
٢٩	فتنة اللسان
٣٦	سلامة الصدر
٤٣	سحرة موسى
٥١	داء التجربة
٥٧	بر الوالدين
٦٤	اهدنا الصراط المستقيم
٧١	النصر الحقيقي هو الآخرى
٧٨	المحكم والمتشابه
٨٦	المال العام
٩٣	الفواحش
١٠٢	الغرور - ربي أكرم من

- الشكر دبر العبادات ١٠٩
- السجين والمجتمع ١١٦
- الرزق والبركة ١٢٣
- الربا والبنوك الربوية ١٣١
- الذكر ١٣٩
- الدين يسر ١٤٦
- الحجاب ١٥٤
- التفحيط ١٦٢
- أذية الناس ١٦٩
- أبوة الرسول والتربية ١٧٧
- أثر الذكر ١٨٥
- الاختلاط المحرم ١٩٣
- الإصلاح الحقيقي ٢٠٢
- أحكام الأضحى وفضل يوم عرفة ٢٠٩
- البدعة، وبدعة المولد ٢١٩
- التراويح ٢٢٩
- التنازع ٢٣٧
- التنافس على الدنيا ٢٤٤
- التوحيد ٢٥٣
- الحزن من الداعية ٢٦٢

٢٦٩	العفة وعلاقة المحارم
٢٧٨	القرآن الكريم
٢٨٧	الكِبَر
٢٩٤	الكذب
٣٠١	اللَّغْو
٣٠٩	المجاهر بالمعاصي
٣١٧	المشابهة بالكفار
٣٢٥	النظر إلى المخطوبة
٣٣٢	الهَوِيَّة
٣٣٩	تدبير المال - الكفالة
٣٤٦	تربية البنات
٣٥٤	تقديم محبة الله على المعاصي
٣٦٢	رحمة الرسول بأمته والبدع
٣٧٠	القرَض
٣٧٨	قصة يونس والمعصية والخوف من الله
٣٨٦	العلاقة مع الله
٣٩٤	الطموح والإحباط
٤٠٢	أين السعادة الحقيقية؟!
٤١٠	الزواج - البرنامج الصحي واستخدام السلاح
٤١٧	الموظف المرتشي

٤٢٥	الانبهار بالغرب
٤٣٤	صبر الرسول والغضب
٤٤٢	المحتويات